

معهد البحوث والدراسات العربية

العلاقات العربية الإيرانية

١٩٩٣

بسم الله الرحمن الرحيم



معهد البحوث والدراسات العربية

العلاقات العربية الإيرانية

١٩٩٣

المحرران : الأستاذ الدكتور جمال زكريا قاسم

الأستاذ الدكتور يونان لبيب رزق

المشاركون:

الأستاذ الدكتور / بديع محمد جمعة

الأستاذ الدكتور / جمال زكريا قاسم

الأستاذ الدكتور / سعيد عبد الفتاح عاشور

الأستاذة الدكتورة / شيرين عبد النعيم حسنين

الأستاذ الدكتور / عبد العزيز سليمان نوار

الأستاذ الدكتور / عبد النعيم محمد حسنين

الأستاذ الدكتور / يونان لبيب رزق

الدكتور / محمد محمد زهرة

الدكتورة/ نيفين عبد المنعم مسعد

السيد / أحمد السيد النجار

الآنسة / باكينام رشاد الشرقاوى

السيد / محمد محمد عارف (الإعداد الببليوجرافى)

مقدمة

بينما تتعدد روافد العلاقات العربية - الإيرانية فإن منابع تلك العلاقات تضرب فى أعماق بعيدة هى أعماق التاريخ .

بيد أنه قبل البحث فى تلك الأعماق فإنه يمكن من متابعة النهر الرئيسى لتلك العلاقات أن نتعرف علي طبيعة الجسور التى استمرت تتحكم فى مجراه.

أحد هذه الجسور ماثل فى الأطلال المشترك على الخليج، وهو اطلال تراوحت مؤثراته بين تشابك المصالح وبين الصراع حول التسمية .. الخليج الفارسى أم الخليج العربى !

جسر آخر بادى فى العلاقة بين الهضبة والوادى.. الهضبة الإيرانية ووادى الدجلة والفرات فى العراق، والمحاولات التى استمر أهل الهضبة يبذلونها للنزول إلى الوادى، مما جعل العراق ساحة دائمة للصراع العربى - الإيرانى، وهو صراع كان يشتد أحيانا فيصل إلى حروب ضروس، وكان يهدأ أحيانا فيأخذ شكل الدعوة والدعاية.. بحضارة مباينة أو بمذهب مختلف.

جسر ثالث ناتج عن تبادل المواقع بين الكتلتين البشريتين الكبيرتين، الكتلة العربية والكتلة الفارسية، وهو تبادل ساعد على نشوء عدد من الظواهر فى العلاقات بينها.

وقبل رصد تلك الظواهر فإنه ينبغى التسليم بأن أيا من الكتلتين وإن هضم بعض حضارة الآخر إلا أنه لم يستطع أن يهضم الآخر فى حضارته والفارق كبير !

فالفرس اعتنقوا الإسلام وإن لم يصبحوا عربا ، والعرب أخذوا بكثير من جوانب الحضارة الفارسية ولكنهم لم يصبحوا فرسا.

لعل أهم الظواهر فى العلاقات بين الطرفين أنه عندما كانت تقوى الدولة على أحد الجانبين فقد كان الجانب الآخر يصبح عونا لهذه الدولة الأمر الذى تتعدد شواهده التاريخية.

ففى العصور القديمة وفى عهد الامبراطوريات الفارسية الكبيرة ساندت القبائل العربية

الدور العالمى، بمفهوم العصر طبعا ، الذى قام به أباطرة الفرس العظام من أمثال قمبيز.

قبيل ظهور الإسلام، وفى عهد الدولة الساسانية ، ظهرت دولة الحيرة بكل علاقاتها المعروفة بالفرس ، وإن كانت تلك العلاقة قد أخذت شكلا صراعيا بسبب بعض التعديات العربية على حدود آل ساسان الأمر الذى أدى بأحد ملوك تلك الدولة ، سابور بن هرمز ، إلى التنكيل بعرب الخليج والجزيرة العربية وبادية الشام.

وفى نطاق تبادل المصالح بين الكتلتين عادت العلاقات إلى مجراها الطبيعى باعتماد الفرس على العرب فى صراعهم ضد البيزنطيين، وفى استخدامهم فى قواتهم البحرية، وبالمقابل قام هؤلاء بالمعاونة فى طرد الأحباش من اليمن عام ٥٧٠م.

بظهور الإسلام اتخذت العلاقات منحا جديداً، فقد نجحت الدولة الفتية الجديدة فى انهاء وجود الدولة الساسانية من خلال معارك شهيرة؛ القادسية وجلولا، ونهاوند ، وغدت وفارس ولاية من ولايات الدولة العربية الإسلامية، وكان الفرس من أول الشعوب التى اعتنقت الإسلام.

* * *

مع انغماس الكتلتين الكبريتين فى دين واحد تعددت عوامل الأخذ والعطاء ، فمن ناحية على المستوى الفردى قدمت سيرة "سلمان الفارسى" نموذجا للاسهام فى نشر الدين الجديد، وعلى المستوى الجماعى فان عملية الأخذ بكثير من أسباب الحضارة الفارسية فى بناء الدولة الإسلامية كانت نموذجا للتطعيم الحضارى بين الشعوب الإسلامية، بيد أنه على الجانب الآخر وعلى المستوى الفردى أيضا انخرط بعض الفرس فى الصراعات حول السلطة ربما كان أشهرهم "أبى لؤلؤة المجوسى" قاتل "عمر بن الخطاب" ثانى الخلفاء الراشدين.

بيد أنه مع قيام الدولة الأموية وانحيازها للعنصر العربى فى الدولة بدأت أسباب الغيرة الشعوبية تنشأ ، وكان من الطبيعى أن يكون الفرس أكثر من نالت منهم تلك الأسباب، الأمر الذى أدى إلى انحيازهم للعباسيين واسهامهم فى القضاء على الدولة الأموية التى أصبحوا عمادها العسكرى والإدارى، بل والسياسى.

ويرى المؤرخون أن العصر العباسى الأول الذى كان بمثابة العصر الذهبى للحضارة الإسلامية إنما كان نتاجا لامتزاج الحضارتين العربية والفارسية، ودخلت المفردات العربية فى اللغة

الفارسية التى كتبت بالحروف العربية، وظهر من علماء الفرس من لقبوا "بأصحاب اللسانين".

بيد أنه مع قيام العصر العباسى الثانى وغلبة العنصر التركى فى الدولة أخذ الفرس يلعبون دورا سلبيا فى التعامل معها كان أظهر جوانبه سلخ أجزاء من الدولة ليقيموا فيها دولا شبه مستقلة كان أشهرها الدولة البويهية.

واستمرت عناصر النحر في الدولة العباسية الناتجة عن الصراع بين الفرس والترك يفعل فعله فى الدولة التى لم تتمكن من الصمود للاجتياح التترى الذى انتهى بسقوط بغداد عام ١٢٥٨، الذى كان بمثابة نهاية لمرحلة أخرى من مراحل العلاقات العربية - الفارسية.

* * *

فى أوائل القرن السادس عشر كانت الخريطة مختلفة ، فبينما نجح الفرس فى اقامة الدولة الصفوية كان الأتراك قد نجحوا فى اقامة الدولة العثمانية ، وتحول جانب من العالم العربى، العراق، إلى ميدان صراع بين الجانبين، شغل أغلب هذا القرن، وكان بالأساس صراعا ذا طبيعة مذهبية.

وكان لهذا الصراع مضاعفاته السلبية على العلاقات العربية - الفارسية ففضلا عن تعميق أسباب الخلاف المذهبى الذى لم تنجح محاولة نادر شاه (١٧٢٧-١٧٤٧) التوفيقية فى إزالته، من جانب آخر فقد أدى انشغال الدولتين الاسلاميتين فى صراعاتهما إلى تمكين القوى البحرية الأوروبية من السيطرة على عديد من المراكز البحرية الحاكمة فى الخليج.

ولعل دخول عنصر ثالث فى العلاقة خلال القرن التاسع عشر ، ممثلا فى القوى الامبريالية الأوربية، خاصة انجلترا، قد أدى إلى مزيد من المضاعفات السلبية على العلاقات بينهما.

وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية ومع بلوغ حركة المد القومى العربى ذروتها فى النصف الثانى من عقد الخمسينيات ومعظم عقد الستينيات حدث صدام جديد بين الحركة التى كانت تمثل الاتجاه العام فى الوطن العربى وبين إيران الشاه التى كانت تحتل موقعا بارزاً فى منظومة الاستراتيجية الأمريكية ذات المصالح المتصادمة مع الحركة القومية العربية. وعندما بدأت "الواقعية" تنتشر ثم تسود فى المنطقة العربية كانت إيران من ناحية أخرى تنحو نحوا ثوريا اعتبارا من نهاية السبعينيات وحدث الصدام هذا المرة وكأنه صدام بين ايديولوجية القومية العربية وإيديولوجية الثورة الإسلامية، وترجم هذا الصدام الحرب العراقية - الإيرانية التى

دامت قرابة ثمان سنوات ، وعلى الرغم من توقف الحرب من أكثر من خمس سنوات فإن مصادر التوتر فى العلاقات العربية - الإيرانية ظلت باقية ما بين السلوك الإيرانى تجاه قضية الجزر الثلاثة موضع النزاع بينها وبين دولة الإمارات العربية المتحدة، والاتهامات الموجهة لايران بتبنى حركات العنف التى تنسب نفسها للإسلام.

ولهذه الاعتبارات كلها ومن أجل محاولة سبر اغوار ذلك النموذج القلق للعلاقات العربية - الإيرانية كخطوة أولى ضرورية ولازمة لأى حل يرمى إلى تحسين هده العلاقات، جاء اهتمام البعض بالدراسة العلمية المتعمقة لأبعادها المختلفة فى إطار شامل يجمع بين الأبعاد التاريخية والجغرافية والديموجرافية والاقتصادية والثقافية والسياسية، ويأتى هذا العمل فى إطار اهتمام أكبر من قبل المعهد بعلاقات العرب الدولية سواء فى ذلك علاقاتهم الإقليمية بدول محيطهم الجغرافى أو علاقاتهم العالمية بالقوى الرئيسية والثانوية فى النظام الدولى، وكلها جهود علمية تحاول استجلاء الواقع العربى الراهن بكل عناصره ومقوماته كى يتسنى الانطلاق إلى الغايات المنشودة لامتنا.

وعلى الله قصد السبيل.

المحرران.

القسم الأول
العلاقات التاريخية

الفصل الأول:

العلاقات العربية الفارسية من الفتح الإسلامى حتى سقوط الدولة العباسية

أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور

الفصل الثانى:

الصراع العثماني الفارسى والعلاقات الفارسية العربية : من العهد الصفوى حتي نشوب الحرب العالمية الأولى

أ. د. عبد العزيز سليمان نوار

الفصل الثالث:

العلاقات الإيرانية بمصر وبالعراق على عهد الأسرة البهلوية: ١٩٢٥- ١٩٧٩.

أ. د. يونان لبيب رزق

الفصل الرابع:

العلاقات الإيرانية بالمملكة العربية السعودية والخليج العربى على عهد الأسرة البهولية ١٩٢٥- ١٩٧٩.

أ. د. جمال زكريا قاسم

الفصل الخامس:

تأثير الثورة الإيرانية الإسلامية على العلاقات العربية

باكينام رشاد الشرقاوى

الفصل الأول

العلاقات العربية الفارسية
من الفتح الاسلامى
حتى سقوط الدولة العباسية*

بلاد فارس وبلاد العرب أقليمان متجاوران، وربطت شعوبهما منذ القدم صلات قوية، سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية، مما ترك آثاراً واضحة فى تاريخ البلدين على مر العصور.

وقد وصف علماء المسلمين بلاد فارس بأنها «صفوة الأراضى» وذلك لتوسط موقعها، وبعدها عن الأحداث العنيفة التى «يتأذى بها أهل المشرق والمغرب والجنوب والشمال». أما أهل تلك البلاد -وهم الفرس- فقد وصفوا بأنهم «أصحاب العقول الصحيحة، والآراء الراجحة، والأبدان السليمة، والشمائل الطريفة، والبراعة فى كل صناعة. فلذلك تراهم أحسن الناس وجوها، وأصحهم أبدانا، وأحسنهم ملبوسا، وأعذبهم أخلاقا، وأعرفهم بتدبير الامور.»[1]

ولا يقلل من شأن هذه الاوصاف أن يكون صاحبها من أصل فارسى، مما قد يدفعه للإشادة

---

* أعد هذه الدراسة الاستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، استاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة القاهرة.

ببلاده وتمجيد قومه، فقد أكثر العرب انفسهم فى عصور ما قبل الإسلام -وفى ظل الإسلام- من مدح الفرس، والاشادة بحضارتهم وعراقتهم، وبذا غدت أمجاد الفرس وحسن سيرة ملوكهم أكثرها «مدون فى كتب العرب والعجم». قالوا إنه جاء فى الخبر:

«ان الله تعالى أوحى إلى داود أن يأمر قومه أن لا يسبوا العجم فانهم عمروا الدنيا وأوطئوها عبادى».

وقد تعرضت بلاد فارس لنقلة كبيرة فى النصف الاول من القرن الثالث للميلاد -حوالى سنة ٢٢٦م- عندما سقطت فيها دولة البارثيين Parthians، وحلت محلها فى الحكم دولة الساسانيين. ذلك أن عصر الساسانيين الذى استمر حتى القرن السابع للميلاد، عندما سقطت الدولة الساسانية أمام الفتح الإسلامى العربى، كان عصر قوة فى مجال الحرب والسياسة، وازدهار فى ميدان الفن والحضارة، ونشاط واسع فى دائرة الآداب والعلوم. وفى ذلك العصر بالذات قويت الصلات وتنوعت العلاقات بين الفرس وجيرانهم العرب قبل ظهور الاسلام.

العرب والفرس قبل الإسلام:

ترجع العلاقة بين العرب والفرس الى ماقبل عصر السأسانيين. وعندما نقول العرب فإننا لانعنى هنا العرب المستقرين داخل شبه الجزيرة وحدهم وإنما ايضا أولئك الذين انساحوا خارجها وخاصة فيما يعرف باسم بادية الشام شمالى الجزيرة. من ذلك ما يتردد فى مصادر التاريخ القديم من أنه عندما قام قمبيز ملك الفرس بحملته على مصر سنة ٥٢٥ق.م.أمده شيوخ القبائل العربية فى بادية الشام بثمانية آلاف بعير حملت الماء اللازم للجيش الفارسى فى رحلته عبر الصحراء.

لاشك فى ان بادية الشام وجد بها منذ أقدم العصور عدد من القبائل العربية التى دفعتها ظروف شبه الجزيرة إلى الهجرة شمالا لتنتشر على حدود دولتى الفرس والروم وربما داخل هذه الحدود. ولما اعترف الروم بالمسيحية فى القرن الرابع للميلاد وجعلوا منها ديانة رسمية للدولة فى أواخر ذلك القرن دأبوا على نشر المسيحية بين القبائل المتاخمة لهم فى حين انتشرت ديانات الفرس الوثنية بين بعض القبائل المتاخمة للدولة الفارسية. هذا وإن كان الساسانيون قد شجعوا المذهب النسطورى-مع كونهم مجوسا-وذلك نكاية فى حكومة الروم التى أخذت بالمذهب اليعقوبى.(٢)

ومهما يكن من أمر فإن الفرس والروم جميعا عانوا من إغارات القبائل العربية على بلادهم بين حين و آخر، وذلك تحت وطاة الظروف الاقتصادية.والواقع أن القبائل العربية في بادية الشام لم تكن على حال واحد من الاستقرار والثبات، وإنما في حركة دائمة، مما أوجد حالة من البلبلة على أطراف كل من دولتى الروم والفرس. هذا إلى أن تلك القبائل العربية كثيرا ما كانت تنتهز فرصة اشتعال نار الحرب بين الفرس والروم لتهاجم خطوط تموين هذا الجيش أو ذاك، وتستولى على ما يمكنها أن تظفر به من زاد ومتاع وسلاح. وإزاء هذا الوضع حرص الفرس والروم جميعا على تحصين حدودهم الصحرواية، وبناء القلاع على امتدادها لحمايتها من هجمات الأعراب واغاراتهم.

والواقع أن العداء بين دولتى الفرس والروم احتدم بين جارين يختلفان عن بعضهما البعض في الاصول والجذور والحضارة والفكر والعقائد. وشاءت الاقدار أن تتلاصق حدود هاتين الدولتين اللتين دخلتا في صراع رهيب مع بعضهما البعض، لابسبب الخلافات الجذرية بينهما فحسب، بل أيضا بسبب التنافس بينهما حول زعامة تلك المنطقة الحساسة التى عرفت في التاريخ بأنها تمثل صرة العالم القديم.

وفي دوامة العداء والصراع المتوارث بين الفرس والروم، أو بين أكاسرةالساسانيين وأباطرة البيزنطيين، راى كل طرف أن يستعين بجيرانه وحلفائه من القبائل العربية. وكان أن قامت إمارتان عربيتان على حدود الدولتين،إحداهما إمارة الغساسنة حلفاء الروم، والاخرى إمارة المناذرة حلفاء الفرس.وقامت كل من هاتين الإمارتين بدور الحليف الوفى والدرع الواقى ضد الطرف الآخر، وتعنينا في هذه الدراسة إمارة الحيرة، وهى الإمارة العربية التى قامت حوالى« النصف الاول من القرن الثالث للميلاد ، وموضعها وراء الفرات عند منعطفه على نهر دجلة، على أطراف البادية ». وقد عرف ملوك الحيرة بالمناذرة لشيوع اسم "المنذر" بينهم في حين يرجع بعض الباحثين أن لفظ "الحيرة" سريانى الأصل بمعنى المخيم أو المعسكر(٣).

ومهما يكن الأمر، فان الحيرة إمارة عربية، ينتمى أهلها إلى قبائل متباينتبعضهم من قحطان والبعض الآخر من عدنان، كانوا تابعين للفرس، وتأثروا بحضارتهم، مما جعل بعض المؤرخين المسلمين-كالطبرى والدينورى- يدمج تاريخ الحيرة في تاريخ الفرس. كان أهل الحيرة يدينون بالوثنية، ويعبدون بعض الاصنام كاللات والعزى، ولم نسمع عن أحد من ملوك الحيرة

أنه اعتنق المجوسية، وربما يرجع ذلك إلى عدم حرص الفرس على نشر ديانتهم، واعتبارهم المجوسية ديانة خاصة بهم، من حقهم وحدهم أن يستأثروا بها.وبالعكس، فإن المسيحية فى المذهب النسطورى انتشرت بين عرب الحيرة، حتى غدت الحيرةمن مراكز التبشير بالمسيحية بين العرب، ومن الثابت أن أهل مكة كانوا على اتصال وثيق بالحيرة وأهلها.

ومن جهة أخرى. فقد كان لعرب شبة الجزيرة قبل الإسلام اتصال بالفرس عن طريق قنوات أخرى. ففى الوقت الذى كان الفرس يهيمنون على اليمن،كانت لاهل الحجاز علاقات مع اليمن. كذلك وجدت فى اقليم شرق شبة الجزيرة والبحرين، وفى اقليم حضر موت، جاليات فارسية، وبخاصة فى الجهات الساحلية. وهؤلاء ربطتهم علاقات متنوعة ببعض القبائل العربية، القريبتوالبعيدة.

وفى أوائل القرن الثالث للميلاد، اعتلى اردشير الأول (٢٢٦-٢٤١م) عرش فارس، فاخضع الاقليم الواقع عند مصب دجلة فى الخليج، وهو إقليم ميسين Mesene، وكان حتى ذلك الوقت تحت سيطرة العرب الوافدين من عمان. كذلك اهتم اردشير الاول بانعاش الموانى البحرية القديمة فى دلك الاقليم، كما أنشأ موانى جديدة، وتعاون مع العرب فى مباشرة النشاط فى إقليم الخليج. وفى ذلك يقول العالم رينو:-

إن الفرس قد اتحدوا مع العرب واشركوهم معهم فى شئون الحكم والإدارة، غدوا تدريجيا قوة بحرية لها حساب فى إقليم الخليج. بل إن السفن الفارسية أخذت تجوب البحار الشرقية، حتى غدت قوة تمكنت من الغلب على نشاط الرومان وحلفائهم الأحباش فى تلك البحار، مما أنزل أبلغ الضرر بمكانة الدولة الرومانية وسمعتها...). (٤)

وهكذا قويت العلاقات تدريجيا بين العرب والفرس قبل ظهور الإسلام، حتى صار فى بلاط ملك فارس كاتب مختص بالشئون العربية. وأحيانا كان ملك فارس يتخذ مترجما يستحضره من عرب الحيرة. (٥)

وساعد النشاط التجارى على قوة الروابط التى ربطت العرب بالفرس قبل الاسلام، فكان ملوك الساسانيين يتاجرون مع العرب، ويعقدون معهم صفقات البيع والشراء ، كما كانوا يسيرون القوافل بأسمائهم إلى جنوب شبة الجزيرة العربية، تبيع ما تحمله من بضائع وتشترى مما فى أسواقها الاصناف المطلوبة لتحملها إلى العراق. اما حراسة هذه القوافل فكان ملوك

الفرس يعهدون بها إلى من يثقون فيه من شيوخ القبائل العربية. وبعض هذه القوافل كانت ذات صبغة رسمية، بمعنى أنها كانت تحمل المؤن والامدادات إلى عمال الفرس على اليمن، وتعود محملة بالجباية التى جمعها العمال من أهل اليمن.

وكان لأهل مكة نصيب فى ذلك النشاط التجارى مع الدولة الفارسية، فكانت قوافلهم تنتقل إلى العراق ذهابا وعودة. وربما كان لبعضهم معاملات خاصة مع كسرى نفسه، فضلا عن بعض كبار رجال الدولة. وقد تردد فى بعض الروايات أن تجار مكة وفدوا على المدائن حيث انجزوا عدة عمليات تجارية-بيعا وشراء-فى ديوان كسرى نفسه، الذى كان يقاسمهم الأرباح.

واذا كانت علاقات الفرس بالعرب قد تنوعت قبل الاسلام-ما بين حضارية وسياسية وتجارية وثقافية وحربية-فانه يلاحظ أن هذه العلاقات لم تقتصر على قطاع واحد أو فريق بعينه من العرب، وإنما اتسعت دائرتها، لتشتمل عرب الشام وعرب شبة الجزيرة العربية، جنوبها وشرقها ووسطها وغربها.

وكانت هذه العلاقات بين العرب والفرس قبل الإسلام تقوم على أساس المنافع المتبادلة. من ذلك أنه حدث فى أواخر القرن الثالث للميلاد، أن حاصر اورليان-امبراطور الروم (٢٧٠-٢٧٥م)- الزباء أوزينوبيا ملكة تدمر، بسبب سياستها المعادية للرومان، وعندئذ سارعت الزباء بطلب المساعدة من ملوك الفرس، بوصفهم القوة الكبرى القريبة من مسرح الاحداث والمعادية للرومان. ولكن لم يسرعوا بتقديم المعونة المطلوبة، فوقعت الزباء أسيرة فى قبضة الرومان سنة ٢٧٢م، وذبلت تدمر وتقلصت أهميتها بعد أن غدت مجرد قاعدة عسكرية لحماية حدود الدولة الرومانية فى بلاد الشام.

ولم تلبث العلاقات بين العرب والفرس أن ساءت منذ أوائل القرن الرابع للميلاد، بسبب إحساس الفرس بخطر القبائل العربية التى ازدادت أعدادها واشتد ضغطها على حدود الدولة، بل لقد أوغلت داخل الحدود الفارسية وانتشرت فى جنوب بلاد فارس، يذكر الطبرى أن الذى دفع العرب إلى ذلك هو فقر بلادهم وحاجتهم إلى سد رمقهم، فى الوقت الذى كانت الفرس أقرب البلاد الغنية إليهم، فيقول:

(وكانت بلاد العرب أدنى البلاد إلى فارس، وكانوا من أحوج الامم إلى تناول شىء من معايشهم وبلادهم، لسوء حالهم وشظف عيشهم).

وهكذا أوغل العرب فى بلاد الفرس((وغلبوا أهلها على مواشيهم وحروثهم ومعايشهم، واكثروا الفساد فى تلك البلاد...))[٦].

ولم يستطع ملك فارس-سابور بن هرمز-المعروف بسابور ذى الاكتاف وهو شابور الثانى(٣١٠-٣٧٩) [٧]- السكوت عى ذلك الوضع، فشن حربا على القبائل العربية فى مختلف الجبهات. من ذلك أنه قتل كثيرا من العرب الذين كانوا قد نزحوا من البحرين وعمان، واستقروا على الساحل الشرقى للخليج، فى الجزء الجنوبى من بلاد فارس. ويقال إن سابور شارك بنفسة فى الحملة البحرية التى نقلت نشاطها بعد ذلك إلى البحرين فأوغل فى تلك البلاد" يقتل أهلها، ولا يقبل فداء، ولا يعرج على غنيمة. وهكذا حتى وصل إلى هجر، وبها ناس من أغراب تميم وبكر بن وائل وعبد القيس، فافشى فيهم القتل، وسفك فيهم من الدماء سفكا سالت كسيل المطر، إلا من هرب منهم، فلحق بالرمال، ثم أتى اليمامة فقتل بها مثل تلك المقتلة...".

وقد استمر شابور يوغل فى بلاد العرب حتى قارب يثرب فى الحجاز. وأخذ طوال الطريق يطم الآبار ويردم العيون، ليحرم العرب منَ موارد المياة، بحيث" لم يمر بماء العرب إلاعوره، ولاجب من جبابهم إلا طمه..[٨]

وبعد أن اشتفى سابور من عرب شبه الجزيرة والخليج، اتجه إلى عرب الشام، فانزل بهم ضربات قوية فى بلاد بكر وتغلب. ويبدو من وصف الطبرى لهذه الحملات أن سابور تعمد إنزال أكبر الخسائر بالعرب فى كل مكان امكنة الوصول إليه.

ولحماية حدود بلاده من هجمات الاعراب واغاراتهم، عنى سابور بالقلاع والحصون القائمة على حدود دولته، كما حفر خندقا سابور.وقد شجع حراس الحدود على الاستقرار بإقامة مايشبه مستوطنات على أطراف دولته لتحول بين الاعراب والتوغل فى بلاده. وفى هذه المستوطنات أقام لهم مزارع للحراس ليربطهم بالارض، كما استثناهم من دفع الخراج. كذلك أقام انابيو-اى مخازن-فى المواقع الهامة على الحدود، لخزن الاسلحة والمواد التموينية لتوزيعها على نقاط الحراسة فى أوقات الحاجة.

ثم إن سابور فى سياسته للتنكيل بالعرب خطة إجلاء بعض القبائل عن مواطنها ونقلهم إلى أماكن اخرى، وذلك تأديبا لهم من ناحية، ولتوفير قدر من الأمن لدولته من ناحية اخرى.

كان سابور قد هادن قسطنطين العظيم إمبراطور الروم (٢٨٨-٣٣٧) ليتفرغ لمحاربة العرب. ولكنه ماكاد يفرغ من معاقبة العرب واخضاعهم لنفوذه، حتى عاد ليواجه الروم، وهم العدو التقليدى القديم للفرس ودولة الفرس. وفى تحرشه بالروم سنة ٣٧٧ م ، استعان ببعض العرب المحالفين له، وربما كانوا من عرب الحيرة.(٩) ولكن الروم لم يقفوا مكتوفى الايدى إزاء العدوان الإبدى من جانب الفرس، فقام الامبراطور جولبان بهجوم على الفرس لتاديب سابور سنة ٣٦٣م.

يسترعى الانتباه فى هذه الهجمة أن إمبراطور الروم استعان-هو الآخر-بعدد كبير من عرب الشام الذين انتهزوا الفرصة للانتقام من الفرس.

يذكر الطبرى أنه اجتمع فى جيش جوليان من العرب"مائه الف وسبعون الف مقاتل". وكان أن حلت الهزيمة بجيش سابور، وأحدث الروم بالفرس مذبحة كبيرة، واضطر سابور نفسه إلى الفرار فى قله من جندة، فى حين اقتحم الروم مدينة طيسفون(١٠).

على أنه يلاحظ أن العلاقات بين الفرس والعرب لم تتخذ مجرى عدائياً على طول الخط فى القرن الرابع للميلاد. ذلك أن ملوك الفرس كانوا فى عدائهم المرير مع الروم لايستغنون مطلقا عن تأييد العرب ومساعدتهم. من ذلك أن سابور الثانى الذى انزل بالعرب ما أنزله من ضربات استعان بالعرب فى محاولته تقويض النفوذ الرومانى فى المياه الشرقية. وقد أنشا سابور اسطولا قويا فى الخليج ليعمل فى نقل المتاجربين بين الهند وجنوب شرق آسيا من ناحية، وموانى الفرس على الخليج من ناحية أخرى. وفى هذا النشاط استعان سابور بالعرب.

وهكذا حتى حل القرن الخامس للميلاد، فاتسمت العلاقات بين الفرس وجيرانهم العرب بالصفاء، حتى أن الطبرى يذكر أن بهرام جور (بهرام الخامس) الذى اعتلى عرش الدولة الساسانية سنة ٤٢٠م، نشأ وشب فى كتف العرب. ذلك أن أباه استدعى المنذربن النعمان وعهد إليه بتربية ابنه، وأحسن إلى المنذرً وشرفه واكرمه وملكه على العرب". ولم يدخر المنذر جهدا فى تربية الأمير الرضيع، حتى شب وتعلم الرمى والفروسيه والكتابة، وتثقف بالحكمة، حتى نظم الشعر بالعربية وتكلم بها بفصاحة وطلاقة.(١١)

وعندما قام كسرى الأول انو شروان(٥٣١-٥٧٨) بطرد الأحباش من اليمن-وذلك سنة ٥٧٠م-قبل مولد الرسول عليه الصلاة والسلام ببضعة أشهر-،ازدادت الروابط بين العرب

والفرس، اذ تمكن الفرس من الهيمنة على مدخل البحر الأحمر، وبالتالي مارسوا ضغطا واضحا على نفوذ الروم ونشاطهم التجاري عبر ذلك البحر. هذا إلا أن النفوذ الفارسي في البحر الأحمر هيأ طريقا سهلا للاتصال بعرب الحجاز وعمل اتفاقية تجارية مع أهل مكة بوجه خاص، بوصفهم من أنشط القبائل العربية في ممارسة النشاط التجاري.

وقد اثر كسرى أنو شروان تقديره للعرب وحفاوته برؤساتهم، حتى أنه اتخذ لديوانه كتابا من العرب، منهم عدى بن زيد العبادي، الذى أتقن اللغةالفارسية إتقانه العربية. كذلك قيل عن كسرى أنه قرب منه الطبيب العربي الحارث بن كلدة الذى درس الطب في مدرسة جند يسابور. والحارث هذا هو الذى عهد اليه الرسول (ص) بعلاج سعد بن ابى وقاص في حجة الوداع(١٢)، وهكذا ظهر الإسلام وللفرس علاقات واضحة مع العرب، ولهم قواعد راسخة في شبة الجزيرة العربية، فهم يسيطرون على اليمن، ولهم نفوذ وجالية كبيرة في عُمان، ويهيمنون على البحرين. ومازالت في بعض هذه البلاد قنوات مائية وآثار مشاريع، يظن أنها من عمل الفرس. هذا كله بالإضافة إلى الدور الذى قام به عرب الشام-وبخاصة في الحيرة-اذ كانت هذه الإمارة بتحكم موقعها بين بلاد الفرس وبلاد العرب، وبحكم بنيتها العربية وتاثرها بالحضارة الفارسية، حلقة وصل قوية بين المجتمع العربي في ستبة الجزيرة من ناحية، والفرس بدولتهم ومجتمعهم وحضارتهم من ناحية أخرى.

العرب والفرس فى صدر الإسلام:

وبينما العلاقات بين العرب والفرس تسير سيرا حسنا في القرن السادس للميلاد، بُعث محمد عليه الصلاة والسلام سنة ٦١٠م. وكان على الرسول ان يصدع بما أمره الله تعالى به، فبدأت الدعوة للإسلام سراً ثم جهراً، وتلاحقت الاحداث، فكانت الهجرة وما ترتب عليها من مولد الدولة الإسلامية العربية لأول مرة في التاريخ.ومن المعروف انه قبل الهجرة لم تكن هناك دولةتضم العرب جمعيا، وإنما وجدت قبائل متناثرة، كل قبيلة تؤلف وحدة قائمة بذاتها لها كيانها ومصالحها الخاصة، ولها شيخها الذى يتزعمها، بحيث كانت مصلحة القبيلة فوق كل اعتبار آخر، كما كان ولاء الفرد لقبيلة يحتل المكانة الاولى في سلوكه وتصرفاته. ولكن بهجرة الرسول(ص) إلى يثرب- التى غدت مدينة الرسول المنورة. صار للعرب لأول مرة في

التـاريخ دولة تحت مظلة الإسـلام ولهـذه الدولة رئيس-هو الرسـول نفسـه، ومن بعـده خلفاؤه-بحيث يدين الجميع بالولاء والطاعة لحكومة هذه الدولة التى فوض فيها أن تسير وفق شريعة الإسلام واحكامه.

ولكن الإسلام لم يات ديانة للعرب وحدهم، وإنما هو ديانه عامة للبشر جميعاً، "وما أرسلناك إلاكافة للناس بشيرا ونذيرا" (١٣). لذلك ارسل الرسول (ص) إلى الملوك والامراء يدعوهم للدخول فى الإسلام. ومن هولاء كان كسرى فارس الذى حمل كتاب الدعوة إليه عبد الله بن حذافة السهمى.

وكانت دولة الفرس فى النصف الأول من القرن السابع للميلاد تمر بمرحلة أقرب إلى التفكك والانهيار،حتى أنه اعتلى العرش فى مدار اربع سنوات مالايقل عن عشرة ملوك. ويبدو أن الحروب الواسعة التى قام بها كسرى انو شروان استنفذت طاقة الدولة، وفتحت مجالا للقادة العسكرين للاستئثار بالنفوذ، فاعتبر كل قائد أو حاكم نفسه مالكا لولاية، من حقه أن يورثها لأبنائه وافراد بيته. بل أن بعض القادة العسكريين تطلعوا لاغتصاب العرش، مما أوقع البلاد فى حالة شديدة من الفوضى. وزاد من هذه الفوضى تضخم نفوذ رجال الدين، وبخاصة ديانة زرادشت، وهى الديانة الرسمية للدولة عندئذ، حتى انهم تدخلوا فى سياسة الدولة وشئونها الإدارية، الامر الذى استثار اتباع الديانات الأخرى. وكانت هذه الديانات عديدة فى بلاد فارس، منها المانوية والبوذية الصابئة، فضلا عن المسيحية واليهودية.

هذه هى الاوضاع فى بلاد فارس عندما اعتلى العرش يزدجر الثالث آخر ملوك بنى ساسان. وكان المبعوثون الذين أوفدهم الرسول(ص) إلى ملك الفرس وامبراطور الروم قد قوبلوا بالرفض والاعراض، فلم يبق بعد ذلك إلا القتال والحرب، لا لفرض الإسلام، وانما لتحطيم تلك الحواجز التى وقفت فى طريق الدعوة الإسلامية وحالت دون وصولها إلى الشعوب.

ولايمكن أن نذكر أن العرب وقفوا فى أول الأمر من الفرس موقف خوف ووجل، لأن للعرب بحكم اتصالهم القديم بالفرس نظرة احترام لاتخلو من الرهبة. ولعل العرب فى النصف الاول من القرن السابع للميلاد لم يكونوا قد نسوا بعد ما حل بهم فى شتى انحاء شبه الجزيرة- وخارجها-على يد سابور الاكتاف- من قتل وتشريد.

ولكن العرب أقدموا على فتح بلاد الفرس فى القرن السابع للميلاد مزودين بسلاح قوى

جديد هو سلاح الايمان بالله ورسوله، والرغبة فى الاستشهاد فى سبيل الله. وقد بدأ الفتح العربى الإسلامى لبلاد فارس فى خلافة أبى بكر الصديق. وكان الجيش العربى بقيادة خالد بن الوليد. ولكن يزد جرد الثالث -آخر ملوك بنى ساسان-حشد جيشا كثيفامن الفرس بقيادة قائده رستم، فاضطر العرب إلى الارتداد مرة اخرى إلى الصحراء، وانصرف خالد إلى بلاد الشام لمقاتلة الروم.

ولما ولى عمر بن الخطاب الخلافة(١٣-٢٣هـ/ ٦٣٤-٦٤٤م) ،جاءته الأجبار بأن الاوضاع الداخلية فى بلاد الفرس من سيء إلى أسوأ، وكان ذلك فى الوقت الذى اطمأن الخليفة عمر من ناحية جبهة الشام، بعد أن حلت الهزيمة بالروم فى موقعة أجنادين سنة١٥هـ(٦٣٦م) أن فلول سعد بن ابى وقاص قيادة الجيش الذى عهد إليه بفتح العراق وفارس. وفى موقعة الفارسية التى دارت سنة ١٥هـ على مقربة من الحيرة بين سعد بن ابى وقاص قائد جيش المسلمين ورستم قائد جيش الفرس، انتصر المسلمون وسقط رستم قتيلا، ووقع علم الفرس الكبير المسمى"الراية العظمى" فى أيدى العرب. وكانت هذه الراية رمز الجيش الفارسى، وهى "مرصعة بالياقوت واللوءلؤ وأنواع الجواهر"(١٤). وبلغ من اعتزاز الفرس بها أنهم كانوا يزينونها بالجواهر واللآلئ والذهب والفضة عقب كل نصر يحرزونه.

أما يزد جرد الثالث فقد هرب إلى حلوان، ومعه "وجوه أساورته" وحمل معه بيت ماله، وخف متاعه وخزانته والنساء والذرارى".(١٥) ومن حلوان اتجه بعيدا فى جوف اقليم ميديا.

اما العرب فقد زحفوا على العاصمة المدائن. وكان الزمن فصل الربيع وقد فاض نهر دجلة بالمياه، فقطع الفرس المعابر،وضموا السفن على الشاطىءالغربى. ولكن العرب نجحوا فى عبور النهر، ودخلوا المدائن وعلى رأسهم سعد بن ابى وقاص.

قد حاول الملك يزد جرد الثالث أن يقوم بمحاولة أخيرة، فجمع جيشاكبيرا من كافة انحاء مملكته سنة ١٦هـ(٦٣٧م). وفى موقعة جلولاء حلت الهزيمة ساحقة مرة أخرى بالفرس. وقيل إنه قتل منهم مائة الف. وبعد هذه الموقعة"لم يبق من سواد دجلة ناحية إلا غلب عليها المسلون وصارت فى أيديهم."(١٦)

واخيرا كانت موقعة نهاوند بين العرب والفرس سنة ٢٢هـ(٦٤٢م)، وكانت حامية الوطيس دارت فيها الدوائر على الفرس، ويئس الملك يزد جرد الثالث من استمرار المقاومة بعد أن انفرط

عقد جيشه، فترك أمر البلاد للحكام المحليين، وهؤلاء لم يستطيعوا الصمود أمام الزحف العربى، فسقطت همذان والرى وأذربيجان وارمينية ثم اصفهان واصطخر. وكان يزد جرد الثالث قد استنجد بامبراطور الصين سنة ١٧هـ(٦٣٨م)، ولكن طلبه لم يلق استجابه، فاتجه إلى مرو، ومنها ظل شاردا ينتقل من مكان إلى آخر، حتى تعرض للقتل سنة ٣١هـ(٦٥١م). وبذلك غدت فارس ولاية من ولايات الدولةالعربية الإسلامية، فى حين دالت دولة الساسانيين وانتهى دورها فى التاريخ [١٧].

وبعد مرحلة الفتح، بدأت المرحلة التالية وهى مرحلة الدمج، أى اندماج الطرفين-الغالب والمغلوب-بعضها فى بعض تحت مظلة الاسلام. ولم تكن هذه العملية صعبة مثلما يحدث فى حالات مشابهة فى التاريخ، لأن العرب لم يكونوا غرباء عن الفرس،ولم يكن الفرس مجهولين للعرب، وإنما عرف الفريقان بعضهما بعضا منذ قرون عديدة، كما سبق أن أوضحنا.

ومن ناحية أخرى، فإن العرب لم يدخلوا بلاد الفرس فى هذه المرة للسلب والنهب والعدوان مثلما فعلوا فى إغاراتهم السابقة، وإنما دخلوا البلاد فى ظل فتح منظم وفق تعاليم الاسلام وآدابه. وسرعان ماوجد الإسلام طريقه سهلا إلى قلوب الفرس، فأقبلت نسبة كبيرة منهم على الدخول فى الدين الجديد "عن عقيدة وارادة حرة" على حد قول المستشرق توماس ارنولد، مما ساعد على سرعة الامتزاج بين العرب والفرس.[١٨]

وشريعة الإسلام لاتسمح لمسلم أن يتعالى على أخيه المسلم، فالكل سواء، ومعنى هذا أن العربى كان غير مسموح له أن يفخر بانتصاره وسيادته على العجمى، والفارسى كان غير مسموح له ان يفخر بأمجاد امته ويتعالى على العربى. وحسبهم جمعيا أنهم يعوا قولة تعالى"انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم"[١٩]، وان يستوعبوا قول رسول الله(ص) " لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى".

ولا أدل على أن الفرس كان لهم وضع خاص فى نظر العرب، وفكر العرب وقلوب العرب، من كثرة الاحاديث التى نسبت إلى رسول الله (ص) والتى توصى خيرا بالفرس، وتمتدحهم وتثنى عليهم، مما لانجد له شبيها فى حالة الروم.من ذلك ما اثر عن الرسول (ص) انه قال "لوكان العلم بالثريا لنا له قوم من فارس بأيديهم وهم قعود". وجاء فى التفسير أنه لما نزلت الآية الكريمة"وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهوالعزيز الحكيم"[٢٠] سأل الصحابة النبى (ص): من

هم يارسول الله؟ وكان سلمان جالسا، فاشار الرسول إليه قائلا (هذا وقومه)، كذلك جاء في تفسير الآية الكريمة (ياأيها الناس من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه، اذلة على المؤمنين،أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله، ولايخافون لومةلائم)[٢١] إن المراد بالقوم أهل فارس. وقد روى عن الرسول (ص) أنه قال (اختار الله من العرب قريشا ومن العجم فارس).[٢٢]

وتعتبر سيرة سلمان الفارسي خير صورة لمكانة الفرس في قلوب العرب في صدر الإسلام، إذ كان مولى رسول الله (ص) وأحد صحابته المقربين إليه.وكما هو واضح كان فارسي الاصل -من رامهرمز وقيل من أصفهان -وكان مجوسيا في أول أمره،ثم اعتنق الاسلام بمكة، وصار من المقربين إلى رسول الله (ص). واول مشاهده مع الرسول (ص) الخندق، ولم يتخلف بعد ذلك عن أي مشهد. وهوالذي اشار على الرسول بحفر الخندق لما جاءت الاحزاب، فلما أمر الرسول بحفره اختلف المهاجرون والانصار في سلمان -وكان رجلا قويا -فقال المهاجرون:سلمان منا. وقال الانصار: سلمان منا. فقال الرسول (ص) «سلمان منا أهل البيت».

وكان سلمان من خيار الصحابة وزهادهم وفضلائهم. قالت عائشة رضى الله عنها «كان لسلمان مجلس من رسول فقال: علم العلم الأول، والعلم الآخر، وهوبحر لاينزف، وهومنا أهل البيت.[٢٣]

وظل سلمان الفارسي يحظى بمكانة كريمة عند المسلمين جميعا -عرب وعجم -بعد وفاة الرسول (ص).فلما فتح المسلمون فارس اختاره الخليفة عمربن الخطاب عاملا له على المدائن، فظل بها حتى وافته المنية سنه٣٥هـ في اواخر خلافة عثمان.[٢٣] ولم يكن وضع سلمان الفارسي يمثل حالة فردية خاصة، وإنما هذا هو الوضع السائد في فجر الإسلام. من ذلك أنه حدث عندما دخل أهل اليمن في الإسلام -وهم عندئذ تحت حكم الفرس- أن أقر الرسول (ص) الحكام الفرس على اليمن، وأمر أن يظل فيروز الديلمي يسانده داذويه واليا على اليمن، كان لفيروز هذا موقف مشهود في حرب الردة -على عهد الخليفة ابى بكر -اذ تصدى للمرتدين في اليمن، حتى وصله العدد من ابى بكر، فتم له الانتصار والقضاء عليهم.[٢٤]

هذه هي روح الإسلام التي ساعدت على التداخل بين العرب والفرس، اساسها المساواة المطلقة، فلا فضل لأحد على آخر الابمقياس التقوى.

ولاشك فى أن الرقيق والموالى كان لهم دور كبير فى عملية المزج بين العرب والفرس. فالكثير من أسرى الفرس -نساء ورجالا -وزعوا غنائمهم على المجاهدين العرب وغيرهم، وفقا لاحكام الشريعة والإسلامية. وهكذا انتشرالرقيق والموالى فى المجتمع العربى، بحيث لم يعد بيت من بيوت العرب يخلو من بعضهم. وكان أن شهد الجيل الاول -بصفة خاصة - فى صدر الإسلام انجاب ابناء يجمعون بين الدماء العربية من جهة الاب والدماء العجمية من جهة الام.وهذا الجيل الجديد من المولدين قام بدور خطير فى عملية المزج بين العرب وغيرهم، كما بين صفوفهم عدد كبير من صفوة العلماء وخيرة المسلمين.

لايقلل من شان هذه الظاهرة أن خليفة له مكانته من خلفاء الرسول (ص) فى حكم المسلمين قتل بيد أحد الفرس. لقد حاول البعض تفسير مقتل عمر بن الخطاب بيد ابى لؤلؤة المجوس الفارسى بانه تعبير عن استياء الفرس وعدم رضاهم عن حكم العرب لهم، وهم أصحاب المجد التالد والماضى العريق. ولكن من يدقق النظر فى قصة ابى لؤلؤة، يجد أنه -كما وصفه الطبرى-«كان مجوسيا من أهل نهاوند، فلبث ماشاءالله». ومعنى هذا ان روح الاسلام لم تتأصل فيه. وقد نقم على الخلفية عمر لاسباب شخصية بحته، إذ انه جاء عمر يشكو عليه ثقل خراجه»اى ثقل الضريبة المفروضة عليه. ولكن عندما علم عمر منه أنه يتكسب من ثلاث مهن «نقاش ونجار وحداد» رفض أن يخفف عنه الضريبة، مما أثار حقد أبى لؤلؤة فدبر جريمته. فالجريمة فردية شخصية لاتعبر عن إحساس عام أو روح جماعية(٢٥). ومهما يكن من امر، فانه منذ فجر الدولة الإسلامية غدت بلاد الحجاز ملتقى المسلمين الوافدين من قريب او بعيد إما لاداء فريضة الحج أو لطلب العلم والتفقه فى الدين او لقضاء بعض الحاجات بعد أن غدت المدينة المنورة عاصمة الدولة الإسلامية، مركز الخلافة. وأدى هذا الاختلاط بين مختلف الاجناس والعناصر والقوميات تحت مظلة الإسلام، إلى تداخل العادات والتقاليد والتيارات الحضارية، احكام الفرس باحكام وقواعد الشريعة الإسلامية ببعض عادات وتقاليد العرب التى لاتتعارض مع روح الدين. وتاثرت نظم الحكم والإدارة فى الدولة العربية الوليدة بما كان سائدا عند الفرس من أوضاع. ومن الواضح أن الفرس كانوا أعمق حضارة من العرب وأرقى مستوى فيما يتعلق بنظام وشئون الحكم.ولذا فإن الوضع فى هذه الحالة لم يكن تأثر المغلوب بحضارة الغالب وإنما محاكاة المتخلف لمن هو أرقى منه فى المستوى الحضارى.

ومن هذا المنطلق أعجب عمر برأى الهرمزان الفارسى حين دله نظام الديوان فى أمر الوسائل، وتقسيم العطاء. وإليه تعزى الإشار على الخليفة عمر بجعل الهجرة النبوية مبدأ التاريخ الإسلامى. كذلك استعان الخليفة عمربعدد من الفرس، فعين سلمان الفارسى واليا على المدائن -كما سبق ان أوضحنا -وعين عبد الله بن رافع خازنا لبيت المال، وعبد الله بن نافع رئيسا للشرطة فى الكوفة، واقر شريحا على القضاء،وجمعيا كانوا من الفرس.[٢٦] وقد آثر عن عمر -رضى الله عنه- أن قال «لو كان سالم مولى حذيفة حيا لوليته».

على أن التاريخ لاينظر اليه من وجه واحد. ولذا تنبغى الاشارة إلى أنه اذا كان الفرس قد انتصروا فى مجال الحضارة ونظم الادارة والحكم، ومجال العلوم والفنون، فإن العرب انتصروا وتفوقوا فى مجالين عظيمين هما اللغة والدين.ذلك أن اللغة العربية صمدت لتصبح أداة الحضارة الإسلامية الجديدة فى شتى ميادينها، فى حين اكتسح تيار الإسلام الديانات التى كانت سائدة فى بلاد فارس كالزرد شتية والمانوية والمزدكية. ومن الرجح ان انتشار الإسلام سبق انتشار اللغة العربية ليحيط بأركان الدين ويتفهم القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف.

هنا علينا ان نضع فى الاعتبار أن الفرس عندما تقبلوا اللغة العربية أداة للعلم والحضارة، وتقبلوا الإسلام دينا وعقيدة، فانهم تركوا بصمات واضحة فى اللغة والدين جمعيا. ذلك لأن الفرس بوصفهم امة عريقة كان لهم أسلوبهم فى السلوك والتفكير وتقييم الامور، وكل هذه جوانب تأثرت بالبيئة والتاريخ. وكان من الصعب على أمة كأمة الفرس أن تغير طبيعة تكوينها النفسى والفكرى استجابة لتيار وافد جديد -مهما تكن أهمية هذا التيار. وهكذا انتشرت اللغة العربية، وظهر من الفرس أعلام فى الأدب وفن الكتابة العربية، كما أخذ الأدب العربى فى عهده الجديد يتأثر بالخيال الفارسى فضلا عن الحكم والقصص الفارسية، ولكن فى بعض الحالات تبدو اللغة العربية وقد تفشا فيها اللحن وربما غدت غير سليمة. كذلك انتشر الإسلام، وظهر بين صفوف الفرس أعلام وأئمة، ولكن فى بعض الحالات نلمس أن الفرس صبغوا بعض فروعه بصبغة فارسية، وأن هناك من الفرس من نظروا إلى الاسلام من زاوية ترتبط بدياناتهم القديمة. ويقول استاذنا أحمد أمين أن ذلك أدى إلى دخول نزعات جديدة فى الإسلام ظهر أثرها فى التصوف والتشيع.[٢٧]

سيادة العرب فى العصر الاموى :

يطلق «الدولة العربية» فى المصطلح التاريخى على الفترة الزمنية الواقعة بين مولد الدولة الاسلامية بهجرة الرسول (ص) الى المدينة، ونهاية الدولة الاموية. ومن الواضح أن أطلاق اسم الدولة العربية علي هذه الحركة من حلقات التاريخ الإسلامى أنها جاءت نتيجة لسيادة العرب واحتكارهم السيطرة على شئون الحكم والادارة، واعتماد الخلفاء عليهم فى تصريف شئون البلاد والعباد. وحسب العرب أن الدولة قامت على اكتافهم وأن الإسلام انبعث من ديارهم.

والواقع أن العرب أحسوا فى ذلك الدور المبكر بالزهو والفخر والقوة، بعد أن تغلبوا على أكبر دولتين عرفهما العالم فى ذلك الوقت وهما دولة الفرس ودولة الروم. وفى نشوة النصر والظفر، نظر معظم العرب إلى البلاد المفتوحة والشعوب التى خضعت لهم ودانت لسيطرتهم نظرة السيد إلى المسود. والظاهر أن العرب فى ذلك الدور المبكر -وهم حديثو عهد بالإسلام -لم يتشربوا تماما روح الاسلام التى جعلت من المؤمنين أخوة، وسادت بين العربى وغير العربى تحت مظلة لااله الاالله محمد رسول الله. وإذا كان الخلفاء الراشدون قد استوعبوا هذه المبادىء وطبقوها بدقة وعناية، فإن بنى أمية غلبت عليهم احيانا روح البداوة الأولى فأقاموا حكمهم على أساس سيادة العنصر العربى والتفرقة بين العرب وغير العرب.

وقد ظهرت هذه النعرة العربية فى سياسة الدولة وفكر الحكام فى العصر الاموى. من ذلك ما يرويه الا صفهانى فى كتابة الاغانى من أن رجلا من الموالى خطب بنتا من أعراب بنى سليم وتزوجها. فغضب من ذلك محمد بن بشير الخارجي، وركب إلى المدينة وواليها يومئذ إبراهيم بن هشام بن اسماعيل - خال الخليفة الاموى هشام بن عبد الملك -فشكا اليه. [٢٨] وكان أن أرسل الوالى إلى المولى، ففرق بينه وزوجته، وضربه مائتى سوط، وحلق رأسه ولحيته وحاجبيه. [٢٩]

كذلك تتضح سياسة الدولة الاموية فى تفضيل العنصر العربى على حساب غيرة من الشعوب التى دخلت فى الإسلام، فى النهج القاسى الذى سلكه الحجاج بن يوسف، حتى أنه أمر ألا يؤم الكعبة الإعربى.

فى ظل هذا التيار الذى يعتبر من رواسب الجاهلية، لم تنس القبائل العربية ما كان بينها

وبين بعض من عداوات متوارثة، فاشتد الصراع فى العصر الاموى بين العرب اليمانية والعرب المضرية، وهو الصراع الذى جذب الموالى إلي دائرته، وامتدت بعض حلقاته إلى بلاد الفرس نفسها. من ذلك أنه لما خرج عبد الله بن الزبير بن معاوية، رأى كثير من الموالى الفرصة سانحة للانتقام من بنى امية الذين تعصبوا ضدهم، فانضموا إلى ابن الزبير.

وكان ولاة الخلفاء الامويين على العراق وفارس يحرصون على تنفيذ سياسة التعصب ضد العجم، فامتنعوا عن اتباع أساليب التشدد فى معاملة الاهالى من غير العرب. وفى تلك المحنة لم يجد هؤلاء العجم سوى التعلق باحدى الجبهتين العربيتين المتنازعتين: المضرية واليمانية، مما أنزل أبلغ الضرر بوحدة الدولة الإسلامية. ومن أمثلة ذلك أن الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك ولى خالد بن عبد الله القسرى العراق وخراسان، فتطرف خالد في سياسته حتى عمت الفتنة البلاد. وبعد خالد حل محله أخوه اسد، فتعصب ضد القيسية وناصر اليمانية، مما ترك انعكاساته على العلاقات بين العرب وأهل البلاد من العجم.

لذلك لا غرابة إذا كره الموالى الحكم الأموى كراهية شديدة، وسعوا لاسقاطه. هذا وإن كان الامويون أنفسهم لا يخفون فى قرارة نفسهم اعجابهم بالفرس وحضارتهم. من ذلك أن هشام بن عبد الملك -الذى رأينا مدى تعصبه للعرب ضد الفرس- لم يتمالك نفسه فقال "عجبا لهؤلاء الأعجام. كان الملك فيهم فلم يحتاجوا إلينا. فلما صار الملك فينا احتجنا إليهم، حتى فى تعليم لغتنا منهم(٣٠)"

والواقع انه حتى فى تلك المرحلة المبكرة من تاريخ الدولة الإسلامية، والتى شابتها فى العصر الاموى سياسة الامويين فى التعصب للعرب والاستعلاء على الموالى، نجد التفاعل الحضارى بين الفرس والعرب يسير بخطى واضحة تحت مظلة الإسلام. فالأدب الفارسى أخذ يؤثر فى الأدب العربى بعد أن ظهرت مجموعة من الشعراء انحدروا من أصول فارسية وتعلموا اللغة العربية ونظموا بها أشعارهم، فجاءت هذه الأشعار عربية فى الفاظها وتراكيبها وأوزانها، فارسية فى فكرها وخيالها، وربما فى روحها ومعانيها. ومن هؤلاء الشعراء اشتهر في العصر الاموى زياد الاعجم،ويسار النسائى، وابو العباس الاعجمى، وموسى شهوات، وكلهم انحدروا من اصول فارسية.(٣١)

ومن ناحية اخرى، فان كثيرا من شعراء العرب وأدبائهم كانوا ينزلون فارس والعراق ويخالطون أهل البلاد ويتأثرون بحضارة الفرس وتصوراتهم وخيالهم.

على أن أثر الفرس فى الأدب العربى لم يقتصر فى العصر الأموى على ذلك، وإنما امتد ايضا إلى دخول كثير من المفردات والالفاظ والكلمات والعبارات الفارسية فى اللغة العربية، لأن العرب- بحكم تفوق الفرس الحضارى- لم يجدوا فى لغتهم ما يعبرعن كثير من نظم الحكم

والإدارة، فضلا عن العلوم والفنون. ومن هذه الكلمات الطست، والابريق، والسندس، والفيروز، والاستبرق، والميزان والطيلسان، والصولجان، والزمرد.. وغيره. وكما يبدو انتقلت بعض هذه الكلمات إلى العرب قبل الإسلام، نتيجة لاختلاط العرب بالفرس، بدليل ورودها في القرآن الكريم.

وكثيرا ما تجاوز الأثر الفارسي نطاق الكلمات إلى الحكم والامثال والقصص، وغير ذلك مما يزخر به الأدب الفارسي. وحسب الفرس تاثيرا في الأدب العربي في العصر الاموي، أن ظهر بينهم علم مثل عبد الحميد الكاتب -كاتب مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية- وهو الذي وصفه ابن خلكان بانه الكاتب البليغ المشهور... وكان في الكتابة وفي كل فن من العلم والادب إماما...

وهو اول من أطال الرسائل واستعمل التحميدات في فصول الكتب، فاستعمل الناس ذلك بعده.(٣٢)

أما في الجانب الاجتماعي، فكان أثر الفرس في العرب عميقا متنوعا. ذلك أن العرب اخذوا عن الموالي العديد من ألوان الاطعمة التي لم يكن لهم بها عهد، وحاكوهم في استعمال بعض الملابس والاردية كالقلنسوة وغيرها. واهم من هذا كله أن العرب في ذلك الدور المبكر، اخذوا عن الفرس الكثير مما يتعلق بالغناء ومجالس الطرب، مما ترك أثرا عميقا في الحياتين الأجتماعية والادبية عند العرب. يذكر الاصفهاني في كتابه الاغاني ان سعيد بن مِسْجَح "نقل غناء الفرس إلى غناء العرب" وأنه "أول من نقل الغناء الفارسي إلى الغناء العربي".(٣٣)

ومع الغناء نقل العرب عن الفرس مجالس الغناء، فعرفوا كيفية اعدادها وترتيب عملها، وما كان يرتبط بها من موسيقى وشعر وفكاهة، وغير ذلك من المعالم التي أخذت تنمو وتتبلور حتى بلغت أوجها فيما بعد، في العصر العباسي.

واخيرا، فإنه إذا كان العرب في العصر الأموي قد استعلوا على الفرس -وهم اصحاب المجد التليد والحضارة العريقة- فإن الفرس لم يستكينوا أمام استخفاف العرب بهم وامتهانهم لهم. وكان أن لجأ الفرس إلى استخدام سلاحين توسلوا بهما للانتقام لكرامتهم ومحاولة استعادة شئ من هيبتهم ونفوذهم الضائع: سلاح التشييع وسلاح السعي للإطاحة بالحكم الاموي تحت ستار المطالبة بالخلافة لآل البيت النبوي.

أما عن السلاح الأول، فهناك رأي شائع بين جمهرة الباحثين ينادي بأن التشييع في الإسلام أساسه ومصدره الفرس. وبعبارة أخرى، فإن الفرس وجدوا في التشييع منفذا لاسترداد شرفهم وكرامتهم، وإحياء دولتهم والانتقام من خصومهم. واذا كان الامويون قد تخلوا عن مبادئ الإسلام في تحقيق المساواة بين المسلمين، فلا أقل من أن يتخذ الفرس من بعض مبادئ الإسلام

شعارات براقة تمكنهم من الظهور على السطح مرة أخرى والانتقام من سادتهم الجدد.

وقد عبر المؤرخ المقريزى عن هذا الاتجاه، فقال:

(أعلم أن السبب فى خروج اكثر الطوائف عن ديانة الإسلام أن الفرس كانت لهم سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم ... بحيث أنهم كانوا يسمون أنفسهم الاحرار والاسياد ... فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدى العرب- وكان العرب عند الفرس أقل الأمم خطرا- تعاظمهم الامر، وتضاعف لديهم المصيبة، وراموا كيد الإسلام بالمحاربة فى أوقات شتى...

فرأوا أن كيده على الحيلة أنجح، وأظهر قوم منهم الإسلام، وأستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل البيت واستشباع ظلم على، ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن طريق الهدى...(٣٤)

ويرى استاذنا المرحوم أحمد أمين أن هذا الفريق من المفكرين ربط بين نظرية الإمامة عند الشيعة، وما كان سائدا من نظام الحكم الوراثى عند الفرس قبل الاسلام. وإذا فرض وأن التشيع كانت له جذوره قبل دخول الفرس فى الإسلام، فإنه من دون شك أخذ صبغة جديدة وقوية بانتشار الإسلام بين الفرس(٣٥).

ومهما يكن من امر، فان التشيع كان عاملا قويا من العوامل التى خرت فى جسم الدولة الاموية.

وأما السلاح الثانى الذى استغله الفرس للقضاء على الدولة الاموية، فكان سلاحا ماضيا، يتلخص فى دعم المنادين بنقل الخلافة من الأمويين إلى الهاشميين. وفى هذه الدعوى ما يرضى نسبة كبيرة من العرب، لأن الهاشميين أنفسهم عرب، ولكنهم يمتازون بالقرب من رسول الله (ص). وقد نشطت الدعوى للهاشميين فى العصر الأموى، ولقيت قبولا كبيرا من الموالى الفرس لأن نجاح هذه الدعوى معناه تقويض ملك بنى امية.

وفى الوقت الذى كثرت فيه الثورات والفتن التى أشعلها الموالى الفرس ضد الامويين فى مستهل القرن الثانى للهجرة، انتقلت الأمامة فى البيت العباسى الهاشمى سنة ١٢٥هـ إلى إبراهيم الإمام، الذى اتصل به أبو مسلم الخرسانى للعمل على نشر الدعوة للبيت العباسى فى خراسان. وقد بلغ من اعتماد الدولة العباسية على كره اهل الفرس وتخوفهم من العرب المناصرين لبنى امية، أن الامام إبراهيم كتب الى ابى مسلم يقول "إن استطعت الا تدع بخراسان أحدا يتكلم بالعربية والا قتلته فافعل. وايما غلام بلغ خمسة اشبار تتهمه فاقتله. وعليك بمضر فإنهم العدو القريب الدار، فزيد خضراءهم، ولا تدع على الأرض منهم ديارا"(٣٦).

وكان أن تظاهر أبو مسلم بالوقوف إلى جانب قحطان وربيعة، فغضب المضريون. وكان

العداء على اشده فى خراسان بين المضريين من ناحية، واليمانيين من ناحية أخرى، كل طرف يسعى للزعامة، فى حين كان أهل البلاد الاصليين -وهم الفرس- يعانون الامرين من الطرفين المتخاصمين. ولا شك فى أن أبا مسلم -بسياسته الماكرة فى الوقوف إلى جانب قحطان وربيعة-، استطاع ان يشكل جبهة ضد الامويين، وهى الجبهة التى تالفت من اليمانية والربيعية والعجم.

ولما أدرك العرب اخيرا أن الفرس يتربصون بهم، ظهرت محاولة لتوحيد صفوفهم. وكان أن «تواعدت قبائل العرب من ربيعة ومضر واليمن على وضع الحرب، والاجتماع على قتال أبى مسلم الخراسانى»(٣٧).

ولكن أبا مسلم كان أسرع حركة وأكثر دهاء، فاستمر يبذر بذور الشقاق بين العرب الذين كانت قلوبهم مليئة بالعداوات والكراهية، بعضهم لبعض. (٣٨)

ولاأدل على الانقسام فى صفوف العرب عندئذ، من أن بعض النقباء -وهم القادة والزعماء الذين تزعموا الجموع التى حاربت الامويين- كانوا من العرب.

ومن هؤلاء قحطبة الطائى - وهو على درجة كبيرة من سعة النفوذ فى قومه - وقف فى خراسان يحقر من شأن العرب ويمجد الفرس بطريقة جعلت بعض الباحثين يقول عنه أنه كان فارسياأكثر من الفرس (٣٩)، قال : (يا أهل خراسان! هذه البلاد كانت لآبائكم، وكانوا ينصرون على عدوهم لعدلهم وحسن سيرتهم، حتى بدلوا وظلموا، فسخط الله عز وجل عليهم، فأنتزع سلطانهم وسلط عليهم أذل أمة كانت فى الأرض عددهم، فغلبوهم فى بلادهم، واسترقوا أولادهم، فكانوا بذلك يحكمون بالعدل، ويوفون بالعهد، وينصرون المظلوم. ثم بدلوا وغيروا وجادلوا فى الحكم، وأخافوا أهل البروالتقوى من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسلطهم عليهم لينتقم منهم بكم، ليكونواأشد عقوبة، لانكم طلبتموهم بالثأر"(٤٠).

وكان أن أندلعت الثورة التى لم تنته إلا بسقوط دولة بنى أمية، فحلت الهزيمة بالجيش الاموى فى ظاهرالكوفة سنة ١٣٢هـ، وخفق العلم الاسود - شعار العباسيين - فوق دمشق، وهرب مروان بن محمد - آخر الخلفاء الامويين - إلى مصر حيث لحق به العباسيون وقتلوه. وبذلك أنتهت الدولة الاموية العربية، وقامت الدولة العباسية على أكتاف الفرس. (٤١)

انتعاش القومية الفارسية فى العصر العباسى:

لم يتنكر العباسيون للفرس، واعترفوا منذ قيام دولتهم بأنها قامت على أكتاف الفرس، وأنه لولا تأكيد الفرس لهم ما قامت لهم دولة. ها هو داود بن على - عم أبى جعفر المنصور - يخطب فى أهل الكوفة فيقول: "إنا والله مازلنا مظلومين مقهورين على حقنا، حتى أتاح الله

لنا شيعتنا أهل خراسان، فأحيا بهم حقنا، وأفلج بهم حجتنا، وأظهر بهم دولتنا. "(٤٢) أما أبو جعفر المنصور نفسه فقد وجه خطابه إلى أهل خراسان قائلا " يا أهل خراسان، أنتم شيعتنا وأنصارنا وأهل دعوتنا".(٤٣) وأوصى المنصور -قبل وفاته- أبنه فقال له "أوصيك بأهل خراسان خيرا، فإنهم أنصارك وشيعتك الذين بذلوا أموالهم فى دولتك، ودماؤهم دونك، ومن لا تخرج محبتك من قلوبهم، أن تحسن إليهم، وتتجاوز عن مسيئتهم، وتكافأهم على ما كان منهم، وتخلف من مات منهم فى أهله وولده ".

وقارن الجاحظ بين دولتى العباسيين والأمويين، فقال " دولة بنى العباس أعجمية خراسانية، ودولة بنى مروان عربية أعرابية " .(٤٤) وهكذا جاء سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية نصراً للفرس على العرب، وبعثاً للقومية الفارسية، بعد أن قضى الفرس قرابة قرن ونصف فى كمد، لما حل بهم من ذل تحت وطأة السيادة العربية، وهم أصحاب المجد والسؤدد.

والواقع أن القومية الفارسية لم تكن قد ماتت وخبا نورها وقت سقوط الدولة الأموية، إذ كان هناك من الموالى من دأبوا على التغنى بمجد الآباء والاجداد فأنبرى بعضهم لبعث تلك القومية منذ أواخر القرن الاول للهجرة، وإن كان ذلك يبدو فى حرص وحذر شديدين، مخافة بطش الخلفاء الأمويين وأعوانهم بهم. ومن الرعيل الأول الذين عملوا على بعث القومية الفارسية جبلة بن سالم، وعبد الحميد الكاتب، وحمادالراوية، وحماد عجرد وأسماعيل بن يسار، وواليه إبن الحباب، وأبن المقفع، وابن مطيع، وابن أبى العوجاء، وابن أياس وابن أبى ليلى، وابن الزنديق، ويونس بن فيروز، وعباس المجوسى، وبشار بن برد، وشيطان الطاق، وأبو عبد الله المريانى، وابن نوبخت، وخالد بن برمك، وأبو سلمة الخلال، وأبو مسلم الخراسانى.(٤٥) وكان أن وضع الخلفاء العباسيون الأوائل ثقتهم فى الفرس وحضارتهم، فأمعنوا فى أقتباس المزيد من مظاهر الحضارة الفارسية، واعتمدوا على أعوان من أصل فارس . ولم يكتف الخلفاء العباسيون بالأخذ بنظام الوزارة عن النظم الفارسية. وإنما اتخذوا أيضاً وزراءهم من الفرس، مما مكن الفرس من السيطرة على شئون الدولة العباسية هو أبو سلمة الخلال، وزير أبى العباس السفاح أول خلفاء الدولة العباسية، وهو "أول من وقع عليه أسم الوزير، وشهر بالوزارة فى دولة بنى العباس ". (٤٦) وبعد ذلك ولى أبو أيوب الموريانى الوزارة لابى جعفر المنصور.ثم جاء يعقوب بن داود وزيراً للخليفة المأمون - وكانت أمه فارسية - فقد أستوزر بنى سهل، وكانوا من أولاد ملوك الفرس صنائع البرامكه " فتولى الوزارة منهم الفضل بن سهل والحسن بن سهل. ومن بعدهم أستوزر المأمون أحمد بن يوسف مولى بنى عجل، ثم ثابت بن يحيى بن يسار الرازى.

ولو تصفحنا أسماء الوزاراء الذين ذكرهم الجهشيارى (٤٧)، لا تضح لنا أن غالبية وزراء

العصر العباسى الأول كانوا من الفرس .ويعلل الاستاذ أحمد أمين لذلك فيقول " هذا النفوذ الصاعد فى ميدان الوزارة يرجع إلى القدرة على الكتابة التى كان يشترطها الخليفة فى الوزير. وهذه القدرة الكتابية كانت عند الفرس أبين منها عند العرب ".

وكان لكل وزير أعوان من الكتاب يعينهم. كذلك كان لولاة الأقاليم ورجال الدولة كتاب. وباستعراض ما وصل إلينا من أسمائهم يتضح أنهم كانوا من الفرس. من ذلك أن ابن المقفع كان يكتب لداود بن عمر بن هبيرة والى كرمان. وكان عمرو بن مأمون. والواقع أن عمل الكتاب كان يتطلب قدرة فى الادب، ومعرفة بالسياسة، وثمة حالات غدت فيها هذه الوظيفة وراثية، يتوارثها الابناء عن الاباء وتختص بها بيوت معينه.

وهكذا غلب النفوذ الفارسى على الدولة فى العصر العباسى الأول، وأكتظت قصور الخلفاء بالموالى، وبخاصة الفرس. وجاءت غلبة النفوذ الفارسى على حساب نفوذ العرب الذين أنكمش دورهم وأحسوا بالخذلان. يقول السيوطى "أن المنصورأول من استعمل مواليه على الاعمال، وقدمهم على العرب، وكثر ذلك بعده، حتى زالت رياسة العرب وقيادتها. "(٤٨) أما المسعودى فيقول فى المنصور " إنه أول خليفة استعمل مواليه وغلمانه، وصدقهم فى مهماته، وقومهم على العرب، فأتخذت ذلك الخلفاء من بعده - من ولده - سنه، فسقطت وبادت العرب، وزال بأسها، وذهبت مراتبها ".(٤٩) على أننا نرى أن انتعاش القومية الفارسية ورجحان كفة الفرس في العصر العباسى الأول لا يصح أن يعنى توقف دور العرب وانعدام وزنهم تماماً، لقد تقلص نفوذ العرب فى العصر العباسى وانكمش دورهم، ولكنه لم يتوقف، ومهما يقال من أن الخلفاء العباسيين اعتمدوا على الفرس ، فأنهم كانوا لايمكن أن يتجردوا من عروبتهم. لقد كانوا فى جذورهم عربا هاشميين. وبحكم وضعهم كخلفاء لرسول الله (ص) كانوا لايمكن أن يديروا ظهورهم تماماً لشبه الجزيرة العربية وبخاصة بلاد الحجاز. وهكذا اعتمد الخلفاء العباسيون على الفرس ولكن مع الاحتفاظ ببعض أعوان من العرب، ساعدوهم فى قيادة الجيش وفى تولى بعض الولايات. وقد تردد فى المصادر أن الخليفة المنصور الذى آثرنا إلى أنه استعمل الفرس وقدمهم على العرب. استخدم أيضاً بعض العرب وكان جنده مزيجاً من العجم والعرب.

ومن ناحية أخرى فإن الفرس مع قربهم من الخلفاء، فإن بعضهم -من الوزراء وغير الوزراء- كان يتعرض للقتل إذا أحس الخليفة بنوايا الغدر منهم. ولا يخفى علينا أن قصور الخلفاء عندئذ أمتلأت بالدسائس والوشاية مما عرض الوزراء وكبار الاعوان أحياناً للغدر أو البطش بهم وحسبنا أن نشير إلى مقتل أبى سلمة الخلال، وإلى تنكيل الرشيد بألبرامكة، وبطش المأمون بالفضل بن سهل.

والواقع أن العرب لم يستكينوا ولم يستسلموا أمام رجحان كفة الموالى فى العصر

العباسي، الأمر الذى أدى إلى صراع بين العرب والفرس، يشتد حينا ويهدأ أحياناً، فى العلن حيناً وفي السر أحياناً وفي كثير من الحالات اتخذ هذا الصراع صورة دسائس يحيكها كل طرف للطرف الآخر عند الخليفة، الأمر الذى عرض الوزراء والقادة للنقمة والتنكيل بهم بين حين وآخر. وفى بعض الحالات اتخذ الصراع بين العرب والفرس شكلاً أدبياً، فينظم كل طرف القصائد ويكتب الرسائل فى فضله على غيره، وربما لجأ إلى اختلاق الاحاديث ونسبتها إلى الرسول (ص) ليرفع من شانه على حساب غيرة وقد سعى بعضهم لإحلال الفارسية محل العربية، ولكن هذا المسعى لم يصادف نجاحاً، وظلت اللغة العربية هى لغة الدين والعلم، وأقبل الموالى على تعلمها وأجادتها.(٥٠)

إذا كان الخلفاء العباسيون قد تحمسوا كثيراً للإسلام، ولم يتحمسوا إلا قليلاً للعروبة، فإن من أسباب ذلك أن أكثرهم كانوا مولدين، أى من أمهات أعجميات غير عرب. وهذه الحقيقة فى حد ذاتها شكلت عقبة فى وجه العرب وحالت دون استعادة نفوذهم على النحو الذى كانوا عليه فى العصر الأموى ولم يعد للعرب فى هذه الحالة سوى أن يعبروا عن حسرتهم فى شعرهم وأدبهم.

وفى ظل هذا الصراع بين العرب والفرس فى العصر العباسى، ظهرت نزعتان: الأولى نادت بأن العرب ليسوا أفضل من غيرهم وأن الناس كلهم لآدم ، وآدم من تراب .وعلى هذا الاساس فأن التفاضل بين الناس يكون بين الافراد لابين الشعوب، ويكون مقياسه التقوى وليس أى اعتبار آخر. وقد أطلق على أصحاب هذه النزعة " أهل التسوية"(٥١).

أما النزعة الثانية فلم تأخذ بمبدأ المساواة، وإنما اتجهت نحو الحط من شان العرب، وتفضيل غيرهم من الامم والشعوب عليهم. وقد أطلق الجاحظ وآبن عبد ربه على هذه النزعة أسم " الشعوبية " يذكر ابن منظور فى لسان العرب أن الشعوبى هو الذى يصغر شأن العرب ولا يرى لهم فضلاً ويردد هؤلاء الشعوبيون أن العرب لا يفضلون غيرهم، وأنهم ليسوا من أصحاب الحضارات العريقة كالفرس والهنود واليونانيين والرومان، وإنما هم أقل الامم شأن وأجدبهم عقلاً وأقلهم عملا. وإذا فخروا بالإسلام فإن الإسلام ليس دين العرب وحدهم وأنما هو دين الناس كافة(٥٢) . وقد ألف بعض الشعوبيين فى مناقب العجم. من ذلك أن سعيد بن حميد البختكان ألف كتاب " أنتصاف العرب من العجم " يذكر ابن النديم عن سعيد بن حميد هذا أن " له من الكتب كتاب " فضل العجم على العرب " . أما غيلان الشعوبى فكان فارس الاصل، انقطع إلى البرامكة، وعمل فى بيت الحكمة، ينسخ للرشيد والمأمون، وله كتاب "الميدان فى المثالب" وفى هذا الكتاب "هتك العرب وأظهر مثالبها". ذلك أنه تعرض لكل قبيلة من قبائل العرب، بذكر مثالبها ، على نحو ما فسره ابن النديم.(٥٣) وفى الوقت الذى قام

الشعوبيون بتحقير العرب وذكر مثالبهم، إذا بهم يبالغون فى تمجيد الفرس وحضارتهم، فنسبوا إليهم وإلى ملوكهم الحكم البليغة وأشادوا بحسن سياستهم واتساع دائرة أفقهم. وقد حاول العرب التصدى لتلك الهجمة الشرسة، فاخذ بعضهم يدافع عن العروبة، وفند الأباطيل التى اختلقها الشعوبيون، مما أثار فى العصر العباسى مساجلات عديدة بين العرب والفرس، وخاصة الثانى والثالث للهجرة.

وهكذا، فإن الشعوبية تمثل مظهرا من مظاهر التناطح بين العرب والفرس فى العصر العباسى. وزاد من خطورة هذا التناطح أن بعض الشعوبيين لجأ إلى محاولة افساد الادب العربى، ومحو معالمه، ونسبته إلى غير اصحابه. ومن المعروف أن الأدب -وبخاصة الشعر- يمثل ركنا أساسيا فى تراث العرب الذى يفخرون به.

وفى الحملة الضارية التى شنها الشعوبيون ضد العرب فى العصر العباسى أنهم زعموا انهم أن من ولد اسحق بن ابراهيم عليهما السلام، وأن العرب من ولد اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام. ونتقلوا من ذلك إلى أن اسحق بن سارة الحرة، واسماعيل بن هاجر الزمة، وبذلك يكون الفرس أفضل من العرب واكثر منهم شرفا. وقد ثبت أن هذه الدعوى غير صحيحة علميا، وإنما اختلقها الفرس للحط من شأن العرب.

ومن ناحية اخرى، استغل الفرس سلمان استغلالا واسع النطاق، فقالوا إنه خير الصحابه واكثرهم زهدا وحكمة وعلما. وبالغوا فى تقدير عمره ليضفوا عليه صفة تتفوق غيره، فقالوا إنه عاش ثلثمائة وخمسين سنة، بل قال بعضهم «إنه أدرك عيسى بن مريم».(٥٤)

ومن الأحاديث التى اختلقها الشعوبيون ونسبوها إلى النبى (ص) قوله«لاتسبوا فارسا. فما سبه أحد إلا انتقم منه عاجلا او آجلا». وقوله» سيأتى ملك من ملوك العجم فيظهر على المدائن كلها إلا دمشق!! » وقوله «لأنابهم أوثق منى بكم». هذا بالإضافة الى عدد آخر من الاتحاديث، منها ماقيل فى تمجيد الامام ابى حنيفة النعمان لانه فارسى الاصل(٥٥).

التفاعل الحضارى بين العرب والفرس:

على أنه لاينبغى أن نتصور العلاقة بين العرب والفرس فى العصر العباسى فى صورة العداء المطلق والتنافر الشديد واستمرار التراشق بالأقوال والأفعال. لقد كان الطرفان قبل أى اعتبار آخر عضوين فى جسد واحد كبير ربطت أطرافه بعضها ببعض روابط الدين واللغة، فضلا عن روابط الجوار والعلاقات التاريخية القديمة. ولذا وجدت بين الفرس والعرب -إلى جانب الشعوبية ومشاعر التنافس والكراهية واعتداد كل طرف بأصوله وجذوره- روابط اخذ وعطاء فى شتى الآفاق السياسية والحضارية.

على ان الغالب فى هذا التفاعل الحضارى بين العرب والفرس فى العصر الدولة العباسية، هو زحف الحضارة الفارسية وتغلب صبغتها على غيرها من الحضارات التى اسهمت فى بناء الحضارة الإسلامية، وتغلغل كثير من مظاهر الحضارة الفارسية فى الكيان العربى، الأمر الذى ساعد عليه إنشاء منصب الوزارة من جهة، ونقل عاصمة الدولة من الشام الى العراق من جهة اخرى.

أما عن الوزارة، فقد سبق أن أشرنا إلى أن العرب عرفوا اللفظ ولكنهم لم يعرفوا المنصب إلا مع قيام الدولة العباسية، بمعنى أنه لم يكن هناك وزير فى الدولة العربية منذ قيامها حتى سقوط بنى أمية. كذلك أوضحنا أن غالبية الوزراء الذين استوزرهم الخلفاء فى العصر العباسى الأول كانوا من الموالى الفرس.

وكانت سلطات الوزير كبيرة متعددة، فالوزير «وسيط بين الملك ورعيته، فيجب أن يكون من طبيعة شطر يناسب طباع الملوك، وشطر يناسب طباع العوام ليعامل كلا من الفريقين بما يوجب له القبول»[٥٦]. وفى حالات كثيرة كان الوزير هو الذى بيث فى «الشئون الادارية والمالية والحربية للدولة، وهو الذى يكتب الوسائل -إما بنفسه او بواسطة كتابه -،وبوقع على مايرفع إليه من اوراق. ولذا كان يراعى فى الوزير دائما ان يكون اديبا، عالما، واسع الثقافه.

وكما اشرنا، كانت القدرة الكتابية عند الفرس تفوق بكثير القدرة الكتابية عند العرب، حتى قيل «العرب أهل لسان والفرس أهل قلم» بمعنى أن العرب نبغوا فى الخطاب فى حين نبغ الفرس فى الكتابة. وقد سبق أن اوضحنا ان كل وزير كان له كاتب اوكتاب يساعدونه، وهؤلاء الكتاب كان اكثرهم من الفرس. ورعى فى هؤلاء الكتاب رقى الأسلوب والقدرة على التعبير السليم مع جزالة اللفظ وبلاغة العبارة، فضلا عن اتساع دائرة الثقافة والإلمام بالعلوم والمعارف.ومن الكعب التى نسبت للكتاب فى العصر «أدب الكاتب»لابن قتيبة،و«أدب الكتاب»لابى بكر الصولى، و«الكتاب» لابن درستوية.

ويعنينا فى هذه الدراسة أن هؤلاء الوزراء والكتاب جمعوا بين الثقافتين الفارسية والعربية، وأحاطوا بأوضاع العنصرين العربى والفارسى. فى عقولهم وأفئدتهم اقترن الفرس بتاريخ العرب وارتبطت أمجاد الفرس بأيام العرب،وتداخلت أخلاق الفرس وأخلاق العرب.

أما العامل الثانى الذى ساعد على زحف الحضارة الفارسية على الكيان العربى فى العصر العباسى، فكان نقل العاصمة من الشام إلى العراق.لقد كانت دمشق -عاصمة الدولة الاموية -فى قلب بادية الشام، تحيط بها قبائل عربية استوطنت تلك البادية منذ عصر ما قبل الإسلام، فضلا عن القبائل التى نزحت مع الفتح الإسلامى لتنعم بحياة أفضل تحت رعاية بنى أمية. ومن الناحية الحضارية، فتح العرب المسلمون دمشق وهى قاعدة كبرى للروم فى بلاد

الشام ومركز لحضارتهم في تلك البلاد، ولذا فإن أثر حضارة الروم في الحضارة الإسلامية بالشام في العصر الاموي يفوق أثر النفوذ الفارسي في تلك الحضارة عندئذ. ونتيجة للاستعلاء والتعصب للعروبة في العصر الاموي لم يكن التفاعل الحضاري واسع النطاق بين العرب وحضارتهم من جهة والروم والفرس من جهة أخرى.

ولكن اتخاذ العراق قلبا للدولة العباسية، وبناء بغداد لتكون حاضرة جديدة لتلك الدولة، غير الموالين. ذلك أن العراق كان حتى الفتح العربي الإسلامي جزءا من دولة آل ساسان الفارسية، وعلى أرضه اتخذ الفرس عاصمتهم المدائن[٥٧]. وفي ذلك الدور المبكر الذي شهد قيام الدولة العباسية، لم يكن تعريب العراق قد تم على نحو شامل في كافة الجوانب الحضارية، وإنما كانت حضارة الفرس ولغة الفرس لاتزال متغلغلة في كثير من جوانب الحياة. وفي ظل الدولةالاسلامية لم توجد حدود تفصل بين العراق وبلاد فارس، وإنما بدا العراق وكأنه امتداد سهلي لهضبة ايران.

وهكذا كان العراق عند قيام الدولة العباسية يموج بتيار الحضارة الفارسية، غفي الوقت الذي امتد إليه تيار التعريب، مما جعل ذلك البلد ملتقى الحضارتين الفارسية والعربية، وعلى ارضه تفاعلت هاتان الحضارتان مع ملاحظة أن الحضارة الفارسية كانت دائما هي الأقوى فيما يتعلق بنظم الحكم والإدارة والأوضاع الاحتماعية.

وفي هذا اللقاء الحضاري الكبير بين الفرس والعرب على أرض العراق كان للغة شأن كبير، ذلك، أنه مهما يقال في تكريم العرب والعروبة، فإن الحقيقة التاريخية تؤكد أن الفرس عندما فتح العرب بلادهم كانوا أرقى من العرب حضارة، بل لقد كان البون شاسعا بين مستوى الفرس الحضاري ومستوى العرب الحضاري. ومع أن العرب وقفوا على بعض جوانب الفارسية قبل الإسلام، إلا انهم رأوا المزيد بعد ان فتحوا بلاد الفرس في ظل الاسلام، فأخذتهم الدهشة لما رأوه في متاع كسرى، وما صادفه في حياة الفرس من عادات وتقاليد وسلوك، وألوان لم يكن لهم معرفة بها في الحياة الاجتماعية والعلمية والادبية والفنية، وغيرها. وقد أرادو التعبير عن هذه الاوضاع التي وقفوا عليها لاول مرة، فلم يجدوا في لغتهم العربية ما يعبر عنها، ولذا أخذها العرب بمسمياتها الفارسية، مما أدى إلى دخول مئات من التعبيرات والكلمات الفارسية في اللغة العربية.

ولما كان التعبير اللغوي يرتبط إلى حد كبير بالمستوى الحضاري، فإن محاولات العرب محاكاة الفرس في بعض جوانب حضارتهم جاءت مقرونة بتطوير اللغة الفارسية منبعا كبيرا من المنابع التي تستمد منه اللغة العربية وتوسع به مادتها»[٥٨] ومع نشاط الحركة العلمية في العصر العباسي، أخذت طائفة ممن اتقنوا اللغتين الفارسية والعربية -معظمهم من الفرس

-يعملون فى ترجمة جوانب من التراث الفارسى إلى العربية. وقد عقد ابن النديم فى كتابه (الفهرست) فصلا بعنوان «أسماء النقلة من الفارسى إلى العربى» ضمنه قائمة باسماء أعلام حركة الترجمة من الفارسية إلى العربية فى ذلك العصر، منهم:

«ابن المقفع، آل دوبخت، موسى ويوسف ابنا خالد -وكانا يخدمان داود بن عبد الله بن حميد بن قحطبة وينقلان له من الفارسية إلى العربية -التميمى واسمه على بن زياد ويكنى ابا الحسن، الحسن بن سهل، البلاذدى، وهو احمد بن يحيى بن جابر،جبلة بن سالم كاتب هشام، اسحق بن يزيد محمد بن الجهم البرمكى، هشام بن القاسم، موسى بن عيسى الكردى، زادويه بن شاهويه الاصفهانى، محمد بن بهرام بن مطيار الاصفهانى،بهرام بن مردان شاه، عمر بن القرخان».(٥٩)

وكان أن ظهر حشد كبير من العلماء الفرس فى علوم اللغة والدين وغير ذلك من العلوم. ومن علماء العصر العباسى الذين ينحدرون من أصل فارسى: الامام الفقية ابو حنيفة النعمان، وحماد الراوية الذى روى معظم الشعر الجاهلى وجميع المعلقات، وسيبويه النحوى، والكسائى أحد الاعلام فى علوم النحو واللغة والقراءات، وأحد القراء السبعة، والفراء عالم النحو واللغة وفنون الادب، وأبو عبيدة معمر بن المثنى العارف باللغة والغريب واخبار العرب وأيامهم، وابو العتاهية الشاعر الزاهد، وابن قتية صاحب المعارف وعيون الاخبار... وغيرهم. وهؤلاء العلماء الذين يرجعون إلى اصول فارسية دخلوا فى الإسلام واجادوا اللغة العربية، وكتبوا ودونوا حصيلة افكارهم ومعارفهم بالعربية، الامر الذى استثار إعجاب ابن خلدون، فقال» إن حملة العلم فى الملة الاسلامية اكثرهم العجم، سواء فى العلوم الشرعية او فى العلوم العقلية. وإن كان منهم العربى فى نسبته فهو عجمى فى لغته ومرباه ومشيخته. «ثم استشهد ابن خلدون بحديث نسب إلى النبى (ص) قال» لوتعلق العلم باكتاف السماء، لناله قوم من اهل فارس.»(٦٠) ونحن لانستطيع أن نمضى بعيدا مع ابن خلدون الذى عرف بتحامله على العرب، ولكن يكفى أن نذكر أن هؤلاء العلماء الفرس، كانت توجد وراءهم قوة من الحكام -خلفاء ووزراء وأصحاب مناصب -تشجعهم وتشد أزرهم وتشملهم بالعطف والرعاية. ومن ناحية اخرى، فإن علينا أن نضع موضع الاعتبار أنه اذا كان الأعاجم قد اجادوا الكتابة العربية، فإنهم من ناحية اخرى أفسدوا اللسان العربى بما أدخلوه من لحن. ذلك أن اللحن فشا فى اللسان العربى فى العصر العباسى، نتيجة لدخول الاعاجم دائرة اللغة حتى غدت لغتان: لغة الكتابة والاعراب الفصحاء، ولغة أخرى، اسماها الجاحظ «وهى لغة اللسان، العامية.(٦١)

ويرتبط بالأدب وفن الكتابة ماعرف باسم الرسائل الديوانيه تمثل نحوا جديدا فى مجال النثر والترسيل عند العرب. ذلك أن أسلوب هذه الرسائل، وماتحوية من قواعد وتعظيم وفن

التعبير، يوحى بأنها فارسية المنبع. وكان اول من داخلها فى دائرة النثر العربى عبد الحميد الكاتب وهو فارسى الأصل كما اسلفنا القول.

كذلك يرتبط بالأدب -شعرا ونثرا- الحكم، وإن كانت الحكم فى كثير من الحالات تعبر عن روح المجتمع وتقاليده وفكره، مما يجعل منها ظاهرة اجتماعية اكثر منها ظاهرة أدبية. وقد اشتهر فى هذا المجال ابن قتيبة فى عيون الاخبار، وابن عبد ربه فى العقد الفريد، وكانا يصوغان حكما فارسية بأسلوب عربى.

وفى مجال التفاعل بين الحضارتين الفارسية والعربية، تبقى الإشارة إلى أنه كما كان هناك فرس تعربوا وأجادوا الكتابة بالعربية، فإن هناك عرباً تعلموا الفارسية واجادوها، ووجدوا فى حضارة الفرس شيئا جديدا، استهوى عقولهم وقلوبهم، فعكفوا على كتب الفرس يدرسونها ويتفهمون مافيها. وكانت حصيلة جهودهم أنهم خرجوا بأعمال جمعت بين فكر الفرس وبلاغة العرب. ومن تأثر بالثقافة الفارسية واعجب بها[٦٢].

على أن دائرة التفاعل بين الحضارتين الفارسية والعربية فى العصر العباسى لم تقتصر علي الادب، وإنما اتسعت لتشمل كافة جوانب الحضارة. ففى مجال الفنون، ترك الفن الفارسى بصماته واضحة فى الفنون الاسلامية فى العصر العباسى، سواء فى فن العمارة، أو فى الفنون الصغرى والصناعات الدقيقة. يقول استاذنا المرحوم زكى محمد حسن«يمتاز الطراز العباس فى العمائر الاسلامية باستخدام الآخر وبالتاثر بالاساليب المعمارية الساسانية»[٦٣]. ويقول العالم الاثرى ديماند« ... وقد استمد الفنانون المسلمون هذه العناصر الزخرفية المجردة من الاصول الاولى للفن الساسانى، واصبحت من مميزات الاسلوب العباسى».[٦٤]

وهكذا شهد العصر العباسى اتساع دائرة التفاعل الحضارى بين العرب والفرس، وإن ظلت الرواسب القديمة بين الشعبين راسخة تتأجج نارها حينا وتخبو وتخمد أحيانا.

الدولة المستقلة وسقوط الدولة العباسية:

خلف المعتصم أخاه المأمون فى الخلافة سنة ٢١٨هـ (٨٣٣م) فاتبع سياسة جديدة اتجهت نحو الاستعانة بالترك، واقتصاء العرب والفرس جمعيا عن المناصب القيادية فى الدولة، واسقاطهم من ديوان العطاء. وكانت أم المعتصم تركية ولذلك اظهر حبا للترك وميلا إليهم.

وقد اتصف سلوك هؤلاء الترك بالخشونة والغلظة والقسوة. وذلك أنهم لم يكونوا أصحاب حضارة قديمة وإنما كانوا فى تلك المرحلة رعاة تغلب عليه هم صفة البداوة. وزاد من تطرفهم كراهية الخلفية المعتصم للعرب، وعمله على النيل منهم، حتى أنه كتب إلى واليه على مصر

-واسمه نصر بن عبد الله- يامره باسقاط من فى الديوان من العرب، وقطع أعطياتهم.

وكان أن واجه الفرس والعرب هذا الاتجاه الجديد بسلاحين: الاول سلاح اللسان والفكر للحط من شان الترك، واستعانوا فى ذلك باختلاق الاحاديث ونسبتها إلى الرسول (ص). ومن هذه الأحاديث المختلفة أنهم نسبوا إلى الرسول قوله «الترك أول من يسلب أمتى ماخولوا». وأما السلاح الثانى فكان سلاح السيف فاشعلوا الثورات فى أماكن متفرقة تعبيرا عن سخطهم وغضبهم.

ولكن المعتصم عرف بقوة الشكيمة، فتصدى للفرس والعرب جميعا بالقوة، وعندما شكا اهل بغداد من عسف الترك وسوء سلوكهم - بنى المعتصم مدينة سامرا - شرقى دجلة وشمالى بغداد - لتكون عاصمة جديدة له ولبناته من الترك. وهكذا دخلت الدولة العباسية مرحلة جديدة يمكن تسميتها مرحلة النفوذ التركى، وبعد أن كان التناطح - سرا وجهرا - على أشده بين العرب والفرس منذ قيام الدولة العباسية، إذا بالترك يظهرون على مسرح الاحداث ليضربوا العرب والفرس جميعا، ويستأثروا بالمناصب الكبرى فى الدولة.

وبعد وفاة المعتصم سنة ٢٢٧هـ (٨٤٢م) ازداد تدخل الترك فى شئون الحكم والإدارة، وعجز الخلفاء عن مقاومتهم، بل لقد غدا الخلفاء ألعوبة فى أيدى القادة الترك، مما عرض الدولة للتدهور السريع. وقد ظهرت علامات هذا التدهور بوضوح فى عهد الخليفة المتوكل الذى يعتبر قيامه فى الحكم سنة ٢٣٢هـ (٨٤٦م) بداية ما يعرف فى التاريخ بإسم العصر العباسى الثانى. حقيقة إن المسعودى وصف أيام المتوكل بانها «فى حسنها ونضارتها ورفاهية العيش بها، وحمد الخاص والعام، ورضاهم عنها، أيام سراء لاضراء»[٦٥]. ولكن كافة الشواهد تشير إلى أن عهد المتوكل شهد ضغط الترك على الخلافة، وتضييقهم الخناق على الخليفة، وتدخلهم فى كافة شئون الدولة، حتى قبل ان الخليفة المتوكل نفسه فكر فى نقل الخلافة إلى الشام والاعتماد على العنصر العربى لينقذ نفسه وينقذ الخلافة من الترك.[٦٦]

ومن ناحية أخرى فإن الفرس -أصحاب السيادة فى العصر العباسى الأول- لم يستكينوا لما حل بهم من بطش على أيدى الترك. واذا كان الفرس قد انكمشوا فى أول الامر، فان الفارسية لم تلبث أن فقدت دورها، فاخذوا يدبرون المؤامرات ويخططون لسلخ اجزاء من الدولة عنها، يستقلون عن الخلافة بعد أن غدا الخليفة مسلوب النفوذ والسلطان.

وفعلا نجح الفرس فى تنفيذ مخططهم، مما نجم عنه عدة دول مستقلة فى المشرق، منها الدولة الطاهريه فى خراسان (٢٠٥-٢٥٩ هـ)، والدولة الصفارية فى فارس (٢٥٤ - ٢٩٠هـ)، والدولة السامانية فى فارس وبلاد

ماوراء النهر (٢١٦-٣٨٩هـ)، والدولة الزيارية فى جرجان (٣١٦-٤٣٤هـ). اما بنوبويه -وهم من الفرس أيضا- فقد استولوا على فارس ثم على العراق، وبسطوا سيادتهم على الخلافة العباسية، بحيث حلوا محل الترك فى السيطرة على الخليفة. وهنا نلاحظ الفارق بين سلوك البويهيين تجاه الخلفاء العباسيين، وسلوك أسلافهم الفرس فى العصر العباسى الأول. ففى أيام المنصور والمهدى والهادى والرشيد والامين والمأمون، كان الوزراء والولاة الفرس يأتمرون بأمر الخليفة، وكان باستطاعة الخليفة أن يتخلص -حتى بالقتل- ممن يشك فيه من الوزراء. أما أمراء بنى بويه، فقد فرضوا وصايتهم علي الخليفة وأحكموا سيطرتهم عليه، بحيث غدا الخليفة ياتمر بأوامر الامير من بنى بوية. يذكر ابن الطقطقى أن الخليفة المستكفى بالله منح معز الدوله بن بوية سنة ٣٣٤هـ الأمراء، «واعطاه الطوق والسوار وآله السلطنة، وعقد له اللواء، ولقبه معز الدولة، ولقب أخاه ركن الدولة، ولقب اخاه الآخر عماد الدولة، وأمر أن تضرب ألقابهم على الدينار والدرهم».(٦٧)

وهكذا استعاد الفرس مكانتهم، وحققوا امنيتهم فى السيطرة على الخليفة والدولة. وزاد من سوء الموقف بالنسبة للخليفة العباسى -وهو راس الجهاز السنى- أن البويهيين كانوا شيعة، مما آثار فى البلاد -وبخاصة فى بغداد- صراعا دمويا متقطعا يهدأ حينا ويشتد أحيانا بين الشيعة والسنة.

ومع ذلك، علينا ألا ننظر إلى عصر البويهيين نظرة قائمة على طول الخط ففيما يتعلق بالتفاعل الحضارى بين الفرس والعرب، خدم البويهيون العلم والأدب. ومع أن اكثر وزراء البويهيين -مثل العميد وابن عباد- كانوا من الفرس إلا أنهم تعصبوا فى العلم والأدب للسان العربى. وكان وزراؤهم «فحول أدب أيضا».(٦٨)

وفى تلك المرحلة التى شهدت وصاية الفرس -من بنى بويه- على الخلافة العباسية ، كان العنصر العربى قد تعرض للضعف، وانكمش نفوذه وتضاءل دوره على مسرح الاحداث، بعد أن استنفد العرب طاقتهم فى بناء الدولة الإسلامية وإقامة صرحها وحمل راية الإسلام الى شتى ربوعها. وزاد من ضعف العنصر العربى عدم وجود وحدة تضم صفوف العرب، وبقاء الروح القبلية -بكل ما تحمله من تعصب وثارات قديمة- متأصلة فى القلوب، يتوارثها الأبناء عن الآباء والاجداد. ولم يعد للعرب ذكر فى الأحداث فى ذلك الدور إلا من خلال بعض الإمارات

الصغيرة التى أقامتها بعض البيوت العربية فى الشام والعراق. ومن ذلك أن الحمدانيين -وهم من قبيلة تغلب- اقاموا إمارة فى الموصل وحلب (٣١٧-٣٩٤هـ)، وأقام المرداسيون -وهم من قبيلة كلاب- إمارة فى حلب (٤١٤-٤٧٢هـ)، واقام العقيليون -من بنى عقيل إمارة فى ديار بكر والجزيرة (٣٨٦-٤٨٩هـ)، فى حين اقام المزيديون -من بنى أسد- إمارة فى الحلة (٤٠٣-٥٤٥)[٦٩]

وربما كانت إمارة بنى حمدان التغلبية أهم هذه الإمارات وأكثرها حماسة للعصبية العربية، وقد حاول الحمدانيون ادخال بغداد تحت سيادتهم بعد أن احتمى الخليفة العباسى المتقى بالله بناصر الدولة ابن حمدان ولكنه لم يستطع الصمود أمام الترك، واضطر إلى التراجع سنة ٣٣١هـ. ولما فرض البويهيون الفرس هيمنتهم على بغداد لم يتوقف الصراع بين الحمدانيين العرب والبويهيين الفرس، ذلك أنه حدث عندما استولى معز الدولة بن بويه على بغداد سنة ٣٣٤هـ أن غضب لذلك ناصر الدولة بن حمدان وجهز جيشا لمقاتلة البويهيين، وكان أن تقدم الحمدانيون صوب بغداد واستولوا علي جانبها الشرقى، ولكن ناصر الدولة الحمداني لم يستطع الاستمرار بعد أن طالت خطوط مواصلاته، فانصرف عائداً إلى الموصل[٧٠] ولم تستقر العلاقات بعد ذلك بين الحمدانيين العرب والبويهيين الفرس، اذ حاول ناصر الدولة بن حمدان الاستيلاء على بغداد مرة اخرى سنة ٣٤٥هـ ولكنه لم يستطع الثبات فيها ورحل عنها، وفى الوقت نفسه امتنع ناصر الدولة عن إرسال الأموال المقررة إلى بغداد. فهاجم معز الدولة بن بويه ممتلكاته سنة ٣٤٧هـ. فى الموصل ونصيبين والرحبة، واضطر ناصر الدولة إلى الفرار إلى حلب[٧١].

ولم يستطع الحمدانيون العرب مواصلة الصراع ضد بنى بويه، ذلك أن الدولة الحمدانية أخذت تعانى الكثير بعد وفاة سيف الدولة بن حمدان سنة ٣٥٦هـ ثم وفاة اخيه ناصر الدولة بعد ذلك بعامين. ولم تلبث الدولة الحمدانية أن تعرضت للتصدى بسبب الخلافات بين الابناء، واستعانة بعضهم بالبويهيين فى بغداد، مما مكن عضد الدولة البويهى من الاستيلاء على الموصل وديار وبيعة ،ميافارقين وآمد وديار مضر، وانتزاعها جميعا من يد أبى تغلب الحمدانى فى سنتى ٣٦٧، ٣٦٨هـ. هذا فى الوقت الذى تعرض الحمداديون لهجمات من جانب الاكراد من جهة، والروم او البيزنطيين من =جهة ثانية، والفاطميين من جهة ثالثة.[٧٢] وكان ان انتهت

دولة الحمدانيين فى حلب نهاية شبه صامته فى اوائل القرنن الخامس الهجرى، لتحل محلها فى حلب -بعد بضع سنين- من جانب الاكراد من جهة، والروم او البيزنطيين المرداسيين.

وما يقال عن الحمدانيين العرب وموقفهم من البويهيين الفرس فى ذلك الدور يمكن أن نجد له شبيها -فى صورة أو أخرى- فى موقف بعض الإمارات العربية الاخرى فى ذلك الدور. مع ملاحظة أن هذه الإمارات العربية لم توجد بينها وبين بعضها البعض وحدة تجعل منها جبهة عربية واحدة متماسكة، بل على العكس كان يغلب عليها الإحساس بعدم الثقة فى بعضها البعض.

أما الخلافة العباسية فكانت تمر بمحنة قاسية، بعد أن ظلت قرابة قرن ترزح تحت وصاية بنى بويه، وهم فرس وشيعة. وقد حدث فى سنة ٤٤٧هـ أن قامت فتنة فى بغداد تزعمها رجل يعرف باسم البساسيرى، وهو أحد رجال أمير الأمراء من بنى بويه.(٧٣) وزاد من خطورة الموقف ان البساسيرى اتصل بالخليفة المستنصر بالله الفاطمى فى مصر، طالبا مساعدته فى الإطاحة بالخلافة العباسية، وادخال بغداد فى حوزة الخلافة الفاطمية الشيعية. وفى ذلك الموقف الخطير، لم يسع الخليفة القائم بأمر الله العباس أن يستعين باقرب قوة سنية إليه لانقاذه من كارثه محققه، فارسل إلى أرطغول زعيم الاتراك السلاجقة طالبا إنقاذه الخلافة العباسية.(٧٢)

وهؤلاء السلاجقة كانوا قبيلة من الاتراك الغز، اعتنقوا الإسلام فى وقت متأخر -أوائل القرن الخامس الهجرى الحادى عشر للميلاد- عند ما نزحوا إلى حدود نهر سيحون، واستطاع زعيمهم آرطغول السيطرة على خراسان، واستولى على الرى وإصبهان، واتخذ المدنية الاخيرة حاضرة لدولته. ولم يكد آرطغول يتلقى استغاثة الخليفة العباسى القائم بأمر الله، حتى زحف على بغداد سنة ٤٤٧هـ (١٠٥٥م)، وأحمد العباس حركة الساسيوى وقتله، وبذلك حل السلاحقة الترك محل البويهيين الفرس فى الوصاية على الخلافة العباسية.(٧٥)

وبظهور السلاجقة الترك على مسرح الأحداث حدث تغيير كبير فى مسيرة التاريخ، اذ جاء ذلك إعلانا بزوال سيادة الفرس والعرب جميعاً، وقيام الترك - لابدور الوصى علي الخلافة العباسية فحسب - بل بدور حماة الإسلام ودولة الإسلام فى الشرق من الخطر الصليبى الذى لاح فى الأفق فى أواخر القرن الخامس الهجرى، الحادى عشر للميلاد(٧٦).

وقد ظل الاتراك السلاجقة - ومن عاونهم وارتبط بهم مثل بعض قبائل الاكراد والتركمان-

ينهضون بدور القوة الفتية التى أمدت دولة الإسلام فى الشرق الأدنى بدماء حية جديدة.

وفى منتصف القرن السابع الهجرى- الثالث عشر للميلاد- اجتاح التتار الوثنيون إقليم الشرق الأوسط، فاخضعوا بلاد فارس والعراق، وسقطت بغداد فى أيديهم، وخر الخليفة العباسى المستعصم بالله قتيلا سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م)[٧٧]. وقد حاول التتار انتزاع بلاد الشام اكثر من مرة، ولكن دولة سلاطين المماليك الأتراك التى قامت فى مصر تصدت للتتار وحالت بينهم وبين الاستيلاء على بلاد الشام[٧٨]. وهكذا قامت ايلخانية التتار في فارس والعراق، ودولة سلاطين المماليك فى مصر والشام، مما احدث تحولاً كبيراً - سياسيا واجتماعياً واقتصادياً وثقافياً- فى تاريخ المنطقة فى الشطر الأخير من العصور الوسطى.

الهوامش

(١) القزويني: آثار البلاد اخبار العباد، ص٢٣٢ (طبعة بيروت)

(٢) المذهب النسطوري ينسب الى نسطريوس بطرق انطاكية فى القرن الخامس للميلاد، وقد نادى بان السيدة مريم العذراء لايمكن ان تكون أما للمسيح بصفته الالهية، وانما هى أمه بصفته البشرية فقط. وقد عارضة بعد ذلك -فى القرن السادس للميلاد يعقوب براد يوس واليه ينسب المذهب اليعقوبى، وقد قال بان المسيح عليه السلام له طبيعة واحدة تجمع بين صفاته الالهية والبشرية.

(انظر-الباحث-كتاب اوربا العصور الوسطى،الجزءالاول،ص.١٢٠ وما بعدها،الطبعة السادسة ١٩٩١).

(٣) جواد على:المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام، ج٣، ص١٥٥، ١٥٩.

(٤) Reinaud:Reiation ppoiitiques et Commerciaies de I'IEmpire Rom ans avec I'Asie orientale(pari,1863) tomel,p.241

(٢) كريستنسن (آرثر): ايران فى عهد الساسانيين (L'Iremen sous je sassanidas)

ص١٢٥ - القاهرة ١٩٥٧،ترجمة يحيى الخشاب.

(٦) تاريخ الطبرى، ج٢، ص٥٥ (تاريخ الرسل والملوك)

(٧) قيل أنه لقب بذى الاكتاف لانه فى حروبه ضد العرب خلع اكتاف اسراهم. وفى رواية اخرى أن هذا اللقب يعنى الشجاعة والقوة والقدرة على تحمل الاعباءالثقيلة.

انظر:المسعودى: مروج الذهب، ج(ص٢٥٥ (القاهرة، ١٩٦٤)،الطبرى،ج٢،ص.٦٠، كريستنسن: ايران فى عهد الساسانيين(ص٢٢٤-٢٢٥)

(٨) الطبرى، ج٢، ص٥٧.

(1) Sykes: Hist.of persia, l, p.413&

وجواد على: المفصل، ج٢، ص٥٩-٦٠

(١١) المصدر السابق

(١٢) ابن الاثير: اسد الغابة، ج١، ص٤١٣-ترجمة رقم ٩٥٤.

(١٣) سبأ، ٢٨

(١٤) المسعودى: مروج الذهب،ج ٢ ،ص٣٢٨

(١٥) البلاذرى: فتوح البلدان،ص٢٦٢ ومابعدها (بيروت، ١٩٧٨).

(١٦)المصدرالسابق، ص٢٦٤

(١٧) كريسنتين: ايران فى عهد الساسانيين، ص٤٨٧.

(١٨) توماس ارنرلد: الدعوة إلى الإسلام، ص٢٥ وما بعدها (ترجمة حسن ابراهيم وزميليه).

(١٩) النحل، ١٢٥

(٢٠) الجمعة، ٣

(٢١) المائدة، ٥٤

(٢٢) صادق نشأت ومصطفى حجازى، صفحات عن ايران، ص ٦١-٦٢

(٢٣) ابن الاثير: اسد الغابة فى معرفة الصحابة (القاهرة ١٩٧٠)ج٢ ص٤١٧ ترجمة ٢١٤٩

(٢٤) صادق نشأت ومصطفى حجازى: ايران (١٩٦٠)ص٦٣.

(٢٥) تاريخ الطبرى، ج٤، ص١٩٠-١٩١.

(٢٦) صادق نشأت ومصطفى حجازى: ايران، ص٦٢

(٢٧) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص٩٦-٩٨

(٢٨) تاريخ الطبرى، ج٧، ص٢٩

(٢٩) أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج١ ص٢٣.

(٣٠) صادق نشأت ومصطفى حجازى: ايران، ص٦٤

(٣٦) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص١١٣.

(٣٢) ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج٣ص٢٢٨، ترجمة٤٠٥

(٣٣) المرجع السابق، ص١١٩ ومابعدها

(٣٤) خطط المقريزى: ج٢، ص٣٦٢

(٣٥) أحمد أمين: ظهر الاسلام، ص٢٧٧

(٣٦)ابن ابى الحديد: شرح نهج البلاغة، ج١، ص٣٠٩.

(٣٧) ابن خلدون:العبر، ج٣، ص١٢١

(٣٨) الطبرى، ج٩،ص٩٧

(٣٩) أحمد امين: ضحى الإسلام، ج١، ص٣٤

(٤٠) تاريخ الطبرى، ج٩، ص١٠٦

(٥) المسعودى: مروج الذهب، ج٣، ٢٦١.

(٤٢) تاريخ الطبرى، ج٩، ص١٢٧

(٤٣) المسعودى: مروج الذهب، ج٢، ص١٩٠

(٤٤) الجاحظ: البيان والتبيين، ج٣، ٢٠٦

(٤٥) صادق نشأت ومصطفى حجازى: ايران، ص٦٦.

(٤٦) ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج٢، ص١٩٥، ٢٠١

(٤٧) الوزراء والكتاب، ص٢٤.

(٤٨) تاريخ الخلفاء، ص١٠٥

(٢) مروج الذهب، ج٢، ص٤٠١

(٥٠) أحمد امين: ضحى الاسلام،ج١، ص٤٦.

(٥١) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص٨٩

(٥٢) حسن أحمد محمود وأحمد ابراهيم الشريف: العالم الاسلامى فى العصر العباسى، ص٨٦.

(٥٣) ابن النديم: كتاب الفهرست، ص١٥٤

(٥٤) ابن الاثير: أسد الغابة، ج، ص٤٢١، ترجمة٢١٤٩

(٥٥) احمد امين: ضحى الإسلام، ج١، ص٧٤-٧٦

(٥٦) ابن طباطبا (ابن الطقطقى): الفخرى فى الآداب السلطانية، ص١٥٢ (بيروت،١٩٦٢).

(٥٧) يذكر ياقوت الحموى (معجم البلدان) ان كسرى انو شروان بنى المدائن وأقام بها، هو ومن خلفه من ملوك آل ساسان حتى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه، عندما فتح المسلون العراق وفارس... وقال بعضهم أن العرب هم الذين اطلقوا اسم (*المدائن*) على هذه

المدينة، وأن اسمها الفارسي توسفون هو اللفظ الذى عربه العرب فصار (الطيسفون).

(٥٨) أحمد أمين: ضحى الاسلام، ج١، ص١٧٤-١٧٥

(٥٩) ابن النديم: الفهرست، ص٣٤١-٣٤٢ (بيروت، ١٩٧٨).

(٦٠) مقدمة ابن خلدون، ص٤٧٧، ٤٨٧.

(٦١) أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج١، ص٢٩٤.

(٦٢) المرجع السابق، ص١٨٠.

(٦٣) زكى محمد حسن: فنون الإسلام، ص٥٤ (١٩٤٨)

(٦٤) ديماند: الفنون الإسلامية، ص٩٢ (ترجمة احمد محمد عيسى، ١٩٥٤).

(٦٥) المسعودى: مروج الذهب، ج٢، ص٣٩٤

(٦٦) حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى، ج٣، ص٥ (١٩٦٥).

(٦٧) ابن الطقطقى: الفخرى، ص٣٣٤.

(٦٨) أحمد أمين: ظهر الإسلام، جص٢٥٥.

(٦٩) محمد محمد مرسى الشيخ: الامارات العربية فى بلاد الشام، ص ٦٥ وما بعدها (١٩٨٠).

(٧٠) ابن الاثير: الكامل، ج٨، ص٤٥٣-حوادث سنه٣٣٤هـ.

(٧١) المصدر السابق، ص٥٢٢(٣٤٧هـ).

(٧٢) نفس المصدر، ج٨، ص٦٩٦ (سنه ٣٦٧، ٣٦٨هـ).

(٧٣) ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص٨٧. (بيروت، ١٩٠٨

(٧٤) ابن الاثير: الكامل، حوداث سنه ٤٣٤هـ، ٤٤٢هـ

(٧٥) المصدر السابق، حوادث سنة٤٤٧هـ.

(٧٦) انظر للباحث " البنية البشرية لجيوش صلاح الدين " بحث نشر في المجلة العربية للعلوم الإنسانية، عدد ٣٧ - سنة ١٩٩٠).

(٧٧) رشيد الدين الهمذانى : جامع التواريخ، م٢، ج١، ص ٢٣٩-٢٤٠، ابوا الفدا: المختصر فى تاريخ البشر، حوادث سنة ٦٥٦هـ.

(٧٨) انظر للباحث كتاب "الحركة الصليبية" ج٢ ص ٨٨١ وما بعدها (١٩٨٦)، وكذلك كتاب "العصر المماليكى فى مصر والشام" ص ٢٦ وما بعدها (١٩٦٥).

الفصل الثانى

الصراع العثمانى الفارسى والعلاقات الفارسية العربية من العهد الصفوى حتى نشوب الحرب العالمية الأولى *

حين نتناول العلاقات بين العرب والفرس، فإنه من السهل تحديد مفهوم الفرس بأنهم الذين يشكلون دولة (فارس/إيران) فى التاريخ الحديث بغض النظر عن التغيرات المحدودة التى حدثت لهذه الدولة من حيث الاتساع والتقلص فى بعض الأحيان.

أما مفهوم العرب فإنه يعتبر اشكالية من حيث إن العرب يقطنون المساحة الممتدة من موريتانيا إلى شمال افريقيا إلى وادى النيل وشرق افريقيا والشام والجزيرة العربية والعراق وإن الفرس كانت لهم علاقات قوية للغاية مع عرب العراق والخليج، وكلما اتجهنا غربا ضعفت هذه العلاقة حتى لا ترقى فى معظم الفترة[1] التى يتناولها هذا البحث إلى المستوى الجدير بالتناول فى هذه الدراسة، لذلك سنركز على علاقات الفرس بعرب العراق والخليج بصفة خاصة.

ثم إن هناك اشكالية أخرى وهى أن العرب خلال فترة البحث كان قسم كبير جدا منهم واقعا ضمن الدولة العثمانية، فكانت العلاقات بين فارس والدولة العثمانية تضم فيما تضمه

* أعد هذه الدراسة الاستاذ الدكتور عبد العزيز سليمان نوار أستاذ التاريخ الحديث بكلية الآداب - جامعة عين شمس.

العلاقات بين الفرس والعرب سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

- كانت فارس حكومة وشعبا تتعامل مع العرب عبر نظم الحكم المختلفة (وهى):

١) الدولة العثمانية (دولة الخلافة).

٢) العصبيات المحلية الحاكمة والمشايخ والمشيخات تحت مظلة هذه الدولة العثمانية أو على أطراف هذه الدولة.

٢٣ السلاطين والأئمة مثل سلطان عمان وأئمتها.

وفى أواخر القرن الخامس عشر وأوائل السادس عشر[٢]، أخذت خريطة العالم الجغرافية تزداد اتساعا، وأخذت تحدث خلال تلك الفترة تطورات جذرية متتالية وجوهرية فى المجالات الثقافية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية والاستراتيجية والسياسية عبر عنها ب(حركة التنوير) وبعصرها بالعصر الحديث أو عصر النهضة، وتضمنت هذه المصطلحات قيما جديدة مثل القطرية والقومية والإقليمية والأمبراطورية والعالمية.

وبينما كان العالم الأوروبى ينطلق نحو التفوق فى تلك المجالات كانت البلاد الاسلامية (الشرق أوسطية) تعيش مقوماتها الحضارية الإسلامية التقليدية دون تطور أو تطوير إلا فى أضيق نطاق، بل مع تراجع حضارى فى كثير من البلاد الاسلامية خاصة تلك التى كانت تسود فيها التركيبات القبلية. كانت التركيبات الأجتماعية لدى الفرس والعرب تقوم على أساس النظام القبلى، باستثناء مصر، التى كانت فيها القبيلة على أطراف الوادى. وقد لعب النظام القبلى، وعلاقته بنظام الحكم سواء فى فارس أو فى البلاد العربية دورا هاما للغاية فى تطور العلاقات بين الفرس والعرب.

ولقد كان مفهوم الولاء لدى العشيرة فى فارس للشاه يعطى كيانا واضحا لدولة فارسية، مع أن الولاء العشائرى كان يضعف ويقوى تبعا لقوة وضعف نظام حكم الشاه، باستثناء السهل الساحلى بين جبال الزاجروس والخليج، إذا كان هذا السهل ضعيف الولاء للشاه، وكان يستقبل مهاجرين عرباً ومستثمرين وحكاما عرباً من الجزيرة العربية حتى لقد استعرب وأصبح وجه سكان هذا الساحل (الفارسي)نحو الساحل (العربى).

وبينما كان مفهوم الولاء لدى العشائر الفارسية للشاه يعطى نوعا من التبعية شبه المباشرة المرتبطة بنظام حكم الشاه فإنه فى البلاد العربية كانت التبعية على مستويات متعددة:

فالتركيبات العشائرية فى العراق والشام كانت قد تقبلت الحكم العثمانى بصفة واضحة احيانا وغير واضحة أحياناً أخرى، ولكنها كانت تعترف بأنها تعيش تحت مظلة الدولة العثمانية، وكان الحال كذلك فى المغرب العربى، وايضا فى الحجاز، وأما اليمن فكانت أقرب إلى فارس من حيث قوة التركيبات العشائرية فى كل منهما، وفى نفس الوقت تعيش اليمن تحت مظلة حكم قطرى لإمام فى اليمن، وكذلك كان الأمر فى عمان تحت حكم اسرة اليعاربة والبوسعيد، أما قلب الجزيرةالعربية "نجد" وأطرافها الشرقية من "الزبير" فى الشمال حتى "الظاهرة" فى عمان، فكانت تموج فيها قبائل عديدة لا تشعر بالولاء لزعامة ملكية أو إمامية، ولذلك حدثت بها تحولات جذرية قبل وخلال عهد الدولة السعودية الأولي من حيث ظهور مشيخات متعددة مثل "بنو خالد" فى البر و"القواسم" فى البحر، وفى مدن موانى مثل الكويت ودبى والشارقة ورأس الخيمة وحدوث هجرات واسعة النطاق مثل هجرة "العتوب" وكعب وهجرة عرب الساحل العمانى إلى الساحل الفارسى وإلى شرق افريقية.

وعلى طول الحدود العراقية الفارسية، كانت الصراعات القبلية والتعديات عبر الحدود من الأمور الروتينية حيث لم يكن هناك ولاء واضح لأى من الشاه أو لحكام العراق وإن وجد فيكون تحت ضغط ..فضلا عن أن مفهوم الحدود لم يكن واضحا فى أذهان شيوخ القبائل وإنما كانت القبائل تتنقل إلى المشاتى حتى ولو كانت داخل العراق أو المصايف حتى ولو كانت داخل فارس مثل "بنى لام" .. وحدثت هجرات عبر الحدود حتى لقد أقامت قبائل عربية فى أرض يدعى الفرس تبعيتها وأقامت قبائل كردية فى داخل فارس وبعضها كان تحت حكم اسره كردية حاكمة مثل "الاسره البابانية" التى أقامت جزءا من حكمها عبر الحدود وداخل فارس، وعشائر عربية شيعية كانت ضد نظام الحكم الشاهانى الشيعى وعشائر كردية سنية كانت ضد نظام الحكم العثمانى أو المملوكى السنى فى العراق.

كانت فارس تحت نظام حكم الشاه وهو نظام حكم شيعى اثنا عشري يأخذ بها غالبية الشعب الإيرانى الأصل الفارسى اللغة بينما كان العرب (وسنقتصر هنا على عرب الشرق) يعيشون فى العراق والشام والحجاز تحت نظام حكم عثمانى سطحى وتحت أسرات متعددة ففى نجد ترتكز كل واحدة على قرية مدينة حتى تفوقت عليها أسرة "ال سعود" فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر وسادت سلطتها حتى ساحل الخليج.

وإلي جانب إمامة عمان ظهرت نظم المدينة الدولة city state تحت حكم أسرة: مثل الكويت والبحرين وبعض المدن الموانى الأخرى على الساحل أو بمعنى آخر هى مشيخات ميكروسكوبية تعيش بين دول لها كيان قطرى واضح "فارس وعمان" ثم الدولة السعودية، وهى كيانات قطرية كانت فى نفس الوقت ذات سياسات إقليمية توسعية على حساب الجوار العربى بالنسبة لفارس والجوار العربى والفارسى بالنسبة لعمان

التوسع الفارسى فى المشرق العربى فى القرنين السادس عشر والسابع عشر

١- التوسع الفارسى فى العراق فى القرنين السادس عشر والسابع عشر

بينما كانت أوروبا تتلمس الدخول إلى عصر النهضة كانت فارس والعراق تقعان تحت نوع من الحكم القبلى التركمانى المتخلف حضاريا وعرف بحكم أسرة القرة قوينلو "الخروف الأسود" والأق قوينلو "الخروف الأبيض"، وذلك خلال القرن الخامس عشر واستطاعت الحركة التبشيرية الشيعية بقيادة "اسماعيل الصفوى" أن تقضى على "الآق قوينلو" فى كل مكان من فارس سنة ١٥٠٠ ولا يكاد "اسماعيل الصفوى" يستقر فى حكم فارس حتى انقض على العراق وضمها إلى حكمه فى سنة ١٥٠٨.

فقد كانت اقتصاديات الهضبة الإيرانية تدفع الفرس الايرانيين إلى العمل على الاستحواذ على سهول العراق الخصبة فمنها يمكن أن تستكمل حاجاتها الزراعية كما أن سوق العراق يمكن أن يستوعب نسبة عالية من منتجات فارس. ومن أهم العوامل التى تدفع إلى الاستيلاء على العراق الأمل الكبير لدى شيعة فارس فى أن تكون العتبات المقدسة الموجودة فى العراق تحت أيديهم مباشرة، "فالنجف وكربلاء" بصفة خاصة مقصدالحجاج الشيعه بعشرات الألوف سنويا، والألوف من الفرس كانوا يوصون بأن تدفن رفاتهم فى أقرب موقع من قبر حفيد الرسول صلى الله عليه وسلم أو من قبر "على" رأس الأئمة الاثنى عشر.

ومن الناحية الاستراتيجية الإقليمية والدولية كان العراق هو المعبر المباشر المؤدى بالفرس إلى شواطئ البحر المتوسط. والعراق، كذلك هو الطريق البرى الذى تسلكه القوات عبر

"البصره" إلى "الإحساء" إلى ما هو وراء ذلك فى اتجاه "عمان" فيصبح الخليج بحيرة فارسية. وهذا الطريق البرى مفضل للفرس لأنهم أصحاب قوه برية كبيرة بينما كانت فارس عبر تاريخها الطويل تفتقر إلى القوة البحرية نظرا لأن الفارسى تعوزه الخبرة بشئون البحر، وهذه مشكلة لازمت فارس طوال التاريخ الحديث وكان لها أثر كبير فى العلاقات الفارسية العربية.

ومن العوامل التى كانت تدفع بفارس الى التوسع غربا نحو "هرموز والقطيف والبحرين" والعراق وشرق الجزيرة العربية أنها كانت تعج بالقبائل العربية الشيعية، وكانت هذه التجمعات فى نظر الفرس أدوات يمكن استخدامها فى تمهيد الطرق أمام السيطرة على تلك الجهات وما هو وراءها أيضاً. فلا غرو أن انقض "اسماعيل الصفوى" على العراق بعد سنوات قليلة من سيطرته على فارس سنة ١٥٠٠، ومثلما كانت الشاه يفعل فى البلاد التى وقعت تحت يده سواء فى ايران/فارس أو فى شرق الأناضول قام باضطهاد السنة وعلمائهم ودمر مقابرهم.. وفى نفس الوقت عمر مراقد الشيعة وعمل على صبغ العراق بالصبغة الاثنى عشرية ولقد كان الشاه يسعى فيما يسعى إليه إلى إقامة دولة شيعية كبرى لا تقل مكانة دولية عن المكانة العالمية التى كانت تتبوؤها كل من الدولتين الاسلاميتين الكبيرتين فى الشرق الأوسط حينذاك وهما الدولة العثمانية فى الأناضول والبلقان.. ودولة المماليك فى مصر والشام والحجاز.

والواقع أن الشاه "اسماعيل الصفوى" كان يبذل جهدا كبيرا من أجل دفع قواته قدما من العراق إلى الشام، ولكنه كان يدرك أنه لا يستطيع أن يشق طريقة بين الدولتين الاسلاميتين الكبيرتين "الدولة العثمانية والدولة المملوكية" فإن أراد أن يسيطر على المشرق العربى وبصفة خاصة على الهلال الخصيب "العراق والشام" فعليه أن يتحالف مع الدولة الكبرى الاوروبية المعادية لهما لتحقق هدفه حتى ولو كان ثمن ذلك عودة قوة صليبية إلى الشام الذى بذل المسلمون من أجل تحريره أنهار الدماء ونفقات وخسائر لا تحصى ولا تعد.

بعث الشاه برسائله إلى ملوك أوربا "الفرنجة" يدعوهم إلى أن (يكونوا معه عونه على سلطان مصر وأنهم يجيئون من البحر ويجئ هو من البر) وذلك لإسقاط حكومة المماليك ثم يقوم الشاه مع الملوك "الفرنجة" باقتسام دولة المماليك فلتكن مصر من نصيب ملوك "الفرنجة" ولتكن الشام من نصيبه ليطل منه على البحر المتوسط، وفى نفس الوقت يتابع فيه الدعاه الشيعة نجاحهم فى نشر المذهب الشيعى ولقد نجحوا فعلا نجاحا كبيرا فى نشره فى شرق

الاناضول وذلك تمهيدا لإسقاط أكبر دولة سنية ونعنى بذلك الدولة العثمانية لصالح الشيعة.

ولكن السلطان "سليم الأول" ادرك أن مستقبل الدولة العثمانية أصبح فى كفة القدر ولو ترك الأمر هكذا للحركه الشيعيه الجديدة لصفى الشيعة فى الأناضول ونقل المعركة إلى فارس وأنزل بالشاه هزيمة قاسية فى "موقعه جالديران سنة ١٥١٤" وادى ذلك إلى أن يظهر فى بغداد من أعلن زوال حكم الفرس والولاء للسلطان العثمانى.

ولدينا عدة ملاحظات على التطورات التى وقعت نتيجة "جالديران":

- أدت هزيمة الفرس فى "جالديران" إلى أن تبلورت الدولة الفارسية وأصبحت ذات كيان "قطرى/قومى" واضح الملامح، وإذا أردنا الدقة نقول قومية فارسية/ايرانية على الطريقة الشرقية الاسلامية.

- أصبح العراق بلدا تتداوله القوى المجاورة له "فارس الصفويه، وتركيا العثمانيه" دون أن يكون له دور جوهرى فى تحديد مصيره ومرجع ذلك إلى طغيان التركيبات العشائرية فيه.. إذ أن فارس لم تلبث أن سيطرت على العراق مره أخرى منتهزه فترة الانتقال من وفاة "سليم الأول" وتثبيت ابنه "سليمان الأول" لإقدامه فى حكم دولته، وانشغال العثمانيين بتعزيز الدور القتالى للمسلمين ضد العدوان البرتغالى فى المياه الاسلامية الجنوبيه.. وتابع "طهمسب"-ابن "الشاه اسماعيل"- سياسه الخاصة بالتحالف مع "الفرنجة" ملوك أوربا ضد الدوله العثمانيه لتحقيق توسع فارسى فى المشرق العربى، وكان "طهمسب"يغرى الجانب الأوربى باقتسام الشام ومصر.. الأول لفارس والثانية للفرنجه، مع أن بعض ملوك وحكام أوربا. وعلى رأسهم البابوية والبرتغال- كانوا يخططون لتدمير الأماكن المقدسة الأسلامية فى كل من مكةالمكرمة والمدينة المنورة.

وكانت التوسعات الفارسية الجديدة فى العراق تعنى إرغام الدولة العثمانية على التحرك مره أخرى لطرد الفرس من العراق حتى لا يصبح الأناضول- قلب الدولة العثمانيه- مهددا من جبهتين أى مطوقا بالفرس، فأعد السلطان سليمان الأول "القانونى" جيشاً كبيراً هزم به الفرس واسترد العراق سنة ١٥٣٤، ومد العثمانيون سيطرتهم على البصرة فى سنة ١٥٤٦ وإلى سنة ١٥٥٥.

وظل العراق تحت الحكم العثمانى حتى استغل الشاه "عباس الكبير" تمردا قام به أحد كبار

الضباط العثمانيين وإعلانه الولاء للشاه، فاستولى على بغداد ولكنه فشل في ضم[٣] البصره فقد نجح "آل افراسياب" فى صد الفرس عنها سنة ١٦٢٥ مستعينين فى ذلك بقطع من الأسطول البرتغالى[٤]..ولكن لاحت للشاه "عباس " آمال جديدة فى الوصول إلى البحر المتوسط بالتحالف مع "فرنجه" ملوك أوربا بنفس السياسة تقريبا التى تبناها من قبل "اسماعيل الصفوى" و"طهمسب".. فقد انتهز وجود مغامرين شقيقين إنجليزيين هما "انتونى[٥] وروبرت شيرلى" فى بلاطه وكلف أحدهما "شيرلى" بأن يقوم بجولة فى بلاطات أوربا لعقد ما يمكن عقده من محالفات بين هؤلاء وفارس ضد عدوهم المشترك الدوله العثمانيه وزوده بفرمانات تعطى للأوربيين امتيازات تجاريه واسعه سنة٨ ١٦٠٠/١٦٠٩.[٦]

وعندما تردد أنباء سقوط بغداد فى يد الشاه تلقفتها بعض بلاطات أوربا بالترحيب خاصه لدى البابويه وتسكانا، وغيرها من الدويلات الإيطالية التى كانت لا تزال تعشعش فى أذهان سياستها آمال تجديد الحروب الصليبية بحملة جديدة يستولون بها على الشام.. ومما زاد من اهتمام تلك البلاطات بهذه الفرصة أن قيادات مارونيه فى "لبنان" كاتبت الفاتيكان فى هذا الصدد داعية إلى دعم القوى الشرق أوسطية المناهضة للدولة العثمانيه وعلى راسها حينذاك: "فارس- وفخر الدين المعنى الثانى" بهدف إقامة تحالف واسع النطاق بين هذه القوى لتوجيه ضربات قاصمة للدوله العثمانيه فتتجدد الآمال فى الاستيلاء على الشام[٧].

وكانت الطائفه المارونية- رغم أنها كانت تستخدم ولا تزال اللغة العربية- كانت قد وضعت المصالح الطائفية فوق أى مصالح أخرى محلية، وكانت تقبل الحكم العثمانى ولكن إلى حين التخلص منه، ونظرا لأن حاكم لبنان "«فخر الدين المعنى الثانى» كان يسعى بكل جهده لتحقيق نوع من الاستقلال الذاتى الكامل فقد رأى «فخر الدين» فيهم قوة تدعمه فى مواجهة الضغط العثمانى عليه، وكان هذا الترابط بين الموارنة «وفخر الدين» منة من الله من وجهة نظر البابوية حيث يمكن ربط هذه الجبهة «اللبنانية» بالشاه «عباس الأول» وتصبح الدولة العثمانية مهددة من أكثر من جبهة، وهو أمر يفتح الكثير أمام الفكر الصليبى فى أوروبا[٨].

ولكن الدولة العثمانية خططت من جانبها للقضاء على هذه الخطة الفارسية اللبنانية الأوربية، وكانت خطتها محدودة المعالم: -القضاء على «فخر الدين المعنى» و،طرد الفرس من العراق فيتقوض كل ما بناه سواء الشاه أو الموارنة أو فخر الدين أو البابوية وغيرها.

وفعلا بدأ السلطان «مراد الرابع» بتصفية الموقف فى «لبنان» لصالحه بحملة قضت على «فخر الدين المعنى» سنة ١٦٣٥.. وبعد ذلك بثلاث سنوات شن السلطان حملة كبرى على العراق، أدت إلى هزيمة الفرس وإخراجهم من العراق وعودته مرة أخرى إلى الحكم العثمانى سنة ١٦٣٨.

ومن أهم نتائج هزيمة الفرس وخروجهم من العراق عقد المعاهدة العثمانية الفارسية فى سنة ١٦٣٩ وهى من أهم المعاهدات التى تناولت مسألة الحدود الفارسية - العراقية، وظلت حتى الوقت الحاضر مادة من مواد التفاوض بين الدولتين الفارسية والعراقية بشأن الحدود بينهما[٩].

وبصفة عامة فإن هذا الصراع الفارسى -العثمانى حول العراق شغل الدولتين الاسلاميتين الكبيرتين: فارس - والدولة العثمانية عن سرعة التطورات التى وقعت فى الخليج عقب اجتياح الأسطول البرتغالى للعديد من المراكز العربية التجارية المزدهرة هناك، بل يمكن القول إن هذا الصراع الفارسى العثمانى هو الذى أعطى الفرصة الواسعة لتفرض البرتغال نيرها الاستعمارى على معظم الخليج وأن تصبح صاحبه/ اليد الطويلة هناك.

٢- التوسع الفارسى فى الخليج ق ١٦ - ١٧

ففى مطلع القرن السادس عشر فوجئ أهل الخليج بالسفن الحربية البرتغالية ذات المدافع المرصوصة صفوفا على جانبيها تمخر عباب الخليج للسيطرة عليه، وكان البرتغاليون يتخوفون من قبل من أن يجدوا فى منطقة الخليج جبهة صلبة واسعة إسلامية، وإذا بهم يجدون المنطقة فى حالة من الصراعات الكفيلة بأن تتيح للبرتغاليين فرصاً لم يتوقعوها، فإلى جانب ذلك الصراع بين «فارس والدولة العثمانية» كان هناك صراع بين «النباهـنة والإباضية» فى عمان، وصراع بين «هرمز». التى كان يقطنها عرب وفرس -«وبنى جبر» أقوى تركيب قبلى عربى على الساحل الغربى، وكانت هرمز هدف البرتغاليين الأول، لما كانت تقوم به من تجارات واسعة النطاق ولما كان لها من كلمة مسموعة على طول المنطقة الممتدة من قطر حتى عمان.

ورغم مقاومة أهل هرمز العرب والفرس، ورغم مقاومة مدن الساحل العربى «صحار، مسقط» وغيرها للعدوان البرتغالى إلا أن التفوق المدفعى الحاسم فرض على تلك البلاد العربية التبعية للبرتغال فى سنة ١٥١٤.

فى نفس تلك السنة ١٥١٤ تكبد الفرس هزيمة ساحقة فى «جالديران»، فلا غرو أن اتجه الشاه «اسماعيل الصفوى» نحو البرتغاليين ليقنعهم بالتعاون معهم ضد العدو المشترك: الدولة العثمانية، ومن أجل هذا الهدف اعترف الشاه بأن «هرمز» تتبع البرتغال سنة ١٥١٥: وحثت فارس البرتغاليين فى الخليج على دعم الجهود الفارسية لضم البحرين والقطيف[١٠].

وتدلل تلك التطورات على أن العرب كانوا يفتقدون الايديولوچية التى يجب أن يعملوا تحت رايتها، بينما كان للفرس ايديولوچيتهم الشيعية وهى رسالة كان يحملها الشاه وأفراد شعبه، وكان غياب الايديولوچية من العوامل التى أسهمت فى ضعف المقاومة العربية للتحالف بين فارس ودولة كبرى أوربية (البرتغال).. وهو أمر سيتكرر مرة أخرى كما سنرى على عهد عباس الأول «الكبير». فقد «آلى الشاه عباس الأول» على نفسه ليطردن البرتغاليين من الخليج ويرثهم فيه، ونظراً لأن فارس تعوزها القدرة البحرية والخبره فى هذا الميدان فقد اتجه الى التحالف مع شركة الهند الشرقية البريطانية ونجح فى ذلك وتحدد الهدف: طرد البرتغاليين من هرمز بشروط اتفق عليها الطرفان الإنجليزى والفارسى[١١].. وقد جهز الشاه عباس قوة برية ضارية من المقاتلين الفرس والعرب.

ونجح التحالف فى طرد البرتغاليين من هرمز ووضعها الشاه تحت سيادته سنة ١٦٢٢ وهكذا، مثلما دافع الفرس والعرب ضد الغزو البرتغالى «لهرمز» فقد تعاونوا فى تحريرها من البرتغاليين، ولكن فى هذه المرة كانت هرمز تتجه لأن تكون فارسية ونجحت الجهود فعلا فى «تفريسها». فكانت بذلك أول أرض عربية تفقد هويتها لصالح التوسع الفارسى فى الخليج.

ومن بعد «هرمز» تطلعت فارس إلى مطاردة البرتغاليين وطردهم من «مسقط وصحار وقريات والبصرة»، وحاولت حث شركة الهند الشرقية البريطانية ثم فرنسا على التعاون معها من أجل ضم عمان إلى فارس، ولكن الانجليز والفرنسيين وجدوا أن العمانيين بقيادة اليعاربة استطاعوا أن يحرروا بلادهم من نير البرتغاليين وأن الاجدى هو التعامل مع هذه الدول العمانية الناهضة بدلا من تسليمها إلى الفرس.

ولقد تابع الفرس بعد ذلك سياستهم فى حث القوى الأجنبية على التعاون معهم من أجل ضم بلاد عربية إلى فارس، ومن هذا القبيل مساعى فارس لإقناع شركة الهند الشرقية البريطانية والاسطول الهولندى فى الخليج والاسطول الإنجليزى فيه والبرتغاليين فى معقلهم فى

الهند فى «جوا» للتعاون من اجل ضم البحرين إلى فارس.

وبصفة عامة أخذ النشاط الفارسى فى الخليج يضعف وكاد أن يتوقف فى أعقاب الغزو الافغانستانى فى فارس فى أوائل القرن الثامن عشر. فكان هذا الغزو فرصة استغلتها الدولة العثمانية لإرسال حملة من العراق إلى داخل فارس للاستيلاء على ما يمكن الاستيلاء عليه من الأراضى الفارسية. فكانت هذه واحدة من المرات النادرة التى انطلقت فيه من العراق حملة ضد فارس يمولها العراق ويقودها إليه «حسن باشا» الذى توغل حتى استولى على «همدان»[١٢].

ولكن لم تلبث فارس أن استردت قواها على يد «نادر شاه» إذ أفرز المجتمع الفارسى هذه القيادة الوطنية التى هبت لتنقذ فارس من الغزاه حيث استطاع «نادر شاه» أن يطرد الأفغانيين من بلاده[١٣]، وكذلك أخرج الروس ونكب العثمانيين فى المعارك التى دارت بين الطرفين، ولما بنى أسطولاً جديدا كانت باكورة أعماله الهجوم على البصرة سنة ١٧٣٥ ولكن مقاومة البصرة صدت الهجوم، ثم انقضت القوات الفارسية على البحرين واحتلتها بينما كان حاكمها العربى يؤدى فريضة الحج سنة ١٧٣٦ ثم تطلعت فارس إلى ضم عمان سنة ١٧٣٧.

كانت الفوضى التى دبت فى عمان هى العامل الرئيسى للتدخل العسكرى الفارسى. فإلى جانب التنافر بين عرب الشمال اليمنية الغافرية السنية فى «الظاهرة» وبين عرب الجنوب الهناوية العدنانية الأباضية فى الباطنة، كان هناك صراع مرير داخل الاسرة الحاكمة بين «بلعرب بن حمير وسيف». وكان الأخير لا يتورع عن طلب النجدة من «نادر شاه» المرة بعد المرة فى سبيل التفوق على خصومه حتى لقد بلغ، الأمر أن أعلن فى إحدى الأزمات التى ألمت به قبوله للسيادة الفارسية سنة ١٧٤٠.

فكان حريا بالعمانيين أن يثوروا عليه فقاتلوه، فوقعت عمان فى فوضى دموية طاحنة، فكان أن خطط «نادر شاه» لإرسال حملة بحرية إلى عمان لضمها إلى فارس. ومن ثم كان عليه أن يبنى أسطولاً فارسيا وواجه «نادر شاه». مثلما حدث مع أسلافه - نقص القدرة والخبرة، ولذلك اتجه إلى العرب وملأ سفنه بالملاحين منهم، فأصبح أسطول «نادر شاه» أقوى اسطول فى الخليج هذا فضلا على أن نادر شاه تلقى نوعا من الدعم من جانب الأسطول الهولندى[١٤].

واستطاع الفرس ان يسيطروا على بقاع واسعة فى عمان ولكن كان ذلك حافزا للعمانيين

للتصدى للوجود الفارسى حتى حرروا بلادهم منه وكان بطل التحرير هو «أحمد بن سعيد» مؤسس دولة البوسعيد فى عمان.

وانقضت قوات «نادر شاه» على العراق وضرب الحصار على الموصل، ودام وقتا طويلا نسبيا وصمد أهلها بقيادة حاكمها من «آل عبد الجليل» حتى اضطر الفرس إلى رفع الحصار عنهم(١٥). ومما هو جدير بالإشارة أن حصار «عباس الأول» للبصرة وفشله فى فتحها أعطى قوة أكثر لحكم أسرة غير عربية فى البصرة «آل فراسباب» وان فشل «نادر شاه» فى فتح الموصل اعطى قوة لاسرة حاكمة هناك وكانت غير عربية «آل عبد الجيل»، وسنرى أن فشل «نادر شاه» فى الاستيلاء على بغداد أدى إلى إعطاء الفرصة للمماليك ليثبتوا أنفسهم فى الحكم، ومن ثم يمكن القول ان القيادات الحاكمة غير العربية كانت أقدر على الإدارة والتنظيم، فكان لها الدور الأول فى الدفاع عن العراق، ولعب العرب دورا فى المرتبة الثانية وما ذلك - من وجهة نظرنا .. إلا لأن العرب كانوا متشبثين بنظامهم القبلى.

وبينما كان العراق ينزلق إلى أن يكون حكامه من غير العرب ومن غير الأتراك العثمانيين كانت فارس أسرع إلى تخليص نفسها من حكم من ليس فارسيا، فتحررت فى فترة محدودة من الأفغان واسترد الفرس حكم انفسهم بأنفسهم ومن ثم يمكن القول إن مقومات «القطرية-القومية» فى فارس كانت أقوى بكثير جدا منها فى العراق بل ان العراق لم يكن قسمة بين السنة والشيعة بل كذلك بين العرب والاكراد، ولذلك كانت مسيرة فارس القطرية/القومية واضحة المعالم على العكس من مسيرة العراق الذى كان لا يزال حينذاك فى حاجة إلى التوحد ليصبح متمتعا بنوع من القطرية.

ونظرا لأن فارس هى الأكثر حاجة إلى العراق وإلى التعاون مع العالم السنى فقد كانت فارس هى التى أطلقت على يد «نادر شاه» أول دعوة للتوفيق بين السنة والشيعة وهى دعوة«نادر شاه» إلى «المذهب الخامس» أو «المذهب الجعفرى» نسبة إلى الإمام الشيعى جعفر الصادق، وهذا المذهب الجديد توفيقى بين المذهبين، ولعله كان يستهدف العراق أساساً على اعتبار أن نجاح هذه الدعوة يؤدى إلى وحدة العقيدة لدى كل من فارس والعراق وهو أمر يسهل ضم العراق بعد ذلك أو بمعنى آخر لقد كان «نادر شاه» يسعى إلى ضم العراق بالايديولوجية بعد أن فشل السيف فى تحقيقها.. وعلى أى حال فشلت محاولات «نادر شاه».. فى التوسع

سواء فى العراق أو الخليج بل لقد تدهورت قدرات فارس البحرية فى اواخر عهد «نادر شاه» وبعد اغتياله فى سة ١٧٤٧.

ومن الأمثلة على تدهور قوات فارس البحرية فى أواخر عهد «نادر شاه» أن قباطنة سفن الفرس كانوا على جهالة بشئون الملاحة والسفن فأدى ذلك إلى تمرد البحارة العرب سنة ١٧٤٠ .. فقتلوا القباطنة وأخذوا قطعا عديدة من الأسطول الفارسى إلى «خور فكان» .. ولم تستطيع حكومة فارس أن تستعيد بعض سفنها من العرب إلا بوساطة أوربية(١٦) وفى حادثة أخرى وقعت فى سة ١٧٥٠ لم تستطع فارس أن تستعيد من القوى البحرية الفتية العربية فى الخليج سفنا كانت قد استولى عليها العرب إلا بوساطة انجليزية وهولندية(١٧).

ثم أن «نادر شاه» اصطر تحت وطأة الثورات التى وقعت فى بلاده والبلاد التى كانت تحت يده أن يسحب جزءا كبيرا من قواته من الخليج.. بل لقد حدث أن تمرد عليه أحد قواده وهو «تقى خان» وكان قائداً لإحدى حملات نادر شاه فى الخليج.. وانطلق هذا المتمرد من الخليج إلى «اقليم فارس» ليستبد به، فكان ذلك من العوامل التى أفسحت الطريق أمام الحركات الوطنية العربية فى عمان وعلى طول الساحل للتخلص من الوجود الفارسى على أراضيها.

كذلك أدى الفراغ الذى حدث بعد انسحاب القوات الفارسية والأسطول الفارسى إلى قيام حركة عربية نشطة فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر، فقد انطلقت العديد من التركيبات القبلية الكبيرة والصغيرة للعمل فى البحر .. ونما بسرعة عدد السفن العربية العاملة فى مياه الخليج.

وفى تلك الظروف كان عرب الخليج يهاجرون بكثافة نسبية إلى الساحل الشرقى الفارسى فيصبغونه بالصبغة العربية وفى نفس الوقت كانت السلطات الحاكمة تعمل على الاحتفاظ به فارسيا.. ولذلك قبلت الإدارة الفارسية أن تتمتع عصبيات عربية بحكم نفسها بنفسها، وقبلت هذه العصبيات بصفة عامة أن تمالئ الجانب الفارسى فأخذوا كثيرا بالعقيدة الشيعية فكانت تسوية غير مكتوبة أرضت الطرفين لفترة طويلة.. وكان ذلك من العوامل التى عقدت العلاقات بين الفرس والعرب، وأبرز مظاهر هذا التعقيد أن عربا هاجروا إلى الساحل الفارسى وعرفوا بالحوله «الهوله» وكان لهم مكانة بارزة على الساحل الشرقى وعملوا على السيطرة على أجزاء من الساحل العربى وخاصة البحرين فأصبحوا يعملون لصالح السيادة الفارسية على البحرين على سبيل المثال(١٨).

وكادت سيطرت «الهولة/الحولة» العرب على البحرين أن تقنع بعض المسئولين فى الدوائر الأجنبية فى المنطقة -مثل شركة الهند الشرقية البريطانية .. بأن البحرين تابعة لفارس .. إلا أن الشركة بعد أن درست وضع البحرين رأت أنها ليست تحت السيادة الفارسية حتى عندما كان «مير ناصر» -كبير مطاريش بو شهر- يسيطر على البحرين سنة ١٧٥٢[١٩].

من مظاهر حركة الهجرة العربية الواسعة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر هجرة عشائر كعب من داخل العراق إلى أطرافه الواقعة فى سهول عربستان. ونجحت إقامتهم وأقاموا لأنفسهم مدينة أطلق عليها «الدورق»، وأقاموا لأنفسهم إمارة راغبة عن أى من السيادة العثمانية أو الفارسية ولكن نشاط هذه العشيرة كان يضر بالتجارة الفارسية وتجارة البصرة بسبب عمليات التهريب عن طريق كعب إلى داخل فارس والعراق، ولأن السفن التجارية كانت تفضل الرسو فى «نهر قارون» دون شط العرب «البصرة» بسبب سهولة التعامل مع كعب وصعوبته مع السلطات الإدارية العثمانية فى «البصرة».

ونمت مشيخة كعب وسيطرت من وقت لآخر على الملاحة فى شط العرب، وسعت إلى تحصيل الضرائب من الكويت حتى ردعها «آل الصباح»[٢٠]، فلا غرو -وأوضاع كعب على هذا النحو أن تعرضت كعب إلى حملات فارسية وعراقية- عثمانية وإنجليزية وكم من مرة تحالفت هذه الدول الكبرى الثلاث «فارس والعثمانية وانجلترا» ضد كعب فى حملات مشتركة بحرية وبرية[٢١].

وكانت من العوامل التى أسهمت فى أن تحافظ كعب على كيانها رغم تعدد وتحالف خصومها ضدها أن هؤلاء الخصوم كانوا متفقين فقط على قتال كعب ولكن كانوا لا يثق الطرف منهم فى الآخر، فالفرس يريدون التعاون مع النظام المملوكى - العثمانى فى العراق لوضع «كعب »تحت حكم الشاه ومماليك العراق يرون فى «كعب» قبيلة عربية امتدت وانتشرت وأن ما امتدت إليه ما هو إلا أرض عراقية تابعة لهم.

وكان الإنجليز يدركون تلك النوايا ويعانون من سيطرة «كعب» على الملاحة فى شط العرب وفى قمة الخليج فكانوا يعملون على كسر شوكة «كعب» خاصة فى المجال البحرى ويعملون فى نفس الوقت على ان يكون هناك توازن بين القوى المتصارعة هناك «الفرس/المماليك-العثمانيين/عمان»[٢٢] وهو توازن لصالح المستعمرين على حساب الفرس والعرب على حد سواء.

في هذه الظروف انقضت القوات الفارسية على البصرة سنة ١٧٧٦ وحاصرتها، واستنجدت البصرة بأكبر قوة بحرية عربية حينذاك ونعني بها سلطنة مسقط وعمان.

فقد كانت دولة البوسعيد في عمان ترى أنها هي صاحبة اليد العليا في الخليج، وأن مصداقيتها أصبحت موضع اختبار .. ولهذا بعث سلطان مسقط بأسطول إلى البصره وقام هناك بدور بطولي ضد الفرس جعل السلطان العثماني يرصد لعمان مكافأة مالية.

حقيقة أسهمت بعض القبائل العربية في الدفاع عن البصره مثل قبائل «المنتفق» و«بني خالد»، وكانتا تشكلان الجزء الأكبر من قوة الدفاع عن المدينة، ولكنها كانت مقاومة على الطريقة القبلية التقليدية التي لا تحسم موقفاً ولو أحرزت نصرا .. وكان هذا التعاون بين المنتفق وبني خالد مع سليمان أغا -متسلم البصرة (١٧٧٦)- يرجع إلى مقت المنتفق الشديد للفرس، ولأن وقوع البصره في يد فارس يمثل تهديداً خطيراً لاقتصاديات وكيان المنتفق وفيه نصر مؤزر لعشيرة كعب عدوة المنتفق[٢٣] فلا غرو أن استمرت عشائر المنتفق في كفاحها ضد الفرس عند البصرة منذ حصارها وسقوطها في يد صادق خان قائد الحملة الفارسية في ١٦ ابريل ١٧٧٦ حتى جلاء الفرس عنها في ١٧٧٩.

وقد لوحظ على سياسة «صادق خان» هذا أنها كانت استمرارا لسياسة الشاهات الكبار الفرس السابقين من حيث العمل على كسب الدول الكبرى إلى جانب فارس للتوسع في المشرق أو لتثبيت التوسع الفارسي ولضرب عمان بصفة خاصة. فقد قدم «صادق خان» إلى الإنجليز والفرنسيين امتيازات مغرية لتوجيه ضربة إلى عمان تقضي على قدراتها في منافسة فارس في الخليج .. ولكن لم يلبث أن اضطر «صادق خان» إلى الانسحاب من البصرة عائدا إلى فارس لينافس الآخرين هناك على عرش بلاده في أعقاب وفاة اخيه «كريم خان الزند» (١٧٧٩)[٢٤].

وهكذا لعبت الأحوال الداخلية في فارس أدواراً رئيسية في خروج الفرس من العراق ومن الخليج الأمر الذي يؤكد عجز القوى العربية عن مواجهة فارس إذا ما ظهر فيها حاكم قوى قادر على تنظيم قوى فارس.

كان لسقوط البصرة في يد الفرس عدة نتائج أهمها:

١- «هجرة عدد من التجار إلى الكويت، وخروج عدد آخر من التجار من الكويت إلى الزبارة في قطر لعدم شعورهم بالأمن حتى في الكويت، وأدى هذا بدوره إلى نمو التجارة

والازدهار بشكل عام فى هذين الميناءين العربيين».. الأمر الذى لفت أنظار الفرس خاصة إلى «الزباره» فحاولوا الاستيلاء عليها ولكن فشلت جهودهم بسبب المقاومة العربية، حتى استقر فيها «آل خليفة» وأخذوا فى التوسع إذ ضموا من بعد ذلك البحرين(٢٥).

٢- تصاعد الأزمة بين كعب وبوشهر وعمان والقواسم وهرمز .. وأعطت هذه الظروف والفوضى التى اجتاحت فارس خلال الفترة التى تلت وفاة «كريم خان» حتى توطيد حكم الأسرة «القاجارية» - فرصة واسعة لأن يصبح العرب هم أصحاب اليد العليا فى الخليج وأن يصبحوا هم الأكثر نشاطا، خاصة بعد نجاح حركة الإصلاح السلفية على الطريقة الحنبلية الوهابية فى توحيد قلب الجزيرة العربية وانطلاق قوى هذه الحركة العقائدية والعسكرية على يد القبائل العربية المطلة على الخليج .. الأمر الذى أوجد تناقضا جديدا أضيف إلى التناقضات السابقة، اذ كانت الرؤى المتبادلة «الفارسية والوهابية» مليئة بانعدام الثقة وعدم الاحترام، ولذلك كانت مواقع الصدام القليلة بين «الوهابيين والشيعة» تعبر عن ما كان يجيش فى النفوس من كراهية متبادلة ومن ذلك أن «الوهابيين» عندما انقضوا على «كربلاء» فى ١٨٠١ اصابوها بأشد الأضرار(٢٦).

كانت فارس مستعدة لأن تخوض الحرب ضد الحركة الإصلاحية السلفية، ولقد عرضت فارس فعلا على السلطات الحاكمة فى العراق أن تبعث بقواتها لقتال «الموحدين» فى قلب الجزيرة العربية، ولكن نظرا لأن هذا يعنى فتح طريق برى بين فارس والجزيرة العربية، وإمكانية تحويل القوات الفارسية إلى الهدف الشيعى الأسمى ألا وهو احتلال العراق بما فيه من عتبات مقدسة، فقد تفادت السلطات الحاكمة العثمانية فتح المحادثات بهذا الصدد(٢٧).

كما أن الحركة الوهابية تطلعت إلى أن تسيطر سيطرة مباشرة أو غير مباشرة على العراق وعلى مشيخات ساحل الخليج وعلى عمان، ولقد كسبت الحركة الوهابية أنصارا بين القواسم وتقدمت قواتها فى غرب العراق لكنها لم تستطع أن توحد الخليج مع العراق تحت قيادتها، بل تنافست كل من إمامة «آل سعود» وسلطنة مسقط على من تكون له اليد العليا والكلمة المسموعة فى الخليج دون فارس.

ومن ثم يمكن القول إن الإصلاح على الطريقة السلفية، والتبشير للإسلام على الطريقة الشيعية، والسياسيات الاقليمية التوسعية لتحقيق أهداف فارسية، ومثيلتها السياسيات

العربية الإقليمية على الطريقة السعودية، ومثيلتها السياسة الإقليمية العثمانية للسيطرة على الخليج، وكلها كانت سياسات سامية لدى كل طرف من هذه الأطراف ولكنها أدت فيما ادت إليه إلى اسوأ نتيجة ألا وهى التمهيد لأن تصبح الكلمة العليا فى الخليج للأسطول البريطانى المدافع عن المصالح البريطانية الامبريالية هناك بل لقد أصبحت هذه القوة البحرية الاستعمارية أمل فارس فى الاستيلاء على مسقط وأصبحت كذلك أمل عمان فى الاستيلاء على البحرين وما كان الانجليز ليعطوا الفرصة لتحقيق أى من الهدفين إذ كانت عيون الانجليز على المنطقة بأسرها لتضعها تحت سيطرتها المباشرة أو غير المباشرة(٢٨).

وبينما كانت العلاقات الفارسية - العربية على ذلك النحو من التنافس العنيف فى الخليج ومن المحاولات الفارسية لضم ما يمكن ضمه من أراضى العراق، كانت فرنسا سواء فى عهد لويس الرابع عشر أو فى عهد الثورة الفرنسية تفكر بجدية فى أن تضع قدما استعمارية فى مصر، وان تحول التجارة العالمية بين الشرق والغرب عبرها، ودخل هذا المشروع حيز التنفيذ على يد القائد العسكرى المنتصر الطموح «نابليون بونابرت»، إذ خطط للحملة الفرنسية الشهيرة على مصر (١٨٩٨) وعينه على شريف مكة وسلطان عمان والهند .. ولم تلبث -بطبيعة الحال- أن دخلت فارس فى مخططات «نابليون بونابرت» وانعكس كل هذا على العلاقات الفارسية - العربية.

فقد كاتب «بونابرت» كلا من شريف مكة وسلطان مسقط وتيپو الحاكم الاسلامى لميسور فى الهند عله يعقد شبكة من التحالفات تسهم فى إسقاط الامبراطورية البريطانية، ونظرا لأن سلطان مسقط تصور أنه بالتعاون مع فرنسا «الفتية» يستطيع أن يحقق أهدافه فى الخليج وغيره، فقد ردت شركة الهند الشرقية البريطانية على ذلك بأن أعطت دفعات قوية للعلاقات الفارسية الإنجليزية إذ عقدت مع فارس اتفاقية تعاون مع الانجليز ضد فرنسا فى ١٨٠١(٢٩) - وان يأخذ الانجليز جانب الدعاوى الفارسية بتبعية مسقط للشاه، ومع أن سلطان مسقط زاد اندفاعا نحو فرنسا .. حتى لقد عقد اتفاقية معها إلا ان الصورة الحقيقية لفرنسا ولقدراتها المحدودة فى الشرق أخذت تتضح للسلطان العمانى فأخذ يتراجع عن سياسة التعاون مع فرنسا متجهاً إلى التفاهم مع الإنجليز، وإبداء حسن النوايا نحو المصالح البريطانية فى الموانى الفارسية الواقعة تحت الإدارة المسقطية مثل «بندر عباس وهرمز»، ويمكن القول انه منذ هذه

الفترة أخذت التوجيهات البريطانية للسطان العمانى تتجه نحو أن تصبح «نصائح ملزمه». واصبحت السياسة البريطانية نحو الحفاظ على السيادة الفارسية على الساحل الشرقى للخليج أكثر وضوحا عن ذى قبل.

تجدر الملاحظة هنا أنه حتى أواخر القرن الثامن عشر كانت العصبيات المحلية على الساحل الفارسى مثل «الحولة» و«آل مدكور» كانوا من أدوات الشاه فى فرض السيادة الفارسية على الساحل الغربى «العربى» وخاصة على البحرين، وعندما عنيت الحكومة الفارسية القاجارية بفرض سلطتها المركزية على الساحل تضاءل دور تلك العصبيات العربية على الساحل الفارسى فى العمل على فرض السيادة الفارسية وأصبح هذا الدور من مسئوليات الحكومة الفارسية إدارتها المركزية وجيشها الفارسى واختفى الدور العربى على الساحل الفارسى إلى حد كبير ابتداء من أوائل القرن التاسع عشر.

وظلت فارس متعلقة بآمال الاستيلاء على البحرين طوال السنوات التالية وحتى عهد ثورة «خمينى» فى إيران .. ولاشك أن وجود كتلة بشرية شيعية فى البحرين كان من بين العوامل التى كانت تبقى تلك الآمال متأججة على اعتبار أن كل من هو شيعى فهو فارسى.. وإلى جانب ذلك كان الفرس يرددون أسانيد تاريخية لا للمطالبة بالبحرين بل كذلك بمعظم سواحل الخليج العربى.

ولكن ماذا فعلت فارس عندما دهمت حملة بريطانية كبرى المشيخات البحرية العربية وخاصة رأس الخيمة فى ١٨٠٦ وفى ١٨١٩، وفرضت ما عرف بمعاهدات الحماية فى ١٨٢٠ وارتبطت البحرين بتلك المعاهدات مثل غيرها من مشيخات الساحل المتصالح Trucial Coast؛ كل ما فعلته فارس هو الاحتجاج على إقدام الإنجليز -وحليفهم سلطان مسقط- على الاعتداء على هذه البلاد التى تدعى فارس تبعيتها لها، وتوقف الأمر عند هذا الحد.

ورغم هذا العدوان البريطانى، ورغم تلك المعاهدات المقيدة لنشاط هذه المشيخات، ورغم أن هذه المشيخات أصبحت ملزمة إلزاماً صارماً بنصائح الإنجليز لها، فقد كانت السياسة البريطانية تحافظ على الكيان المشيخى لكل مدينة ميناء تحكمها أسرة عربية على طول ذلك الساحل المهادن وكان هذا النظام صورة للنظام القطرى، وكانت النظرية القطرية هى نظرية العصر، وبالتالى كان دعم انجلترا للنظرية القطرية يجعلها أمل المشايخ الحكام فى تثبيت

حكمهم فى مواجهة النظريات الإقليمية التى تطبقها فارس وعمان والسعودية.

فإذا كان الفرس قد تجنبوا استخدام القوة فى الاستيلاء على «البحرين» لأنهم كانوا يدركون تمام الإدراك ان لا قبل لهم بالقوة الاستعمارية البريطانية، فقد كانوا يعدون العدة للاستيلاء بالقوة على العراق لأن لهم المقدرة على غزو العراق وطرد العثمانيين منه وضمه إلى فارس.

وأسهمت التطورات الدولية والشرق أوسطية فى تحرك فارس عسكرياً لضم العراق.. فخلال العقود الأخيرة من القرن الثامن عشر وحتى أوائل القرن التاسع عشر كانت فارس تتلقى الضربة تلو الضربة من جانب روسيا ، حتى فرضت روسيا فى سنة ١٨١٣ معاهدة «كلستان/مدكة» المذلة، حتى لقد وصفت فارس بعدها أنها كادت أن تصبح تابعة لروسيا[٣٠] وأصبحت التوجيهات والنصائح الروسية للشاه وأدارته على جانب كبير جداً من الاهمية والتقدير .. الأمر الذى أدى إلى انعكاسات كثيرة على العلاقات الفارسية العربية .. ولقد أسهمت هزيمة الفرس أمام الروس وفرض معاهدة «كلستان» تلك إلى أن يفقد الفرس آمالهم فى أن يستعيدوا الأراضى التى اغتصبها منهم الروس، وبذلك ركز الفرس لتحقيق سياستهم الإقليمة على التوسع فى اتجاهين خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر: التوسع فى اتجاه العراق والتوسع فى اتجاه أفغانستان.. وكان التوسع الفارسى فى اتجاه العراق على هوى روسيا ، وتجلى ذلك فى البعثة التى أرسلها القيصر الروسى إلى الشاه برئاسة الجنرال «يارمولوف» -القائد العام للقوقاز فقد أبدى هذا الجنرال تصلبا كاملا إزاء استرداد فارس أية قطعة أرض سبق لروسيا أن استولت عليها من فارس، ولوح للشاه أن القيصر مستعد لعقد تحالف معه ضد الدولة العثمانية، ومستعد لتزويد القوات الفارسية المسلحة بالضباط والقيادات اللازمة لها.

حقيقة عادت هذه البعثة إلى روسيا دون أن تحقق تلك الأهداف ولكن كان لتلميحات الروس للفرس بإمكانية التوسع على حساب العراق الصدى القوى فى دوائر طهران الحاكمة .. ومما ساعد على ذلك أن الشاه منح حكم الولايات الفارسية إلى أمراء طموحين، وكان لهم من حرية العمل والانطلاق ما حولهم إلى قوة ضاغطة على العراق .. وأبرز هؤلاء كان أمير «كرمنشاه».

فقد نشط حاكم «كرمنتشاه» فى اجتذاب الأعوان والأنصار من الزعامات الكردية والعربية العراقية وأخذ يشغل وإلى بغداد بالمؤامرة تلو المؤامرة، وعمل على أن يضغط على «محمود بابان» حاكم السلمانية ونجح فى إرغامه على أن يتخلى عن تعاونه مع «داود باشا» والى بغداد .. وحاول «داود باشا» بالترغيب والتهديد أن يبعد «محمود بابان» عن الفرس، حتى لقد استولت قوات «داود باشا» على «كوى» و«حرير» وسلمتها إلى الأمير «حسن بابان» المتطلع إلى إمارة السليمانية .. فما كان من «محمود بابان» الا ان استنجد بأمير كرمنشاه، فكانت الفرصة التى ينتظرها وأخذ يحشد قواته لغزو العراق(٣١).

كانت استعدادات الشاهزا ده محمد على -حاكم كرمنشاه- لغزو العراق تستند إلى أسلوب حديث فى التسليح كان قد أدخلته الحكومة الفارسية بعد أن تلقت هذه الحكومة دروسا قاسية خاصة على يد الروس فى المعارك التى خاضها ضدهم الفرس بأسلحتهم التقليدية .. فحدث الفرس جيشهم وشرعوا فى استخدامه ضد العراق.

كانت إمكانيات الشاهزاده محمد على تمكنه من اجتياح العراق والتقدم داخله صوب بغداد بينما كان الشاهزاده عباس ميرزا يستعد لفتح جبهة جديدة على العثمانيين فى المناطق الشمالية الواقعة بين إيران وتركيا .. ومن خلف الأميرين كان جيش كبير تحت قيادة والدهما فتح على شاه مستعد لخوض حرب كبيرة ضد الدولة العثمانية.

فماذا كانت قدرات العراق القتالية؟

لقد كان ولاة العراق غير قادرين على تشكيل جيش قوى عراقى وكانت التمردات الداخلية بين العشائر العربية وبين الاكراد تشغل الولاه وتجعل الجبهة الداخلية العراقية مفككة مفتوحة أمام الغزاة، فبينما كان فى استطاعة الفرس أن يكسبوا الأعوان الأقوياء من داخل العراق كان هذا متعذرا على سلطات بغداد وإلى جانب هذا كان القنصل البريطانى فى بغداد -كلاوديوس جيمس ريتش- يرى أنه من مصلحته ومن مصلحة دولته أن يستولى الفرس على العراق رغم أن ذلك الموقف من هذا القنصل كان يتعارض مع السياسة التى تنتهجها دولته بريطانيا .. إذا كانت ضد ضم فارس للعراق على اعتبار أن ذلك يؤدى إلى اختلال خطر فى التوازن فى المنطقة يضر بمصالح بريطانيا الإمبريالية.

وشن الفرس هجومهم على العراق .. وسرعان ما أخذت القوى المدافعة عنه تنهار أمام الزحف الفارسى فى عمق العراق من جهتين إحداهما فى الشمال عبر كردستان والثانية فى الوسط فى اتجاه بغداد، وتحركت فى أعقاب ذلك بعض المجتمعات الشيعية فى العراق ثائره على الحكم المملوكى القائم حينذاك، وعلى سبيل المثال تمرد شيعة النجف وكربلاء والحلة وتمردات «كعب» الشيعية فى عربستان(٣٢).

ونلاحظ أن فارس فى بداية الحرب للاستيلاء على العراق ركزت جهودها على ضم كردستان، وفعلا أحرزت القوات الفارسية انتصاراً كبيراً على قوات وإلى بغداد «داود باشا» فى معركة ٢٠ ذى الحجة ١٢٣٦ (أغسطس ١٨٢١) .. وأخذت القوات الفارسية تتقدم فى جهة أخرى فى وسط العراق نحو بغداد وضربت حولها الحصار، ودعا داود باشا العشائر العربية إلى خوض المعركة فيما وراء بغداد، وكان من أبرز العشائر العراقية التى قاتلت الفرس خلال محنة العراق عشيرة «شمر الجربا» وكان على رأس عشائر شمر حينذاك شخصية عشائرية فذة، ونعنى بذلك صفوق الفارس الجربا وكانت عزيمته صادقة فعلا فى قتال القوات الفارسية الغازية للعراق(٣٣).

ونظرا لأن التطورات العسكرية فى جبهات القتال كانت لصالح فارس وأن الحصار الذى ضربه الجيش الفارسى حول بغداد كان يؤكد على ضعف بغداد عن الصمود لفترة طويلة ونظرا لأن الدولة العثمانية كانت منشغلة بمشكلات معقدة فى البلقان أدت إلى الثورة اليونانية (١٨٢١)، فقد ركزت الحكومة العثمانية جهودها العسكرية فى الجبهة الشمالية ودعت محمد على باشا والى مصر - إلى إنقاذ بغداد من الفرس.

وكان محمد على باشا قد شعر أن السلطان العثمانى على وشك أن يكلفه بمهمة إنقاذ بغداد المحاصرة فكتب إلى ابنه ابراهيم باشا وكان يقوم بعمليات فتح السودان - يقول:(٣٤).

«إن عباس مرزا قد نقض العهد واعلن الحرب ... «وإنه» قد نفخ فى بوق الحرب ضد العجم .. غير أنه لما كان أمر تأدية هذه الخدمات وتشويه هذه المصالح متوقفاً على وجود العساكر الوفيرة فالان همتك وإن أعز مأمولى لتتفضلوا بالمبادرة وتوجيه العناية إلى تحريك ابننا اسماعيل باشا ... و .... الدفتر دار ... للقيام بغزوات طيبة نافعة لكى ترسلوا هؤلاء السودانيين فى هذه الأيام على الوجه المطلوب.

ولقد كلف السلطان محمد على باشا فعلا فى ١٨٢٣ بأن يهب لنجدة العراق، ولكن محمد على تملص من هذه المهمة المكلفة والتى لم يكن مستعدا لها واكتفى بالتحفظ على الفرس المقيمين فى مصر.

ومن ثم يمكن القول إن مصر عبر العصور لم تكن لديها القدرة على الانطلاق شرقا حتى الحدود الفارسية العربية بينما استطاعت فارس أن تصل إلى مصر فى العصور القديمة أما ما كان بين فارس ومصر «الهلال الخصيب وشبه الجزيرة العربية» فقد كان العراق والخليج منطقة تسيطر عليها فارس من وقت لآخر، أما مصر فكانت تسيطر على الشام فى أوقات متفاوتة ومتقاربة، ولم يكن لمصر اية اتجاهات للتحالف مع الأجانب ضد فارس، بينما كانت لدى فارس فى أكثر من مرة اتجاهات للتحالف مع الأجانب ضد مصر.

ونظر لتفشى الأمراض فى الجيش الفارسى، فقد اضطر الفرس إلى الانسحاب والعودة إلى فارس، وفضلت الدولتان الاسلاميتان العودة إلى مائدة المفاوضات وتوصل الجانبان إلى معاهدة «ارضروم الأولى» (ذى الحجة ١٢٣٨/اغسطس ١٨٢٣) وتنص على المواد الرئيسية التالية بشأن العراق:

١- عدم تدخل أى من الدولتين الفارسية والعثمانية فى شئون الدولة الأخرى الداخلية وبذلك تكون فارس قد اعترفت نهائيا بأن العراق تحت السيادة العثمانية مع وجود خلافات حول حدود العراق مع فارس.

٢- إنشاء لجنة مشتركة لدراسة مشكلة العشائر التى تعبر الحدود لتصيف فى العراق ولتشتى فى فارس.

٣- الامتناع عن قبول اللاجئين من الطرف الآخر.

٤- إعفاء الحجاج الفرس إلى العتبات المقدسة الشيعية فى العراق من دفع أية ضرائب طالما أن ما يحملونه للاستخدامات الشخصية وليس للتجارة، أما فى حالة كونها بضائع تجارية فيجبى عليها ٤٪ من قيمتها.

إن ما ورد فى هذه المعاهدة لا يخرج كثيرا عما سبق أن ورد فى المعاهدات السابقة ابتداء من معاهدة سنة ١٦٣٩ والحقيقة أن العقلية الفارسية والعثمانية لم تكن قد ارتفعت بعد إلى مستوى تحديد الحدود على الطريقة الحديثة حينذاك فكان طبيعيا أن تندلع مشكلات الحدود

بعد وقت قصير من توقيع تلك المعاهدة، فلقد كان عدم الثقة متبادلا بين الطرفين، ومعنى هذا أن جذور الأزمة ظلت حية تنتظر الفرصة المواتية للنمو وفعلا لا تكاد تمر خمسة عشر عاما حتى شنت حكومة العراق العثمانية هجوما على المحمرة فى ١٨٣٨.

حملة على رضا باشا «والى بغداد» على المحمرة ١٨٣٧.

فى أعقاب التوسع المصرى فى الشام وعقد صلح «كوتاهية ١٨٣٣» وعقد معاهدة «خنكار سكله سى» فى تلك السنة بين الدولة العثمانية وروسيا دخل الشرق الأوسط فى تطورات كبرى جديدة زادت من حدتها المشروعات البريطانية الكبيرة لمد خطوط المواصلات الملاحية بالبواخر والطرق البرية عبر الشرق الادنى، فقد كان بعض تلك المشروعات يصل بين موانى بريطانيا بالسويدية على الساحل السورى وبيره جك على نهر الفرات وعلى طوله إلى شط العرب فالخليج وما وراءها وأبرزت تلك المشاريع أهمية «المحمرة»[٣٢] الميناء الحديث فى عربستان فى دائرة حكم شيوخ كعب الذين كانوا يتلاعبون بالحكام الفرس وبالإدارة العثمانية فى العراق، وحينذاك أيضا انطلقت فارس نحو الشرق على أمل احتلال أفغانستان فحاصرت «هرات» مفتاح هذه البلاد والمفتاح الشمالى للهند البريطانية.

ووجدت فارس فى الانتصارات المصرية على الدولة العثمانية فرصة للحصول على مكاسب فى المنطقة، وكانت الحكومتان العثمانية والإنجليزية على إدراك تام بتلك النوايا الفارسية فبعثت انجلترا بقطع حربية إلى نهر الفرات ونهر دجلة وشط العرب وإلى نهر قارون (١٨٣٧) وفى نفس العام شنت القوات العثمانية بقيادة والى بغداد «على رضا» حملة على عربستان. وتعتبر هذه الحملة معلما هاما فى تاريخ الصراع الفارسى -العراقى حول تبعية هذا الإقليم العربى: عربستانام خوزستان[٣٣].

ففارس كانت ترى أن الحملة ما هى الا عدوان على مدينة فارسية «المحمرة» وقالوا إن أى مطلب عراقى بشأنها قد دحضته ظروف تلك الحملة إذ استهدفت تدمير المدينة الميناء إنقاذا لاقتصاديات البصرة ولا يمكن لحاكم أن يدمر مدينة تابعة له لصالح مدينة أخرى تابعة له ايضا[٣٤].

ترتب على كل هذه التحركات أن أصبحت الفارسية أكثر حساسية بالنسبة لمنطقة

"عربستان".. وتجلى ذلك عندما حدث حين ذاك انشقاق بين الزعامة العربية فى منطقة عربستان:

- فقد اتجه الشيخ جابر "حاكم المحمرة" إلى التفاهم مع العثمانيين.
- بينما أصر الشيخ تامر "شيخ عشائر كعب" على التفاهم مع الفرس.

واننا نعتبر أن تبعية المحمرة وعشائر كعب كانت فى ذلك الوقت غير محددة، وأن المحمرة وكعب مارستا خلال فترة ليست بالقصيرة، سياسة خاصة بها دون أن تعطى فرصة لأى من السلطات العثمانية أو الفارسية لممارسة سيطرة مباشرة على "عربستان".. وكانت أهداف كعب فى المنطقة على حساب الطرفين العثمانى والفارسى ولصالح الإنجليز.

فقلد كانت السلطات الإنجليزية تفضل التعامل المباشر مع مثل هؤلاء الشيوخ الذين لا يرتبطون بوضوح برباط التبعية المباشرة بأية من الدولتين الاسلاميتين الكبيرتين "الدولة العثمانية والدولة الفارسية". وحيث إن مشيخة كعب على أطراف الدولة العثمانية فيمكن السيطرة عليها بنفس الطريقة التى سيطر بها الإنجليز على مشيخات الخليج العربى "ساحل الصلح" أو الساحل المهادن ابتداء من ١٨٢٠ وعن طريق دفع هذه المشيخة إلى الاستقلال فيصبح شيخ المحمرة قادرا على التعامل المباشر مع السلطات البريطانية فضلا عن أن مثل هذه المشيخة الصغيرة ستصبح معرضة لضغط شديد من جانب الفرس والعثمانيين فتجد الإنجليز مستعدين لمد يد الدعم لها باسم المحافظة على استقلالها.

حينذاك كان هناك نوع من التحالف غير الموقع بين الدولة العثمانية وبريطانيا لمواجهة تصاعد القوة المصرية فى المشرف العربى. وكانت هناك تعليمات إلى السلطات العثمانية بالتعاون مع الإنجليز أو على الأقل غض الطرف عن ممارساتهم غير المقبولة، ولكن غير المقبولة فى بعض أجزاء الدولة العثمانية، وفعلا طلب متسلم البصرة من الشيخ جابر تسهيل إقامة مخزن للإنجليز فى المحمرة.. لكن الشيخ جابر رد بعنف على هذه الرسالة بل وأعلن أنه يتبع الشاه لا السلطات العثمانية[٣٨].

فى أعقاب تلك الأحداث الكبرى التى وقعت بين حملة على رضا المحمرة (١٨٣٧)، وانسحاب القوات المصرية من نواحى الإحساء (١٨٣٩-١٨٤٠) وجهت السلطات الفارسية عنايتها إلى أهمية اتباع سياسة إيجابية نحو كعب والمحمرة.. ويبدو أن هذا التحرك الفارسى

وجد استجابة من جانب السلطات البريطانية لأن مسئولين كبار عن المصالح البريطانيه فى منطقة الخليج والعراق -من أمثال كيرزون(٣٩) رأوا أنه من مصلحة بريطانية توزيع السلطة فى منطقة عربستان بين الدولتين العثمانية والفارسية.. أى ألا تصبح عربستان تحت سلطة واحدة، وقد عبر كيرزون عن ذلك فى رسالة بعث بها إلى ستراتفورد كاننج -سفير بريطانيا فى الاستانه- ذكر فيها أنه فى حالة وضع شط العرب داخل الدولة العثمانية تكون انجلترا قد ضمنت تدفق سفنها فى أنهار فارس على "أساس حرية الملاحة الفارسية فى كافة مصبات الانهار فى الخليج العربى" وهذا اتجاه بريطانى نحو تدويل شط العرب ونهر الحفار.. وهو وضع ملائم كل الملائمة للمصالح البريطانية(٤٠).

هذه السياسة البريطانية توضح لنا النشاط الفارسى فى ١٨٤١ إزاء كعب والمحمرة.. ففى تلك السنة شنت فارس حملة بقيادة "معتمد الدولة" على عربستان، وبدأ الضغط الفارسى يطلب أموالاً كبيرة من "ثامر" شيخ عشائر كعب، فلما وافق "ثامر" على إشباع شره السلطات الفارسية اتجهت هذه إلى أن تفرض التبعية على "ثامر" فلم يستطع الأخير أن يصمد أمام قوة فارس المتفوقة ووقفت سلطات البصرة العثمانية وعشائر المنتفق متعاطفة مع "ثامر" دون أن تقدم له الدعم العسكرى المناسب، ففر ثامر إلى العراق بينما سيطر الفرس على عربستان(٤١).

ومن هناك من البصرة أخذ ثامر يعمل على استعادة مركزه بمساعدة السلطات العثمانية، واشتد جانب ثامر بإسناد ولاية بغداد إلى نجيب باشا الذى كان مكلفا بتقوية قبضة العثمانيين على كل بقعة كانت فيها سلطتهم ضعيفة أو مشكوكاً فيها.

كان هذا الضغط الجديد وتلاعب الشيخ جابر بالسلطات الفارسية من العوامل التى جعلت الفرس يعملون على الحد من نشاط العثمانيين.. فقد هدد الشيخ جابر وقد شعر بوطأة التسلط الفارسى -بأن يغادر بعشائره أرض عربستان، وهو أمر يهدد بأن تصبح المنطقة أشبه بمنطقة فراغ.. الأمر الذى ينزع من الفرس بعض الحجج القوية التى يعتمدون عليها فى إثبات تبعية عربستان لهم.. ولهذا كان الفرس على نوع من المرونة مع الشيخ جابر وأبقوه هو وعشائره فى عربستان، وهددت فارس باحتلال البحرين والكويت، وكانت لفارس مطالب قديمة فى البحرين ولكن لم يكن لهامثلها بالنسبة للكويت وطالبت فارس بلواء السليمانية وبعربستان حتى القرنه ملتقى نهرى دجلة والفرات.. فردت السلطات العثمانية بدعوة عشائرالمنتفق وبنى لام والبابانيين للاستعداد لمواجهة حرب قد يشنها الفرس على البلاد.

فى نفس العام الذى شن فيه على رضا حملة ضد المحمرة، قام الانجليز بحملة استولت على جزيرة "خرج" وهى حملة ارتبطت بالموقف الدولى العام المنعقد فى الشرق الأوسط خلال السنوات الأخيرة من الثلاثينيات التى شهدت تطورات جوهرية فى العلاقات الفارسية العثمانية المصرية الانجليزية الفرنسية الروسية.. انعكست بشدة على منازعات الحدود العراقية-الايرانية.

فقد كان للفرس أهداف توسعية فى أفغانستان خطط لها شاهات فارس، ونظرا للفوضى التى كانت تعم أفغانستان وتصاعد الأطماع الانجليزية والروسية فى هذا البلد الاسلامى اتجه الشاه إلى إنقاذ أفغانستان وإلى السيطرة على هذه البلاد الاسلامية حتى لا يعرض بلاده من بعد لخطر امتداد الأطماع الأجنبية إلى فارس من تلك الجبهة الشرقية، على نحو ما صارت إليه الهند الأسلامية على يد الانجليز. فأرسلت فارس قواتها إلى هراه وحاصرتها.. فتحرك الإنجليز دفاعا عن مصالحهم فى الهند والشرق الأوسط- ضد هذا التحرك الفارسى فى أفغانستان واستولت على جزيرة خرج (١٨٣٨).

وحينذاك كانت قد دخلت الأزمة بين محمد على باشا -والى مصر- والسلطان العثمانى محمود الثانى فى مرحلة الأزمة الحاسمة فى ١٨٣٩.. وأصبح الصدام متوقعا، وفعلا دارت معركة نزيب، يونيو ١٨٣٩ وانتصر فيها الجيش المصرى انتصارا حاسما،

ويبدو أن شيخ البحرين كان قد استند إلى شاه فارس لمواجهة الخطوات الجريئة التى أقدم عليها خورشيد -قائد القوات المصرية فى شرق الجزيرة العربية- فما كان من خورشيد إلا أن هدده بإنزال قواته إلى البحرين فقبل الشيخ أن يكون تابعا لنجد تحت المظلة المصرية وعقد اتفاقية مع خورشيد بهذا المعنى،

فاثارت هذه الاتفاقية ثائرة فارس والانجليز وكان الضغط على خورشيد شديدا حتى لقد قال: "إن كان من غير الممكن بقاؤها "أى البحرين" فى حوزتنا، فلا أقل من أن تبقى لا لنا ولا للانجليز والأولى أن تترك مستقلة لآل خليفة"(٤٢).

أما فارس فاكتفت بالوقوف متفرجة على تحرك الأسطول الإنجليزى فى مياه البحرين حتى أرغم شيخ البحرين على التنصل من اتفاقيته مع خورشيد: وأن يستمر تحت الحماية البريطانية.

وهكذا كان خورشيد يدرك حقيقة الأهداف الفارسية والبريطانية، وكان يسعى إلى إحباطها، ولكن الرقعة كانت قد اتسعت على مصر وتكاثر عليها الأعداء، ولم تدرك الدولة الكبرى الاسلامية بعد نظر السياسة المصرية التى استهدفت إيقاظ أمة العرب وتحديثها.

وفى هذه الظروف بعث شاه ايران إلى محمد على باشا برسالة هى بمثابة جس نبض لإمكانية التعاون ضد الخصوم والأعداء لكل منهما.. ولقد كان خصوم وأعداء الشاه هم أنفسهم تقريبا خصوم وأعداء محمد على.

كتب الشاه إلى محمد على يقول له:

"إن تقوية الجامعة الاسلامية، وإحكام رابطة الصداقة والمودة المنوطة باتحاد الافكار والآراء... وإنه إذا اقتضت المصلحة بمطالبتنا بأى تعضيد ومظاهرة فإننا مستعدون لادائها(٤٢).

ولكن هذه العروض وقفت عند هذا الحد حيث لم يكن فى استطاعة الشاه أن يتحرك تحركا إيجابيا بالتعاون مع مصر.

والواقع أن الانجليز كانوا يخشون من تحرك الفوات المصرية من قواعدها فى شبه الجزيرة العربيتصوب البصرة، ومن هناك يمكن إقامة اتصال مباشر بين الفرس والمصريين وبالتالى وضع المنطقة فى ظروف دولية بالغة التعقيد.. ومن أمثلة التوقعات الخطرة التى أطلقها الإنجليز أنه لو حدث مثل هذا الاتصال المباشر بين الفرس والمصريين فقد يؤدى ذلك إلى تحرك مضاد روسى قد يفتح طريق الاناضول أمام القوات الروسية وقد يفتح طريق العراق أمام الفرس.

وقد نفذ الإنجليز مخططاتهم لمواجهة مثل هذه التطورات على النحو التالى:

١- تعاونت كل من الحكومتين العثمانية والبريطانية على شن حملة دعاية ضد فارس، وتحذيرها من أى تحرك نحو العراق سواء كان هذا التحرك بمظهر سياسى دينى أو عسكرى وحثت حكومه الاستانه محمد على -باسم التضامن- أن يتعاون الطرفان المصرى- العثمانى ضد ما يبيته الفرس من تدبير هجوم على بغداد باسباب مصطنعه وأن الأمر قد يؤدى إلى حرب بين الدولتين العثمانية والايرانية".

٢- بعث بالمرستون -وزير خارجية بريطانيا- برسالة إلى الشاه ينصحه ويحذره من انتهاز فرصة ضعف الدولة العثمانية لمهاجمة العراق وحذر الشاه من اللجوء إلى السلاح فى هذه الظروف لتسوية المشكلات العراقية -الفارسية، وأن مثل هذه المشكلات يمكن أن تحل على

مائدة المفاوضات (٤٤).ولم يلبث الانجليز أن سووا مشكلاتهم مع فارس بسبب "هراه" وانسحب الانجليز من "خرج"سنة ١٨٤٢.

أزمة كربلاء ١٨٤٢:

- فى أعقاب انتهاء أزمة التوسع المصرى فى المشرق العربى أدركت الدولة العثمانية أنها لابد وأن تبذل جهداً أكبر فى سبيل تقوية قبضتها على الولايات العثمانية وأن تسيطر بقوة على العصبيات المحلية المشكوك فى ولائها للدولة العثمانية ولذلك كان من بين التعليمات التى وجهت إلى نجيب باشا الذى تولى بغداد من ١٨٤٢ إلى ١٨٤٧ أن يفرض الإرادة والإدارة العثمانية على كربلاء والنجف.

حقيقة كان من الأمور التى لا جدال فيها أن نجف وكربلاء والكاظمية - العتبات المقدسة الشيعية - تحت السيادة العثمانية.. ولكن العواطف القوية لدى الشعب الفارسى كانت تحث حكومة طهران على الاستيلاء على العراق من أجل أن تصبح العتبات المقدسة الشيعية تحت سيطرتهم المباشرة أو التوصل إلى هذه الغاية بطريقة أو بأخرى، ليذهبوا إليها حجاجاً وليدفنوا إن أمكن فى ثراها المقدس، وليقدموا النذور إليه بسخاء وليكون مجتهدو الشيعة الكبار المقيمون فى تلك العتبات تحت المظلة الفارسية.

ومن ناحية أخرى توافد العديد من المهاجرين الفرس إلى العتبات المقدسة وأقاموا فيها حباً وتبركاً، أو للدراسة والتفقه فى المذهب الشيعى تحت إشراف العديد من مجتهدى الشيعة المقيمين هناك.. وبعض الفرس هاجروا إلى العتبات المقدسة وإلى غيرها من المدن العراقية للعمل حتى فى أدنى مستوياته، وبعضهم اشتغل فى التجارة وأثرى وكون أسرات غنية معروفة.

وبتوالى الهجرات والإقامة فى العتبات الشيعية كاد الفرس أن يصبحون اكثرية فيها.. ومما لا جدال فيه أن الغالبية العظمى من سكان المدينة كانوا من الشيعة وكان رجال ونساء البلاط الفارسى وكبار رجال الدولة الفارسية يتباهون بما كانوا ينفقون على تحديد وإصلاح المنشآت الدينية فى العتبات المقدسة كما أن أئمة «النجف وكربلاء» كانوا إذا أعوزتهم الأموال طلبوها من الشاه وحكومته، وغالباً ما كانت مطالبهم تلبى أو تجمع التبرعات لتزويدهم بما يريدون،

الأمر الذى كان يقوى الثقة فى نفوس الشيعة هناك بأن الفرس شعباً وحكومة يقفون وراءهم إن أريد بهم شراً، وأن العلاقات النامية بين الشعب الفارسى والعتبات المقدسة مصدر ثرائهم.

وخلال فترة ضعف السلطة المركزية العثمانية قويت سلطات المتنفذين فى المدينتين حتى يمكن القول إن الإدارة فيهما أصبحت أشبه ما تكون بنوع من الجمهورية(٤٥) والواقع أنه لم يكن يربط بين هاتين المدينتين والإدارة فى العراق سوى الضريبة السنوية التى تدفعها كلما وقع ضغط عليهما.. وكم من مرة حاول ولاة العراق فرض حكمهم المباشر على المدينتين ولكن دون جدوى، كذلك استخدمت حكومة بغداد القوة المسلحة أكثر من مرة دون التوصل إلى هدفها.

وفى الثلاثينيات (ق١٩) - خلال أزمة الصراع العثمانى المصرى - خفت قبضة الحكومة العثمانية على المدينتين بينما سيطرت العصابات والجماعات الخارجة على القانون أو الفارين من وجه الولاة - على المدينتين، وتفشت الاضطرابات فيهما، وتعرض الحجاج الفرس لابتزاز تلك الجماعات، بل لقد انقسم كبار رجال الدين «المجتهدون» على أنفسهم، جماعة التفت حول الزعيم الدينى الكبير «كاظم الرشتى»(٤٦) بينما التفت جماعة أخرى حول زعيم دينى آخر هو «سيد ابراهيم القزوينى»(٤٧).

إن هذه الأوضاع التى أصبحت عليها «النجف وكربلاء» جعلتها ذات أهمية لدى المتطلعين إلى نفوذ فى العراق على حساب السلطات العثمانية، فلقد كان طبيعياً أن تكون أوضاع هاتين المدينتين تحت عين سلطات فارس باستمرار، أما بالنسبة لمصر فقد كانت حكومة محمد على تسعى إلى التعاون مع أية قوة مناهضة للعثمانيين خلال الثلاثينيات من (ق١٩).. فلا غرو أن أرسل «ابراهيم باشا» برسائل إلى النجف وكربلاء يشرح فيها أسباب الصراع مع الدولة العثمانية ويدعو سلطات المدينتين إلى التعاون معه.

حقيقة كانت ظروف على باشا رضا - والى بغداد من ١٨٣٠ إلى ١٨٤٠ والتطورات الجوهرية التى كانت تحدث فى المنطقة قد منعته من اتخاذ إجراءات قوية نحو السيطرة على هاتين المدينتين.. لكن بعد الانسحاب المصرى من المشرق اتجهت السلطات العثمانية إلى تقوية قبضتها على هاتين المدينتين وكان ذلك على يد «نجيب باشا» الذى تولى ولاية بغداد فى ١٨٤١.

وقد حاول نجيب باشا التوصل إلى وضع المدينتين تحت حكمه المباشر دون اللجوء إلى القوة

ولكن المتنفذين فى المدينتين أصروا على معاملة «نجيب باشا» وكأنه ممثل سلطة اجنبية فاستعد الوالى لاقتحام كربلاء بالقوة، فأخذ فى المدينة وأهلها فى تقوية وسائل الدفاع وحشد بعض القبائل استعداداً لصد هجوم القوات العثمانية.

ونظراً لأن «نجيب باشا» كان يدرك أن حملته على المدينتين المقدستين ستثير مشكلات معقدة على أعلى المستويات مع الدولة الفارسية، اتجه إلى توضيح أهدافه لدى كبار الشخصيات الفارسية فى العراق، وخاصة مع «الوكيل الفارسى»، كما عرض المسألة على القنصلين الإنجليزى والفرنسى(٤٨).

زحف «نجيب باشا» بقواته وضرب حصاراً حول «كربلاء» وبعد حوالى عشرين يوماً سقطت المدينة (١٣ يناير ١٨٤٣) ثم سعى إلى تحقيق نفس الهدف فى «النجف» وسيطر عليها هى الأخرى.

وهكذا أصبحت المدينتان المقدستان الشيعيتان تحت السيطرة المباشرة العثمانية فى العراق، ولم تستطع الدولة الفارسية أن تهب لمساعدة قوى المقاومة فيهما، وكل ما استطاعته هو أن ترفع من حدة التوتر مع الدولة العثمانية فأدى ذلك إلى أن أصبحت الدولتان الإسلاميتان على حافة الحرب.. الأمر الذى دعا بريطانيا وروسيا إلى إقناع الدولتين الاسلاميتين بطرح قضايا على مائدة المفاوضات.. فعقد مؤتمر «ارضروم ١٨٤٣».. وهو المؤتمر الذى ستظل آثاره ممتدة حتى الوقت الحاضر فيما يتعلق بمشكلات الحدود بين - فارس/ايران - والعراق.

معاهدة ارضروم الثانية ١٨٤٧:

١ - مؤتمر ارضروم ١٨٤٣-١٨٤٤.

٢ - المعاهدة.

١ - مؤتمر ارضروم ١٨٤٣-١٨٤٤.

لقد فرضت بريطانيا وروسيا نفسيهما كوسيطين لحل ما بين الدولتين الاسلاميتين الفارسية والعثمانية من مشكلات خاصة فيما يتعلق بالعراق وحدوده وعلاقات فارس والفرس .. وبينما لم تكن لدى الطرفين الاسلاميين خطط وخرائط أو مشروعات رسم خرائط للحدود كانت الدوائر البريطانية تدرس إمكانية وضع خط للحدود، وكان هنرى لايارد -الرحالة والمغامر

والدبلوماسى الانجليزى- أول من وضع تصورا لمستقبل الحدود الايرانية العراقية، ونلاحظ أنه فى مشروعه هذا وضع المحمرة داخل الاراضى العراقية، وجعل نهر "بهماشير"المنفذ الوحيد لفارس فى عربستان مؤكدا ان "الحفار" عبارة عن قناة صناعية معترضا على أى حق للدولة الفارسية فى الملاحة فى شط العرب، لأن نهر "بهماشير" -فى نظره- يسد حاجات الفرس كمنفذ لهم إلى الخليج العربى.

كان "ستراتفورد كانتج"(٤٩) السفير البريطانى لدى السلطان العثمانى -مقتنعا بوجهة نظر "لايارد"، ورشحه مندوبا لحكومته فى اللجنة الرباعية الدولية المنوط بها تحديد الحدود الايرانية -العراقية.. ولما علمت السلطات العثمانية بهذا الاتجاه لدى "كانتج ولايارد" ضغطت على الحكومة البريطانية لتأخذ برأيهما ولكن تحطمت كل المجهودات على صخرة معارضة ابردين(٥٠) وزير الخارجية البريطانى -إذ كان مقتنعا بوجهة النظر الفارسية التى تدعمها روسيا.. ويرجع ذلك الاتفاق فى الاتجاهات بين روسيا وانجلترا فى هذا الصدد إلى أن روسيا تدعم المطالب الفارسية كى تقوى نفوذها فى فارس، وكانت انجلترا فى نفس الوقت تخطط لفتح نهر كارون للملاحة الدولية وللمشروعات البريطانية التجارية فى جنوب شرقى فارس.

اتخذت لجنة الحدود مدينة "ارضروم" مقرا لها، وكان أول اجتماع للجنة فى ١٥ مايو ١٨٤٣، ولم تستمر الاعمال التحضيرية سوى أيام قليلة ثم توقفت بعدها أعمال هذه اللجنة بسبب حملة "نجيب باشا" على "كربلاء" وما ترتب عليها من اثرة الفرس ومن تقديمهم مذكرة بمطالب كثيرة معقدة، وتوترت العلاقات الفارسية مع السلطات العثمانية بصفة عامة والسلطات الحاكمة فى العراق.

كان من أهم مطالب الفرس:

١- أن يعلن الباب العالى عدم موافقته على حمله نجيب باشا على كربلاء وأن نجيب باشا لم يحصل على التصريح له بما أقدم عليه وأن يهدد بالعزل.

٢- أن يحكم العثمانيون بالعدل وأن يحافظوا على أرواح الناس والحجاج إلى العتبات المقدسة.

٣- أن يدفع السلطان العثمانى تعويضات مناسبة لمنكوبى كربلاء وأن يعاد ما تخرب فى العتبات المقدسة.

وكان من الطبيعى أن ترفض السلطات العثمانية هذه الطلبات، ولعب الطرفان الانجليزى والروسى دوراً هاما فى التقليل من مغالاة فارس فى مطالبها بأن تترك مشكلة "كربلاء" وتجلس إلى مائدة المفاوضات.. وبعد أن توصلت الدول الأربع إلى تصفيه أزمة "كربلاء" عادت لجنة الحدود إلى النظر فى مواد النزاع الرئيسية، وخاصة المطالب الفارسية التالية:

١- وقف نشاط الأمراء الفرس فى الأراضى العراقية ضد الشاه.

٢- حق اشتراك السلطات الفارسية فى تعيين حاكم على السليمانية.

٣- أن يكون من حق القناصل حماية الرعايا الفرس سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين.

٤- إعادة العشائر التى هاجرت إلى الأراضى العراقية.

٥- معاقبة العشائر العراقية التى تهاجم الاراضى الفارسية.

٦- دفع تعويضات عن:

ا- الخسائر التى ترتبت عن هجوم حاكم "مدينة راوندوز" على الأراضى الفارسية.

ب- الخسائر التى منى بها الفرس خلال أزمة كربلاء سنة ١٨٤٣.

جـ- الخسائر التى منى بها الفرس خلال حملة "على باشا" على "المحمرة" سنة ١٨٣٧.

٧- تسهيل الحج وحريته للفرس إلى العتبات المقدسة فى العراق وإلى الأراضى المقدسة فى الحجاز.

٨- إلغاء الضرائب المفروضة على دفن رفاة الفرس فى أراضى العتبات المقدسة، وعلى عبور الأنهار، أو دخول الخانات أو عند الحصول على جواز السفر (تذاكر السفر).

٩- إلغاء الضرائب الداخليه فيما عدا ضريبة قدرها ٤٪ تفرض على البضائع المصدره إلى الدولة العثمانية.

١٠- إلغاء كافة الضرائب غير الشرعية المفروضة على الدولة العثمانية.

١١-دفع متأخرات إيجار الرعى فى الأراضى الفارسية.

١٢- رفع القضايا بين الفرس والعثمانيين إلى محاكم تأخذ بالشريعة الإسلامية. وكانت الغالبية العظمى من القضايا متعلقة بالعراق.

١٣- القضايا التجارية ترفع إلى تلك المحاكم لا إلى المحاكم التجارية التى تطبق القوانين العثمانية الجديدة وكانت الغالبية العظمى من هذه القضايا التجارية متعلق بالعراق.

*** أما مطالب السلطان العثماني فتركزت فيما يلي :**

١- استعادة المحمره وزهاب.

٢- احترام المواد الواردة في معاهدات « ١٦٣٩ ١٧٤٧ ، ١٨٢٣ » ومعظمها متعلق بالعراق.

٣- تحديد تبعية العشائر النازلة على الحدود بين الدولتين خاصة بين فارس والعراق.

٤- إعادة العشائر العثمانية الموجودة في الأراضي الفارسية، ومعظم تلك العشائر عراقية.

٥- الاعتراف بتبعية عشائر سنجابي، والهورمان والكلهروالجاف والمحاسن ومنكور وبني لام للدولة العثمانية.

٦- أن يدفع الشاه تعويضات عن هجوم الفرس على لواء السليمانية.

٧- اعتراف الشاه بمعاهدة بلطة ليمان المعقودة بين الدولتين العثمانية والفارسية.

ونظرا لتطرف كل من المندوبين الفرس والعثمانيين وتصلبهم في مواقفهم فقد كانت الفرصة متاحة لأن تقدم أي من الدولتين على خطوات ضاغطة على الطرف الآخر، ومن ذلك أن السلطات العثمانية في « ١٨٤٦ » وضعت سفينة حربية عند مدخل (الحفار) لتحويل تيار السفن من المحمره إلى البصره، الا أن الانجليز ضغطوا على العثمانيين حتى سحبوا هذه السفينة فأصبح الطريق من الخليج إلى المحمره مفتوحا وهذا لم يكن في صالح الفرس قط بل في صالح بريطانيا أكثر(٥١).

واتجهت الدولتان الاسلاميتان والوسيطان الاوربيان نحو مناقشة أوجه الخلاف وأهمها :

١- العلاقات التجارية خاصة تلك التي كانت مع العراق.

٢- تسوية مشكلات الحدود وخاصة فيما يتعلق بعربستان والمناطق الكردية .. وتم ذلك في معاهدة « أرضروم الثانية » سنة ١٨٤٧ .

١- قضية حق التجارة الداخلية للفرس:

خلال القرن التاسع عشر وضح تماما أن الدولتين الاسلاميتين الفارسية والعثمانية وبما تحتها من بلاد عربية قد تخلفتا عن الدول الاوربية في المجالات الاقتصادية تخلفا جعلهما مصدرتين للخامات مستوردتين للإنتاج الحديث الاوربي، كما أن أساليب النقل الحديثة أصبحت في يد الاوربيين الأمر الذي جعل البلاد الاسلامية تعاني من الضغوط المتتالية عليها لفتح أنهارها

للملاحة البخارية ولمد خطوط السكك الحديدية ولإقامة الوكالات التجارية وفتح البلاد أمام النشاط الفردى والشركات الاوربية لصالح الاجنبى بشكل أساسى.

وفى مجال المقارنة بين حجم التجارة المتبادلة بين فارس والبلاد العربية سنركز على العراق. وقد كان الميزان التجارى لصالح فارس فقد كانت حكومات فارس اقدر على التحكم فى الأمور التجارية وتوجيهها من الإدارة فى ولاية بغداد.. واحد الاسباب الرئيسية فى ذلك أن ولاة بغداد كانوا يعينون لفترات قصيرة تحول دون وضع سياسة بعيدة النظر للعلاقات التجارية بين العراق وفارس مع تيار التجارة من كرمنشاه إلى العراق، وكان أقوى من تيار التجارة من العراق إلى كرمنشاه.

ومن ناحية أخرى كانت الجالية الفارسية فى العراق كبيرة وأكبر بكثير جداً من الجالية العربية فى فارس، حتى لقد أصبحت التجارة الفارسية مع العراق ورقة يلعب بها الفرس سياسيا، ومن ذلك كان الفرس يهددون بتحويل تيار الصادرات الفارسية إلى ميناء بوشهر (الفارسى) بدلا من ميناء البصرة كلما توترت العلاقات الفارسية العثمانية، مع أن التصدير الفارسى عبر شط العرب كان أكثر يسرا للفرس من التصدير عن طريق ميناء بوشهر[٥٢].

وكانت التجارة الفارسية تتم على يد التجار المحترفين وكذلك بواسطة قوافل الحجاج الفرس الشيعة وعدد كبير منهم كان ينفق من حصيلة ما كان يبيعه من بضائع يحملها معه خلال رحلة الحج أو خلال الإقامة فى العتبات المقدسة لأنهم كانوا يحملون معهم الكثير من البضائع وحتى أربعينيات القرن التاسع عشر كان التاجر أو الحاج الفارسى يبيع تجارته دون قيود ودون ضرائب.

ولكن منذ ذلك الوقت سعت السلطات فى العراق إلى تقوية قبضتها السياسية والإدارية وتطبيق نظم إدارية على نوع من الحداثة وفرضت الضرائب بدقة، وعاملت الحجاج الفرس معاملة التجار. فإذا ادخلنا فى اعتبارنا أن كثرة من الموظفين فى العراق مرتشون أصبحت الأوضاع الجديدة شديدة الوطأة على الفرس فى العراق، وشعر الفارسى بأنه مضطهد خاصة وأن الحكومة الفارسية كانت تؤيد بعض المطالب غير العادلة ومن ذلك تدخل الحكومة الفارسية لإعفاء الحجاج الشيعة الفرس من الضرائب على اعتبار أن ما يحملونه معهم ليس سوى متاع شخصى، وطالبت الحكومة الفارسية بانه إذا ثبت أن ما يحمله الحاج إنما هو من قبيل التجارة

فإن الضريبة التى تفرض عليهم فى هذه الحالة يجب أن لا تزيد عن ٤٪ من ثمن البضاعة وذلك طبقا لمعاهدة أرضروم الأولى سنة ١٨٢٣ وأن لا تستوفى الضريبة من الحاج إلا مرة واحدة ويكون له بعدها حق المتاجرة فى كل بلاد الدولة العثمانية، وأن يكون له فى هذا الصدد نفس حقوق المواطن العثمانى.. ولكن فوق هذا يجب أن تزول الاحتكارات العثمانية التى تحول دول تمتع التاجر الفارسى من التعامل فى كافة مجالات التجارة، والواقع أن هذه المقترحات لصالح الفرس وليست لصالح العراق من كافة الوجوه، نظراً لأن حجم التجارة الفارسية مع العراق كان أكبر بكثير جدا من حجم التجارة العراقية مع فارس وأن الجالية الفارسية بالعراق كانت أكبر بكثير جدا من الجالية العراقية فى فارس.

ومعنى هذا كله أن الحكومة الفارسية كانت تسعى إلى الإفادة من معاهدة بلطة ليمان التى فرضتها بريطانيا على الدولة العثمانية فى ١٨٣٨ وأسهمت فى تحطيم النظام الاقتصادى المصرفى وفى فتح أسواق الولايات العثمانية امام الانجليز، فكان ذلك مقدمة للسيطرة الانجليزية على معظم البلاد العربية بطريقة أو بأخرى .. وبوساطة من روسيا وبريطانيا اقتنعت السلطات الفارسية والعثمانية أن تظل نصوص معاهدة ١٨٢٣ سارية المفعول فيما يتعلق بالعلاقات الاقتصادية والتنظيمات الضرائبية.

٢- معاهدة أرضروم الثانية ١٨٤٧:

ونوقشت القضايا الخلافية بين الدولتين الاسلاميتين فى (١٨٤٣ - ١٨٤٤) وبدا واضحا أن هاتين الدولتين تقفان تقريبا على طرفى نقيض فى كل مسألة تعرض، ونظرا لأن روسيا وانجلترا اتفقتا على الأسس التى تكفل لكل منهما مصلحته سعتا إلى فرض معاهدة على الدولتين لاتلبى كل المطالب وإنما عبارة عن تسوية لمشكلات وحل وسط، وعلى هذا النحو ظهرت إلى الوجود معاهدة أرضروم[٥٣]. ونظرا لما لهذه المعاهدة من أهمية جوهرية فى تاريخ العلاقات بين الفرس والعرب فإننا سنوردها بنوع من التفصيل.

- نصت معاهدة أرضروم الثانية ١٨٤٧ المقدمة إلى الدولتين الاسلاميتين على:

* تتعهد الحكومة الفارسية (الايرانية) بأن تترك للحكومة العثمانية جميع الأراضى المنخفضة - أى الأراضى الكائنة فى القسم الغربى من «زهاب» - وتتعهد الحكومة

العثمانية بأن تترك للحكومة الفارسية القسم الشرقى -أى جميع الأراضى الجبلية- من المنطقة المذكورة بما فى ذلك وادى «كرند».

* وتتنازل الحكومة الايرانية عن كل مالها من ادعاءات فى مدينة السلمانية ومنطقتها وتتعهد تعهدا رسميا بأن لا تتدخل فى سيادة الحكومة العثمانية على تلك المنطقة أو تتجاوز عليها.

* وتعترف الحكومة العثمانية بصورة رسمية بسيادة الحكومة الايرانية التامة على مدينة المحمرة وميناثها وجزيرة الخضر والمرسى والأراضى الواقعة على الضفة الشرقية -أى الضفة اليسرى- من شط العرب التى تحت تصرف عشائر معترف بأنها تابعةلفارس.

و فضلاًعن ذلك فللمراكب الايرانية حق الملاحة فى شط العرب بملء الحرية، وذلك من محل مصب شط العرب فى البحر إلى نقطة اتصال حدود الفريقين.

* الفريقان المتعاقدان... يتعهدان بأن يعينا حالا قوميسير ومهندسين بمنزلة ممثلين عنهما من أجل تقرير الحدود بين الدولتين بصورة تنطبق على أحكام المادة السابقة.

ونصت المادة السادسة على أن يدفع التجار الايرانيون فقط الرسوم الجمركيةعلى ما يحملونه من البضائع إما عينا أو نقدا حسب قيمة البضائع على نحو ماهو متفق عليه فى معاهدة أرضروم الأولى (١٨٢٣ م/١٢٣٨هـ) مع حسن معاملة الحجاج الايرانيين خلال رحلتهم إلى الأماكن المقدسة فى الدولة العثمانية.

* الدولتان الاسلاميتان ستمنعان العشائر التابعة لهما من التعدى على الدولة الأخرى ومعاقبتها إن اقدمت على ذلك وأن تستقر العشائر المحددة تبعيتها فى الدولة التابعة لها أما تلك التى لا تعرف تبعيتها لاى من الدولتين فعليها أن تحدد هذه التبعية وترغم على الإقامة فى أى من الدولتين.

*جميع مواد المعاهدات السابقة "ولا سيما المعاهدات المنعقدة فى أرضروم ١٢٣٨ هـ/١٨٢٣م" مقبولة من الطرفين العثمانى والفارسى.

وقد وقع نص المعاهدة الذى قدمه إليه الوسيطان (الانجليزى والروسى) ولكن الجانب العثمانى كانت لديه تحفظات أهمها:

١- عدم تحديد مفهوم مرسى المحمرة ومداه.

٢- عدم تحديد تبعية العشائر التى تعيش على ضفتى شط العرب.

٣- تحصين شط العرب هل يتطلب اتفاقا مع فارس.

ورأى مندوبا بريطانيا وروسيا أنه من الخطورة إعادة النظر فى نصوص المعاهدة بعد توقيع الشاه عليها إذ قد ينهار البناء كله، ولذلك اتفقت السلطات البريطانية والروسية على أن يوقع العثمانيون المعاهدة فى نفس الوقت الذى تقدم فيه الدولتان الوسيطتان مذكرة ايضاحية تجيب عن استفسارات الباب العالى.. وهى استفسارات وجيهة من وجهة نظر الدولتين الوسيطتين.

وقد جاء فى هذه المذكرة الإيضاحية:

١- أن مرسى المحمرة هو الواقع على الشاطئ الجنوبى لقناة الحفار ولا يحتمل اى معنى آخر.

٢- تنازل الدولة العثمانية عن مدينة المحمرة ومينائها ومرساها وجزيرة خضر لا يعنى تنازلها عن أية أراضٍ أو موانئ اخرى.

٣- ليس من حق فارس المطالبة بأية مناطق على الضفة اليمنى (الغربية) من شط العرب ولا حقوق فى الأراضى العائدة لتركيا على الضفة اليسرى (الشرقية) حتى ولو كانت تقطن تلك المنطقة عشائر فارسية أو أقسام عشائر فارسية.

٤- أن الدولتين الوسيطتين ترى أن تتعهد الدولتان العثمانية والفارسية بعدم تحصين ضفتى شط العرب.

وقد اشترطت السلطات العثمانية على الدولتين الوسيطتين أن لا يسرى مفعول هذه المعاهدة إلا إذا قبلت الحكومة الفرسية هذه المذكرة الإيضاحية.

وقد تنبه بالمرستون -رئيس الوزراء البريطانى- إلى أن الباب العالى يستطيع أن يستخدم هذه المذكرة الايضاحية فى المطالبة مجددا بالمحمرة وجزيرة خضر والضفة الشرقية لشط العرب وذلك بتفسيرها على أنه تنسحب على كل المناطق التى دار حولها الجدل[٥٤].

وحيث إن المذكرة الايضاحية صدرت دون علم حكومة الشاه وأن المندوب الفارسى كان ممنوعا من قبل تلك الحكومة من إدخال أى تعديل على المعاهدة ، فقد رفض المندوب الفارسى قبول هذه المذكرة الإيضاحية.

وانتهزت السلطات العثمانية هذه الفرصة وطالبت بإعادة النظر فى موضوع المحمرة واتخذت خطوة ضاغطة إذ احتلت القوات العثمانية منطقة (قطور) فردت السلطات الفارسية

باحتلال (محله) داخل العراق، بل وطالب الفرس بالضفة الغربية لشط العرب، وكان هذا هو أخطر ما في تلك التطورات ولذلك اقتضى الأمر عقد اجتماعات جديدة لتسوية المشكلات القائمة.

وبعد مفاوضات غير مطولة وصلت الدول الأربع إلى بروتوكول جديد أدى إلى:

١- سحب فكرة الوجود العثماني في المحمرة.

٢- سحب المطالب العثمانية في الأراضي الواقعة شرقي جزيرة خضر.

٣- استمرار (محلة) داخل الأراضي الفارسية.

وبعد ذلك وقعت الحكومة العثمانية المعاهدة، ولكن ظلت هذه المذكرة الإيضاحية سلاحا في يد الحكومة الفارسية للتخلص من المعاهدة ١٨٤٧ في ظروف مناسبة[٥٥] على اعتبار أن هذه المذكرة تبطل مفعول المعاهدة.

***ويفهم من معاهدة أرضروم الثانية (١٨٤٧):**

١- أن لا سيادة لفارس على شط العرب ولا حق لها فيه سوى الملاحة البريئة التي تحددها الدولة ذات السيادة "الدولة العثمانية" حينذاك ومعنى هذا أن السلطات العثمانية هي التي ترخص لهذه السفينة أو تلك بحق المرور في شط العرب، وهذا الترخيص يصدر مسبقا قبل الملاحة. ويقول د. مصطفى النجار عن حق "إن المذكرات الايضاحية التي تبادلتها الدولة العثمانية كانت حريصة على سيادتها على شط العرب.. وقد اكدت بأن تركها لمدينة المحمرة لا يعني تركها اية أراضٍ او موانى اخرى، لذلك فإن شط العرب بقي اقليما عثمانيا[٥٦] وبالتالي عراقيا.

٢- ان تنازل الدولة العثمانية عن إقليم عربي (عربستان)، تسكنه عشائر هاجرت من العراق، وترتبط بمصالح اجتماعية واقتصادية بالعراق يعتبر قصورا في التفكير،ونعتقد أن من أسباب هذا القصور:

أ- عدم وضوح الرؤية عن أوضاع المنطقة لدى السلطات الحاكمة التركية العثمانية.

ب- أن السلطات العثمانية عالجت مشكلاتها مع فارس من زاوية المصلحة العامة للدولة العثمانية دون المصلحة الخاصة بالعراق.

جـ- أن زعماء وشيوخ كعب والمحمرة أرهقوا السلطات العثمانية بالمواقف المتناقضة التي

تضع الذاتية فوق المصلحة العامة للنمنطقة وفوق مصلحة العراق.

د- أن قبضة الحكومة المركزية العثمانية وقبضة ممثليها فى البصرة على قبائل المنطقة كانت ضعيفة.

٣- أن فارس تنازلت عن السليمانية والحقيقة أن إقليم السليمانية لم يكن ارضا فارسية وإنما كان فى مجال الأطماع الفارسية.. ولذلك فان التسوية تمت على أساس تبادل التنازل بين الدولتين (السليمانية فى مقابل عربستان) وهى فى الحقيقة تنازل من طرف واحد،ونعنى بذلك أن فارس خرجت رابحة المحمرة وجزيرة الخضر (عربستان) بينما ضمنت الدولة العثمانية اعترافا فارسيا بتبعية السليمانية للدولة العثمانية وهى -أى السليمانية- كانت ولا تزال جزءا لا يتجزء من العراق.

٤- أن الضغط الفارسى الذى أثمر تسوية على هذا النحو شجع الفرس على متابعة الضغط للحصول على مكاسب أخرى.. خاصة وأن الحكومة الروسية كانت تقف بقوة وراء المطالب الفارسية بينما كانت الحكومة البريطانية لا تقف بنفس القوة وراء المطالب والحقوق العثمانية فى العراق.. ولعل السبب الرئيسى فى ذلك أن بريطانيا كانت ذات مصالح مباشرة فى شط العرب ونهر قارون، ومن ثم كانت تريد تسوية للمشكلات الفارسية -العثمانية بشكل يضمن الحفاظ على المصالح البريطانية حتى ولو كانت على حساب العراق ، بينما لم يكن للروس مصالح مباشرة فى عربستان أو على طول الحدود العراقية- الفارسية بل لقد توسع فارس على حساب العراق بدعم من حكومة روسيا يرفع من قدرة الروس فى نظر الفرس.

وبعقد معاهدة ١٨٤٧ أصبحت المشكلات قاصرة إلى حد كبير على:

١- كيفية رسم خط للحدود بين الدولتين.

٢- حقوق الملاحة فى شط العرب وبالتالى مفهوم السيادة فيه من الناحيتين النظرية والعلمية.

وبغض النظر عن بعض الإجراءات الفارسية والعثمانية لفرض الأمر الواقع فى بعض مناطق الحدود فقد استمرت لجنة تحديد الحدود في عملها خلال الفترة الواقعة بين ١٨٤٩ و١٨٥١ ولكن دون جدوى، حتى اقترح "بالمرستون" أن تدور المفاوضات بين مندوبى الحكومات ولكن نشبت حرب القرم (١٨٥٣-١٨٥٦).

وقام الانجليز بحملتهم على عربستان سنة ١٨٥٧ الأمر الذى أدى إلى توقف المفاوضات بين الدولتين الفارسية والعثمانية وإلى حدوث توتر بين الدولتين كان له أثر كبير على الموقف على طول مناطق الحدود بين الدولتين الاسلاميتين.

أثر الصراع الدولي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على علاقات فارس بالعراق العثماني

١- حرب القرم والضغط الفارسى على العراق ١٨٥٢-١٨٥٦.
٢- الحملة الانجليزية على المحمرة سنة ١٨٥٧ حملة اوترام.
٣- محاولة لاستعادة ثقة الفرس (مدحت باشا).

١- حرب القرم والضغط الفارسى على العراق ١٨٥٣-١٨٥٦.

وكانت ١٨٥٣ من أدق سنوات حرب القرم بالنسبة للدولة العثمانية حيث وقفت وحدها أمام روسيا المتفوقة عسكريا حيث إن انجلترا وفرنسا لم تدخلا الحرب ضد روسيا إلا فى مارس ١٨٥٤، ومن ثم أصبح من المحتمل إذا ما فتحت جبهة ثانية امام الدولة العثمانية فإن الاخيرة تصبح معرضة للانهيار، خاصة إذا ما فتحت فارس هذه الجبهة الثانية بطعنة قاصمة نحو العراق.. وكانت الحكومة البريطانية تدرك مخاطر انهيار الدولة العثمانية وتعمل على الحفاظ عليها ضمانا للمصالح الامبريالية البريطانية(٥٧).

ومع أن المسؤلين الانجليز اتصلوا بالشاه، وتأكدوا منه أنه لن يضرب الدولة العثمانية فى الظهر وأن الشاه لن يثير مطالبه فى "قطور" و"كربلاء" فى مثل هذه الظروف الدقيقة إلا أن انعدام الثقة فى فارس جعل من المتوقع أن تستغل فارس الأزمة الدولة لتحقيق مكاسب فى العراق(٥٨).. والملاحظ أنه فى أعقاب نشوب حرب القرم، وقعت سلسلة من حوادث الحدود فسرتها السلطات العثمانية على أنها مقدمات غزو فارسى للعراق. فقد هاجمت عشائر بنى لام الشيعية العربية (٥٩) القوات العثمانية ثم فرت إلى داخل الأراضى الفارسية دون أن تتمكن القوات العثمانية من اللحاق بها.. وكذلك أثارت عشائر "الجاف" الكردية السنية الفوضى على الحدود العثمانية الفارسية.. وكانت لدى الممثلين الانجليز فى طهران معلومات تؤكد أن

بعض الممثلين الروس فى البلاط الفارسى علي اتصال بعشائر الحدود بقصد إثارتها ضد العراق لشغل بعض قواتها تخفيفا عن جبهات القتال الرئيسية التى تعمل فيها الجيوش الروسية ضد الجيوش العثمانية، خاصة فى جبهتى البلقان والأناضول(٦٠).

كان طبيعيا أن تتخذ السلطات العثمانية إجراءات وقائية ضد أية تحركات فارسية نحو العراق سواء كانت هذه التحركات بهدف القيام بغزو للعراق أو الأقدام على عمليات محدودة أو غارات تشنها العشائر الواقعة عبر الحدود.. فضلا عن أن هذه الإجراءات ذات الطابع العسكرى كانت تتطلب إلى جانبها إجراءات اقتصادية لا تستهدف فقط مواجهة الضغوط الاقتصادية الفارسية وإنما انتهاز الفرصة لاسترداد مواقع اقتصادية سبق وأن فقدها العراق لصالح الفرس من قبل.

وكان من تلك الاجراءات الاقتصادية التى لجأ إليها رشيد باشا -والى بغداد- أن يعمل على رفع مستوى ميناء البصرة بأن يصبح ميناء مفتوحا للتجارة الدولية حتى يستقطب بذلك السفن ويحول دون اتجاهها نحو ميناء المحمرة، وكان "رشيد باشا"يتوقع من وراء ذلك انتعاشا كبيرا للبصرة،وكذلك فكر رشيد باشا فى تحصين منطقة "زهاب" تلك المنطقة التى أصبحت قسمة بين الدولتين الفارسية والعراقية بمقتضى معاهدة أرضروم الثانية سنة ١٨٤٧.

وكان الهدف من وراء ذلك التحصين هو إغلاق أنسب الطرق لغزو فارس للعراق، إلا أن المسئولين الانجليز رفضوا مقترحات رشيد باشا تلك على أساس أن الفرس سيردون على تلك الإجراءات بأشد منها الأمر الذى سيثير مشكلات متعددة عبر الحدود تعرض العراق لأخطار اشد من تلك التى قد تتعرض لها الدولة الفارسية(٦١).

وكذلك اتجه رشيد باشا إلى وضع نقط مراقبة على الحدود، وحتى لا يثر ازمات فارسية حادة مع السلطات الفارسية ادعى أنه ينشئ محاجر صحية لمنع تسرب الكوليرا إلى العراق، وكان المفروض هو أن تنتشر هذه المحاجر على طول الحدود العراقية الفارسية لتكون بمثابة مراكز مراقبة إلى جانب أنها يمكن أن تستخدم فى منع المتسللين من اجتياز الحدود.

وعندما وصلت أنباء ذلك الإجراء احتجت السلطات الفارسية عليه واعتبرتها أعمالا سياسية اكثر منها أعمالا متعلقة بالصحة الوقائية الدولية... ويبدو ان هذا الاحتجاج ادى إلى توقف رشيد باشا عن متابعة تنفيذ مشروعه(٦٢)، وذلك بسبب حشد حاكم ششتر (الفارسي)

عشرين ألف مقاتل وركز رشيد باشا على مواجهة عسكرية أصبحت محتملة الوقوع. ونظرا لأنه كان من المتعذر على رشيد باشا الحصول على إمدادات عسكرية من ولايات عثمانية أخرى اعتمد على ما تحت يده وعلى قدراته.

كان رشيد باشا لا يستطيع ان يلقى بكل ما تحت يده من قوات لمواجهة الغزو الفارسى المتوقع كما كان لا يستطيع أن يوزع كافة ما تحت يده من قوات على المواقع الاستراتيجية الهامة، وذلك لأن العشائر الكردية والعربية كانت لا تتورع عن انتهاز الفرص للتخلص من قيود السلطة أو لتحقيق أهداف خاصة، ولذلك كانت القوة الفعلية التى يستطع ان يستخدمها ضد الفرس محدودة جدا، وإدراكا من رشيد باشا بأهمية استخدام كافة القوات المتيسرة له لمواجهة هجوم فارسى مفاجئ عمد إلى إقناع الزعامات العشائرية بأن تستجيب لنداء السلطات بدعم دولة الخلافة، ولقد نجح رشيد باشا فى ذلك إلى حد كبير حيث لم تقع قلاقل عشائرية بين العرب والأكراد سنوات حرب القرم (١٨٥٢- ١٨٥٦) بل إنه أستطاع أن يدعو عشائر "شمر الجربا" وعشائر "عنزه" إلى الأنضمام إلى الجيش العثمانى وأن تضع عشائر "المنتفق" نفسها على أهبة الاستعداد لخوض المعركة إن وقعت(٦٣).

وقد تصاعد التوتر على الجبهة العراقية بسبب تلك الحشود وبسبب اشتداد حدة المعارك فى الجبهة الرئيسية (القرم) ولان كلاً من الطرفين الفارسى والعثمانى أخذ يفيد من التسهيلات السياسية والعسكرية التى يقدمها له الروس (بالنسبة لفارس) والإنجليز (بالنسبة للدولة العثمانية).

فقد عين الفرس خبيرا للجيش المرابط فى "بوشهر" وإقليم فارس وهو أمر اعتبرته السلطات العثمانية تهديدا مباشرا للعراق حيث إن الحرب كانت دائرة بين العثمانيين والروس، وكذلك صّعد الفرس من قدراتهم العسكرية فى جزيرة "خرج".

ورد رشيد باشا على ذلك بتحريض شيخ الكويت على الأستعداد لقتال الفرس وسعى رشيد باشا كذلك إلى الإفادة من الشيخ جابر -شيخ المحمرة- للعمل ضد الفرس ، ولكن لم تتحرك القوى العربية فى عربستان ضد فارس وظللت موالية لها، كما أن تحركات شيخ الكويت كانت محدودة بينما أفاد رشيد باشا من بعض القوى الكردية(٦٤).

ولاشك أن تلك الإجراءات العسكرية والأمنية كانت -بالنسبة لأوضاع العراق حينذاك-

تمثل جهدا ضخما قام به الوالى رشيد باشا، وهى اجراءات تمكنه من الصمود فقط، بل ولمدة محدودة أمام الجيوش الفارسية المتفوقة، دون ان تكون لديه القدرة على توجية ضربة لاجهاض الاستعدادات الفارسية.

ولكن من ناحية أخرى لم يكن فى خطة العثمانيين البدء بتوجيه ضربة لفارس حتى تظل خارج دائرة الحرب لأطول مدة ممكنه. وهذا فى الواقع هو الأسلوب الأستراتيجى الذى كان يتبعه العثمانيون على الجبهة العراقية وهو أسلوب دفاعى، أما عنصر المبادرة فكان فى الغالبية العظمى من الأحوال فى يد الفرس. وكان هذا مما يضعف قدرات حكام بغداد على المواجهة، الأمر الذى جعل السلطات العثمانية ترحب بتعاون الانجليز معها على الجبهة العراقية الضعيفة، ولقد كانت السلطات البريطانية معنية إلى حد كبير بتطور الأزمة على الحدود العراقية الفارسية خاصة فى منطقة شط العرب ذات الأهمية الحيوية لمشروعات المواصلات البريطانية عبر العراق بين الغرب والشرق، وخاصة بعد أن أصبح للانجليز فى انهيار العراق سفن بخارية تجارية حربية.. ففى منتصف الخمسينيات كانت هناك مشروعات المواصلات البحرية البخارية العالمية قد أصبحت من أخطر مجالات التنافس بين الدول الامبريالية وكانت سيطرة فارس على شط العرب أو على البصرة تعنى غلق هذا الطريق -يوما ما- فى وجه النشاط الاقتصادى والعسكرى البريطانى فى العراق وفى عربستان أو عرقلته بصورة خطيرة، بل إن الوجود الفارسى على شط العرب وجنوب العراق كان ورقة تساوم بها فارس كلما اصطدمت بالدولة العثمانية أو انجلترا، وكما هو معروف كانت مجالات الصدام بين فارس وهاتين الدولتين عديدة ومختلفة الأشكال.

هذا الوضع يفسر لنا التحرك البريطاني العسكرى فى منطقة شط العرب، فقد أرسلوا القطعة الحربية اوكلاندAukland لتسيطر على المنطقة ولأقناع فارس أن أى تحرك فارسى معادٍ لدولة العثمانية سيعتبره الأنجليز موجها لها. ويبدو أن هذا التحرك أدى إلى أن تتوقف التحركات الفارسية على الجانب الفارسى عند حد التظاهر فقط[٦٥].

ويبدو أن روسيا لم تعطِ العناية الكافية لإمكانية استغلال التوتر على الحدود العراقية / الفارسية- خاصة وأن مفاوضات بين الروس والعثمانيين كانت تشير إلى إمكانية التوصل إلى تسوية وصلح بين الطرفين ولكن دخول انجلترا وفرنسا الحرب جعل روسيا تهتم باستغلال التوتر

على الجبهة العراقية /الفارسية، وباستخدام القوى الكارهة للحكم العثماني فى العراق لإثارتها.. ومن ذلك أن شيخ عشيرة "بانيانزلى" الكردى كان ثائرا على العثمانيين وانضم إلى جانب الروس(٦٦)، كما اتصل الروس بالعراقيين الكارهين للحكم العثماني(٦٧). ولعل هذا التحرك الروسى كان نتيجة لعدم إقدام الفرس على تحرك إيجابى ضد العثمانيين فى العراق.

على أن سقوط (قارص) -المدينة العثمانية ذات الموقع الاستراتيجى الهام -فى يد الروس كان من العوامل التى أزعجت السلطات العثمانية وكذلك الانجليز، حتى لقد اقترح رشيد باشا على الإنجليز أن يسرعوا بارسال قوات هندية للمشاركة فى الدفاع عن العراق(٦٨)،ولكن لم تلبث الحرب أن توقفت وعقد صلح باريس ١٨٥٦ ولم تعد هناك حاجة إليها. فضلا عن التوتر على الحدود العراقية -الفارسية لم يلبث هو الآخر أن خف بعد أن توقف القتال فى الجبهات الرئيسية لحرب القرم.

٢- حملة اوترام على عربستان ١٨٥٧:

بينما تجنبت فارس تحقيق أهدافها بالقوة -خلال حرب القرم- فى العراق اتجهت إلى تحقيق أهدافها بالقوة فى أفغانستان بعدها، فأرسلت قوة فارسية للاستيلاء على هراه ولما انتهت حرب القرم قررت بريطانيا توجيه ضربة عسكرية ضد فارس تزغمها على الانسحاب من أفغانستان والرضوخ لمطالب بريطانيا الاخرى.

وفعلا استولت القوات الانجليزية على محمرة فى ٢٦ مارس ١٨٥٧ وتلقت القوات الانجليزية فى عربستان معونات غير رسمية من جانب السلطات الحاكمة فى العراق.. كما غادرالشيخ جابر - شيخ المحمرة- عربستان إلى العراق فتجدت آمال العثمانيين فى استرداد عربستان ولكن تبخرت هذه الآمال بعقد الصلح بين الانجليز والفرس، وعاد جابر إلى حكم المحمرة.

ونظرا لاهتزاز مكانة الفرس فى عربستان بسبب هزيمتهم فقد آثروا فى هذه الظروف ملاينة الشيخ جابر فثبتوه على حكم المدينة بل ووعدوه بأن يحل محل الشيخ فارس فى مشيخة عشائر كعب.

والواقع أن الشيخ جابر كان قد وجد مصلحته فى أن يظل فى إطار الدولة الفارسية وأن

يتمتع فى نفس الوقت من الاستقلال الذاتى وأن يستفيد من الانجليز بالتفاهم على مصالح أقتصادية مشتركة يعود على خزينته بالاموال.. وكان ذلك من العوامل التى جعلته يستقر فى حكم المحمرة من ١٨٦٢ حتى وفاته فى اكتوبر ١٨٨١ وخلال هذه الفترة كانت قوته تنمو كما أنه كان يشترى الأراضى الواقعة على الضفةالغربية من شط العرب أى على الجانب العراقى. ولعله كان يفعل ذلك ليعتمد عليها فى حالة تعرضة للطرد مرة اخرى على يد الفرس[٦٩] فكان ذلك من العوامل التى أدت فيما بعد إلى مشكلات معقدة.

٣ - محاولة (مدحت باشا) لاستعادة ثقة الفرس

استمرت عمليات تحديد الحدود منذ انتهاء الحرب الانجليزية الفارسية، ولكن كثيرا من العثرات والمشكلات المستجدة كانت تعرقل التوصل إلى وضع ثابت على جانبى الحدود حتى فى تلك المناطق التى سبق أن تحددت فيها الحدود فعلا.. واتفقت روسيا وانجلترا على فرض الخريطة التى وضعت للحدود فأضطرت الدولتان الاسلاميتان إلى قبول الخريطة (١٨٦٩) ولكن ظلت المشاكل تتوالى وإن لم تكن حادة[٧٠].

وظهرت فى أفق العلاقات الفارسية-العثمانية فرصة بدت وكأنها ستؤدى إلى نتائج هامة فى تسوية الخلافات عندما أسند حكم العراق إلى مدحت الزعيم العثمانى الاصلاحى المشهور(١٨٦٩-١٨٧٢)، وجاء حاملا تعليمات حكومته التى تقضى بمراعاة حسن الجوار مع فارس وتسوية المشكلات القائمة بين الدولتين.

وكان من مصلحة «مدحت باشا» أن تكون أحوال الحدود مستقرة حتى يستطيع أن ينفذ خطته الواسعة النطاق الخاصة بتوجيه ضربات قاصمة للعشائر العراقية التى استمرأت التمرد[٧١]. ولكن مشاكل الحدود لاتهدأ طالما أن العشائر تتحرك على جانبى الحدود. وطالما كانت هذه العشائر تستطيع أن تفيد من الأوضاع القلقة من استعداد حكام هذا الطرف أو ذلك لمساندة هذه العشيرة أو تلك، وكانت الأوضاع فى الثانى

من القرن التاسع عشر تتطلب فرض السيطرة الحكومية على العشائر نظرا لأن إدخال أساليب الاتصال الحديثة -مثل خطوط البرق- كانت تعطي العشائر فرصا واسعة لإثارة المشاكل أمام الإدارة بأبسط السبل مثل قطع الخطوط أوالتهديد بقطعها كلما وقعت أزمة بين الإدارة والعشائر التي تقع على مقربة من تلك الخطوط.

ولقد تعرضت فعلا خطوط البرق لاعتداء عشائر السنجابية (التابعة للفرس)، كما أن عشائر (الهماوند) هاجمت منطقة السليمانية، وهاجمت عشائر (الفيلية) مناطق عراقية وأوقعت بالقوافل التجارية، على أن الأزمة الدموية التي نشبت بين عشائر (الهورامان) والسلطات الفارسية كانت من أكثر الأزمات حدة.

فقد كانت عشائر الهورمان قسمة بين فارس والعراق وكان القسم الفارسي يتبع سنة «سنندج» والقسم العراقي كان يتبع السليمانية. ويبدو أن المسألة المذهبية كانت من العوامل التي صعدت من حدة الأزمة بين هذه العشائر السنية المذهب والسلطات الفارسية... فقد أدت حادثة من الحوادث العادية التي تقع بين العشائر والسلطات الحاكمة إلى صدامات دموية كان النصر في أول الامر حليف الهورامان ولكن الفرس وجهوا من بعد الضربات القاسية للهولامان حتى تحول الصراع إلى مذبحة لهذه العشائر مما أضطرها إلى الفرار إلى العراق ونزلوا في نواحي السليمانية(٧٢). وتجنبا لوقوع أزمة جديدة تدخلت كل من انجلترا وروسيا وقبلت فارس والدولة العثمانية استمرارية الوضع على الحدود علي ماكان عليه وأن تمنع الحكومتان الفارسية والعثمانيتعن تحصين أية بقعة على الحدود(٧٣).

وسنحت فرصة أخرى للتوصل إلى تفاهم بين الدولتين حول المشكلات القائمة عندما رحبت السلطات العثمانية برغبة الشاه ناصر الدين في زيارة العتبات المقدسة الشيعية في العراق.

ولقد اسْتُقبل الشاه أحسن استقبال برغم ماكان يعانية العراق من قحط شديد، وخلع الشاه على علماء الشيعة ومنحهم الهبات القيمة الطائلة، وتبادل الطرفان وجهات النظر في مسألة دفن الموتى الفرس في العتبات المقدسة، واتفق على ألا تنتقل رفاتهم إلا بعد مرور ثلاث سنوات على الوفاة حفاظا على الصحة العامة(٧٤).

أما المفاوضات الخاصة بمشكلات الحدود فلم تثمر شيئا يذكر، وكان ذلك من العوامل التي حدث بمدحت باشا إلى اتباع أسلوب اكثر قوة فأقام بعض التحصينات عند منافذ هامة بين العراق وفارس.

واستخدم قوة عشائر ربيعة لضرب الهماوند والسنجابية.. وأثمر هذا الأسلوب اتفاقا على عقد مؤتمر، ولكن لم يلتئم شملة.. ويقال أن المسئول عن ذلك هو الجانب العثمانى الذى اتبع المماطلة والتسويف[٧٥] فردت فارس على ذلك بتقديم مذكرة مطولة تتضمن مطالبها وشكاياتها على النحو التالى[٧٦].

١ - أن الأتراك احتلوا -دون وجه حق- قطور وغيرها.

٢ - سوء معاملة الزوار الفرس للأماكن المقدسة الشيعية.

٣ - المماطلة فى تحديد الحدود.

٤ - تعديات السلطات فى العراق على الجزيرة (شهلة) فى شط العرب.

٥ - عدم إبعاد الأمراء الفرس من بغداد للحيلولة دون قيامهم بأعمال عدائية ضد الشاه الثائرين عليه.ثم ألفت لجنة رباعية أخرى، ولكن الفرس قدموا بعض الاعتراضات فلم تقدم اللجنة جديدا بينما كانت «اللجنة الدولية لتحديد الحدود» لاتزال قائمة[٧٧].

٤ - تسويات مشكلات الحدود العراقية-الفارسية قبيل نشوب الحرب العالمية الاولى

خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر دخلت الدولة العثمانية والدولة الفارسية فى طور جديد انتهى بوقوع ثورة فى كل منهما، ثورة نظمتها جمعية الاتحاد والترقى فى ١٩٠٨ أصدرت الدستور فى تركيا، وثورة فى ايران ١٩٠٦، ثم فرضت روسيا وبريطانيا الوفاق الودى على ايران فأصبحت قسمة بين بريطانيا وروسيا تقريبا، فى ظل هذه الاوضاع توصل الطرفان الفارسى والتركى إلى بروتوكول الأستانة لعام١٩١١، وبرتوكول طهران ١٩١٣ بشأن مشكلات الحدود بينها وفى العام التالى١٩١٤ دخلت تركيا الحرب العالمية الاولى.

وخلال تلك الفترة كانت حركة البحث عن مصادر البترول فى عربستان قد اكتشفت أن المنطقه تكاد تعوم علي بحيرة من البترول، وبذلك أصبحت شركه النفط الانجليزية -الفارسية- التى تأسست منذ «١٩٠٩» -واحدة من أهم المشروعات البريطانية فى الشرق فى وقت نمت فيه حاجات الأسطول البريطانى فى المياه الآسيويه الجنوبية إلى البترول وأخذ البترول يحل محل الفحم كمصدر للطاقه.

ومدت انابيب البترول من الآبار فى عربستان إلى شط العرب واقيم ميناء لتصدر البترول وأقيمت مصفاه لتكريره فى عبادان ومن ثم تضاعفت بسرعه أعداد السفن البريطانية المستخدمه لشط العرب الأمر الذى سيفرض على المسئولين البريطانيين ضروره أن يكون هذا الممر المائى تحت السيطره البريطانية رغم أنه من الناحيه القانونية وطبق معاهدة أرضروم ١٨٤٧ داخل العراق تحت السيادة العثمانية، كما أصبح من مصلحة بريطانيا أن تضمن تحديد تبعية ميناء تصدير البترول المقام عند نهاية «الحفار» عند ملتقاه مع شط العرب.

ومن مصلحة بريطانيا أن يكون هذا المنياء تحت السيادة الفارسية حيث إن جنوب فارس كان واقعا تحت النفوذ البريطانى بمقتضى الوفاق الروسى البرتطانى فى عام ١٩٠٧. ولهذا سنجد الدور البريطانى فى مشكلات الحدود العراقية-الفارسية متأثرا بالمصالح البترولية البريطانية فى عربستان.

خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر كانت فارس تنحدر نحو أن تكون تحت سيطرة روسية مباشرة وان كانت الدولة العثمانية غير قادرة على ردع الأطماع البريطانية فى بعض ولاياتها ذات الأهمية الكبرى، ومن ثم كان من الطبيعي ان توجه روسياوانجلترا الحلول المتعلقة بمشكلات الحدود العراقية-الفارسية بشكل يخدم المصالح الأجنبية أكثر من خدمته للمصالح الوطينة، بل أن الأحوال الداخلية فى كل من الدولتين الاسلاميتين ساعدت على ذلك. فقد كان شاه فارس يستخدم القوات الروسية ضد الحركة الوطنية وكانت حكومة الاتحاديين الاتراك مستعدة لتسوية مشكلاتها مع بريطانيا على حساب الحركة القومية العربية، وهذا يتمثل فى ظروف عقد بروتوكول طهران ١٩١١ وبروتوكول ١٩١٣ بشأن تحديد الحدود العراقية الايرانية.

بروتوكول طهران ١٩١١

استمرت حوداث الحدود التقليدية تتوالى فى الربع الاخير من القرن التاسع عشر واوائل العشرين، وبعد أن سوت روسيا وبريطانيا مشكلاتها فى ايران فيما عرف بالوفاق الودى لعام ١٩٠٧ كان من مصلحتها السيطرة علي مابين ايران والدولة العثمانية من مشكلات فى إطار مصالح الدولتين الاوربيتين، ودرات المفاوضات بين الدول الأربع من أجل التوصل إلى حدود ثابتة ومعترف بها وكانت حصيلة هذه المفاوضات بروتوكول طهران ١٩١١.

وكان الهدف الرئيسي من عقد هذا البروتوكول هو وضع ترتيبات تنفيذية لمعاهدة١٨٤٧ من حيث تحديد الحدود بدقة، وأن تشكل لجنة من الدولتين الفارسية والعثمانية مسئوليتها تخطيط الحدود، ونظرا لأن هذه العملية ذات طابع فنى نص البروتوكول علي تشيكل لجنة فينة لوضع هذه الحدود وضعا فنيا قانونيا طبقا لما جاء فى نصوص معاهدة أرضروم الثانية (١٨٤٧) وانه فى حالة تعذر التوفيق بين مطالب الطرفين العثمانى والفارسى ترفع نقاط الخلاف إلى المحكمة الدولية فى لاهاى ويكون حكمها نهائيا.

ولكن عندما اجتمعت اللجنة رفض الجانب الفارسى الاعتراف بالمذكرة الإيضاحية الملحقة بمعاهدة ١٨٤٧ لكى تطلق يد المفاوض الفارسى فى المطالبة بأراضى وراء عربستان، ولكن ضغطت روسيا وبريطانيا على فارس حتى اعترفت بارتباط المذكرة الإيضاحية بمعاهدة ١٨٤٧.

كما تم تأليف لجنة مشتركة عثمانية-بريطانية لإدارة العمل فى شط العرب يرأسها خبير بريطاني، وبذلك تكون بريطانيا قد سيطرت على شط العرب بشكل غير مباشر وفتحته للملاحة الدولية، وحيث أن نهر قارون كان قد فتح قبل ذلك للملاحةالدولية فتكون مصالح بريطانياقد ضمنت، فضلا عن أن الميناء الذى بنى لأغراض تصديرالنفط على شط العرب أصبح تحت السيطرة البريطانية غير المباشرة.

وعندما تشكلت اللجان لتحديد الحدود اعترضت روسيا علي أن الالتزام بحدود ١٨٤٧ بمقضى معاهدة أرضروم الثانية يعتبر عملا غير واقعى وإنما الاجدى إعادة النظر بما يتناسب والأوضاع الجديدة بعد ثلثى قرن من الزمان، وتبادل الأطراف الأربعة المذكرات والمذكرات المضادة حتى توصلوا إلى ماعرف باسم بروتوكول لسنة١٩١٣.

بروتوكول الاستانة عام١٩١٣

نص هذا البروتوكول علي أن تكون الحدود بين الدولتين العثمانية والفارسية علي النحو التالى:

١ - تبدأ الحدود عند التقاء الحدود التركية الروسية بالغرب من «سردار بولاق»وحدد خط الحدود على اسس جغرافية وفى نفس الوقت ينظر للعوامل البشرية بعين الاعتبار.

٢ - تركت بعض مناطق الحدود غير الواضحة لتحدد فيما بعد.

٣ - الحدود الفاصلة بين الدولتين فى الجنوب وضعت شط العرب تحت السيادة العثمانية وجعلت الضفة اليسرى «الفارسية»لشط العرب هى الحد الفاصل بين الدولتين فيما عدا المنطقة التى عليها ميناء تصدير البترول عند ملتقى نهر قارون مع شط العرب تحت السيادة الفارسية دون أن يمس ذلك حق الدولة العثمانية فى استخدام النهر فى هذه المنطقة.

ومن هذا يتضح لنا أثر اقتصاديات إنتاج البترول من عبادان لصالح بريطانيا فى تحديد الحدود بين الدولتين الفارسية والعثمانية فى منطقة شط العرب.

وبذلك تكون السيادة العثمانية قد أقرت على شط العرب وإن كان لبريطانيا نوع من التسلط غير المباشر ولفارس حق استخدام شط العرب بواسطة سفنها مثلهافى ذلك مثل أية دولة أخرى فى إطار السيادة العثمانية وأن فارس اعترفت بنصوص معاهدة أرضروم الثانية بمايلحقها من مذكرة مشتركة.

ولما وقعت الحرب العالمية الاولى كان هناك سباق بين الدولة العثمانية وانجلترا حول السيطرة على عربستان، فلا غرو أن كان الهدف الرئيسى للحملة البريطانية علي جنوب العراق تقوية السيطرة البريطانية علي عربستان وابعاد الخطر التركى عنها ضمانا لتدفق البترول. وقد نجح الأتراك والمقاومة العربية فى شل انتاجه لفترة ولكن القوات البرتطانية دفعت بالقوات التركية إلى التقهقر حتى البصرة فأمنت بريطانيا بذلك مصالحها فى عربستان. وكما هو معروف انتهت الحرب العالمية بهزيمة دول الوسط والدولة العثمانية وسقوط العراق فى يد الانجليز وفرض الانتداب البرتطانى عليها.. هذا بينما قامت الثورة البلشيفية فى روسيا وأعلنت انسحاب قواتها من كافة البلاد التى كانت تحتلها حكومة القيصر فانسحبت روسيا من ايران. ومع أن انجلترا كانت تريد أن ترث روسيا فى ايران إلا أن الحركة الوطنية فيها والمتغيرات الدولية اقنعت حكومة بريطانيا بالانسحاب من ايران وانقلب النظام علي يد رضا بهلوى لتصبح ايران الفتية فى مواجهة العراق الذى كان تحت السيطرة البريطانية وإن تولت أموره حكومة وطينة عراقية. فدخلت العلاقات الايرانية/العراقية فى طور جديد.

الهوامش

(١) تتناول الفترة الواقعة بين القرنين السادس عشر والتاسع حتى الحرب العالمية الأولى.

(٢) بداية عصر النهضة الأوربية.

(٣) كان الشاه ينظر الى تحول تجارة البرتغال فى الخليج من فارس إلى الدولة العثمانية (البصرة) بعين الكراهية والحسد، وربماكان هذا هوالسبب الرئيسى لهجوم الفرس على البصرة. لوريمر:دليل الخليج جـ١صفحة٦١.

(٤) نفسه صفحة٥٠.

(٥) Anthony and Robest Sherley، وقد نجحا فى تحديث الجيش الفارسى خاصتفى سلاح المدفعية.

(٦) Saldanha: Selections from the state Papers, Bombay Regarding the East India Co's Connection with a Summary of Events 1600-1800. Calcutta 1908 p.ii; Amin: British Interests in the Persian Gulf.p.b.

(٧) د. عبد العزيز نوار: وثائق أساسية من تاريخ لبنان الحديث. جامعة بيروت العربية -بيروت ١٩٧٥.

(٨) المصدر نفسه.

(٩)سنعرض لها بعد ذلك عندما نتناول مشكلات الحدود العراقيةالايرانيةفى القرن التاسع عشر.

(١٠) لوريمر:دليل الخليج، جـ١ صفحة ٨ وقد أصبح الأسطول البرتغالى فى الخليج أمل العديد من القوى المحليةالعربيةلتحقيق أهدافها الخاصة. من ذلك تحالف شيخ المنتفق مع الاسطول البرتغالى ضد أمير الحويزه التابع لفارس.

(١١) انظر: J.Hurewit Z: Diplomacy in the Near and Middle East .N.Y.

(١٢) لوريمر : دليل، جـ١ ص ٩٠.

(١٣) انظرعبد الامير امين القوى البحرية فى الخليج العربى فى القرن الثامن عشر مطبعة أسعد بغداد ١٩٦٦ صفحة ٢٧/١٢.

(١٤) Lorimer: Gazetteer of the Persian Gulf Vol I.Part I. p.87;Lock hart :Nadir Shah.p 219, Amin :British Interests in Mesopotamia p.27.

(١٥) لوريمر: دليل جـ١ ،صفحة ١٣٤.

(١٦) Amin: British Interests .pp26-27.

(١٧) Amin: British Interests p.45.

(١٨) لوريمر: جـ١ صفحة ٢١٦

(١٩) Amin: British Interests p.60 Gombroon Diary Vol.6 'Jan.18 / 29 1750.

(٢٠) خزعل: تاريخ الكويت جـ١ صفحة٤٩.

(٢١) خزعل: تاريخ الكويت جـ١ صفحة ٤٩.

(٢٢) Amin: British Interests in the Persian Gulf pp 123 181, Sal-: danha: Precis or Turkish Arabia pp 16-18.

لوريمر: جـ١ صفحة ٢٢٠-٢٢٨.

(٢٣) د. عبد العزيز نوار: داود باشا. المكتبة العربية القاهرة ١٩٦٨ صفحة ٢٢٤.

(٢٤) د. جمال زكريا :الخليج العربى.

(٢٥) حسين خزعل: تاريخ الكويت السياسى جـ١ صفحة ٣٨ لوريمر جـ١ ، صفحة ٢٢٨-٢٣٣.
Amin: British Interests p.45

(٢٦) L.Corancez: Histoire de Wahabies. Paris, 1809 . pp28-29

(٢٧) د. عبد العزيز نوار: داود باشا: صفحة١١٤.

(٢٨) Warden: Historical Sketsh of the Rise and Progress of the Government of Muscat, selections form the Bombay Government XXiv p.168.

(٢٩) لوريمر: جـ١ ، صفحة٢٦٧-٨.

(٣٠) Hurewitz: Diplomacy in the Near and Middle East. Vol I.p.84.

(٣١) محمد أمين زكي: تاريخ السليمانية، صفحة ١٤٠.

(٣٢) عباس الغزاوي: تاريخ العراق، جـ٥ صحفة ٢٠، جـ٦ صفحة ٨٦، ٢٥٢ جـ٧ صفحة ١٧-١٨ ،مختصر مطالع السعود: طبعتيبى صفحة ٦١.

(٣٣) عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين جـ٦، صفحة ٢٨٠-٢٨١.

(٣٤) الوثائق التاريخية (القاهرة): من محمد على إلي والى جدة دفتر ١٠ معية تركى، أمر رقم ٤٠ تحريرا فى ربيع الأول١٢٣٧/ ٢٠ نوفمبر ١٨٢٢.

(٣٥) أنشئ فى ١٨١٢.

(٣٦) F.R. Chesney:Narrative of the Euphrates Expedition .London .pp. 302 - 309 V.Fontonier: Voyage dans l'Indes .T.I .p347 - 350 F.o. 424 / 76 Brant: Memorandum Respecting the Navigation of the Tigris and Euphrates .Ap. 1913. A.Low :History of the Indian Navy.Landon II. p.41.

(٣٧) د. عبد العزيز نوار: تاريخ العراق الحديث.

F.O.424 / 76: Protocol of the 7th Conference procis Verbal de la 7eme Conference qui eut lieu a Erzeroum. Le Dec.2,1843. India Office,political Department, Vol. 79 Lieutenant Campbell to G.B.Bruce, Commodor in the Persian Gulf, July 21,1839.

(٣٩) Curzon

(٤٠) F.O.424 / 7b No. 30:British Commissioners to committeer Erzeroum, August 5, 1843

(٤١) .F.O. 424/7b: Report of Questions put to Sheikh Thamir by the British Commissioner, August 15,1843, Protocol of the 7th conference 'Proces Verbal de la neuvieme conference, qui eut lieu a Erzeroum le 19 Decembre 1843, Enclos, I in No .14.

(٤٢) محفظة ٢٦٧ عابدين وثيقة٧ أصلية-٥٠ حمراء فى ٢١ محرم ١٢٥٥/٧ أبريل ١٨٣٩،

من خورشيد إلى صاحب الدولة ١٩ رمضان ١٢٥٥/٢٧ فبراير ١٨٣٩ محفظة عابدين
وثيقة ٤٠ أصلية ١٠ حمراء.

(٤٣) د. عبد العزيز نوار: تاريخ العراق الحديث صفحة ٢٢٩.

(٤٤) المصدر نفسه صفحة ٢٢٩.

(٤٥) "A Sel-governing semi-alien republic". political and Secret Department Records, Letters form Political Agent at Baghdad, Vol, 13, p, 147.

(٤٦) هو الذى هيأ المناخ الفكرى لظهور "الباب"والبابية فى العراق وفارس وما هو وراء ذلك.

(٤٧) Lorimer: Gazetteer of the Persian Gulf, Vol. I,pt.I pp. 1348 / 1350.

(٤٨) Extract of a letter to H.British envoy of Tehran Bagdad, Jan 17, 1843 I.O. political and Secret Department Records, letters form Agent Baghdad, Vol. 13, pp.127-128 Lorimer, Gazetteer, Vol. I.p.1368.

(٤٩) ستراتفورد كاننج Stratford Cunning شخصية من أقوى الشخصيات الدبلوماسية البريطانية فى الآستانة حتى لقد وصف بعض الأحيان بسلطان تركيا غير المتوج.

(٥٠) Aberdeen

(٥١) F.O. 195 / 676

(Richard Rogers: British Agent at Bassora to Consul General at Baghdad January 17, 1861&1, F.R. p.p Vol. 85,pp 15-18 ,August 26, 1846 Rawlinson to Secret Committee, April 27,1846 (pol.and Secret Department Records, Letters from Political Agent and Consul, Vol.14,pp.(125-131); Lorimer, op. cit,Vol.I pt, pp. 1378-1380; F.O.195 / 272: Rawlinson to Wellesly, Jan20, 1847 Rawlinson to Sheill, Jan,8.1847,Kemball to sheill, Aug.6, 1847;F.O.78 / 681:Rawlinson to Wellesly, March, 31, 1847 No.20, Wellesly to Palmerston May 1,1847.

(٥٢) F.O. 424/7b: Proces Verbal de la 16 eme Conference

Feb.14,1844.

F.O.42/7b:s.Cunning to Aberdeen, Nov. 16, 1844. (٥٣)

F.O.424/7b: From palmerston to Bloumfield No.256, July,(٥٤) 121, 1856.

(٥٥) حدث هذا في ١٩٣٤.

(٥٦) نتفق في هذا الرأي مع د.مصطفى النجار، أنظر كتابه: التاريخ السياسي لمشكلة الحدود الشرقية للوطن العربي في شط العرب (دراسة وثائقية) البصرة ١٩٧٤ صفحة ٨٠.

F.O.78 / 252: from Clorendont. Rawlinson November 3,1853 (٥٧)

F.O.195 / 367: Rawlinson to Redcliff; June 29, 1853;(٥٨) Thompson To clarendon, Nov, 20, 1853(I.O.F.R.P.G., Vol. 106pp. 237-239).

(٥٩) من كبريات عشائر العراق، انظر عباس العزاوي، عشائر ج٣، ص٠ ٢١ وما بعدها.

F.O.195 / 362: Rawlinson to Redcliff; June 29, 1853; (٦٠) Thompson To Clarendon July 22, 1854, August 21. 1854 (I.O.F.R.P.P.G.,Vol. 103 pp. 594-602).

F.O. 424 / 7b, f.o. 424 / 7d: Tuco-Perian Boundary Negotia- (٦١) tions, Part. I(1843-1844), pp.115-112, Pt.III(1845-1852), pp.107-115.

وانظرعباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، بغداد ج٧،ص٧٩، ص١٨١.

F.O.195 / 367: Rawlinson to Redcliff; No.36, December, (٦٢) 1853: & 37 December 28,1853.

(٦٣) عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ج٧، صفحة ١٠٥-١١٦.

F.O.195 / 367: Rawlinson to Redcliff no.36, December13, 1853.

I bid.(٦٤)

Rawlinson to British Embassy, January 25,1854 No (٦٥) 2Quotted From Saldanha, Precis of Turkish Arabia, Calcutta

19-4, Paragraph No.7.

F.O.19 / 394: Rassam to Redcliff 10 April 26, 1856.(٦٦)

F.O.78 / 1212: Kemball to clarendon, No 4 January7, 1856. (٦٧)

F.O. 78/1212: Kemball to Clarendon, No 4 January 7,(٦٨) 1856,No.5, February 4, 1856.

Lorimer, Gazetteer, pt.II,pp.1682 / 1683-1689 / Curzon; Per-(٦٩) sia and The Persian Question, Vol, Ipp. 323-325 Sykes, History of Persia, Vol.II.,p.365.

(٧٠) د.عبد العزيز نوار: العراق الحديث صفحة٣٤٦.

(٧١) كانت ثورة عشائر الدغاره العراقية تشغل مدحت باشا فى أوائل أيام حكمه.

(٧٢) عباس العزاوى، تاريخ العراق بين احتلالين، جـ٧، ص١٨٢-١٨٩، ٢٢٤. الزوراء الاعداد ٦،٧،١٢ (ربيع الثانى ١٢٨٦/ ١٨٦٩م)

Lo rimer, Gazetteer, Vol. Ipt. I.p.1421.

Aitchison, A. Collection of Treaties Vol. XII, pp. 21-22(٧٣) Aitchison, op. cit., Vol. XII, p.20 Lorimer, Cazetteer, Vol. I.pt.I,p.1421.

(٧٤) جعفر آل محبوب، ماضى النجف من ١٥٣-١٥٤ أو مدحت: بنصره عبرت صفحة ١٦٩-١٧٠

A.H.Midhat, The Life of Midhat, p.53.

(٧٥) عباس العزاوى: تاريخ العراق، جـ٧، صفحة١٨٢-١٦٣-٢٦٣.

Aitchison,A Collection VoL. XII, PP.21-22 (٧٦)

Aitchison,A Collection VoL. XII, PP-22 (٧٧)

الفصل الثالث

العلاقات الايرانية بمصر والعراق
علي عهد الأسرة البهلوية ١٩٢٥-١٩٧٩ *

في مطلع العصور الحديثة ، وفى أوائل القرن السادس عشر على وجه التحديد ، كان واضحا أن مراكز الثقل الإقليمي الثلاثة فى المنطقة التى اصطلح عل تسميتها فيما بعد بالشرق الأوسط ، هى مراكز الثقل التركية ، حيث الدولة العثمانية ، وفي إيران حيث الدولة الصفوية ، وفي مصر حيث الدولة المملوكية .

بيد أن ما جري خلال العشرين عاما الممتدة بين عامي ١٥١٤ و ١٥٣٤ اختل ميزان القوي لصالح حكومة استنبول علي نحو حاسم ، وهو اختلال بدأ في النجاح في تحجيم القوة الإيرانية وفي إنهاء الدور المصري بعد القضاء علي الدولة المملوكية ، وبعد أن أصبحت مصر تدور في فلك الدولة العثمانية باعتبارها إحدي ولاياتها .

استمر هذا الاختلال قائما بشكل أو بآخر حتي أواخر القرن الثامن عشر حين عرف العالم العربي أول حملة عسكرية أوربية ، هي الحملة الفرنسية علي مصر والشام ، والتي كشفت من بين ما كشفت عن ذلك الضعف الذي أصبحت عليه حكومة استنبول .

* أعد هذه الدراسة الأستاذ الدكتور يونان لبيب رزق ، أستاذ التاريخ الحديث بكلية البنات - جامعة عين شمس .

استتبع ذلك عدة مضاعفات انعكست بالسلب علي الهيمنة التي استمرت تفرضها حكومة استنبول بامتداد القرون الثلاثة السابقة .

أهم تلك المضاعفات تبدت في عودة نشاط الدور خلال القرن التاسع عشر من خلال المشروع التحديثي الذي عرفته خلال النصف الأول من ذلك القرن علي أيدي واليها المشهور محمد علي والذي تمت ترجمته علي الصعيد الإقليمي بعودة مصر الي السيطرة علي نفس المناطق التي طالما سبق لها السيطرة عليها قبل القدوم العثماني ، الحجاز والشام فضلا عن السودان الذي زادت أهميته لمصر بعد شبكة الري التي شرع باشا مصر في بنائها كجزء من برنامجه التحديثي .

بيد أن نفس القرن عرف الضعف الشديد للقوة الثالثة ، إيران أو فارس كما كانت تدعي وقتئذ ، نتيجة لحالة التفكك العامة التي أصابت البلاد في ظل حكم الأسرة القاجارية، وهو الضعف الذي انكشف بعد الحرب الفارسية الروسية والتي انتهت بعقد معاهدة جلستان عام ١٩١٣ والتي خسرت بمقتضاها حكومة طهران مساحات واسعة من الأراضي[١].

شهد النصف الثاني من نفس القرن ومطلع القرن العشرين تعرض القوي الاقليمية الثلاث للموجة الامبريالية ، ويثير الدهشة أنها قد تشابهت في طبيعة الإصابات التي نتجت عن ذلك التعرض .

فمن ناحية غرقت الدول الثلاث في الديون بكل ما ترتب عليها من الوقوع تحت طائلة نظام الامتيازات ، الذي إن بدا في تركيا إلا أنه انتقل الي كل من مصر وفارس.

من ناحية أخري كانت بريطانيا قاسما مشتركا اعظم في الهجمة علي الدول الثلاث ، ففي مصر شاركت فرنسا ، وفي تركيا شاركتها المانيا وفي فارس شاركتها روسيا.

ويثير الاهتمام هنا أن عملية تقسيم النفوذ التي تعرضت لها مصر من خلال ما عرف بالوفاق الودي بين فرنسا وبريطانيا والمعقود في أبريل عام ١٩٠٤ لحقه بعد ثلاث سنوات اتفاق مماثل بريطاني - روسي لتقسيم فارس لمنطقتي نفوذ بينهما [٢].

من ناحية ثالثة فإن تيار التحديث الذي هب علي الدول الثلاث قد أدي إلي زيادة المطالبة الشعبية بالحياة الدستورية ، الأمر الذي حدث علي شكل ثوري في فارس عام ١٩٠٦ [٣]، وفي شكل انقلابي في تركيا عام ١٩٠٨ [٤] . وفي شكل مطالبة حزبية في مصر في نفس

الوقت تقريبا ، وهي المطالبة التي استمرت بين عامي ١٩٠٨ و ١٩١٣ (٥) .

وبينما كانت هذه المضاعفات تسير في طريقها إذا بالحرب العالمية الأولي تنشب، وكان لابد أن تخلف أعمق البصمات علي وضعية القوي الإقليمية الثلاث .

الدولة العثمانية اصبحت تاريخا بعد انغماسها بمعسكر المهزومين .. معسكر دول الوسط ،وقد تدافعت الأحداث فيها علي نحو يفوق الخيال وهي الأحداث التي انتهت بإعلان الجمهورية التركية ثم الغاء الخلافة (١٩٢٤) وما تبع ذلك من سياسات كمال اتاتورك المعروفة والتي قدمت علي إعطاء الظهر الي الشرق والتطلع الي أوربا ، والسعي في الانغماس الي تيارها الحضاري العام ، وقد خرجت تركيا بذلك ، ولو لفترة مؤقتة من ميدان الصراع الإقليمي .

وفي فارس لفظت الدولة القاجارية أنفاسها الأخيرة ، مثلها مثل جارتها العثمانية، ونجح أحد رجال الجيش في أن يستولي علي السلطة وإن اختلف عن رصيفه اتاتورك في الإبقاء علي العرش الشاهاني، ذلكم هو رضا شاه بهلوي الذي انهي عهد آل قاجار في اكتوبر عام ١٩٢٥ ثم أعلن ملكا علي البلاد بعد أيام قليلة ، وإن كان حفل تنصيبه شاهنشاها علي البلاد ، التي غير اسمها الي إيران ، لم يتم الا في ابريل من العام التالي(٦).

في مصر تفجرت ثورة ١٩١٩ بكل نتائجها التي كان من أبرزها صدور تصريح ٢٨ فبراير عام ١٩٢٢ .

وبغض النظر عن كون هذا التصريح قد منح مصر استقلالا مقيدا إلا أنه في نهاية الأمر ، ولأول مرة في العصور الحديثة أصبحت مصر دولة مستقلة ذات سيادة .

لعل أهم ما ترتب علي هذه التطورات علي مستوي القوي الاقليمية الثلاث مجموعة من النتائج يمكن أن نرتبها علي النحو التالي :

١) خروج تركيا من المعادلة الثلاثية ولفترة غير قصيرة ، وهو خروج تم بمحض الرغبة لحكومة انقرة .

٢) انكفاء الدول الثلاث علي أوضاعها الداخلية ، كل يسعي من جانبه الي إعادة ترتيب البيت بعد عاصفة الحرب حيث سار كل من اتاتورك ورضا شاه قدما في عملية تحديث بلادهم، وفي مواجهة محاولة الهيمنة الغربية ، وعلي وجه الخصوص بريطانيا ، وقد

ساعدهما علي ذلك في تلك الفترة قيام الثورة البلشفية وما استتبعها من تكوين الاتحاد السوفيتي الذي مد اليه الرجلان أياديهما !

وكان من الطبيعي مع تلك الظروف أنه عندما تنشأ العلاقات بين أنقرة وطهران والقاهرة تنشأ في أضيق الحدود .

٣) بالنسبة لمصر تمثلت تلك الحدود الضيقة في الصلاحيات التي اكتسبتها مصر بمقتضي التصريح ، والتي كان من أهمها حق تبادل التمثيل الدبلوماسي ، وكان لإيران دور في هذا التبادل .

كانت فارس الدولة الشرقية الوحيدة التي لها وجود تمثيلي في العاصمة المصرية قبل صدور تصريح ٢٨ فبراير عام ١٩٢٢ ، وكان هذا التمثيل علي مستوي القنصل العام والمعتمد السياسي ، ولم يكن لهذه الدار فيما يشهد به المندوب السامي البريطاني في القاهرة ، لم يكن لها أعمال تذكر [٧].

تغيرت وضعية هذا التمثيل بعد استقلال مصر وأصبح لفارس تمثيل دبلوماسي بدرجة وزير مفوض حيث تعاقب الوزراء المفوضون في القاهرة لدينا منهم ميرزا علي أكبر خان الذي خلفه غفار خان جلاي [٨] أعقبهما جواد سنيكي فسلطان احمد خان .

ولعل ما جاء في تقرير المندوب السامي البريطاني في القاهرة عن ذلك الأخير يقدم صورة واقعية لضآلة أهمية التمثيل الدبلوماسي الإيراني في القاهرة خلال تلك الحقبة .

قال السير مايلز لامبسون عن سلطان احمد بالحرف الواحد : « من الموظفين الدائمين في وزارة الخارجية الفارسية ومنذ وصوله فانه يحيا حياة موظف علي المعاش!»[٩]

بالمقابل فإن أول دولة شرقية انشأت مصر فيها تمثيلا ديبلوماسيا كانت إيران ، وذلك انطلاقا من مبدأ تمثيل بتمثيل ، فضلا عن أن إيران كانت من الدول القليلة وقتذاك التي تمتعت بحقوق الاستقلال ما يمكنها من استقبال الممثلين الديبلوماسيين .

وكان لانفتاح الجهاز الديبلوماسي المصري تجاه الشرق ، بدولة إيران العلية » أو « بلاد العجم » كما كانت تسميها وقتذاك الصحف المصرية أسباب أخري، من تلك الأسباب الرابطة الاسلامية التي كثيرا ما كانت تشير اليها الوثائق والتقارير عند الحديث عن الدافع الأساسي لوجود مثل هذه العلاقة الديبلوماسية ، خاصة إذا ما لاحظنا أن الدولة الشرقية

الأخري ، الجمهورية التركية ، كانت قد خلعت وقتذاك ردا عها الشرقي ، كما تنكرت لردائها الديني .

غير أن هذه الاعتبارات لا تنفي أن الديبلوماسين المصريين الذين كانوا يذهبون الي طهران كانوا عادة ما يعبرون عن عدم سعادتهم بهذا الذهاب ، بل وصل الأمر في وقت ما الي سريان لون من التشاؤم بين هؤلاء عبر عنه أحدهم ، وهو حسن (باشا) يوسف ، في مذكراته ، قال بمناسبة تعيينه في العاصمة الإيرانية عام ١٩٣٠ : « كانت المفوضية مبغضة لرجال السلك السياسي المصريين ، توفي فيها من قبل وزيران هما نهاد خلوصي بك ومحمد عزت بك.. »(١٠).

ولعل ذلك يعزي الي أسباب المكايدة التي كان يعانيها رجال الديبلوماسية المصرية الوليدة في هذه العاصمة الشرقية ، وهو ما رواه نفس الرجل حين أشار إلي أن رجال المفوضية المصرية في طهران كانوا يشترون مياه الشرب في صفائح من المفوضية البريطانية نتيجة لأن المياه التي كانت تصل إلي المنازل في العاصمة الإيرانية وقتذاك كانت تصلها في قنوات مفتوحة بالطرق والشوارع ، وقد أوجز الرجل الموقف كله حين قال : « رغم جمال مدينة طهران كانت ظروف المعيشة فيها شاقة » ! (١١).

بيد أن أواخر الثلاثينيات شهدت تحرك المياه الراكدة في العلاقات المصرية - الإيرانية علي نحو غير متوقع .

ففي صيف عام ١٩٣٨ وصل الي القاهرة وفد إيراني عالي المستوى يتشكل من رئيس الوزراء وأميني الديوان الامبراطوري وثلاثة أعضاء استقبلوا في الاسكندرية ، وبعد استقبال حافل أعد للوفد عرضوا للمهمة التي جاءوا من أجلها ، تقدم ولي عهد إيران للزواج بشقيقة الملك فاروق ، الأميرة فوزية » (١٢).

وبينما كان هناك تحفظ مبدئي من الملك المصري إلا أنه كان هناك من الدواعي السياسية ما يشجع الطرفين علي السير قدما في المشروع.

التحفظ تمثل في الفوارق المذهبية فقد تردد فاروق في تزويج شقيقته من شيعي ، غير أن الشيخ المراغي مستشار الملك وشيخ الأزهر قد أفتي بأنه ليس ثمة ما يعوق ، وعلي حد ما نشرته مجلة مصرية نقلا عن الشيخ الشهير : ليس في الإسلام مايمنع هذا الزواج علي الإطلاق » (١٣).

ومع سقوط التحفظ فقد كان كلا الطرفين تواقا لإتمام هذه الزيجة.

الجالس علي عرش الطاووس في طهران الذي انحدر من أصول اجتماعية كان يتطلع الي إضفاء أسباب الإمارة علي الأسرة التي أخذ في ترسيخ وجودها علي العرش ، ولم يكن أفضل من ذلك السبيل مصاهرة إحدي الأسر الملكية الكبيرة في المنطقة ، ولم يجد أفضل من الأسرة المالكة في مصر ولأسباب عديدة .

فقد كانت أسرة محمد علي أعرق الأسر المالكة في العالم الإسلامي ، فقد قارب وجودها علي عرش مصر ما يقرب من القرن والنصف .

من ناحية أخري لم تحط العلاقة بين مصر وإيران تلك الحساسيات التي كانت تحيط العلاقة مع أية أسرة مالكة إسلامية أخري من الأسر الحاكمة المجاورة ، مثل الأسرة الهاشمية أو الأسرة السعودية ، فضلا عن أن الأعراف القبلية لتلك الأسر كان يمنع تزويج بناتهن من أسر خارجية خاصة مع اختلاف المذهب .

من ناحية ثالثة فان التربية الملكية التي تمتع بها أسر البيت الحاكم المصري لم تتمتع بها بنات أي أسرة ملكية أخري في العالم الإسلامي .

بالمقابل ، وعلي الجانب المصري ، اعترف علي ماهر باشا ، رئيس الديوان الملكي ، بأن المسألة كانت سياسية ودينية ، فبالإضافة إلي تأكيد زعامة مصر علي البلاد الإسلامية ، فإن الزواج يوحد بيني اتباع المذهبين الشيعي والسني (١٤).

وتبدو مدي الأهمية التي كان يعتقدها الملك الشاب علي هذه الزيجة من طموحات في تأكيد زعامته الدينية ، وهي القضية التي كانت مثارا للنزاع بين فاروق من ناحية وبين الوزارة الدستورية برياسة مصطفي النحاس باشا من ناحية أخري .

في تلك الأثناء وقبل إتمام الزيجة جرت محاولات لترجمة العلاقات بين الأسرتين الملكيتين الي علاقة خاصة بين البلدين ، فقد طرح اقتراح برفع مستوي التمثيل الديبلوماسي بين القاهرة وطهران الي مستوي السفارة ، وهو المستوي الذي كان قائما فقط في العلاقات بين مصر وبريطانيا (١٥) .

وقد تدخل السفير البريطاني في العاصمة المصرية في هذه المناسبة، وحذر من الإقدام علي مثل تلك الخطوة بما يمكن أن يترتب عليها من مطالبة دول أخري مثل ايطاليا والمانيا وفرنسا

برفع مستوي تبادل التمثيل الديبلوماسي مع مصر الي نفس المستوي بكل مايمكن أن يترتب علي ذلك من مضاعفات ، واستجابة الحكومة المصرية للتحذير البريطاني وأقلعت عن الفكرة[١٦].

وفي ربيع عام ١٩٣٩ تم فعلا الزواج الملكي وتصاهرت الاسرتان المصرية والإيرانية ، ويبدو أن الاحتفالات قد تمت بقدر كبير من البذخ الأمر الذي كان محل انتقاد واسع ليس فحسب من أفراد الطبقات الدنيا من الشعب أو جماعات المثقفين ، بل وصل الأمر إلي بعض أعضاء الأسرة المالكة ، فالأمير محمد علي والأمير محمد طاهر قد شكوا للسفير البريطاني من ضخامة الأموال التي انفقت علي المناسبة[١٧].

يرصد المراقبون أيضا أنه في نفس الفترة كان هناك اتجاه لانضمام مصر الي ميثاق سعد اباد الذي ضم كلا من إيران وتركيا وافغانستان والعراق ، وهو اتجاه لم يعمر طويلا علي أي الأحوال.

ونحن هنا لنعرض لهذا الميثاق الذي سوف نتناوله بالتفصيل لدي الحديث عن العلاقات الإيرانية - العراقية بقدر ما نعرض لفكرة ضم مصر إليه .

الفكرة طرحت في مجلس الوزراء المصري خلال صيف عام ١٩٣٩ بينما كان يتم الاستعداد لقيام وزير الخارجية بزيارة للعاصمة التركية أنقرة .

ويقول السير مايلز لامبسون السفير البريطاني في القاهرة إن الوزراء المصريين قد انقسموا علي أنفسهم ، وأنه بعد أن تم الموضوع بينه وبين رئيس الوزراء فقد كان رأي الأول أن مصر بانضمامها لهذا الميثاق ستفرض علي نفسها التزامات دون أن تقابلها مزايا تذكر، بينما كان من رأي رئيس الوزراء أن الميزة التي يمكن أن تحصل عليها مصر هي اكتساب مزيد من المكانة في المنطقة وفي العالم الإسلامي[١٨].

وانتهت القضية باقتناع رئيس الوزراء بوجهة نظر السفير ، كما هي العادة، وأصدر الأول تعليماته لوزير الخارجية بالا يفتح الموضوع مع المسئولين الأتراك ، وأنه إذا ما جاءت المبادرة منهم فعليه أن يتذرع بأنه ليست لديه تعليمات من الحكومة في هذا الشأن[١٩].

جانب أخير من جوانب العلاقات المصرية - الإيرانية خلال تلك الفترة تمثل فيما جري خلال الحرب العالمية الثانية من اتصالات مصرية - ألمانية من خلال طهران .

والاتصالات التي نعنيها كانت تلك التي قام بها السفير المصري في طهران بالنيابة عن الملك فاروق مع رصيفه الالماني ، والتي كشفت عنها الوثائق الالمانية بعد ذلك .

فالمعلوم أن ما التزمت به إيران من اتخاذ موقف الحياد في الحرب العالمية الثانية قد أدي إلي أن تصبح طهران من أهم مراكز النشاط الألماني ، وقد قدرت الدوائر الأمريكية عدد العملاء الألمان في إيران بما يتراوح بين خمسة وعشرة آلاف عميل ، الأمر الذي دعا الحكومتين البريطانية والسوفيتية الي تقديم إنذار للشاه في يونيو عام ١٩٤١ يطلبون منه فيه سرعة التخلص من بعض المشتبه فيهم من الجواسيس والعملاء الالمان[٢٠].

وعندما يستعرض أحد الباحثين أهم القنوات التي تمت من خلالها الاتصالات المصرية - الالمانية يراها في قناتين : الأولي قناة طهران والثانية قناة بغداد .

ويصف القناة الأولي بأنها القناة المباشرة والثانية غير مباشرة، وأن الاتصالات عبر القناتين قد بلغت ذروتها في شهر أبريل عام ١٩٤١ .

في طهران مثل مصر في تلك الاتصالات يوسف ذو الفقار باشا والد الملكة فريده والوزير المفوض المصري في العاصمة الإيرانية ، بينما مثل الجانب الالماني (ايتل Ettel) الوزير المفوض في طهران[٢١].

وتشكل تلك الاتصالات صفحة هامة من تاريخ الحرب العالمية الثانية إلا أنهاليست ذات صلة مباشرة بموضوع هذه الدراسة باستثناء القول أن اختيار طهران من جانب القصر الملكي المصري لإجراء اتصالاته مع المانيا إن كان قد صدر في جانب منه عن وجود تمثيل الماني فيها بحكم حيادها فإنه علي الجانب الآخر صدر من اطمئنان قصر عابدين لحسن الصلات مع الأسرة المالكة الإيرانية بعد المصاهرة بين الطرفين .

بيد أن ما ترتب علي زيادة النشاط الالماني في إيران أدي في نهاية الأمر الي تدخل البريطانيين والسوفيت في شئونها ودخول قوات الدولتين الي طهران في سبتمبر عام ١٩٤١ الأمر الذي دفع رضا شاه بهلوي الي التنازل عن العرش لولي العهد محمد رضا شاه بهلوي[٢٢].

الأميرة فوزية امبراطورة علي البلاد.

وليس من شك أن تلك التطورات التي أغلقت قناة من قنوات الاتصال بين قصر عابدين والالمان قد أزعجت الملك فاروق إلا أنها لابد وأن تكون قد أسعدت المصريين الذين رأوا أميرتهم قد أصبحت امبراطورة علي إيران، خاصة وأنهم لم يكونوا يعلمون شيئا عن الاتصالات التي كان يجريها وزيرهم المفوض في العاصمة الإيرانية .

وليس من قبيل المبالغة الحكم علي أن تلك العلاقة الشخصية استمرت تشكل أهم جانب في العلاقات بين البلدين التي كانت تتحسن أو تسوء تبعا لها .

فمن ناحية كانت الاخبار تتوالي من طهران عن الحالة السيئة التي اصبحت عليها الأميرة، الأمر الذي دعا فاروق الي إرسال بعض رجاله الذين جاءت تقاريرهم بالحالة المخيفة التي وصلت اليها الأميرة .

نترك أحد هؤلاء يصف تلك الحالة .. قال :

« كانت الأنباء الواردة من طهران أواخر ١٩٤٤ تثير القلق ، فقد قيل إن امبراطورة إيران الشابة شقيقة فاروق تعاني مرضا خطيرا. وقد اضطر محمود ثابت باشا الي التوجه لطهران بناء علي أمر الملك ».

ويستطرد الأستاذ عادل ثابت صاحب هذا الكلام فيشير الي أنه كان لرضا شاه ثلاث زوجات كلهن يحملن لقب الامبراطورة (!) ، وكان من المتوقع أن تعتبر هؤلاء الامبراطورة المصرية متطلفة غير مرغوب فيها أميرة سنية كافرة فرضت علي إيران .

ويصل من كل ذلك إلي وصف اللقاء مع الامبراطورة فوزية التي جاءت الي السفارة المصرية لتلتقي بمبعوث أخيها فيصفها بقوله : «تبدو وكأنها شبح شديد الهزال .. كانت عظام فوزية تبرز مثل زعانف سمكة تعاني من سوء التغذية ، وكان يبدو أنها مريضة » ! (٢٣).

من ناحية أخري فقد أدت حادثة علي الجانب المقابل الي مزيد من التأثير علي العلاقات بين الجانبين .

فقد حدث أن توفي الامبراطور رضا بهلوي في منفاه بجنوب أفريقيا عام ١٩٤٤ ، وبعد اتصالات مع القاهرة وافق الملك فاروق علي دفنه في مصر ، الأمر الذي تم في احتفال كبير.

غير أنه بعد أن وضعت الحرب أوزارها ورغب ابنه نقل الجثمان إلي طهران فوجئ الإيرانيون باختفاء بعض متعلقات الرجل الثمينة ، نياشين ، سيف من الذهب محلي بالجواهر ، قايش، حزام .

وقد علم أن الملك فاروق قد حجز تلك المتعلقات لنفسه ، ورغم المحاولات المتكررة لرجال السفارة الإيرانية لاستردادها إلا أنها قد باءت جميعها بالفشل (!) [٢٤].

جاءت ثالثة الأثافي بطلاق فوزية من الامبراطور والذي أعلن عنه في نوفمبر عام ١٩٤٨ وإن كانت بوادره قد لاحت قبل ذلك بكثير ، وقد حرص فاروق علي أن يتم الإعلان عن هذا الطلاق في نفس وقت إعلان طلاق الملكة فريدة مما كان يمثل يوما حزينا للمصريين الذين حظيت لديهم الملكة بكل حب واحترام . وكان يوما حزينا أيضا للعلاقات المصرية الإيرانية التي تأثرت كثيرا بهذا الطلاق الامبراطوري[٢٥].

كانت الأمور تسير في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية في طريق الصدام بين القاهرة وطهران .

منذ أواخر الحرب ونتيجة لما بدا من انهيار الامبراطورية الاستعمارية القديمة بدأت مصر تلعب دورا قياديا في المنطقة ، وهو الدور الذي أخذت تباشيره في الظهور بعد تأسيس جامعة الدول العربية التي اتخذت من العاصمة المصرية مقرا لها .

من بين ما شهدته نفس الفترة ما ترتب علي احتدام الحرب الباردة بين الكتلتين من مضاعفات افترقت خلالها الطرق بين طهران والقاهرة، فالأولي بحكم متاخمتها لإحدي القوتين الأعظم ، الاتحاد السوفيتي، وبحكم تعاظم النشاط الشيوعي فيها الذي بدا في تعاظم قوة حزب تودة. كل ذلك أدي الي انحيازها للغرب خاصة بعد أن نجحت المخابرات المركزية الأمريكية بالتعاون مع جنرالات الجيش في إحباط تجربة مصدق الاستقلالية وإعادة الشاه الذي كان قد لجأ إلي بغداد (١٩٥١ - ١٩٥٣) [٢٦].

في القاهرة كان الوضع مختلفا ، فالإحساس بخطورة الاتحاد السوفيتي لم تكن توازي بأية حال الإحساس بخطر الغرب الذي كانت لازالت تعاني من الوجود العسكري لإحدي دوله (بريطانيا) . في نفس الوقت تزايدت مشاعر المرارة بعد حرب ١٩٤٨ وقيام دولة اسرائيل التي أصبحت خطرا ملحا يفوق في التقدير الوطني أي خطر آخر .

اختلاف الطرق تحول الي تقاطع خلال الخمسينيات بكل ما شهدته من تطورات لابد أن القائمين علي السياسة الخارجية في طهران ارتأوها درامية .

من هذه التطورات الضربة التي تلقاها الغرب بعد فشل العدوان الثلاثي علي مصر وصعود نجم عبد الناصر ، بكل ما أصبح يعنيه ذلك من فاعلية لإحدي القوي الاقليمية الثلاث ارتآها المسئولون في القوتين الأخريين (انقرة وطهران) علي حسابهما .

ولا مشاحة أن القلق الذي أخذ بتلابيب الدولتين تحول الي فزع بعد أن وصل المد العربي الي مداه بقيام الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٥٨ .

وكان لابد أن ينتهي هذا التقاطع الي تصادم في نقطة ما ، وهو ما حدث فعلا في المعركة التي دارت حول ما سمي بحلف بغداد .

كان هذا الحلف قد تكون علي عدة مراحل بدأت باتفاق تعاون بين تركيا وباكستان في فبراير عام ١٩٥٤ انضمت اليه العراق بعد عام ، ثم لم تلبث أن لحقت بها كل من الباكستان وإيران في نفس العام ، وكانت بريطانيا منذ البداية عضوا أصيلا في الحلف[٢٧].

وبينما كان عبد الناصر مستعدا أن يتغاضي عن تكوين الحلف طالما بقي بعيدا عن العالم العربي فإنه لم يقبل بذلك بعد انضمام العراق إليه ، الأمر الذي دعاه إلي الدخول في حرب عنيفة ضده لقيت استجابة واسعة في العالم العربي ، وأوقعت النظام العراقي في حرج شديد.

ولما كانت هذه الحرب قد دارت بين التيار العربي الصاعد تتزعمه مصر وبين دول حلف بغداد بما فيها إيران ، وكان موضوعها « العراق » فإن الأمر يقتضي قبل التعرف علي نتائجها متابعة الشق الثاني من الموضوع المتعلق بالعلاقات الإيرانية - العراقية .

العلاقات العراقية - الإيرانية :

منذ العصور الإسلامية الأولي ورغم الازدهار الذي عرفه العراق في عهد الخلفاء العظام خلال العصر العباسي الأول فإن هذا العصر قد شهد مكابدة تلك البلاد من الصراع بين الكتلتين البشريتين المحيطتين بالعراق ، الفرس والترك ، وهو الصراع الذي اتخذ من الأرض العراقية ميدانا له .

وقد تطورت هذه الظاهرة لتبدأ بصراع بين العنصرين ثم تتحول إلي صراع بين الدول التي كونها هذان العنصران .

والمعلوم أن الخلافة العباسية أول ما قامت اعتمدت علي العنصر الفارسي ، ولعل ذلك كان من أهم أسباب اختيار بغداد ، القريبة من فارس ،حاضرة بهذه الخلافة ، وقد استمر هذا الاعتماد حتي تولي الخليفة المعتصم الحكم عام ٨٣٢م الذي تخوف من خطورة العنصر الفارسي فقد شعر أنهم متعصبون لأخيه المأمون الذي كانت أمه فارسية ، الأمر الذي دعاه إلي التفكير في عنصر آخر ، وقر قراره علي أن يكون الترك .

وقد أدي الاستمرار في هذه السياسة الي مجموعة من النتائج كان من أهمها أن الفرس قد ساهم أن الترك قد انتزعوا منهم الهيمنة علي شئون الخلافة مما جعل بغداد مسرحا للصراع بين العنصرين .

ازدادت حدة هذا الصراع بعد أن توفي الخليفة المتوكل عام ٨٤٦م والذي ينظر المؤرخون الي عهده باعتباره بداية العصر العباسي الثاني وهو العصر الذي شهد الانحلال السياسي للدولة العباسية ، والذي استمر حتي سقوط بغداد في أيدي التتار عام ١٢٥٨ م [٢٨].

ولم يمض وقت طويل حتي اصطنع كل من العنصرين دولته وبدا الصراع بينهما علي مستوي الدول، وكانت أراضي العراق هي الميدان الرئيسي لهذا الصراع .

الفرس اصطنعوا عددا من الدول كان أهمها الدولة البويهية التي تأسست عام ٩٣٢ ولم يمض علي تأسيسها أكثر من عقد ونصف حين أرسلت بقواتها الي بغداد واحتلتها بناء على دعوة الخليفة المستكفي الذي استنجد بها في مواجهة الترك ، وهو استنجاد أدي الي استبدال سيد بسيد آخر .

واستمرت الهيمنة الفارسية علي دار الخلافة لنحو قرن حتي بدت قوة الأتراك في التصاعد من خلال الدولة السلجوقية .

وقد أدت المرحلة السابقة من الصراع إلي إضعاف دولة الخلافة العباسية التي كانت السلطة المركزية في العراق والتي كانت بالتالي تقوم علي توحيده ، كما أنها أدت إلي نتيجة أخري وهي بداية الانقسام الذي استمر يعاني منه العراق حتي يومنا هذا .

فالفرس قد نشطوا في فترات سيطرة الدولة البويهية علي نشر المذهب الشيعي بين أهل العراق، وهو الأمر الذي لم يكن يناسب الخلافة العباسية باعتبارها ممثلة السنة ، خاصة وأنه مع مرور الوقت كان بنو بويه يتعسفون في معاملة أهل السنة في العراق ، الأمر الذي دفع

الخليفة العباسي القائم بأمر الله الي الاستنجاد بالسلاجقة (الأتراك السنة) فزحف طغرليك إلي بغداد عام ١٠٥٥ لينهي وجود بقايا الدولة البويهية [٢٩] ، الأمر الذي تم مرة أخري علي حساب عمران العراق واستقراره الاقتصادي والاجتماعي ووحدته المذهبية .

وكان كل ذلك تمهيدا لما أصاب العراق خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر حين تعرض لغزوتين مغوليتين وعاني منهما ما لم يعانه أي بلد عربي آخر .

ولم تنته الموجة المغولية الثانية إلا وقد بدأت جولة أخري من جولات الصراع الفارسي - التركي ، وكان طرفاه هذه المرة أكبر دولتين في الشرق ، الدولة الصفوية (الفارسية الشيعية) والدولة العثمانية (التركية السنية) ، وكما حدث في المرات السابقة كان العراق ميدان الصراع الأساسي بين الطرفين .

المعارك الأولي بين السلطان سليم الأول والشاه اسماعيل الصفوي كان ميدانها شمال العراق (١٥١٦) . انصرف بعدها العثمانيون إلي القضاء على الدولة المملوكية وما تبع ذلك من انتقال الخلافة العباسية إلي آل عثمان ، ولم ينقض وقت طويل حتي كانت القوات التركية قد استولت علي بغداد عام ١٩٣٤ وهرب منها الحاكم الموالي للصفويين .

بيد أن سقوط بغداد في أيدي العثمانيين لم يحسم قضية تبعية العراق لحكومة استنبول كما حدث في بقية المشرق العربي خاصة الشام ومصر ، بل استمرت هذه القضية محل نزاع لفترة غير قصيرة فاقت القرن .

وقد عرف ذلك القرن صراعات لا تنتهي بين الطرفين بلغت أوجها خلال السنوات الأولي من القرن السابع عشر ، ففي عام ١٦٠٤ قام الإيرانيون بغزوة مفاجئة وصلوا خلالها الي أسوار بغداد ونشروا الذعر بداخلها ، وفي العام التالي حاصروا المدينة بفترة غير قصيرة ، وفي عام ١٦١٦ قامت قوة إيرانية أخري بنهب مندلي .

غير أن العمل العسكري الكبيري الذي قام به شاه إيران في صيف عام ١٩٢٣ حين فرض حصارا طويلا علي بغداد انتهي بسقوطها لتشهد الأيام التالية عمليات تنكيل واسعة بالسنة من أهلها خلف أسوأ الآثار علي العلاقة بيني الجانبين ، السنة والشيعة في البلاد [٣٠].

أدي ذلك إلي حدوث ما تم توصيفه في التاريخ العثماني بفتح العراق الثاني ، وهي ظاهرة لم يعرفها أي بلد عربي وقع تحت الحكم العثماني سوي اليمن .

وتولي السلطان مراد مهمة إعادة فتح العراق الذي تمكن من الاستيلاء على بغداد بعد حصار عنيف فرضه عليها ، وقد تم هذا الاستيلاء بعد معركة دموية ذبح فيها عشرون ألفا من رجال الحامية الإيرانية ولم يترك السلطان بغداد الا عام ١٩٣٩ بعد أن كان قد أدي مهمته تماما وترك ذكريات مريرة أخري تضاف إلي سجل الذكريات في العلاقات بين العثمانيين والإيرانيين وبين الشيعة والسنة ، فقد وصل الأمر به البي ذبح أكثر من ٣٠٠ إيراني كانوا في زيارة دينية للعراق(٣١).

واستقر العراق تحت الحكم العثماني بعد ذلك وإلي أواخر القرن التاسع عشر عندما بدأت تطفو مستجدات في العلاقات مع إيران .

لعل أهم ما حدث بعد الحرب العالميتي الأولي هذا التعدي الواضح من جانب إيران علي ملك الامارة العربية الواقعة شمال شرقي الخليج والتي كانت معروفة باسم « عربستان » .

ومن كثير مما كتب عن تلك الإمارة نحاول هنا تحديد موقعها في العلاقات الإيرانية - العراقية .

لقد استمرت هذه الإمارة تلعب دور الدولة الحاجزة Buffer State بين أراضي كل من القوتين الاقليميتين الكبيرتين ، الدولة الفارسية والدولة العثمانية ، إلي أن حدثت مجموعة من المستجدات خلال الحرب وفي أعقابها.

من هذه المستجدات سقوط إحدي القوتين الإقليميتين ، الدولة العثمانية ، بينما كانت القوة الأخري تقوم بتجديد شبابها ، الدولة الإيرانية من خلال حركة رضا خان التي بدأت فعلا بالإطاحة بالحكومة في فبراير عام ١٩٢١ وإن لم يعلن ملكا علي البلاد الا بعد ذلك بأكثر من أربع سنوات .

منها أيضا أحداث الثورة العراقية ضد فرض الانتداب البريطاني علي البلاد عام ١٩٢٠ والتي أدت إلي انشغال الدولة المنتدبة بتلك الأحداث خلال محاولة بناء الدولة المركزية في بغداد ، الأمر الذي أتاح لطهران الفرصة في ضم هذه الدولة الحاجزة .

منها أخيرا أن الدولة المنتدبة قد صرفت جل اهتمامها خلال تلك الفترة الي الشمال .. إلي الموصل ، حيث دار صراع ديبلوماسي طويل مع تركيا التي كانت تطمع في ضم ذلك الجزء من العراق ، وهو العراق الذي لم ينته الا عام ١٩٢٦(٣٢) .

وليس من شك أن التحرك الإيراني لضم عربستان كان من بين أسبابه ما تردد وقتذاك من أن عرش العراق قد عرض علي الشيخ خرعل بكل ما كان يعنيه هذا من الحاق عربستان بالعراق.(٣٣)

وفي مواجهة بين جيش حديث لدولة كبيرة في المنطقة هو الجيش الفارسي وبين قوة عسكرية ذات طبيعة قبلية كانت النتيجة معروفة مقدما فقد انتهي الأمر أن استكمل الجيش الأول احتلال عربستان في ابريل عام ١٩٢٥ .

ولعل هذا الإنجاز كان من بين الأسباب التي أفضت إلي تمهيد الطريق أمام رضا خان للجلوس علي عرش الطاووس ، ولكنها من ناحية أخري أسقطت هذا الحاجز الذي استمر قائما بين العراق العثماني وبين إيران وهو ما كان يدركه الرجل حين كتب في مذكراته يقول : لقد فكرت كثيراً ، قبل ، إقدامى علي اقتحام أكبر معقل يفصل بين فارس والعراق (٣٤).

بين عام ضم عربستان (١٩٢٥) وعام عقد أول معاهدة بين البلدين الجارين (١٩٣٧) الخاصة بالحدود علي شط العرب ، استمرت هذه القضية تلك تخيم بظلالها الكثيفة علي العلاقات بين البلدين .

وتتدافع الملاحظات حول تلك الفترة من العلاقات بين بغداد وطهران:

(١) أن العراق وهو يحاول أن يمنع وجوده الدولي كان في حاجة إلي اعتراف دولي . الأمر الذي دفع إيران أن تتلكأ في تقديم اعترافها بالمشكلة العراقية حتي عام ١٩٢٠ ، وقد استغلت هذا التلكؤ لتحصل علي تنازلات عراقية ، ولعل ذلك يفسر أسباب تأخر هذا الاعتراف حتي عام ١٩٢٩ ، الأمر الذي لم يحدث إلا بناء علي وعود بريطانية استجابة لبعض المطالب الإيرانية(٣٥).

(٢) إنه كان هناك طرف ثالث طول الوقت هو بريطانيا ، وبينما كان الموقف البريطاني تجاه قضية التوصل محددا وحاسما فإن الأمر اختلف بالنسبة لقضية شط العرب ، فالموقف علي الخليج كان أكثر تعقيدا .

فالمعلوم أن المصالح البريطانية مع المشيخات العربية علي الخليج كانت تؤثر علي حسابات وزارة الهند التي كانت مسئولة عن إدارة العلاقات في تلك الجهات عما كان حادثا بالنسبة للشمال .

من جانب آخر يري بعض الساسة العراقيين أن بريطانيا بتقاعسها عن المساعدة في حل مشكلة شط العرب إنما كانت تسعي طول الوقت إلي إشعار العراقيين أنهم بحاجة دائمة إلي دعمها (٣٦).

(٣) إن اعتراف إيران بالعراق لم يؤد إلي أي حل لمشكلة الحدود التي أخرت هذا الاعتراف ، فقد أعلنت حكومة طهران بعد ذلك الاعتراف أنها لا تري نفسها ملزمة بالترتيبات التي عينت الحدود بمقتضاها ولا تعترف بشرعيتها ، ورأت بطلان الوثائق التي تم إبرامها في هذا الشأن ، وبالتالي التحديد الذي قامت به لجنة الحدود عام ١٩١٤ ليست ذات صبغة تقريرية لتعليم الحدود. (٣٦/أ)

وأمام استمرار السياسات الإيرانية الساعية الي بذل كل الضغوط علي الجانب العراقي ، خاصة في محاولة تغييري الأوضاع علي الأرض في منطقة الحدود اضطرت بغداد الي أن تذهب إلي عصبة الأمم التي تقدمت لها بشكواها عام ١٩٣٤ والتي دارت حول المطالبة بوقف اعتداءات الموظفين الفرس ، وحول الاعتراف باتفاقيات الحدود التي سبق ووقعتها الحكومة الإيرانية .

ورغم عرض القضية علي مجلس العصبة ، ورغم أن الحجج العراقية كانت تتسم بقدر كبير من التماسك والمنطقية ، فقد استطاعت إيران أن تكسب تأييد الكثير من أعضاء المجلس ، خاصة بعد أن انحاز مقرر اللجنة التي شكلتها العصبة ، وكان إيطاليا ، الي الجانب الإيراني ، وانتهي الأمر بأن قرر المجلس إحالة القضية الي المفاوضات المباشرة بين الجانبين ، مما كان يعني من الناحية العملية نفض يده من الشكوي العراقية (٣٧).

بدأت بعد ذلك جولة طويلة من المفاوضات استمرت لنحو عامين تدخلت فيها الحكومة البريطانية وانتهت بتوقيع معاهدة جديدة للحدود بين البلدين في ٩ يونيه عام ١٩٣٧.

وفي رأي أحد المؤرخين العراقيين أن تلك المعاهدة وإن سمحت لإيران بحق المرور البري في شط العرب فإنها قد ضمنت اعترافها بأن شط العرب يكونا مياها عراقية(٣٨) .

هدأت قضية الحدود العراقية - الإيرانية لأكثر من عقدين بعد ذلك ويمكن أن يعزي هذا الهدوء لأكثر من سبب :

أول هذه الأسباب ما اتصل بظروف الحرب الثانية وحا لة عدم الاستقرار التي عرفتها إيران

نتيجة لمجريات الحرب والتي وصلت إلي حد تعرضها الربطاني السوفيتي وخلع الشاه رضا بهلوي وتنصيب ابنه.

سبب ثان : أن تلك الفترة قد عرفت بدورها حالة من عدم الاستقرار في العراق من جراء وفاة الملك غازي في حادثة سيارة عام ١٩٣٩ تلاها خلال عام ١٩٤١ الحركة المعروفة باسم حركة رشيد عالي الكيلاني والتي أدت إلي تدخل بريطانيا العسكري (٣٩).

وإذا كانت ثمة ملاحظة هنا فهي أن البلدين ، العراق وايران ، قد تعرضا خلال الحرب لظروف مشابهة من حيث الرغبة في الالتزام بالحياد ، وأن هذه الرغبة في النهاية أدت إلي تعرضهما لعملية عسكرية أسقطت الشاه في طهران والكيلاني في بغداد ، وفي نفس العام .

سبب ثالث : أنه حتي بعد الحرب وحتي عام ١٩٥٢ استمرت الارتباكات الإيرانية قائمة بسبب عملية تأميم البترول التي قام بها مصدق وهروب الشاه الذي تلاحظ هنا أنه قد لجأ إلي بغداد ، ولم تنته المسألة إلا بعد الإطاحة بمصدق .

السنوات الثلاث بين عامي ١٩٥٥ و ١٩٥٨ كانت أكثر فترات تحسن العلاقات بين إيران والعراق بعد انضمام البلدين في العام الأول الي الحلف الذي سمي باسم العاصمة العراقية ، حلف بغداد .

وليس من شك أنه كان وراء هذا الحلف ، فضلا عما صور بأنه ضد الخطر الشيوعي الذي يمثله الاتحاد السوفيتي ، كان هناك الخطر الذي مثله النمو المتعاظم لحركة القومية العربية ، التي قادتها القاهرة ، والتي شنت حملة عنيفة ضد الحلف .

وإذا كان عام ١٩٥٨ قد شهد تزايد أسباب القلق في بغداد وطهران من جراء قيام الجمهورية العربية المتحدة ، فإن ما حدث في يوليو من نفس العام قد حول هذا القلق الي كابوس للشاه بعد نجاح الثورة العراقية في الإطاحة بنظام الحكم الملكي ، وبعد إعلانها الخروج من الحلف بعد قليل .

بيد أن هذا الكابوس أخذ ينزاح بعد الخلاف الذي دب بين عبد الكريم قاسم وبين الجمهورية العربية المتحدة والذي شجعته إيران بكل الوسائل، رغم أن الرجل قد اعتمد أساسا علي الشيوعيين .

ولم يمض وقت طويل حتي بدا وكان الخطر العربي قد أخذ في الانقشاع سواء لما حدث من

تفكك الجمهورية العربية المتحدة بعد الحركة الانفصالية في سوريا عام ١٩٦١ ، أو من جراء توجه النظام العراقي لطرح قضية تبعية الكويت بمناسبة إعلان استقلال الأخيرة . الأمر الذي تسبب في أزمة كبيرة عام ١٩٦١(٤٠) استمرت حتي عام ١٩٦٣ حين أطيح بحكم قاسم .

وقد اتسم عهد الاخوين عبد السلام وعبد الرحمن عارف (١٩٦٣- ١٩٦٨ بالاعتدال حتي أن الكثيرين اعتبروه حكما محافظا ، ولعل ذلك مما يفسر الهدوء النسبي الذى ساد العلاقات بين العراق وجارتها في الشرق ، ومن مظاهر ذلك الاعتدال بالنسبة للخليج ، التراجع في موضوع الكويت . وعدم اثارة مشكلات الحدود ، حتي إذا أستولي البعث علي الحكم عام ١٩٦٨ اشتعل الموقف من جديد . (٤١)

فقد تقدمت الحكومة الإيرانية في فبراير عام ١٩٦٩ بإقتراح بتعديل خط حدود شط العرب ليتفق مع خط الثالوج ، وهو ما رفضته الحكومة العراقية ، فاقدمت حكومة طهران علي خطوتها التالية بعد شهرين بالغاء معاهدة ١٩٣٧ من جانب واحد ، ثم تبعت ذلك بتصعيد الموقف علي الحدود بحشد قواتها العسكرية ، الأمر الذي دفع العراق إلي تقديم إحتجاج رسمي لمجلس الأمن في ١٣ مايو عام ١٩٦٩ . (٤٢)

وقد استمر توتر العلاقات حتي وصل الي مداه عام ١٩٧١ حين قطعت بغداد علاقتها الدبلوماسية بإيران . وقد حدث ذلك في اعقاب إستيلاء القوات الإيرانية علي جزر الخليج طنب الكبري وطنب الصغرى وأبو موسي .

ويثير الدهشة أن حكومة البعث التي قطعت تلك العلاقات قد بادرت الي اعادتها في اكتوبر عام ١٨٧٣ . وكانت ذريعتها في ذلك الحرب العربية الإسرائيلية الرابعة ، وعلي حد تعبير أجهزة الإعلام العراقية أن تلك المبادرة من الجانب العراقي القصد منها تمكين العراق من تحمل مسئولية قومية كبري في الاسهام الفعال فيها » (٤٣)

وساطة منها قامت بها الأمم المتحدة بناء علي قرار من مجلس الأمن بذلها الدبلوماسي المكسيكي لويس مونوز الذي أوصي بإتباع أسلوب المفاوضات للتوصل الي تسوية لمسائل المياه الإقليمية والصيد واستغلال الجرف القاري .

الوساطة الثانية كانت عربية ، وقد بدأت بقرار من مؤتمر القمة العربي المنعقد في الرباط في اكتوبر عام ١٩٧٤ بتشكيل لجنة وساطة تتولي تسوية النزاع ، اعقبها في ديسمبر تدخل

الرئيس المصري أنور السادات لدي البلدين لوقف تدهور الموقف علي الحدود بين البلدين .

وينبغي أن نسجل في هذه المناسبة ذلك التحسن الكبير الذي طرأ علي العلاقات المصرية – الإيرانية خلال تلك الفترة ، والذي كان يشكل جانبا من الانقلاب السياسي الذي قام به الرئيس السادات في السياسات المصرية ، والذي انصرف في جانب منه إلي تحسين العلاقات مع الدول العربية المحافظة ، وفي جانب آخر إلي تحسين العلاقات مع الغرب . وفي الجانب الثالث إلي تحسين العلاقات مع دول المنطقة المتحالفة مع الغرب ، وكان علي رأسها ايران .

ولقد لعبت الاعتبارات الشخصية دورا كبيرا في هذا الإنقلاب خاصة ما أتصل منها برغبة الرئيس الراحل في التشبه بالنظم الملكية فضلا عن معرفته اللغة الفارسية التي كان يتباهي دائما بها.

علي أية حال فان الوساطات التي قامت بها مصر والجزائر والاردن وفرنسا أسهمت في التمهيد للتوصل للاتفاقية التي عقدت إبان مؤتمر القمة الأول لدول الأوبك في الجزائر في ٦ مارس عام ١٩٧٥ عقب اجتماعين بين شاه إيران وصدام حسين بحضور الرئيس الجزائري هواري بومدين ، وقد وضعت هذه الاتفاقية التي وقعت في بغداد في ١٢ يونيو عام ١٩٧٥ نهاية للنزاع بين البلدين .

ولعل كلا من طهران وبغداد كان لديها من الأسباب مايدعو إلي السعي للتوصل إلي الاتفاق ، طهران نتيجة للسياسات العراقية في احتضان العناصر المعارضة للشاه علي رأسها الإمام الخمينى الذي أتخذ من النجف في العراق مقرا يشن منه الحملات علي نظام الشاه ، وبغداد نتيجة للتدهور المستمر للأوضاع علي الحدود والأهم من ذلك نتيجة للسياسة التي اتبعتها الحكومة الإيرانية في تشجيع العناصر الكردية علي الثورة علي حكومة بغداد بكل ما يترتب علي ذلك من عملية إستنزاف مستمرة لقواه .

ومع أن كل طرف كانت لديه أسبابه للتوصل إلي الاتفاق إلا أنه مما يلاحظ أنه جاء إستجابة للمطالب الإيرانية بالكامل .

- سويت مسألة شط العرب لصالح إيران حيث قرر خط الحدود وفقا لخط منتصف النهر (الثالوج) وهو المطلب الذي استمرت طهران تتمسك به رافضة أن يكون الخط علي الشاطئ الإيراني .

وافق العراق أيضا علي تعيين الحدود البرية وفقا للاتفاقيات السابقة علي الوجود البريطاني الذي تعزو اليه ايران خلق خطوط الحدود المتنازع عليها.

مقابل تلك التنازلات العراقية تعهد الشاه بمنع تسلل أية عناصر «تخريبية» إلي العراق، أي أنه وعد بإيقاف مساعدته لحركة التمرد الكردي بزعامة الملا مصطفي البرازاني مما أدى إلي سرعة إخماد تلك الحركة (٤٤).

ويلاحظ المراقبون أن العلاقات بين الجانبين قد أخذت في التحسن بعد ذلك خاصة بعد أن ضيق العراق الخناق علي تحركات الإمام الخمينى الأمر الذي دعا الرجل إلي مغادرة النجف والخروج من الأراضي العراقية كلها متوجها إلي باريس في أكتوبر عام ١٩٧٨.

ولم يمض وقت طويل بعد ذلك حتي نجحت الثورة الاسلامية في إيران ودخلت علاقات طهران بالعراق بل وبالعالم كله مرحلة جديدة .

الهوامش

(١) د. عبد السلام عبد العزيز فهمي : تاريخ إيران السياسي في القرن العشرين (القاهرة ١٩٧٣)

(٢) Gooch , G . P . History Of Modern Eurupe 1878 - 1919 pp , 392 - 393

(٣) دونالد ولبر : ترجمة د. عبد النعيم محمد حسنين ، مراجعة د.إبراهيم أمين الشواربي ، إيران - ماضيها وحاضرها (القاهرة ١٩٥٨) ص ٣-١.

(٤) د. أرسنت أ. رامزور ، ترجمة د. صالح أحمد العلي : تركية الفتاة وثورة ١٩٠٨ (بيروت ١٩٦٠) - الفصل الرابع .

(٥) د. يونان لبيب رزق : الحياة الحزبية في مصر في عهد الإحتلال البريطاني ١٨٨٢ - ١٩١٤ الفصل الخامس .

(٦) عبد السلام عبد العزيز فهمي : المرجع السابق ص ٥٨ - ٦٠ .

(٧) F . O . 407 /192 Enc. in No . 55 Allenby to Curzon Feb, 6 , 1922

(٨) F. O . 407/203 No . 129 Lioyd to Chamberlain June 25, 1926

(٩) F.O . 407/219 No.26 Lampson to Eden April 92,1937 .

(١٠) حسن يوسف : القصر ودوره في السياسة المصرية ١٩٢٢ - ١٩٥٢ ص ٢٥

(١١) د. يونان لبيب رزق : الخارجية المصرية ١٨٢٦ - ١٩٥٢ ص ٢٥.

(١٢) F.O 407/222 II No . 2 Lampson to Halifax June 27, 1938

(١٣) د. لطيفة محمد سالم : فاروق وسقوط الملكية في مصر ١٩٣٦ - ١٩٥٢

(١٤) المرجع السابق نفس الصفحة ص ٧٤٤ .

(١٥) F.o 407/223 (L) No.6 Lampsin to Halifax March 3,1939

(١٦) Ibid

(١٧) F.O . 407/223 (1) No. 7 Lampson to Halifax March 3, 1939

(١٨) F.O . 407/223 (1) No. 34 Lampson to Halifax May 15 1939

(١٩) Ibid

(٢٠) د. آمال السبكي ، إيران بين الحلفاء والمحور حتي الإحتلال ١٩٣٩ - ١٩٤١ - القاهرة ١٩٩٠ ص ٦٨.

(٢١) د. وجيه عتيق : الملك فاروق وألمانيا النازية - خمس سنوات من العلاقة السرية القاهرة ١٩٩٢ ص ٣٣.

(٢٢) د. عبد السلام عبد العزيز فهمي : المرجع السابق ص ٩٤

(٢٣) عادل ثابت : فاروق الأول الملك الذي غدر به الجميع (القاهرة ١٩٨٩) ص ١٤١.

(٢٤) د. لطيفة سالم : المرجع السابق ص ٩٠٥.

(٢٥) المصدر السابق ص ٩٢١.

(٢٦) محمد حسنين هيكل : إيران فوقبركان

(٢٧) د. عبد اللطيف زيدان : إإران والإنسحاب من الحلف المركزي السياسة الدولية العدد ٥٧ يوليو ١٩٧٩ ص ١١١.

(٢٨) سعيد عبد الفتاح عاشور: التعارف الأول بين العرب والترك ، عن كتاب : العلاقات العربية - التركية من منظور عربي (القاهرة ١٩٩١) ص ٤٨- ٥٠.(٢٩) المرجع السابق ص ٦٤.

(٣٠) لو نكريك : ستيفن هيمسلي : أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث نقله إلي العربية جعفر الخياط (الطبعة السادسة - بغداد عام ١٩٨٥ صفحات ٤٦ و٧٧ وما بعدها) .

(٣١) المصدر السابق ص ٩٤ وما بعدها.

(*) انظر الفصل الثاني تحت عنوان « الصراع العثماني - الفارسي والعلاقات الفارسية العربية من العهد الصفوي حتي نشوب الحرب العالمية الأولي .

(٣٢) انظر د. فاضل حسين : مشكلة الموصل - دراسة في الدبلوماسية العراقية الإنكليزية - التركية وفي الرأي العام - بغداد ١٩٦٧.

(٣٣) مصطفي عبد القادر النجار : التاريخ السياسي لإمارة عربستان العربية ١٨٩٧ - ١٩٢٥ ص ٢٣٢ .

(٣٤) نفس المرجع والصفحة.

(٣٥) نصوص مذكرات تبادل الإعتراف والتمثيل الديبلوماسي - انظر عبد الرازق الحسني : العراق في دوري الإحتلال والإنتداب ج ١ ص ٢٦٣ - ٢٦٧ صيدا ١٩٣٥).

(٣٦) انظر : توفيق السويدي : مذكراتي - نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية (بيروت ١٩٦٩) ص ١٥٢ .

(*) انظر الفصل الثاني

(٣٦/أ) مصطفي عبد القادر النجار : التاريخ السياسي لمشكلة الحدود الشرقية للوطن العربي في شط العرب - دراسة وثائقية - (البصرة ١٩٧٤) ص ١٦٩.

(٣٧) المرجع السابق ص ٢١٧ - ٢٢١.

(٣٨) د. محمد طارق الكاتب : شط العرب وشط البصرة والخليج (البصرة ١٩٧١) ص ١٦٨ - ١٧٠ .

(٣٩) Shikara, Ahmed A. R. Iraqi Politicics 1921- 1941- The Interaction between domestic politics and foreign policy.

(٤٠) جامعة الدول العربية - الأمانة العامة : تقرير الأمين العام لمجلس جامعة الدول العربية في دور الانعقاد العادي السادس والثلاثين .

(٤١) دكتور صلاح العقاد : الأصول التاريخية للنزاع العراقي - الإيراني مجلة السياسة الدولية العدد ٦٣ يناير ١٩٨١ .

(٤٢) دكتور محمد طارق الكاتب : المرجع السابق ص ١٧٦ - ١٧٧.

(٤٣) اسامه الغزالي حرب : ابعاد النزاع العراقي - الإيران - السياسة الدولية - العدد ٦١ يوليو ١٩٨٠ .

(٤٤) د. اسامه الغزالي حرب : التطور التاريخي ودوافع الحرب العراقية الإيرانية - السياسة الدولية العدد ٦٣ يناير عام ١٩٨١ .

مصادر البحث

وثائق غير منشورة

دار الوثائق البريطانية - لندن

جامعة الدول العربية - الأمانة العامة ، تقرير الأمين العام لمجلس جامعة الدول العربية في دور الإنعقاد العادي السادس والثلاثين .

مذكرات شخصية :

توفيق السويدي : مذكراتي - نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية - بيروت ١٩٦٩.

مراجع عربية

- د. ارنست أ. رامزور ، ترجمة د. صالح أحمد العلي ، تركية الفتاة وثورة ١٩٠٨. بيروت ١٩٦٠
- د. أسامه الغزالي حرب : ابعاد النزاع العراقي - الإيراني - السياسة الدولية العدد ٦١ يوليو ١٩٨٠.
- التطور التاريخي ودوافع الحرب العراقية - الإيرانية - السياسة الدولية العدد ٦٣ يناير ١٩٨١ .
- د . آمال السبكي : إيران بين الحلفاء والمحور حتي الإحتلال ١٩٣٩ - ١٩٤١ القاهرة ١٩٩٠.
- حسن يوسف : القصر ودوره في السياسة المصرية ١٩٢٢ - ١٩٥٢، القاهرة ١٩٨٢.
- دونالد ولبر : ترجمة عبد النعيم محمد حسنين مراجعة د.إبراهيم أمين الشواربي : تيرتن - ماضيها وحاضرها -- القاهرة ١٩٥٨.
- سعيد عبد الفتاح عاشور : التعارف الأول بين العرب والترك عن كتاب : العلاقات العربية - التركية من منظور عربي القاهرة ١٩٩١.
- د. صلاح العقاد : الأصول التاريخية للنزاع العراقي الإيرانية السياسة الدولية العدد ٦٣ يناير ١٩٨١ .

- عادل ثابت : فاروق الأول الملك الذي غدر به الجميع - القاهرة ١٩٨٩.
- د. عبد السلام عبد العزيز فهمي : تاريخ إيران السياسي في القرن العشرين ، ١٩٧٣.
- عبد الرازق الحسني : العراق في دوري الإحتلال والإنتداب ، صيدا ١٩٣٥.
- د. عبد اللطيف زيدان : إيران والإنسحاب من الحلف المركزي ، السياسة الدولية العدد ٥٧ يوليو ١٩٧٩.
- د. فاضل حسين مشكلة الموصل - دراسة في الدبلوماسية العراقية الإنجليزية التركية وفي الرأي العام ، بغداد ١٩٦٧ .
- د. لطيفة محمد سالم : فاروق وسقوط الملكية في مصر ١٩٣٦ - ١٩٥٢ - القاهرة ١٩٨٩ .
- لونكريك : ستيفن هيمسلي : أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث نقله إلي العربية جعفر خياط ، ط ٦ بغداد ١٩٨٥ .
- د. محمد طارق الكاتب : شط العرب وشط البصرة والخليج ، البصرة ١٩٧١ .
- مصطفي عبد القادر النجار : التاريخ السياسي لإمارة عربستان العربية ١٨٩٧ - ١٩٢٥. القاهرة ١٩٧١
- التاريخ السياسي لمشكلة الحدود الشرقية للوطن العربي في شط العرب - دراسة وثائقية، البصرة ١٩٧١ .
- د. وجيه عتيق : الملك فاروق وألمانيا النازية - خمس سنوات من العلاقة السرية ، القاهرة ١٩٦٢ .
- د. يونان لبيب رزق : الحياة الحزبية في مصر في عهد الإحتلال البريطاني ١٨٨٢ - ١٩١٤. القاهرة ١٩٧٠
الخارجية المصرية ١٨٢٦ - ١٩٢٧ . القاهرة ١٩٨٩ .
- محمد حسنين هيكل : إيران فوق بركان .

مراجع أجنبية:

- Gooch. G. P. History of Modern Europe 1878- 1919. London 1924.
- Shikara. Ahmeda. R. Iraqi Politics 1921-1941- The Interaction between domestic politics and foreign policy. London 1987.

الفصل الرابع

العلاقات الايرانية بالسعودية والخليج العربي
علي عهد الأسرة البهلوية : ١٩٢٥ - ١٩٧٩*

يهدف هذا الفصل الي تتبع وتحليل العلاقات الايرانية بالسعودية والخليج العربي علي عهد الأسرة البهلوية وذلك منذ وصولها الي السلطة في عام ١٩٢٥ حتي سقوطها إبان قيام الثورة الايرانية الاسلامية عام ١٩٧٩ .

ويرتبط قيام الأسرة البهلوية بما تعرضت له ايران في أعقاب الحرب العالمية الأولي من حالات التفكك الناجمة عن قيام العديد من الحركات الانفصالية في أقاليمها المختلفة خاصة في جيلان بزعامة مرزا كوجك خان وخراسان بزعامة محمد تقي خان وأذربيجان بزعامة الشيخ محمد خياباني وكردستان بقيادة سمكو وغيرها [١]. غير أن أعنف هذه الحركات الانفصالية تلك التي نشبت في عربستان حيث تمارس شركة النفط الانجليزية الفارسية امتيازاتها الاستغلالية [٢] .

وقد هيأت تلك الظروف المضطربة المجال لظهور شخصية قوة في التاريخ الإيراني الحديث

---

* أعد هذه الدراسة الاستاذ الدكتور جمال زكريا قاسم استاذ التاريخ الحديث بكلية الآداب - جامعة عين شمس .

وهي شخصية رضا خان الذي استطاع باعتباره قائدا للجيش أن يعيد للبلاد تماسكها وبعد أن نجح في فرض الأمن والاستقرار أصدر قرارا من المجلس النيابي بالغاء الأسرة القاجارية وتم تنصيبه امبراطورا في عام ١٩٢٥ باسم رضا شاه بهلوي(٣).

والأمر الذي لاشك فيه أن سقوط الأسرة القاجارية التى كانت تحكم ايران منذ نهاية القرن الثانى عشر الميلادى وتأسيس الاسرة البلهوية يعد من الموضوعات الهامة في تاريخ إيران الحديثة لأنه حمل في طياته تغييرا نوعيا في شكل الحكم تأثيرا ملموسا في داخل ايران وما حولها(٤) .

ولما كانت حركة رضا شاه بهلوي قد أعقبت حركة مصطفي كمال أتاتورك في تركيا فقد اتخذ منها نموذجا لانطلاقه الاصلاحي والقومي وتحويل إيران الي دولة مركزية حديثة. وساعدته الأزمة الاقتصادية العالمية في حقبة الثلاثينيات علي السيطرة علي موارد الثورة الايرانية ولم تقف حركته عند حد الانطلاقة القومية التي وضحت في تغيير اسم بلاده من فارس الي ايران مستعيدا بذلك اسمها القديم بعد أن كانت تعرف في خلال العصور الإسلامية المتعاقبة ببلاد فارس أو ببلاد العجم ، وإنما اتجه في سياسته الي نزعة عنصرية متطرفة لم تقتصر فقط علي العناصر غير الآرية المقيمة في داخل الهضبة الايرانية وإنما امتدت إلي العناصر العربية المقيمة في السواحل الشرقية من الخليج التي عمد إلي إلغاء كياناتها السياسية متبعا في ذلك سياسة التفريس القسري التي وصلت الي تهجيرها من المناطق الساحلية التي استقرت بها.

ولعل مما تجدر الإشارة إليه أن الخليج العربي لم يكن طوال تاريخه حدا فاصلا أو مانعا لتحرك الفرس أو العرب علي كلا شاطئيه المتقابلين ومع ذلك فقد اتاح النشاط الملاحي لعرب الخليج - علي خلاف الفرس - أن يكسبوا الخليج الصفة العربية في جانبيه وليس أدل على ذلك في أن المتتبع لتاريخ الساحل الشرقي للخليج وهو الساحل الذي تشرف عليه ايران يجد خضوع العديد من جزره وموانيه خاصة في الجنوب لسيطرة سلطنة مسقط وعمان، فضلا عن ظهور العديد من الإمارات العربية المستقلة علي ذلك الساحل والتي كان من أبرزها إمارة لنجه التي حكمها فرع من قبيلة القواسم العربية، وقد اشتهرت لنجه حتي نهاية القرن التاسع عشر الميلادي بكونها حاضرة عربية للساحل الشرقي للخليج بأكمله، كما أتاحت الفرصة لظهور كثير من الإمارات العربية حولها من بينها إمارة بني حماد والعبادلة والمرازيق والنصوريين

وآل بشر وآل علي وغيرها. وتميزت تلك الإمارات جميعها بسمتها العربية وطبيعتها العقيدية كموطن لأهل السنة والجماعة (٥).

غير أن ابرز الإمارات العربية التي ظهرت في القسم الشمالي من الساحل الشرق للخليج هي إمارة عربستان، وكانت هذه الإمارة قد حققت لنفسها ازدهارا كبيرا خاصة علي عهد ابرز وآخر حكامها الشيخ خزعل خان ١٨٩٨ - ١٩٢٥ . ويرجع تأسيسها الي القرن السابع عشر الميلادي علي يد قبيلة بني كعب (٦) . واستطاعت أن تحافظ علي استقلالها الذاتي رغم إحاطتها بالدولتين الإسلاميتين الكبيرتين ، فارس والدولة العثمانية ، ولما كان ملوك الأسرة القارجارية قد نجحوا في إزالة الحكم العربي من جزر وموانى الساحل الشرقي للخليج فقد أصبح الطريق ممهدا لرضا شاه بعد وصوله إلي السلطة لإزالة ماتبقي من حكم عربي علي ذلك الساحل .

وقد ارتبطت دوافع رضا خان في سيطرته علي إمارة عربستان إلي جانب نزعته القومية والعنصرية المتطرفة بالازدهار الذي حققته تلك الامارة نتيجة اكتشاف النفط فى أراضيها واستغلاله من قبل شركة النفط الإنجليزية الفارسية منذ عام ١٩٠٨، ومن ثم تمتع حاكم الإمارة بحماية الانجليز له واستغلته بريطانيا خلال الحرب العالمية الأولي، نظير وعده بالاستقلال، فى مساندة حملة شط العرب، وفى حماية أنابيب النفط الممتدة من عبدان إلي هرمز (٧).

سقوط إمارة عربستان

وقد ظل الشيخ خزغل يمارس حكمه المستقل في عربستان معتمدا على الحماية البريطانية، غير أن رضا شاه لم يلبث أن بدأ فى إثارة إدعاءاته على عربستان معلنا أهدافه في تخليص رعاياه ممايحيق بهم من ظلم (٨) . وليس من شك في أن الظروف قد ساعدت للاطاحة بتلك الإمارة إذ كان أمراء الخليج أضعف من مواجهته بل كانوا معرضين بدورهم لامتداد الخطر الايراني إليهم ،وفضلا عن ذلك كان الرؤساء البارزون في داخل شبه الجزيرة العربية في شغل عن أحداث عربستان إذ اشتبك الهاشميون في الحجاز والسعوديون في نجد في صراع مرير من أجل السلطة ، أما عن الدول العربية الأخرى فقد كانت منغمسة في مشاكلها الخاصة ، فسوريا كانت تعيش ثورتها الوطنية الكبري في عام ١٩٢٥ والعراق كان يعيش أسوأ حالاته

في أعقاب قمع بريطانيا لثورة العشرين وتشريدها لمعظم الوطنيين ومن ثم لم يجد العراق بدا من مهادنة الاحتلال الإيراني لعربستان واقتصر الأمر علي حملات المعارضة التي كانت تشنها بعض الصحف العراقية والمصرية ومطالبتها باستقلال الإمارة وحماية كيانها .

أما عن بريطانيا فقد تخادلت عن الوفاء بوعودها التي قدمتها لعربستان، إذ كان يعنيها مصالحها مع التغيرات الجديدة التي حدثت في ايران وكانت تخشى بصورة خاصة من أن يرتمي رضا خان في أحضان السوفيت في وقت لم تكن قد ظهرت فيه هويته الحقيقية مما يشكل خطرا علي امتيازاتها النفطية في جنوب ايران، خاصة وأن السوفيت كانوا يؤيدون رضا خان في حركته، كما أن القضاء علي إمارة عربستان كان يعني في الوقت نفسه القضاء على النفوذ البريطاني في المنطقة ولعل مما يؤكد ذلك أن السوفيت اعتبروا دخول الجيش الايراني عربستان بمثابة انكسار وهزيمة للدبلوماسية البريطانية (٩).

فشلت إذن جهود إمارة عربستان في اعلان انفصالها عن ايران أو في التصدي للأساليب التي اتبعتها الحكومة الايرانية لطرد سكانها العرب من أراضيهم واحلال الفرس مكانهم، أو في سلب ثروة الإمارة ومصادرة أموال وممتلكات الأسر العربية المقيمة بها ،كما لم تستطع عصبة الأمم أن تجد حلا لأوضاعها .

وعلي الرغم من أن حاكم الإمارة حاول مهادنة السياسة الايرانية وأبدي خضوعا لرضا خان حين أدرك أنه لاقبل له بمقاومة جيش نظامي مدرب بأسلحة حديثة، إلا أن رضا خان لم يستجب لتلك التنازلات وأمر قواته بمواصلة الزحف حتي أخضع الإمارة لسلطته المركزية . واتبع الجنرال زهدي الحاكم العسكري اجراءات عنيفة استهدف بها محو عروبة الإمارة بل وإزالتها من الوجود في ٢ ابريل ١٩٢٥، حيث أصبحت تشكل جزءا من الاقليم الإيراني خوزستان ومعناه أرض القلاع أو الحصون، وذلك بدلا من عربستان ومعناها أرض العرب . ولعل ذلك كان اعترافا من فارس أو من اللغة الفارسية علي الأقل بعروبة المنطقة كما استبدل اسم عاصمة الإمارة بخورمشهر بدلا من مدينة المحمرة العربية، واستبدلت أسماء مدنها الأخري باسماء فارسية وحوربت اللغة العربية ونقلت كثير من قبائلها العربية الي شمال ايران، ولم تختلف السياسة الايرانية في ذلك عن سياسة التتريك العنصرية التي مارستها جمعية الاتحاد والترقي في السنوات الأخيرة من الحكم العثماني .

ولعل ماتجدر الإشارة إليه أنه علي الرغم من حدوث بعض الانتفاضات العربية في إقليم خوزستان، إلا أن تلك الحركات كانت غير منتظمة ومتفرقة ومتباعدة ، وبصرف النظر عن أن بريطانيا كانت هي المحركة للعراق خاصة فى أعقاب الحرب العالمية الثانية لإثارة مشكلة عربستان من جديد حفاظا علي امتيازاتها النفطية في جنوب ايران ورد فعل للتحركات الشيوعية في شمال ايران فإن العراق ظل خلال صراعه مع ايران يحتضن الحركات السياسية في ذلك الاقليم وساند من أجل ذلك ماعرف بجبهة تحرير عربستان، وإن لم تخرج تلك المساندة في كثير من الأحوال عن مجرد ترديد شعارات للحفاظ علي عروبة الخليج ومواجهة عمليات التفريس التي أخذت تشق طريقها سريعا في الإقليم ولعل أدل علي ذلك من أن أشد حركات المقاومة التي تعرضت لها قوات العراق خلال الحرب العراقية الايرانية ١٩٨٠ - ١٩٨٨ كانت في منطقة عربستان ذاتها، مما يؤكد نجاح السياسة التي اتبعتها الحكومة الايرانية في تفريس المنطقة وإزالة كل أثر للنفوذ العربي فيها.

التحول الايراني الي الساحل الغربي للخليج

علي إثر نجاح ايران في تحقيق سيطرتها علي الساحل الشرقي اتجهت الي الساحل الغربي أو العربي للخليج وساعدها علي ذلك الوضع المفكك الذي كان يسود هذا الساحل ووجود العديد من الكيانات السياسية الضعيفة، فضلا عن نزوح أعداد كبيرة من الايرانيين الذين اندفعوا إلي هذا الساحل نتيجة للتغييرات الاجتماعية والأساليب التحديثية التي اتبعها رضا شاه، مما دفع بكثير من الإيرانيين المحافظين الي الهجرة الي الساحل المقابل . وجاء قراره بجعل الخدمة العسكرية إجبارية عاملا آخر في هجرة أعداد كبيرة من الشباب الإيراني كما لعب العامل المذهبي دوره أيضا حيث توافدت أعداد كبيرة من المهاجرين الايرانيين من المذهب السني خاصة وأن بعض إمارات الخليج ومن بينها البحرين كانت تشجع تلك الهجرة المذهبية لتحقيق التوازن بين الشيعة والسنة . وإلي جانب تلك العوامل التي ساعدت علي اندفاع الهجرة الايرانية إلي الساحل العربي للخليج كان هناك عامل سياسي هام استغلته الحكومة الايرانية في السيطرة علي ذلك الساحل بصفة عامة وعلي البحرين بصفة خاصة وهو إثارة إدعاءاتها علي البحرين وعلي غيرها من إمارات الخليج باعتبارها جزءا لايتجزأ من أراضيها.

ولعل مما يسترعي الانتباه أنه علي الرغم من تزايد الهجرات الايرانية وتكثيف ايران إدعاءاتها الاقليمية إلا أنها واجهت معارضة شديدة من جانب بريطانيا في تحقيق سيطرتها حيث كان النفوذ البريطاني متمركزا في إمارات الخليج، وفضلا عن ذلك كان يوجد في إيران بعثتان ديبلوماسيتان كان يرأس إحداهما السفير البريطاني في طهران ويمثل وزارة الخارجية البريطانية أما البعثة الأخري فكان لها اتصال بكل من وزارة الخارجية البريطانية، وحكومة الهند ويتولي رئاستها المقيم السياسي العام في الخليج ومقره ميناء بوشهر علي الساحل الشرقي من الخليج وذلك قبل انتقاله إلي البحرين في عام ١٩٤٦ في أعقاب الحرب العالمية الثانية (١٠).

وقد ظلت ايران تنظر إلي الخليج باعتباره بحيرة ايرانية لما يشكله من أهيمة استراتيجية بالغة بالنسبة لها، فهو المنفذ الجوي الوحيد لها كما أن سواحله العربية لها أهميتها الاقتصادية إذ إن افتقار تلك السواحل إلي القوي الوطنية العاملة يمكن شغله بفائض العمالة الايرانية فضلا عن ايجاد أسواق للبضائع الايرانية، والأهم من ذلك كله أن نجاح ايران في السيطرة علي تلك السواحل يضمن استمرارها كدولة مصدرة للنفط خاصة وأن عمر الاحتياطي النفطي بها قصير إلي حد كبير .

ومع قوة الدوافع التي كانت تحرك السياسة الايرانية في السيطرة علي الخليج، إلا أن بروز المملكة العربية السعودية في عام ١٩٣٢ كان عاملا هاما في الحد من الأطماع الايرانية في المنطقة خاصة وأن المملكة العربية السعودية تمتد إلي سواحل المنطقة الشرقية في الاحساء ولها ثقلها المادي والمعنوي علي الإمارات العربية في الخليج . ولعل ذلك مما دفع برضا شاه إلي محاولة التقارب معها وكان ذلك في اتجاه سعيه لتوطيد علاقاته بالدول الإسلامية، فعلي إثر اتهامه بالسير في اتجاه مصطفي كمال أتاتورك ومحاولته ابعاد ايران عن الدول الإسلامية بما أقدم عليه من إجراءات علمانية شملت القضاء على نفوذ علماء الدين وإحلال القانون المدني المستمد من القانون الفرنسي بدلا من تطبيق الشريعة الإسلامية إلي جانب الحد من المدارس الدينية واستبدالها بالمدارس العصرية إضافة إلي تحرير المرأة وتشجيع سفورها بادر بالتأكيد علي تجاوبه الإسلامي وذلك بإشراك بلاده في المؤتمر الإسلامي الذي عقده الملك عبد العزيز بن سعود في مكة المكرمة في عام ١٩٢٦ وكان ذلك في أعقاب فتحه للحجاز والإطاحة بحكم الملك حسين بن علي شريف مكة (١١).

وعلي الرغم من حرص رضا شاه علي التقارب مع السعودية إلا أن عوامل التوتر ظلت قائمة بين البلدين بسبب تعارض الموقف الايراني والسعودي بالنسبة للإمارات العربية في الخليج ولاسيما البحرين . ومع ذلك فإن الأمور لم تصل إلي درجة كبيرة من التأزم إذ اكتفت إيران بالاحتجاج علي الاتفاقيات التي كانت تعقدها بريطانيا مع السعودية فعلي إثر توقيع معاهدة جده بين بريطانيا والملك عبد العزيز بن سعود في عام ١٩٢٧ أعلنت الحكومة الايرانية احتجاجها علي ماجاء في نص المادة السادسة من المعاهدة المذكورة والتي كانت تقضي بامتناع ابن سعود عن المداخلة في شئون إمارات الخليج ، ومن بينها البحرين ، بحكم ارتباطها ببريطانيا بمعاهدات خاصة إذ اعتبرت ايران ماجاء في نص هذه المادة بمثابة إنكار لحقوقها الإقليمية .

الادعاءات الإيرانية في البحرين

لم تكتف ايران باحتجاجها لدي بريطانيا ، وإنما بادرت في نوفمبر ١٩٢٧ بإثارة موضوع تبعية البحرين لها في عصبة الأمم ، وأكدت في المذكرة التي رفعتها إلي العصبة أنها كانت المسيطرة علي البحرين في معظم عصور التاريخ وأنه لم يكن لمقام البحرين أو شيوخها صفة الاستقلال عن ايران وكان وضعهم لايختلف عن وضع الخانات المحليين التي كانت تعينهم الحكومات الايرانية المتعاقبة في المقاطعات التابعة لها وأنه رغم توارثهم الحكم إلا أنهم كانوا يدينون لها بالولاء . وأكدت في المذكرة الايرانية أن الاتفاقيات التي عقدتها بريطانيا مع شيوخ البحرين منذ السنوات الأولي من القرن التاسع عشر لايعتد بها لأن ايران لم تعترف بأولئك الشيوخ كحكام مستقلين يحق لهم عقد معاهدات أو اتفاقيات مع الدول الأجنبية . وارتكزت ايران علي المادة العاشرة من ميثاق عصبة الأمم التي تنص علي عدم الاعتداء علي السيادة الإقليمية للدول الأعضاء وطالبت بضرورة سحب أية آثار يمكن أن تترتب علي عقد بريطانيا لمعاهدة جده مع الملك عبد العزيز بن سعود[١٢] .

ولما كانت العلاقات الإيرانية بمنطقة الخليج تتم عن طريق الحكومة البريطانية باعتبارها الدولة صاحبة الحماية علي إمارات الخليج العربي فقد تولي السير أوستن تشميرلين وزير الخارجية البريطانية الرد علي المذكرة الايرانية في ١٨ يناير ١٩٢٨ وكان حريصا من منطلق

تعزيزه لمركز بريطانيا في الخليج العربي علي دحض الادعاءات الإيرانية، حيث أكد في المذكرة البريطانية علي أنه منذ أن سيطر آل خليفة علي الحكم في البحرين في عام ١٧٨٣ فإن ايران لم تمارس سيطرتها علي البحرين بطريقة فعلية (١٣) .وأنه منذ أن دخلت بريطانيا في معاهدات مع شيوخ البحرين بداية من عام ١٨٢٠ لم يكن في البحرين مايوحي بوجود أي مظهر من مظاهر النفوذ الفارسي . وركزت المذكرة البريطانية علي أن سكان البحرين لا يتحدثون الفارسية وأن البحرين تنفصل عن ايران بخليج واسع وأنها أقرب إلي سواحل شبه الجزيرة العربية منها إلي ايران (١٤).

ومع قوة الدلائل الجغرافية والديموجرافية واللغوية إلا أن ايران ظلت تثير ادعاءاتها مؤكدة أن تلك الدلائل التي أشارت اليها المذكرة البريطانية يمكن أن توضع موضع الاعتبار حين تريد دولة ما أن تبرر مطالبها بضم أقاليم جديدة إليها وليست إعادة أقاليم كانت أساسا تابعة لها(١٥).

ولم تتمكن عصبة الأمم من الوصول إلي قرار فيما يتعلق بالنزاع الايراني البريطاني حول البحرين، وعلي العكس من ذلك وضح أن بريطانيا استطاعت أن تعزز موقفها أمام الادعاءات الإيرانية وتقوي من مركزها في الخليج باعتبارها المدافعة عن حقوق الأمم أو الشعوب الصغيرة . ومماهو جدير بالذكر أن بريطانيا هي التي كانت تمثل البحرين في عصبة الأمم مستندة في ذلك علي تفويض من حاكم البحرين الشيخ حمد بن عيسي الذي وجهه إلي المقيم البريطاني في بوشهر يطلب فيه أن تكون الحكومة البريطانية هي الوكيلة عنه في عصبة الأمم وأن تستمر في حماية إمارته من التدخل الايراني تأكيدا للمعاهدات الموقعة بين بريطانيا والبحرين (١٦).

لم تقتصر الحكومة الايرانية في تقديم احتجاجاتها بشأن البحرين علي بريطانيا أو عصبة الأمم وإنما بادرت وزارة الخارجية الايرانية بتقديم احتجاج لدي القائم بأعمال سفارة الولايات المتحدة الأمريكية في طهران بمناسبة امتياز التنقيب عن النفط الذي منحه حاكم البحرين إلي شركة ستاندارد اويل أوف كاليفورنيا في عام ١٩٣٢ (١٧)، وذلك علي اعتبار أن الامتياز منح دون موافقة الحكومة الايرانية ولذلك فإنها تحتفظ بحقوقها فى حالة الربح أو التعويض في حالة الخسارة (١٨). ولم تستجب الحكومة الأمريكية ولا الشركات الأمريكية بطبيعة الحال إلي تلك الاحتجاجات النظرية .

وقد ظلت العلاقات الايرانية البحرينية يغلب عليها صفة التوتر خلال حقبة الثلاثينيات حين أخذت إيران تعمل علي تشجيع الهجرة إلي البحرين وتعتمد علي شيعة البحرين وعلي الجالية الايرانية فيها في الحصول علي استشهادات يعترفون بموجبها بالسيادة الايرانية(١٩).

ولعل ذلك مما استوجب من حكومة البحرين اتخاذ العديد من الإجراءات التي استهدفت من ورائها وضع حد للهجرة الايرانية . ولما كان الايرانيون يعتمدون في وصولهم الي البحرين علي وثائق السفر الايرانية المعروفة باسم " المخبر" فقد أصدرت حكومة البحرين إعلانا يقضي بعدم الاعتراف بتلك الوثائق وأنه يتحتم علي الايرانيين الذين يريدون دخول البحرين الحصول علي سمة دخول من إحدي القنصليات البريطانية الموجودة في ايران، كما أصدرت حكومة البحرين تعليماتها للشركات الملاحية العاملة في الخليج ومن بينها شركة جري بول Gray Payl بعدم قبولها مسافرين إلي البحرين مالم يكن لديهم تصاريخ معتمدة من أحد القناصل الإنجليز(٢٠) . وبالإضافة إلي ذلك أصدرت حكومة البحرين في فبراير ١٩٧٣ قوانين الجنسية والملكية التي وضعت قيودا علي التجنس كما قيدت ملكية الايرانيين للممتلكات غير المنقولة في البحرين (٢١) .

وكان من الطبيعي أن تؤدي تلك الإجراءات التي اتخذتها حكومة البحرين الي ردود فعل مضادة، حيث وصل الأمر بالسلطات الايرانية إلي مصادرة الكثير من سفن البحرين وتسجيلها في المواني الإيرانية والي سوء معاملة البحارنه الشيعة الذين يذهبون لزيارة العتبات المقدسة في ايران وعدم الاعتراف بجوازات السفر البحرينية التي يحملونها باعتبارهم رعايا ايرانيين ومن ثم كانت السلطات الايرانية تقوم بارغامهم علي حمل وثائق السفر الايرانية وانتزاع إقرارات منهم بقبولهم للرعوية الايرانية ومطالبة الشباب منهم بالخدمة العسكرية الاجبارية(٢٢).

وفي خلال سنوات الحرب العالمية الثانية توقفت الادعاءات الإيرانية علي البحرين، ولعل ذلك كان يرجع في الدرجة الأولي إلي تقوية السيطرة البريطانية علي الخليج بسبب الضرورات العسكرية المصاحبة للحرب، وذلك باستثناء احتجاج واحد وجهته الحكومة الايرانية إلي إيطاليا بمناسبة تعرض البحرين لعدوان بعض طائراتها التي كانت تقوم بمهام استطلاعية في الخليج من مراكزها في شرق افريقيا في عام ١٩٤٠، إذ كانت إيران لاتزال تتخذ موقفا محايدا من الحرب حتي ذلك التاريخ .

ومع التطورات السريعة التي حدثت في ايران والتي أدت الي عزل الشاه رضا بهلوي من قبل الحلفاء في عام ١٩٤١ وتولي ابنه محمد رضا شاه ١٩٤١ - ١٩٧٩، فإن النظام الجديد ظل رغم ارتمائه في أحضان الحلفاء لايكف عن تطلعاته الي الخليج بصفة عامة وإلي البحرين بصفة خاصة حيث راودت الشاه أحلاما توسعية في جعل الخليج بحيرة وسط امبراطورية فارسية تنفيذا لما ذكر عن وصية والده رضا بهلوي إليه والتي قيل أنه ورد بها « لقد حررت الشاطئ الشرقي للخليج الفارسي من العرب وعليك أن تحرر الشاطىء الغربي » . ومن ثم اتجهت سياسة الشاه محمد رضا بهلوي إلي التركيز علي الجاليات الايرانية الكبيرة العدد وتجديد الادعاءات الايرانية في الخليج تنفيذا لطموحاته السياسية من ناحية وتوجيه أنظار الشعب الايراني الي منطقة الخليج من ناحية أخري، لشغله بقضايا خارجية، فضلا عن تعويض ايران ماخسرته من أراضي وأقاليم كانت تابعة لها من جراء احتلال الاتحاد السوفيتي للمناطق الشمالية من إيران خلال الحرب العالمية الثانية، ومن ثم ظلت منطقة الخليج من أولي الأهداف الأساسية في السياسة الخارجية الايرانية .

وعلي المستوي غير الرسمي تميزت الادعاءات الإيرانية علي البحرين في السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية باتجاهات اختلطت بين الشيوعية والقومية والعنصرية، إذ وجه حزب تودة الشيوعي اهتماما كبيرا بالبحرين ودعت الصحف الشيوعية الايرانية إلي عرض قضية البحرين علي مؤتمرات الصلح وعلي الأمم المتحدة، ودعت الولايات المتحدة الأمريكية الي التوقف عن استغلال شركاتها لنفط البحرين .

ولعل مما تجدر الإشارة إليه أن الحكومة الايرانية لم تشأ عرض المشكلة علي الأمم المتحدة حال انشائها إذ كان في اعتقادها أن النفوذ الانجليزي قوي في تلك المنطقة الدولية بحيث يعرقل أية محاولة تبذلها ايران لتأكيد سيادتها علي البحرين، ومن ثم اتجهت الحكومة الايرانية إلى تشجيع الاتجاهات القومية التي عبر عنها بعض الشعراء والأدباء الايرانيين . ففي قصيدة لسرداد نشأت الله خان أثار فيها وجدان الايرانيين إزاء البحرين قال فيها " إن لؤلؤة لامعة انتزعتها يد الظلم من ايران وفصلت بها ابنا عزيزا عن أمه ... إن الذئب الاستعماري لم يكتف بالهند ولكنه أنشب مخالبه في ضحية أخري » (٢٣) .

ومن الواضح أنه كان لتلك الضغوط القومية أثرها في أن أصدر المجلس النيابي الإيراني

في بهاري شهان قرارا في عام ١٩٤٦ بتخويل الحكومة الايرانية السلطة في ممارسة سيادتها علي البحرين وتطبيق القوانين والأنظمة الايرانية عليها [٢٤].

وفي عام ١٩٤٧ أصدرت وزارة التعليم الإيرانية تعليماتها إلي المدارس والمعاهد التابعة لها باعتبار أرخبيل البحرين، جزءا لايتجزأ من إيران [٢٥] ، وعملت الوزارة علي مد الخدمات التعليمية والثقافية إلي البحرين، فضلا عن المنح الكثيرة التي قدمتها للطلاب البحارنة للدراسة في جامعة طهران أو غيرها من المعاهد الدينية .

وإلي جانب ذلك أدخلت برامج في الإذاعة الايرانية خاصة بالبحرين، وبث إذاعة الأهواز برامجها لمنطقة الخليج بصفة عامة ولإمارة البحرين وامارات الساحل العماني بصفة خاصة .

ولم تترك الحكومة الايرانية أية فرصة إلا وانتهزتها لمحاولة تأكيد سيادتها علي البحرين، حتي أنها كانت تتخذ من بعض الحوادث الفردية ذريعة للتدليل علي وجود شعور موال لها من قبل سكان البحرين من ذلك ماطالبه به بعض البحارنة المنتمين لأحد الأحزاب السرية الايرانية في البحرين وأبرزها حزب آريا بإيجاد تمثيل للبحرين، في المجلس النيابي الايراني ومد الخدمات الاقتصادية والاجتماعية الي البحرين [٢٦]. وفضلا عن ذلك فلم تكف الحكومة الايرانيةعن إثارة ادعاءاتها إذ لم يدع الوفد الايراني الدائم في الأمم المتحدة أية مناسبة يرد فيها اشتراك البحرين في بعض اللجان الفنية التابعة للأمم المتحدة إلا واحتج عليها باعتبار تبعية البحرين لايران [٢٧]. ولم تلبث أن اثيرت مشكلة البحرين بصورة أعنف حين أممت حكومة الدكتور محمد مصدق النفط الايراني في عام ١٩٥٤ واعتبرت الحكومة الايرانية قرار التأمين ساريا علي شركات النفط الأمريكية العاملة في البحرين .

تأميم النفط الايراني واثره علي العلاقات العربية الايرانية

ترجع مسألة تأميم النفط في إيران إلي فبراير من عام ١٩٥١ حين رأت الحكومة الايرانية أن تحذو حذو الملك عبد العزيز بن سعود عاهل المملكة العربية السعودية الذي أبرم اتفاقية مناصفة الأرباح مع شركات النفط الأمريكية العاملة في بلاده .

وحين طلبت الحكومة الايرانية زيادة نصيبها من أرباح شركة النفط الانجلو ايرانية لم

تستجب الشركة إلي ذلك مما دفع حكومة الجبهة الوطنية التي وصلت الي الحكم في ابريل ١٩٥١ بزعامة الدكتور محمد مصدق إلي اتخاذ قرار تأميم النفط في ايران . غير أن أهم النتائج التي ترتبت علي حركة التأميم هذه قد أدت إلي انهيار سوق النفط في ايران وزيادته في كل من الكويت والمملكة العربية السعودية(٢٨) . وقد اعتبرت الحكومة الايرانية ما اتجهت إليه شركات النفط العاملة في الكويت والسعودية من زيادة سقف الإنتاج سببا في إفشال سياسة التأميم التي قامت بها وحملت كلا من الكويت والسعودية تبعة هذا الفشل مما أدي إلي توتر الموقف بين ايران من ناحية، وبين كل من الكويت والسعودية من ناحية ثانية .

والأمر الذي لاشك فيه أن استغلال الشركات البريطانية والأمريكية لامتيازات النفط في كل من ايران والمملكة العربية السعودية وإمارات الخليج العربي هو الذي ضمن لتلك الشركات أحكام التوازن في انتاجية النفط مهما تصاعدت الأزمات أو زادت حدتها. وعلي سبيل المثال ضاعفت الشركات المستغلة للنفط من إنتاجها في ايران للتخفيف من آثار المقاطعة العربية لدول الغرب إبان حرب اكتوبر ١٩٧٣ كما عوض الإنتاج النفطي في كل من الكويت والسعودية توقف النفط الايراني خلال الأحداث المضطربة التي وقعت في ايران بين عامي ١٩٧٨ و١٩٧٩ والتي أدت إلي خلع الشاه وإعلان الجمهورية الإسلامية الايرانية كما تكررت تلك الظاهرة أيضا خلال سنوات الحرب العراقية الايرانية ١٩٨٠ /١٩٨٨ (٢٩).

ومع كل تلك الاعتبارات، ففي تقديرنا أن فشل حركة التأميم الايرانية لم يكن يرجع إلي زيادة الإنتاج النفطي في كل من الكويت والمملكة العربية السعودية بقدر ماكان يرجع ذلك إلي عوامل خفية واحتكارية إذ أن إيران لم تكن في ظروف تسمح لها بتصريف نفطها المؤمم لعدم امتلاكها لناقلات النفط الكبيرة من ناحية وعدم تقدم الدول الأجنبية نتيجة الضغوط الاحتكارية الي شرائه من ناحية أخري .

وفي أغسطس ١٩٥٣ قام الجنرال زاهدي بمساعدة قبائل البختياري بإسقاط حكومة الجبهة الوطنية وتم تسوية الخلاف الايراني مع شركة النفط الانجلو ايرانية بتكوين كونسرتيوم أسهمت فيه الشركات الأمريكية بنصيب كبير، وكان ذلك جزءا من السياسة التي انتهجتها الولايات المتحدة الأمريكية للسيطرة علي النفط الايراني .

الصراع بين القوتيين العربية والايرانية في منطقة الخليج

بينما كانت ايران توالي جهودها من أجل السيادة علي البحرين وعلي غيرها من إمارات الخليج العربي في أعقاب الحرب العالمية الثانية، حدثت العديد من التغيرات السياسية في العالم العربي كان لها تأثيرها علي اهتزاز المركز البريطاني في منطقة الخليج . ولعل أبرز النتائج التي ترتبت علي تلك التغيرات هو انسياب تيار المد القومي العربي الذي أحدث أثره في تحول السياسة البريطانية من اتخاذها موقفا متشددا مع ايران إلي التقارب معها بل وإلي تشجيع التسلل الايراني في الخليج من أجل المحافظة علي التوازن بين القوميتين العربية والايرانية مما يضمن لبريطانيا استمرار سيطرتها.

وليس من شك في أن التحول في السياسة البريطانية في منطقة الخليج ارتبط بما صاحب النكبة الفلسطينية في عام ١٩٤٨ من تدفق اللاجئين الفلسطينيين للعمل في إمارات الخليج العربي وقد حمل أولئك اللاجئون معهم تيارا متدفقا من العروبة استطاع أن يتصدي لكل من السياستين البريطانية والايرانية في الخليج ولم يلبث أن ازداد ذلك التيار العربي من فاعليته عقب قيام الثورة المصرية في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وانتهاجها سياسة عربية أثر تأثيرا كبيرا علي العلاقات العربية الإيرانية .

جدير بالذكر أن ايران لم تجد وسيلة إلا واتبعتها لتحقيق نفوذها في الخليج ومن ذلك إقدامها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية للعمل علي إيجاد غطاء دولي يضمن لها حرية التصرف في منطقة الخليج فبالاضافة إلي انضمامها إلي حلف بغداد في عام ١٩٥٥ بادرت بعقد معاهدة دفاع مشترك في عام ١٩٥٨ بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية لتأتي بعد ذلك مساعي الشاه المستمرة من أجل إقناع بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية أن مصالحهما يمكن الاطمئنان إليها بمجرد دعم المؤسسة العسكرية التي كان يسيطر عليها في ايران. غير أن الحكومة البريطانية كانت حذرة من الانصياع تماما للسياسة الايرانية خوفا علي المصالح النفطية التي دخلت الولايات المتحدة الأمريكية طرفا رئيسيا فيها . ومن ثم أصبح اتجاه السياسة البريطانية واضحا في ترك الأطراف العربية والإيرانية تتصارع فيما بينها والاكتفاء بدورها الذي يقوم علي حفظ التوازن بين تلك التيارات المتصارعة علي نحو ماسبقت الإشارة إليه .

ولعل التوتر العربي الايراني قد ظهر واضحا بصفة خاصة في إمارة البحرين منذ عام ١٩٥٥، حين أدخلت حكومة البحرين العديد من التعديلات الي قانون الجيش الصادر في عام ١٩٣٨ ونصت تلك التعديلات علي عدم جواز منح الجنسية البحرانية إلا لمن تكون لديه ملكيات غير منقولة وبشرط إجادته للغة العربية وأن يكون مقيما في البلاد بصفة مستمرة لما لايقل عن عشر سنوات .

وكان من الطبيعي أن تنظر ايران إلي تلك التعديلات باعتبارها ماسة بوضع الايرانيين في البحرين، ولعل ذلك مما دفع بها في عام ١٩٥٧ إلي استصدار قرار من مجلس وزراء ايران يقضي بضم البحرين إلي الأقاليم الايرانية باعتبارها الاقليم الرابع عشر طبقا للتقسيمات الإدارية الجديدة التي أعلنتها الحكومة الايرانية في ذلك العام . وترتب علي ذلك أن اخذت البحرين تظهر في الخرائط الرسمية الايرانية باعتبارها جزءا من ايران، وفي نفس الوقت أخذت الصحف الايرانية تشن هجوما عنيفا ضد بريطانيا وحكومة البحرين، وطالبت بتمثيل نيابي لسكان البحرين وتعيين حاكم ايراني علي جزر البحرين بحكم تبعيتها لإيران كما طلبت السلطات الايرانية من شركات الطيران العالمية عدم هبوط طائراتها في البحرين إلا باذن مسبق منها .

وعلي إثر عقد المملكة العربية السعودية لاتفاقية الرياض بينها وبين البحرين في فبراير من عام ١٩٥٨ وهي اتفاقية أقرت أسس التعاون الاقتصادي فيما بينهما وعنيت بتوضيح الحدود والقبائل بين البلدين. أكد وزير الخارجية الايرانية في بيان أدلي به في المجلس النيابي أن حكومته ترفض تلك الاتفاقية وتراها تعديا علي حقوقها الاقليمية في البحرين في الوقت الذي أصدرت فيه وزارة الخارجية السعودية بيانا أكدت فيه أن البحرين امتداد لشبه الجزيرة العربية وجزء متكامل منها وأن شعب البحرين يرتبط بشعوب الأمة العربية وأن انكار ايران لتلك الحقائق يعني انكارها لأبسط المبادئ والحقائق الجغرافية والتاريخية[٣٠].

ولما كانت الإجراءات والاحتجاجات التي اتخذتها الحكومة الايرانية لاتتعدي الناحية النظرية فإن كثيرا من الدول العربية لم تجد مايدفعها لمناهضة ايران محافظة علي العلاقات بينها، ولعل مايؤكد ذلك أن المذكرة العربية التي قدمت إلي ايران في مارس ١٩٥٨ من قبل اللجنة السياسية التابعة لجامعة الدول العربية قد أعدت بحذر شديد محافظة علي العلاقات العربية الايرانية [٣١] .

غير أنه علي الرغم من أن السياسة العربية كانت تميل بوجه عام الي عدم تفاقم الأمور إلى مرحلة التأزم مع ايران كانت القاهرة تتبع سياسة أخري اتجهت فيها صراحة إلي تحدي الوجود البريطاني والسياسة الايرانية في الخليج ، ولعل عبد الناصر وجد الظروف متاحة له في زحف تيار القومية العربية إلي الخليج والذي ظهرت آثاره الواضحة إبان العدوان الثلاثى علي مصر في عام ١٩٥٦ ، وازداد قوة علي إثر قيام الجمهورية العربية المتحدة في عام ١٩٥٨ ونشوب ثورة تموز في العراق في نفس ذلك العام وقد عبر الوطنيون في البحرين وفي غيرها من إمارات الخليج عن تضامنهم مع هذا المد العربي الصاعد، وتمثل ذلك في العديد من الانتفاضات الوطنية مما جعل بريطانيا تتخذ جانب ايران كوسيلة لاخماد الحركة الثورية العربية، ومن ثم اتجهت السلطات البريطانية في منطقة الخليج خلال حقبتي الخمسينيات والستينيات إلي تشجيع الهجرات الايرانية غير المشروعة التي بدأت تأخذ شكلا مكثفا وجماعيا ، في الوقت الذي اتجهت فيه الجاليات الايرانية في البحرين ودبي وغيرهما من إمارات الخليج بتشجيع من ايران في السيطرة علي اقتصاديات تلك الإمارات فضلا عن تغلغل الموظفين من أصول ايرانية في دوائرها الحكومية .

الخليج ... عربي أم فارسي

وتمشيا مع قوة المد العربي واستخدام عبد الناصر لتعبير الخليج العربي بداية من عام ١٩٥٩ اخذت الدوائر العربية الرسمية وغير الرسمية تركز علي عروبة الخليج، ووصل الأمر إلي صدور قرارات في كثير من الدول العربية وبعض حكومات الخليج تحتم استخدام تعبير الخليج العربي في جميع الاتصالات الرسمية والعلاقات الخارجية مما كان مبعثا للاحتجاجات الايرانية المستمرة (٣٢).

ولعل مما تجدر الاشارة إليه أن تسمية الخليج قد أثيرت علي مستوي العديد من الدراسات العربية والايرانية والأجنبية (٣٣) فبينما ارتكز الباحثون الايرانيون علي أن الخليج فارسي استنادا إلي روايات المؤرخين والجغرافيين المسلمين القدامي ناقض الباحثون العرب تلك التسمية علي أساس أن اطلاق تعبير الخليج الفارسي قد نشأ عن اكتشاف الأغريق للساحل الفارسي الأصغر لهذا الخليج وأن اكتشاف الساحل العربي بعد ذلك فضلا عن أن العرب

حكموا أجزاء كبيرة من الساحل الفارسي في العصر الحديث كما أن شيوع تسمية الخليج بالعربي تأتي مطابقة للواقع إلي حد كبير، وذلك إذا ماتم تغليب الكثرة العددية للسكان العرب القاطنين علي سواحله بالإضافة إلي طول السواحل العربية والتي تبلغ مايقرب من ضعف السواحل الفارسية التي تطل عليها إيران هذا فضلا عن أن تسمية الخليج بالعربي إنما تأتي مطابقة لما عرفه العرب في بعض فترات تاريخهم بخليج البصرة ومكمله خليج عمان(٣٤).

وماهو جدير بالملاحظة أن كثيرا من الباحثين الأجانب قد سايروا وجهة النظر العربية أو ربما كان ذلك انسياقا منهم إلي الواقع العربي للخليج، فقد ذكر رودريك أوين Owen في كتابه الفقاعة الذهبية The Golden Buble غرابة تسمية الخليج بالفارسي مؤكدا أنه من المستحيل أن يفكر أي قادم إلي الكويت أو قطر أو البحرين في معان غير عربية إذ إن كل شئ في رمال تلك الأقاليم وفي مياه خليجها فضلا عن القومية العربية النامية تؤكد عروبة المنطقة (٣٥) . كما أكد الكاتب الفرنسي جان جاك بيري Bereby بدوره علي عروبة الخليج وإن كان قد سمي كتاب بالخليج الفارسي اتباعا للتسمية التي كانت شائعة عند صدور كتابه هذا (٣٦)، وقد علل بريبي سبب تمسك ايران بالتسمية الفارسية حين رأت عاصفة العروبة تجتاح أقطار العرب فحاولت أن تسبق تلك الحوادث بإعلانها ضم البحرين إلي ممتلكاتها خوفا من أن يطالب العرب ولاسيما العراق بالمحمرة وغيرها من المناطق الداخلية العربية الواقعة تحت حكم الشاه (٣٧) .

النفوذ الايراني في إمارات الساحل العماني

ظلت المواجهة العربية الإيرانية قائمة علي أشدها في منطقة الخليج خلال حقبة الستينيات غير أنه بينما اعتمد النشاط العربي علي ترديد الشعارات المتاحة بالقومية العربية والتصدي للاستعمار البريطاني كانت ايران تتخذ خطوات أكثر فاعلية إذ لم يقتصر الأمر علي تمسكها بتبعية البحرين لها وإنما نشطت نشاطا ملحوظا في التغلغل في مشيخات الساحل العماني وكان يساعد علي ذلك التغلغل عدم وجود كيانات سياسية قوية إذ اتسم الساحل العماني بظهور العديد من الوحدات الرخوة، وذلك قبل تكوين دولة الإمارات العربية المتحدة، إضافة إلي قلة عدد السكان وطبقا لإحصائية مكتب التطوير البريطاني التابع لمجلس الإمارات

المتصالحة في دبي لم يزد عدد سكان إمارات الساحل العماني السبع في عام ١٩٦٦ عن ١٨٢٠٠ نسمة (٣٨) . وكان ذلك عاملا مشجعا للهجرات الايرانية وغيرها من الهجرات الأخري .

وفضلا عن ذلك فقد أتاحت الأوضاع المتخلفة في تلك الإمارات الفرصة لنشاط اقتصادي ايراني وقفت في طليعته البنوك الايرانية كبنك الصادرات الايراني وبنك ملي ايران وقد عمدت تلك البنوك بفروعها المتعددة في إمارات الساحل إلي تحويل التجار الايرانيين وتشجيع رؤوس الأموال الايرانية علي الاستثمار في تلك الإمارات (٣٩).

وقد اتجهت السياسة الايرانية إلي إحكام روابطها بشيوخ إمارات الساحل العماني، خاصة وأن كثيرا من أولئك الشيوخ كانوا قد تعودوا علي زيارة ايران في رحلات قنص في سهولها وجبالها ، كما انتهزت ايران حالة التخلف التي كانت تعاني منها المنطقة وبادرت بتقديم العديد من الخدمات التعليمية والاجتماعية وخاصة إلي إمارة دبي (٤٠).

وفي تقرير لبعثة جامعة الدول العربية التي قامت بزيارة إمارات الخليج في نوفمبر ١٩٦٤ نجد توضيحا لتغلغل النفوذ الإيراني ولأخطار الهجرة الايرانية وتمركزها في إمارة دبي بصفة خاصة حتي أصبح يخشي من تلك الهجرة التي قد تؤدي إلي وقوع كارثة في الخليج قد تفوق كارثة فلسطين . وقد عدد التقرير بضعة أنماط من الهجرة الايرانية التي يعتمد بعضها علي العاطلين من العمال والفقراء الذين يتسللون بواسطة القوارب البخارية إلي مشيخات الساحل العماني دون جوازات سفر أو سمة دخول إذ كانت السلطات المحلية في تلك المشيخات تحصل من كل فرد علي تومانين أوروبية ونصف وهذه المبالغ كانت تشكل موردا رئيسيا من موارد الدخل في كثير من تلك المشيخات التي كانت لاتزال فقيرة آنذاك (٤١)، وأكد تقرير بعثة الجامعة العربية أن السلطات البريطانية كانت تتغاضي عن هذا السيل المتدفق ثم الهجرات الأجنبية سيما الهجرات الايرانية لأن ذلك كان يتمشي إلي حد كبير مع سياستها الرامية إلي إضعاف عروبة المنطقة، ومما يؤكد ذلك أنها كانت تثير صعوبات عديدة تجاه الفلسطينيين أو المصريين إذا ماوصلوا إلي إحدي تلك المشيخات دون أن يكون لديهم سمة دخول .

وقد عني تقرير بعثة الجامعة العربية بتقسيم الهجرات الايرانية طبقا لمراحلها الزمنية ودوافعها السياسية والاقتصادية إلي أنواع ثلاثة. وبينما أوضح التقرير أن المرحلة الأولي من

الهجرة الايرانية التي بدأت في العشرينيات فرارا من الأوضاع السياسية المضطربة في ايران والتي ترتبت علي سقوط الأسرة القاجارية وقيام الحكم البهلوي لا يخشي منها لأن فئات المهاجرين الايرانيين سرعان ما اندمجوا في المجتمعات الخليجية بل أصبحوا يرددون الأماني العربية، خاصة وأن كثيرا من تلك العناصر وفد من إمارة عربستان بعد ضمها إلي ايران في عام ١٩٢٥ وفرارا من الحكم المركزي الايراني . أما الفئة الثانية من الهجرة الايرانية فهي الهجرة التلقائية المرتبطة بكسب العيش. غير أن أخطر الهجرات الايرانية تلك الهجرات المخططة من قبل السلطات الايرانية والتي تعتمد في غالبيتها علي الشباب الايراني الذي أدي الخدمة العسكرية ثم سرح ومن ثم يسهل استخدامه عسكريا (٤٢). وتستهدف تلك الهجرات الأخيرة إشاعة الفوضي كما أنها تشكل مايمكن تسميته بالطابور الخامس التابع لإيران وتمتد تلك الهجرات من الكويت شمالا إلي رأس الخيمة جنوبا وتعتبر أداة فاعلة يمكن أن تستغلها ايران لتحقيق نفوذها خاصة وأن جانبا كبيرا من تلك الهجرات يشكل منظمات سرية لم يلبث أن اكتشف أمرها في الاضطرابات العديدة التي تعرضت لها كثير من إمارات الخليج العربي .

وقد استمرت سياسة الهجرة الايرانية تهدد الكيان الديموجرافي والسياسي لمنطقة الخليج بصفة عامة وللبحرين من إمارات الساحل العماني بصفة خاصة، وترك ذلك أثره علي استمرار توتر العلاقات العربية الايرانية الي أن بدأت ايران في تعديل سياستها في المنطقة . وفي تقديرنا أن التغير الذي حدث في السياستي الايرانية في نهاية حقبة الستينيات كان يرتبط بعاملين رئيسيين : أولهما انحسار المد القومي العربي علي أثر هزيمة يونيه ١٩٦٧ والعامل الثاني يرتبط بمستقبل الخليج العربي ومشكلات الأمن الاقليمي في أعقاب الانسحاب البريطاني من المنطقة وإنهاء الوجود العسكري بها في نهاية عام ١٩٧١ وما قد يترتب علي ذلك من نشوء فراغ سياسي وعسكري قد تتهيأ قوي غير مرغوب في وجودها لملء ذلك الفراغ، ومن ثم أدركت السياسة الايرانية أهمية تحقيق قدر من التقارب مع الدول العربية في الخليج خاصة المملكة العربية السعودية والكويت وسلطنة عمان من أجل إقرار الأوضاع في المنطقة .

تطور العلاقات الايرانية بكل من السعودية والكويت

ظلت العلاقات بين ايران من ناحية والسعودية والكويت من ناحية ثانية حتي نهاية حقبة الستينيات يشوبها قدر كبير من التوتر والحذر نتيجة للسياسة الايرانية في الخليج بصفة خاصة أو لسياستها إزاء الدول العربية لاسيما الطرق بصفة عامة .

وكان علي المملكة العربية السعودية باعتبارها الدولة الخليجية العربية الأولي وبحكم امتدادها علي السواحل العربية للخليج مواجهة الادعاءات الايرانية واستمرار عمليات التغلغل الايراني البشري والاقتصادي في المنطقة . يضاف إلي ذلك عامل هام ساعد علي زيادة حدة التوتر ونعني به العامل المذهبي من حيث الخلاف بين المذهب الشيعي الذي تعتنقه ايران ، والمذهب السني الذي تتصدي المملكة العربية السعودية لحمايته . وقد زاد من خطورة هذا العامل وجود العناصر الشيعية في المناطق الشرقية من السعودية مما كان يؤدي إلي مزيد من حالات التوتر بين البلدين .

غير أنه منذ نهاية الستينيات حدث تحول هام في العلاقات بين ايران وكل من الكويت والمملكة العربية السعودية من حيث اتجاه تلك الدول جميعها إلي التقارب فيما بينها، وكان مبعث ذلك التخوف من الخطر السوفيتي ومن الحركات اليسارية التي بدأت تظهر في جنوب الخليج منذ تأسيس جبهة تحرير ظفار في عام ١٩٦٤ التي لم تلبث أن تحولت في عام ١٩٦٨ إلي جبهة تحرير عمان والخليج العربي (٤٣) . يضاف إلي ذلك التغيرات الراديكالية التي حدثت في العراق في يوليه من نفس ذلك العام حين تمكنت مجموعة من عناصر البعث قلب نظام الحكم وتحويل العراق إلي اتجاه يساري ظهر واضحا في عام ١٩٧٢ حين وقع العراق معاهدة الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفيتي .

وليس من شك في أن التقارب العراقي السوفيتي أتاح الفرصة للسوفيت أن يجدوا لهم مواطن قدم علي سواحل الخليج، ومن ثم كان اتجاههم إلي تأييد الحركات اليسارية خاصة في الكويت وفي سلطنة عمان . ولما كانت بريطانيا قد أنهت وجودها العسكري في الخليج منذ نهاية عام ١٩٧١ فقد أصبح الموقف ينذر بحدوث انقلابات يسارية قد تؤدى في سلطنة عمان علي سبيل المثال إلي السيطرة علي شبه جزيرة مسندم التي تتحكم في مضيق هرمز، في الوقت

الذي تسيطر فيه جمهورية اليمن الديموقراطية ذات الاتجاهات اليسارية أيضا علي جزيرة بريم التي تتحكم بدورها في مدخل مضيق باب المندب وبالتالي تصبح نقاط الخناق Choke Points في البحر الأحمر والخليج العربي والتي عن طريقها يصدر النفط إلي العالم الخارجي خارجة عن نفوذ كل من ايران والدول العربية المجاورة لها في الخليج العربي(٤٤).

ولتلك الأسباب قدرت تلك الدول أهمية التعاون فيما بينها لمواجهة الأخطار المرتقبة، خاصة وأنه يجمع فيما بينها أنظمة سياسية متشابهة في الحكم، ومن ناحية أخري كانت الدول الغربية خاصة بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية حريصة علي إقرار الأوضاع السياسية في الخليج حماية لمصالحها النفطية، وقد بدا ذلك واضحا حين واكب قرار الانسحاب البريطاني من الخليج تحرك سياسي قامت به بريطانيا بتأييد من الولايات المتحدة الأمريكية علي مستوي الدول الخليجية التي يهمها الاستقرار السياسي في المنطقة، في الوقت الذي قد أثيرت فيه في تلك الآونة العديد من التساؤلات حول الفراغ السياسي ومشكلات الأمن الاقليمي .

وبصدد ذلك قام جورنوي روبرتس Roberts، وزير الدولة البريطاني للشئون الخارجية والمكلف بشئون الشرق الأوسط في مهمة استطلاعية إلي دول الخليج في يناير ١٩٦٨ وعلي الرغم من أن مهمة ومباحثاته قد أحيطت بالسرية التامة في كل من طهران والرياض والكويت إلا أنه كان واضحا أن الهدف من مهمته هو العمل علي ترتيب إقامة تنظيم دفاعي مشترك لاقرار الأوضاع في المنطقة بعد انسحاب القوات العسكرية البريطانية بنهاية عام ١٩٧١(٤٥). وقد أيدت الولايات المتحدة الأمريكية المساعي التي كانت تقوم بها بريطانيا حين أعرب يوجين روستو Ugene Rostow مستشار الرئيس الأمريكي للأمن القومي بأن ايران وتركيا والباكستان والمملكة العربية السعودية والكويت يمكن أن تكون محاور رئيسية ترتكز حولها وبكل ثقة تدابير الأمن الاقليمي في منطقة الخليج العربي (٤٦) .

وعلي الرغم من أن الأمور كانت مبشرة بنجاح مهمة الوزير البريطاني نتيجة استياء ايران والدول العربية في الخليج العربي من الزيارات المتكررة التي كانت تقوم بها بعض قطع الأسطول السوفيتي واستمرارها لعدة أشهر في بعض مواني الخليج والمحيط الهندي (٤٧)، فضلا عن تصاعد الثورة في ظفار وتحمس ايران لتنظيم دفاع مشترك من أجل المحافظة علي الأنظمة السياسية المعتدلة في الخليج إلا أنه حال دون ذلك مناهضة الشعور العربي لأي شكل من

أشكال التكتلات العسكرية التي تضم أطرافا غير عربية، بل كان الاتجاه أيضا إلي رفض التحالفات العسكرية التي تقوم بين أطراف عربية وتكون خارجة عن نطاق الضمان الجماعي الذي أقرته جامعة الدول العربية . وبالإضافة إلي ذلك فإن الرأي العام العربي كان يرفض أي تنظيم دفاعي مشترك في منطقة الخليج يستهدف حماية مصالح الدول الغربية ويكون من شأنه كبح جماع الحركات التحررية في المنطقة (٤٨)، خاصة وإذا كان هذا التنظيم سوف تشارك فيه إيران وتتعهده بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية .

وإزاء الرفض العربي لمشروعات دفاعية مشتركة كانت تتبناها السياستان الأمريكية والبريطانية طرحت ايران مشروعا محددا يهدف إلي توقيع ميثاق أمني اقليمي بينها وبين السعودية والكويت، خاصة بعد أن بادرت الدول الثلاث بتأييد قرار الانسحاب البريطاني من الخليج حتي لايشجع استمرار الوجود العسكري البريطاني تصاعد الحركات اليسارية التي قد تجد في ذلك الوجود ذريعة لمواصلة نشاطها كما أعلنت تلك الدول في الوقت نفسه رفضها للتدخل الأمريكي أو عودة النفوذ البريطاني تحت أي شكل من الأشكال (٤٩).

غير أن هذا المشروع المحدد الذي طرحته ايران لم يحظ بدوره بتأييد الرأي العام العربي وقد تراجعت الكويت بصورة خاصة عن إيجاد أي ارتباط بينها وبين إيران خوفا من الضغوط العراقية ومن ثم نفت الدوائر الكويتية الرسمية أن يكون هناك ثمة اتجاه لعقد حلف دفاعي إقليمي يضم إليه الكويت والسعودية وايران كما أكدت السعودية بدورها بأنها لاتلتزم بالدخول في أية مشروعات دفاعية، إذ إنها لا تعتبر نفسها وصية علي الخليج الذي هو جزء من الأمة العربية .

جدير بالذكر أن الرأي العام العربي لم يكن يرحب آنذاك بالتقارب مع ايران التي وطدت علاقتها باسرائيل وزودتها بالنفط وأقامت علاقات دبلوماسية واقتصادية معها ، هذا بالإضافة إلي ماكان يتردد في وجود جالية يهودية كبيرة العدد في ايران مدربة تدريبا عسكريا ويمكنها أن تساند ايران في أي عمل عدواني تجاه السواحل العربية للخليج .

إستمرت عناصر التوتر قائمة بين ايران والدول العربية بصفة عامة والسعوية والكويت بصفة خاصة، وزاد من حدتها التصريحات التي كانت ترددها الدوائر العربية الرسمية عن عروبة الخليج ومسئولية الدول العربية في المحافظة علي امنه واستقراره . وقد أحدثت تلك

التصريحات ردود فعل عنيفة لدي الدوائر الرسمية الايرانية كما أخذت الصحف الإيرانية تشن حملات مكثفة ضد ماكان يتردد عن عروبة الخليج(٥٠) ، وأكثر من ذلك كله فإن الشاه صرح في المجلس النيابي الإيراني في مايو ١٩٦٨ تصريحا خطيرا أورد فيه أنه يربأ بنفسه من الرد علي مايتفوه به البعض من كلام رخيص وأحاديث مبتذلة من أن إيران غريبة عن الخليج الفارسي وهم ينعتونه بغير هذا النعت وأمام هذا المنطق الأهوج لايملك الإنسان إلا الصمت .. صمت اللسان فقط أما الرد العملي علي هذه الأقوال الصبيانية فهو أعداد القوة والتهيؤ(٥١).

وإذا ما أخذنا في اعتبارنا استمرار عناصر التوتر الناجمة عن تشدد إيران في إدعاءاتها علي الخليج والتي كان يقابلها علي الجانب العربي التمسك بعروبته، فإن ذلك كان يعني توقع حدوث تصادم عربي ايراني ومن ثم فإن التحول الذي حدث بالتقارب العربي الايراني كان يعد من أهم الإنجازات التي تحققت في نهاية حقبة الستينيات . ويعزي ذلك التحول في الدرجة الأولي إلي الموقف الإيجابي الذي اتخذته ايران في استنكارها للعدوان الإسرائيلي علي الأراضي العربية في يونيه ١٩٦٧ واتجاهها الي تقليص علاقتها الديبلوماسية باسرائيل كما يرجع ذلك التحول إلي ماكانت تتعرض له منطقة الخليج كما سبقت الاشارة إلي ذلك من زحف التيارات اليسارية وزاد الأمر سوءا أن الكويت تعرضت لتهديد لنظامها السياسي نتيجة النمو المتزايد للجناح اليساري من حركة القوميين العرب (٥٢). يضاف إلي ذلك انحسار دور مصر العربي عقب هزيمة يونيه ١٩٦٧ وانشغال العراق بمشكلاته الداخلية، وكان لتلك العوامل جميعها أثرها في حدوث تقارب عربي إيراني خاصة بعد أن بدأت المملكة العربية السعودية تنفرد بتوجيه السياسة العربية في الخليج إذ لم يكن للكويت قدرة علي المواجهة الايرانية ومن ثم ارتبطت تحركاتها الديبلوماسية فيما يتعلق بالخليج بالسياسة السعودية إلي حد كبير(٥٣).

وتأكيدا لذلك ظهرت تحركات سعودية كويتية منذ ابريل ١٩٦٨ استهدفت التنسيق بين هاتين الدولتين والعمل علي حث ايران بالمساعي الديبلوماسية الهادئة علي التخلي عن ادعاءاتها بالنسبة للبحرين كما حرصت السعودية والكويت علي التأكيد لإيران بأن قيام دولة عربية جديدة في الخليج لايعني علي الإطلاق تهديدا للمصالح الايرانية، وكان ذلك إشارة إلي الجهود التي كانت تبذلها هاتان الدولتان آنذاك لقيام اتحاد يجمع بين الامارات العربية في الخليج (٥٤).

ويمكننا أن نستدل من التصريحات التي كان يدلي بها المسؤلون في كل من المملكة العربية السعودية والكويت عن سعي الدولتين للتقارب مع إيران ففي تصريحي للملك فيصل أدلي به في مايو ١٩٦٨ أكد فيه أنه علي الدول العربية مسئولية حفظ الاستقرار السياسي في الخليج غير أنه أشار إلي أن لإيران مصالح في الخليج كما أن للعرب مصالحهم أيضا وسيحافظ العرب علي مصالحهم كما ستحافظ ايران أيضا علي مصالحها.

ولعله من ذلك الوقت بدأ يشاع تعبير الخليج فقط تجنبا من إطلاق تعبير الخليج العربي أو الخليج الفارسي وفيما يبدو أن ذلك الحل الوسط أو الحيادي لقي استجابة من كثير من الدول التي كان يهمها عدم اغضاب أي من الطرفين .

وعلي الرغم من أن تعبير الخليج بدأ يستخدم في الاتصالات الرسمية بين العرب وإيران فإن الأمر لم يخل مع ذلك من حدوث أزمات ديبلوماسية بين إيران والدول العربية في الخليج منذ أوائل ١٩٧٧ استدعت ايران سفراءها من سبع دول خليجية وهددت بإعادة النظر في علاقاتها بتلك الدول احتجاجا علي قرار إقامة وكالة للأنباء تحمل اسم وكالة الخليج العربي وصرح عباس علي خلعتيري وزير الخارجية الايرانية أن استخدام تلك الدول لعبارة الخليج العربي إنما تعبر عن بادرة غير ودية تجاه ايران . وعلي إثر الاحتجاج الايراني أكدت كل من السعودية والعراق والبحرين أن القرار باطلاق اسم الخليج العربي علي وكالة الأنباء الجديدة لا يمثل سياستها الرسمية (٥٥).

وفي إطار سعي كل من الكويت والسعودية وايران علي تسوية الخلافات المناسبة فيما بينهما خاصة فيما يتعلق بالحدود البحرية تم الاتفاق علي إعادة النظر في اتفاقية ١٩٦٦ التي كانت تعتمد خط الوسط لتحديد الجروف القارية بين السعودية والكويت وايران إذ أن الاحتمالات النفطية قد بدأت تثير من جديد الخلافات بين الدول الثلاث، ومن ثم أعيد النظر في الاتفاقية السابقة بتوقيع اتفاقية جديدة في اكتوبر ١٩٦٨ ترتب عليها اعتراف ايران بالسيادة السعودية علي جزيرة عربي علي حين اعترفت السعودية بالسيادة الايرانية علي جزيرة فارس. ومن الطريف أن تبادل الاعتراف بين السعودية وايران قد تم علي حساب الكويت التي كانت تطالب بالسيادة علي هاتين الجزرتين . يضاف إلي ذلك أن العراق لم يعترف بتلك الاتفاقية وخاصة أنه لم توجه إليه الدعوة للاشتراك في المباحثات التي تمخضت عنها.

التقارب الايراني مع السعودية والكويت

منذ أواخر عـام ١٩٦٨ بدأت الأمـور تشـيـر إلي تقـارب ايراني مع كل مـن السـعـودية والكويت حتي إن الشاه قبل دعوة وجهت إليه من الملك فيصل لزيارته في عاصمته بالرياض غير أن الوضع لم يسلم من حدوث بعض الأزمات الدبلوماسية التي اتسمت بقدر كبير من الهدوء والاعتدال . ذلك أنه حدث قبل أن يقوم الشاه بزيارته للملكة العربية السعودية أن قام الشيخ عيسي بن سلمان آل خليفة حاكم البحرين بزيارة رسمية إلي الرياض وقد أثارت الحفاوة الكبيرة التي استقبل بها والتصريحات التي صدرت عند انتهاء زيارته وما جاء بها من التأكيد علي عروبة البحرين ثائرة الرأي العام الايراني يضاف إلي ذلك ماتناقلته الأنباء عن مشروع بدأ العمل في تنفيذه لإقامة جسر بري Way يربط بين السعودية والبحرين حيث اعتبرت ايران ذلك المشروع بمثابة اجراء دفاعي تتخذه السعودية بهدف إحباط أية محاولة من جانب ايران لضم البحرين [٥٦] .

وعلي الرغم من الحملات العنيفة التي شنتها الصحف الايرانية ضد ماوصفته بالاستفزازات السعودية، إلي درجة أن وزير البلاط الايراني أسد الله علم صرح بأن الشاه لن يقوم بزيارته الي الرياض، فإن دوائر الخارجية الايرانية كانت مع ذلك تعول كثيرا علي مستقبل العلاقات بين ايران وجيرانها العرب في الخليج خاصة وأن سبل التعاون السياسي والاقتصادي والأمني كانت ستشكل نقاطا رئيسية في المباحثات بين العاهلين السعودي والايراني[٥٧]. ومن ثم حرص البيان الايراني الذي أوقف زيارة الشاه إلي السعودية علي أن تكون عباراته مصاغة بطريقة ديبلوماسية هادئة بمعني أنه لم يلغ الزيارة نهائيا وإنما اكتفي بالقول بأنها لن تتم في الوقت الحاضر .

ومما هو جدير بالذكر أن الوساطة العربية لعبت دورها في عودة التقارب بيني السعودية وايران وهي وساطة قام بها الملك الحسن الثاني عاهل المملكة المغربية في نوفمبر ١٩٦٨ .

وبينما كان من المفترض أن يؤدى اجتماع الشاه بالملك فيصل إلي الاتفاق علي تنسيق عسكري خاصة وأن الشاه حاول اقناعه بأن الانسحاب البريطاني سيترك المنطقة مكشوفة ومعرضة للفوضي وعدم الاستقرار من قبل العناصر اليسارية فضلا عن التحركات المريبة التي

يقوم بها الأسطول السوفيتي في البحر الأبيض المتوسط في أعقاب هزيمة يونيه ١٩٦٧ وتردد بعض قطعه علي الخليج والمحيط الهندي مما سيؤدى إلي تصاعد الدور السوفيتي في المنطقة إلا أن الملك فيصل كان حريصا علي عدم التورط في مشروعات دفاعية عسكرية حتي وإن اتخذت تلك المشروعا ت تعبيرات جديدة كمشروع التحالف الإسلامي . ومن ثم فقد اقتصر البيان السعودي الايراني المشترك الذي أعلن في أعقاب انتهاء زيارة الشاه علي الإشارة إلي أمور عامة خاصة بتسوية الخلافات بين البلدين ورغبتهما في التعاون من أجل المحافظة علي الأمن والاستقرار في المنطقة .

غير أن أهم ما نتج عن المباحثات بين العاهلين هو تجنب وقوع أزمة بين السعودية وإيران بشأن البحرين حيث أبدي الشاه تفهما واضحا لإيجاد حل لتلك المشكلة بل كان حريصا علي أن يؤكد للملك فيصل بأنه علي استعداد من أجل تحقيق الاستقرار في المنطقة أن يجعل الادعاءات الايرانية في البحرين تموت دون ضجيج (٥٨).

وقد ارتبطت زيارة الشاه للمملكة العربية السعودية بزيارة أخري قام بها الي الكويت . ولعل ما تجدر الإشارة إليه أن العلاقات الكويتية الايرانية ظلت متوترة إذ كانت ايران لا تكف عن تقديم احتجاجاتها المتوالية عن سوء معاملة رعاياها حيث كانت ولا تزال لها في الكويت جالية ايرانية كبيرة العدد . وبالإضافة إلي ذلك فإن ايران ماكانت لتغفر للكويت استغلالها لتأميم النفط الايراني في عام ١٩٥١ لكي تؤكد لنفسها مركز الصدارة في انتاج النفط في الشرق الأوسط (٥٩).

وعلي الرغم من تلك التوترات فإن ايران قد بادرت مع ذلك باستنكار مطالبة عبد الكريم قاسم بضم الكويت واعترفت باستقلالها وسعت إلي التقارب معها وأرسلت بالفعل وفودا لتطوير العلاقات الاقتصادية والثقافية وأتاح لها الاعتراف باستقلال الكويت تبادل التمثيل الدبلوماسي معها. غير أن الأزمات الدبلوماسية ظلت قائمة بين البلدين . ففي يناير ١٩٦٥ وقعت أزمة احتجاز إحدي الطائرات الكويتية في مطار عبدان بعد أن اكتشفت سلطات المطار استخدام الطائرة الكويتية تعبير الخليج العربي في أوراقها الرسمية وقد ترتب علي تلك الأزمة توقف الاتصال الجوي بين الدولتين لبعض الوقت .

وفي سبتمبر ١٩٦٦ خول مجلس وزراء ايران للسفارة الايرانية في الكويت سلطة إصدار

جوازات سفر للايرانيين الموجودين في الكويت رغم أن غالبيتهم قد دخلوا الكويت بطرق غيري مشروعة وأكثر من ذلك كان للسفارة الايرانية في الكويت السلطة أيضا في إصدار جوازات سفر للايرانيين الموجودين في سائر إمارات الخليج علي أساس عدم وجود تمثيل ديبلوماسي لايران في تلك الإمارات . وفي خلال فترة قصيرة لم تزد عن ستة أشهر كانت السفارة الإيرانية في الكويت قد أصدرت أكثر من مائة وعشرين ألف جواز سفر في الوقت الذي تنبهت فيه الكويت إلي خطورة الأمر، فاتخذت بدورها العديد من التشريعات لكي تبطل الاجراءات التي حاولت إيران اتخاذها بغية تنظيم وضعية المهاجرين والمتسللين الايرانيين إلي الكويت .

ومع توالي الأزمات الكويتية الإيرانية إلا أن اعلان الانسحاب البريطاني من الخليج ساعد علي أحداث تقارب بين الدولتين حيث أقدم الشاه علي زيارته للكويت في نوفمبر ١٩٦٨ في أعقاب زياره للمملكة العربية السعودية . وعلي رغم ماواكب هذه الزيارة من بعض حوادث الاضطرابات التي شهدتها الكويت والتي قامت بها عناصر يسارية قومية في مواجهة الحفاوة البالغة التي استقبل بها الشاه من الجالية الايرانية في الكويت، فقد انتهت تلك الزيارة باتفاق وجهتي النظر الكويتية الايرانية حول ضمان الاستقرار في الخليج وأهميته بل وضرورة التعاون بين ايران والدول العربية في الخليج لطبيعة التداخل الحدودي والجغرافي بين ايران وتلك الدول فضلا عن تشابك المصالح الاقتصادية المتعلقة بالملاحة والتجارة والموارد النفطية في المنطقة(٦٠)، ومن ثم فقد أكد البيان الكويتي الايراني المشترك الذي صدر في أعقاب انتهاء زيارة الشاه علي توثيق التعاون بين البلدين من أجل مصلحة المنطقة وازدهارها والحرص علي تطوير العلاقات الكويتية الايرانية في جميع المجالات وخاصة ما يتعلق منها بالنواحي التجارية والاقتصادية . وقد تمهد الطريق بالفعل إلي توقيع العديد من الاتفاقيات التي تناولت المواصلات والبريد والطيران وغيرها (٦١) .

توقف ايران عن إثارة إدعاءاتها في البحرين

أسفرت العلاقات الودية بين إيران من ناحية وبين الكويت والمملكة العربية السعودية من ناحية ثانية عن نتائج بالغة الأهمية كان أبرزها بداية تخلي ايران عن ادعاءاتها في البحرين . غير أن هذا التحول في السياسة الايرانية لم يكن نتيجة للتعاون بينها وبين السعودية

والكويت فحسب، وإنما كان أكثر ارتباطا بالدور الذي قامت به السياسة البريطانية التي كثفت جهودها مع ايران بهدف الوصول الي حل لتلك المشكلة . ولعل الولايات المتحدة الأمريكية كانت تقف بدورها وراء الجهود البريطانية إذ كان يعنيها استتباب الأوضاع في الخليج العربي بعد الانسحاب البريطاني كما كان للأمم المتحدة دور بارز في تقديم الضمانات الدولية الكفيلة باحترام مايتم الاتفاق عليه بين كل من ايران والمملكة العربية السعودية والكويت وبريطانيا فيما يتعلق بتسوية تلك المشكلة (٦٢).

ولعل مما تجدر الإشارة إليه أنه علي الرغم من شدة تمسك ايران بتبعية البحرين لها وهو تمسك استمر مايقرب من مائة وخمسة وثمانين عاما منذ استقرار آل خليفة في حكم البحرين بداية من عام ١٧٨٣ ، إلا أن ايران أخذت تتراجع عن ادعاءاتها التقليدية، فقد صرح الشاه بأن جزر البحرين قد فصلها الانجليز عن بلادنا قبل مائة وخمسين عاما وألحقوها بامبراطوريتهم(٦٣) وأن الوقت قد حان لكي يخرج الانجليز من هذه المنطقة وأن يكون انسحابهم أساسيا وواقعيا، وأكد الشاه أن بلاده أن تحرص علي الالتزام بسياستها القائمة علي عدم اللجوء إلي القوة في الحصول علي مكاسب إقليمية، ويعني ذلك أنه إذا كان سكان البحرين لايرغبون في الانضمام إلي بلادنا فإننا لن نلجأ للقوة لإجبارهم علي ذلك لأن استخدام القوة يتعارض مع مبادئ سياستنا. ومن المعروف أن الشاه قد أدلي بهذا التصريح عقب زيارته للكويت والسعودية وفي أثناء زيارته للعاصمة الهندية نيودلهي في ٢ يناير ١٩٦٩ (٦٤).

ومع التوجهات الجديدة في السياسة الايرانية أسهمت الدبلوماسية السعودية والكويت في محاولة إيجاد مخرج لمسألة البحرين وقد أثبتت تلك الدبلوماسية كفاءة بالغة حين رفضت السعودية والكويت الحلول التي عرضتها ايران والتي كانت تقضي بإجراء استفتاء شعبي في البحرين، إذ أن ذلك يعني التشكيك في عروبتها فضلا عن أن مبدأ الاستفتاء قد يشكل سابقة يمكن أن تطالب إيران بتطبيقها في المستقبل علي أية جزيرة أو إمارة أخري تسود فيها نسبة كبيرة مني السكان الايرانيين، ومن ثم فقد استعيض عن ذلك الأسلوب بناء علي اقتراح قدّمته الحكومة البريطانية بأن تقوم لجنة تابعة للأمم المتحدة باستقصاء الحقائق في البحرين في الوقت الذي ارتأي فيه السكرتير العام للأمم المتحدة بأن يوفد الي البحرين مبعوثاً خاصا حيث وقع اختياره علي دينسبير جوتشياردي، وقدمت كل من ايران وبريطانيا باعتبارها صاحبة

الحماية علي البحرين ضمانات حول مهمة المبعوث الدولي وأكدت السلطات الحكومية في البحرين بأنه سيتاح للسكان الأعراب بحرية تامة عن آرائهم (٦٥)، وبعد ذلك فقد نفي البيان الرسمي الصادر من مجلس الدولة في البحرين في ٢٩ مارس ١٩٧٠ بأنه علي الرغم من أن البحرين بلد عربي له كيانه وشخصيته فإن حكومة البحرين ارتأت علي ضوء المصلحة العليا أن يتم إعلان عروبة البحرين علي العالم أجمع عن طريق الأمم المتحدة وأن هذا الاجراء الدولي سيكون بداية عهد جديد من الصداقة والتعاون مع الجارة المسلمة ايران (٦٦).

وبعد عدة أسابيع قضاها المبعوث الدولي في البحرين متقصيا للحقائق ومتعرفا علي الكثير من الآراء قدم تقرير بعثته إلي الأمين العام للأمم المتحدة في ٣ ابريل ١٩٧٠ مؤكدا فيه أن الأغلبية الساحقة من شعب البحرين ترغب في الحصول علي اعتراف بكيان البحرين كدولة مستقلة ذات سيادة وأن تقرر علاقتها بالدول الأخري بملء حريتها (٦٧).

واستنادا علي تقرير جوتشياربي صدر قرار مجلس الأمن في ١١ مايو ١٩٧٠ الذي قضي بحق شعب البحرين في الانتماء إلي دولة مستقلة ذات سيادة . وعلي إثر ذلك بادرت البحرين بإعلان استقلالها كما أعلنت في نفس الوقت انسحابها من مباحثات اتحاد الإمارات العربية بعد أن أمنت نفسها من الأخطار الايرانية التي كانت تتهددها.

احتلال ايران لجزر الخليج

علي الرغم من أن إيران أعلنت عن تخليها عن مبدأ الاحتلال بالقوة إلا أنها ناقضت نفسها بالنسبة لسيطرتها علي جزر الخليج الثلاث ، بوموسي وطنب الكبري وطنب الصغري، وتتبع الجزيرة الأولي إمارة الشارقة بينما تتبع الجزيرتين الأخريين إمارة رأس الخيمة (٦٨). وقد وقع الاحتلال الايراني لتلك الجزر في ٢٩ نوفمبر ١٩٧١ وقبل يومين اثنين فقط من إعلان قيام دولة الإمارات العربية المتحدة .

جدير بالذكر أن إيران بذلت العديد من المحاولات السابقة للسيطرة علي تلك الجزر، وذلك في إطار رغبتها التحكم في مضيق هرمز ولما كانت سلطنة مسقط وعمان تشاركها السيطرة علي ذلك المضيق فقد وصل بها الأمر إلي إثارة إدعاءات تاريخية علي تلك السلطنة وقد حدث ذلك في عام ١٩٥٦ حين حاولت إيران عقد معاهدة بينها وبين سلطنة مسقط واعترضت

بريطانيا علي ذلك بحجة حمايتها للسلطنة بينما أجابت ايران بأنه ليس هناك مايلزمها بالاعتراف بالمعاهدات التي عقدتها بريطانيا مع مسقط التي تعتبرها جزءا من الممتلكات الايرانية(٦٩).

وقد استندت إيران في إثارتها لتلك الادعاءات علي أنه سبق لها أن احتلت بعض الاقاليم العمانية وكان ذلك خلال عهد نادر شاه ١٧٢٨ / ١٧٤٥ غير أن الاحتلال الفارسي لم يستمر سوي بضع سنوات وعلي وجه التحديد بين عامي ١٧٣٨ و١٧٤١ حيث نجح الإمام أحمد بن سعيد المؤسس الأول لدولة البوسعيد التي لاتزال تحكم في سلطنة عمان حتي وقتنا الحاضر في تخليص بلاده من الاحتلال الفارسي .

ومن الواضح أن الادعاءات الايرانية كانت ضعيفة إلي الدرجة التي ارتأت فيها الحكومة البريطانية أن إثارة مثل تلك الادعاءات الواهية لدي عصبة الأمم سيؤدي إلي تقوية مركز بريطانيا في الخليج باعتباره ضروريا لحماية الشعوب الصغيرة من اطماع جيرانها الأقوياء(٧٠).

وقد حرصت بريطانيا علي التصدي للنشاط الملاحي الايراني في مواني السلطنة حيث الزمت السفن الايرانية بأن تبعث باخطار إلي تلك المواني قبل وصولها إليها وذلك بموجب التفويض الذي تحصلت عليه من السيد سعيد بن تيمور سلطان مسقط وعمان في عام١٩٣٢(٧١).

وعلي الجانب الآخر لم تتوقف ايران عن تشجيع الحركات الانفصالية في شبه جزر موساندم التي تسيطر علي مضيق هرمز، وكان من أبرز الحركات الانفصالية التي ساندتها تلك التي قام بها كل من شيخ خصب وبكا ودبا في عام ١٩٣٤ وقد امتدت تلك الحركات إلي إمارة الفجيرة الواقعة علي خليج عمان والتي كانت تابعة آنذاك لإمارة الشارقة (٧٢). وبينما نجحت بريطانيا في قمع تلك الحركات الانفصالية اتجهت ايران للسيطرة علي جزر بوموسي والطنبين، وقد ظهر النشاط الايراني في بداية الأمر مقترنا ببعض الدوافع الاقتصادية حين اتجهت شركة الوادي الذهبي المحدودة التي كانت تقوم بموجب امتياز تحصلت عليه من الحكومة الإيرانية أن تمد استغلالها للأوكسيد الأحمر في منطقة امتيازها في جزيرة هرمز إلي جزر بوموسي والطنبين . ولم يلبث ذلك النشاط الاقتصادي الذي ظهر منذ حقبة الثلاثينيات أن تحول إلي هدف استراتيجي وعسكري للسيطرة علي تلك الجزر في عام ١٩٧١.

وقد بررت ايران سيطرتها علي تلك الجزر خشيتها من أن تسيطر عليها قوة معادية، إذ من شأن ذلك التأثير علي مضيق هرمز وإغلاقه في وجه الملاحة الايرانية والدولية هذا بالإضافة الى إمكانية انسياب التحركات اليسارية علي طول الساحل الجنوبي للخليج مما يهدد الأنظمة السياسية الحاكمة بمافيها النظام الايراني نفسه .

ولعل مما يستلفت الانتباه أن ايران في سيطرتها علي تلك الجزر كانت حريصة علي أن تتجنب أية مواجهة بينها وبين المملكة العربية السعودية أو غيرها من دول الخليج العربي وذلك بحصر خلافها مع بريطانيا من الناحية النظرية حيث وقتت احتلالها لتلك الجزر قبل يومين من إنهاء بريطانيا معاهداتها الخاصة مع مشيخات الساحل العماني التي تتبعها تلك الجزر في أول ديسمبر ١٩٧١ ومن ثم أصبحت بريطانيا هي المسئولة عن هذا الاحتلال .

أما عن عملية الاحتلال الايراني ذاتها فقد حدثت في ٢٩ نوفمبر١٩٧١، وفي اليوم التالي صرح أمير عباس هويدا رئيس وزراء ايران في المجلس النيابي بأن قوات عسكرية ايرانية نزلت بجزيرتي طنب الكبري والصغري كما احتلت نقاطا استراتيجية في جزيرة بوموسي وأن إيران استطاعت أخيرا بعمليتها العسكرية هذه أن تسترد سيادتها علي الطنبين ، أما بالنسبة لجزيرة بوموسي فقد تم الاتفاق مع الشيخ خالد القاسمي حاكم الشارقة علي اقتسام دخل النفط مناصفة بين إيران والشارقة في حالة اكتشافه في تلك الجزيرة وأن الحكومة الايرانية ستقدم مساعدات فنية ومعونة مالية سنوية تصل قيمتها إلي مليون ونصف مليون جنيه استرليني لمدة تسع سنوات أو إلي أن تصل إيرادات الإمارة السنوية من أي نفط يتم اكتشافه إلي ثلاثة ملايين جنيه استرليني .

ويتضح من البيان الذي أصدرته حكومة الشارقة شروطا أكثر تفصيلا مما نص عليه التصريح الايراني إذ حرص البيان علي التأكيد بأن سكان الجزيرة المدنيين سيبقون تحت سلطة الإمارة وأن علم الشارقة سيبقي مرفوعا علي مركز الشرطة في الجزيرة، وبالتالي فإن الاتفاقية التي عقدتها الإمارة مع ايران لن تؤثر بأية حال، من الأحوال علي سيادة الشارقة رغم ماسمحت به الاتفاقية لبعض القوات العسكرية الايرانية في المرابطة في بعض مواقع من الجزيرة التي تم الاتفاق عليها .

ومن الواضح أن البيان الحكومي الذي صدر عن إمارة الشارقة لم يكن إلا محاولة لتهدئة

الموقف، ولعل مايؤكد ذلك ما أقدمت عليه إيران أخيرا بالاستئثار بالنفوذ وطرد السكان العرب وإعلانها ضم الجزيرة إليها .

ولعل مماتجدر الاشارة إليه أنه حين وجهت الانتقادات الي حاكم الشارقة لموافقته علي تلك التسوية التي أبرمت بينه وبين ايران أكد بأنه كان مرغما علي ذلك لأن الدول العربية لم تتخذ أية اجراءات إيجابية إزاء النوايا الايرانية فضلا عن مساندة بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية لايران إذ كانت بريطانيا حريصة علي تسليم تلك الجزر الاستراتيجية إلي قوة خليجية كبيرة قبل إنهاء وجودها العسكري من الخليج فضلا عن أن ايران لم تكن لتسلم بقيام دولة الإمارات العربية المتحدة قبل أن تحقق سيطرتها علي تلك الجزر (٧٣).

ويتضح الاتفاق أو علي الأحري التواطؤ البريطاني مع ايران للسيطرة علي تلك الجزر في أن بريطانيا رغم أنها كانت لاتزال حتي ذلك الوقت الدولة صاحبة الحماية علي إمارتي الشارقة ورأس الخيمة اللتين تتبعهما جزر بوموسي والطنبين إلا أنها لم تتخذ أي إجراء ضد الاحتلال الايراني، بل وعلي العكس من ذلك قامت بدورها في الوساطة من أجل إبرام التسوية السابق الإشارة إليها بين ايران والشارقة وليس من شك في أن بريطانيا كانت أكثر من غيرها إدراكا بتبعية جزيرة بوموسي للشارقة بحكم ماالديها من وثائق وأسانيد قانونية وأن تلك القضية ستكون في صالح الشارقة ورأس الخيمة إذا ماقدمت للتحكيم الدولي فضلا عن أن استخدام ايران للقوة العسكرية ضد إمارتين صغيرتين إنما يعد بمثابة انتهاك صريح للقانون الدولي ولميثاق الأمم المتحدة (٧٤).

وعلي عكس الشيخ خالد القاسمي الذي هادن الاحتلال الايراني لجزيرة بوموسي أعلن الشيخ صقر القاسمي حاكم رأس الخيمة أن إمارته مستعدة لاستقبال أية قوات عربية للدفاع عن الطنبين وأكد أن الواجب القومي لدولة الإمارات العربية المتحدة التي أعلن عن قيامها آنذاك هو الدفاع عن تلك الجزر وأن الشرط الرئيسي لانضمام إمارته إلي الدولة الجديدة هو أن تقوم بتبني موقف رأس الخيمة من الاستيلاء الايراني علي جزر الخليج وأن تبادر بقطع جميع العلاقات بينها وبين ايران وتعمل علي ترحيل جميع الايرانيين من أراضيها.

ومما هو جدير بالذكر أن دولة الإمارات العربية المتحدة وجدت إنقاذا لماء وجهها في التعلل بأن الاحتلال الايراني للجزر وقع قبل الإعلان الرسمي لقيامها، وبالتالي فإن مسئولية ذلك

الاحتلال إنما تقع علي عاتق بريطانيا بحكم التزاماتها الخاصة بالحماية فضلا عن أن إمارة رأس الخيمة التي وقع العدوان عليها ليست عضوا في الدولة الجديدة، إذ من المعروف أن رأس الخيمة رفضت التوقيع علي الدستور الاتحادي المؤقت ولم تنضم إلي الدولة إلا بعد عدة أشهر من قيامها.

وعلي الرغم من أن الاحتلال الايراني أثار أزمة في العلاقات العربية الايرانية، إلا أن الموقف لم يتعد أكثر من بعض الانفعالات أو الحماس القومي، فعلي حين طالب مجلس الأمة الكويتي اتخاذ إجراءات مشددة ضد الأطماع الايرانية في الخليج ووافق علي قانون التجنيد الإجباري لأول مرة في تاريخ الكويت، وأصدرت الحكومة الكويتية بيانا نادت فيه بضرورة اتخاذ استراتيجية عربية لمواجهة الموقف بخطة فعالة وموحدة(٧٥) . اكتفت المملكة العربية السعودية بشجب العدوان الايراني علي الجزر في الوقت الذي شنت فيه كل من ليبيا والعراق حملات إعلامية عنيفة ضد التواطؤ البريطاني الايراني .

وبينما لم تتعد المعارضة العربية للاحتلال الايراني الناحية النظرية حاول سكان جزيرة طنب الكبري رغم أن عددهم لا يتجاوز بضع مئات التخلص من السيطرة الايرانية بإعلان انتماءاتهم العربية ومناشدة دولة الإمارات العربية المتحدة تخليصهم من الاحتلال الايراني [٧٦].

الانسحاب البريطاني من الخليج والدور السعودي والايراني في مشكلات الامن الاقليمي

أثار الانسحاب البريطاني من الخليج الرغبة لدي ايران في أن تحتل مكانة بريطانيا بما يحقق لها فرص السلام الايراني باعتبارها الدولة الأكبر في الخليج، ومن ثم كان تأهبها للقيام بدور شرطي الخليج دفاعا عن المصالح الغربية في المنطقة وتأكيدا لهيمنتها علي الخليج من ناحية ثانية .

ولما كانت إيران تجد أن مصالحها الحيوية تحتم عليها المحافظة علي الأمن والاستقرار من خلال الإبقاء علي الأنظمة المعتدلة فقد عرضت كما سبقت الإشارة إلي ذلك العديد من المشروعات للتعاون مع الدول العربية المطلة علي الخليج من أجل الدفاع المشترك . بيد أن المشروعات الإيرانية كانت تهدف في الدرجة الأولي إلي تحقيق السيطرة الايرانية خاصة وأن ايران كانت قد بدأت برامج تسليحها بمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية ومن ثم قوبلت

المشروعات الايرانية التي قدمت خلال حقبة السبعينيات برفض صريح من المملكة العربية السعودية والدول العربية في الخليج . ومن المعروف أن تلك المشروعات اتخذت العديد من المسميات كمنظمة الدفاع الاقليمية والحلف الخليجي أو الحزام الأمني الخليجي وأخيرا الملف الإسلامي .

وعلي الرغم من رفض المشروعات الايرانية قد ظلت إيران مع ذلك حريصة علي مد جسور العلاقات بينها وبين الدول العربية كما أدركت في الوقت نفسه أن نفوذها يمكن أن يكون أكثر فاعلية من خلال تأثيرها علي الأمراء العرب في المنطقة .

وقد يكون حقيقة أن ايران قد تنازلت عن مطالبها بالنسبة للبحرين، ولكن كانت هناك طرق أخري لتأكيد سيطرتها العليا في الخليج أفضل من الإلحاح في المطالبة بالأراضي، ومن ثم ظلت تعمل علي تشجيع هجرة الايرانيين إلي الكويت والبحرين وظهرت قوة ومكانة الإيرانيين في إمارات الساحل العماني بصفة خاصة .

وفي اكتوبر ١٩٧٢ وجهت ايران دعوة إلي كل حكام الخليج لحضور المهرجانات التي أقامها الشاه بمناسبة مرور خمسة وعشرين قرنا علي قيام الحكم الملكي حيث أقيم من أجل ذلك احتفال كبير بين اطلال عاصمة الاخميتيين السابقة برسوبوليس Persopolis ، وفيها توج الشاه نفسه علي الطريقة الايرانية القومية، وكان لتلك المهرجانات أعمق الأثر علي أمراء الخليج ولم يخف بعضهم مثل الشيخ راشد بن سعيد المكتوم حاكم دبي اعجابه بضرورة التطلع الي طهران باعتبارها مركز القوة الحقيقة في المنطقة [٧٧].

كذلك حرصت السياسة الايرانية منذ عام ١٩٧٥ علي إجراء لقاءات ثنائية مع الدول العربية في الخليج مثل لقاء الشيخ زايد بن سلطان رئيس دولة الامارات العربية المتحدة بالشاه وزيارة الشاه للسلطان قابوس بن سعيد في مسقط واستقباله لأمير البحرين . واستخدمت ايران في علاقاتها بحكام الخليج سياسة الكرم والضيافة في بعض الأحيان أو سياسة العصا الغليظة في أحيان أخرى .

جديربالذكر أن الدوافع الايرانية للهيمنة علي الخليج قد ارتبطت بالإضافة إلي إنهاء الوجود العسكري البريطاني بظهور مبدأ نيكسون الذي أعلنه في مؤتمر صحفي عقده في جزيرة جوام في عام ١٩٧٠ وقد أكد ذلك المبدأ الذي عرف أيضا بمبدأ جرام بأن الولايات المتحدة الأمريكية

ستضاعف من اعتمادها علي تزويد حلفائها بالمساعدات لمد يد العون لأنفسهم بقوتهم البشرية الخاصة، ويعني ذلك أن الأمن في الخليج أصبح من مسئولية دوله وأن الولايات المتحدة ستكتفي بأن تمنع أو تبيع للدول المحلية السلاح اللازم والتدريب غير أنه إذا وقع هجوم أكثر من طاقة تلك الدولة فإنه يمكن في هذه الحالة أن تتدخل الولايات المتحدة الأمريكية (٧٨).

ويفهم من مبدأ نيكسون أن السياسة الأمريكية أصبحت تتجه إلي تقليص نفقاتها والتزاماتها العسكرية في الخارج وذلك عن طريق تقوية حلفائها وأصدقائها باعتباره أفضل وسيلة لحماية مصالحها بتكلفة بشرية ومادية أقل (٧٩).

وكان من الواضح أن إيران هي المرشح المؤهل أكثر من غيرها للقيام بمهمة المحافظة علي الأمن في الخليج، إذ أن السعودية بمواردها البشرية المحدودة لا تستطيع القيام بهذه المهمة(٨٠).

ومن ثم وقع اختيار الولايات المتحدة الأمريكية علي ايران لممارسة دور الشرطي الاقليمي في الخليج خاصة وأن الشاه كان حليفا قويا وموثوقا به، كما وافق علي أن يقوم بهذا الدور طالما أن هناك أموالاً لتمويل ثورته البيضاء التي أعلنها في عام ١٩٦١ (٨١) . فضلا عن أنه كان يبدي معارضة شديدة للدور السوفيتي المتزايد في الخليج العربي .

ولأجل تمكين ايران من أداء هذا الدور فإن الإدارة الأمريكية نظرت بتعاطف شديد إلي الطلبات التي تقدم بها الشاه للحصول علي الأسلحة حيث أعلن نيكسون في مايو ١٩٧٢ استعداد بلاده لبيع ايران كل ماتطلبه من أسلحة ومعدات (٨٢) ، وليس من شك في أن المبيعات العسكرية الأمريكية الضخمة لايران قد أسهمت في انعاش الصناعة العسكرية الأمريكية التي كانت تواجه أزمة عسيرة بعد انتهاء الحرب الفيتنامية كما ساعد علي ازدياد التسلح الايراني ازدياد عوائد النفط بعد عام ١٩٧٣ وشدة نزعة الشاه في الهيمنة علي الخليج(٨٣).

ومن ناحية أخري حاولت الولايات المتحدة الأمريكية التوفيق بين ايران والمملكة العربية السعودية وإن كان من الواضح أن اعتماد الولايات المتحدة الأمريكية كان أكثر قوة علي ايران خلال الفترة من ١٩٧١ إلي ١٩٧٤ وبدرجة أقل علي السعودية حتي أطلق علي تلك السياسة العمود والنصف One Pillor and half diplomacy غير أنه منذ عام ١٩٧٥ ومع التقارب الواضح بين المملكة العربية السعودية وايران أصبح يطلق علي تلك السياسة

بالعمودين المتساندين Twin Pillar Diplomacy، وذلك بعد أن أدركت الولايات المتحدة أهمية الاعتماد علي المملكة العربية السعودية كقوة إقليمية لضمان الأمن والاستقرار في الخليج .

وباعتماد الولايات المتحدة الأمريكية علي السعودية وايران بلغت مبيعات الأسلحة الأمريكية اليها أعلي مستوي، غير أنه لم يلبث أن أصبح واضحا أنه لم يكن الهدف من تلك المبيعات تحقيق أهداف سياسة أو مشابهة بقدر ماكان الهدف الرئيسي هو امتصاص العوائد المالية النفطية التي تضاعفت في أعقاب حرب اكتوبر ١٩٧٣، ويمكن إدراك تلك الحقيقة من كثرة بعض الأسلحة والمعدات التي بيعت للدولتين كانت فوق مستوي قابلية الاستيعاب لديهما، الأمر الذي دفع بهما إلي الاعتماد بشكل متزايد علي خبراء ومستشارين عسكريين من الولايات المتحدة الأمريكية .

ولعل النتيجة الوحيدة التي تحققت من التعاون الايراني السعودي هو التصدي للاتجاهات اليسارية التي كانت تتركز بصفة خاصة في اقليم ظفار في سلطنة عمان ، وخاصة أن الشاه لم يضع الوقت لكي يثبت أنه سيقوم بدور الشرطي في منطقة الخليج بشكل جدي وأنه حل محل بريطانيا كحامي للمنطقة بشكل عملي حيث قامت قواته بمهمة شاقة في قمع الثورة فى ظفار، وأصبح معروفا منذ نهاية عام ١٩٧٣ أن القوات الايرانية مشتركة بشكل نشط في القتال . ولم يبذل الشاه أي جهد في إنكار وجود قواته بل علي العكس من ذلك كان حريصا أن يعرف العالم الغربي أن الشرطي يؤدى مهمته علي خير وجه، وليس من شك أيضا في ان مصالح الشاه كانت تتفق مع قمع الثورة التي كانت تشكل خطرا كبيرا علي مضيق هرمز وصادرات النفط الايرانية إلي العالم الخارجي [٨٤].

جدير بالذكر أن حركات المعارضة في إقليم ظفار كانت نتيجة لتدفق التيارات البعثية والناصرية واليسارية التي وفدت إلي الخليج بداية من حقبة الستينيات مما ساعد علي ظهور جبهة تحرير ظفار التي أعلن عن قيامها في عام ١٩٦٤، وبدأت بالثورة علي الاستعمار البريطاني والأوضاع المختلفة في سلطنة مسقط وعمان .

وقد استمر الصراع قائما بين الجبهة والسلطنة حتي وصل السلطان قابوس الي الحكم في يوليو ١٩٧٠، وسرعان ما اكتسب حليفا قويا في شخص الشاه الذي كان يبدي اهتماما بالغا

بأوضاع الأمن في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة العربية [٨٥]، ولم يلبث أن تلقي السلطان قابوس بالإضافة إلي ذلك مساعدات مالية من المملكة العربية السعودية بداية من عام ١٩٧٢، غير أن المساعدة العسكرية قد وصلت إليه من ايران إذ كان الشاه يخشي من أن تنجح الثورة في خلع السلطان ومن ثم تتحول السلطنة إلي الماركسية علي غرار جمهورية اليمن الجنوبية الديموقراطية التي كانت ضالعة بدورها في دعم الثورة في ظفار .

وقد تعهد كل من الشاه والسلطان قابوس علي التعاون الوثيق فيما بينهما، بهدف حماية الطرق النفطية في الخليج عبر مضيق هرمز، كما اتفق العاهلان علي إحباط أية محاولات تستهدف أمن دول الخليج أو استقرارها [٨٦].

وعلي الرغم من قبول السلطان قابوس المساعدات العسكرية الايرانية إلا أنه كان يخشي من تأثيرها علي جيرانه العرب حتي إنه صرح بأنه كان مضطرا لقبول تلك المساعدات لمواجهة التحالف بين حزب توده الشيوعي والجبهة الشعبية لتحرير عمان والخليج العربي[٨٧].

وقد استطاعت الحملات العسكرية الايرانية أن تقوم بدور فاعل في حرب الجبال في ظفار[٨٨]، حيث وصلت في بداية عام ١٩٧٣ بعض الطائرات الهليوكبتر وفي نهاية ذلك العام وصلت فرق عسكرية ايرانية قدر عدد أفرادها بأكثر من الف ومائتى جندي تمكنت من فتح الطريق من مسقط إلي ظفار [٨٩]، وعن العام التالي قدم الشاه اسطولا من طائرات الفانتوم للإغارة علي الثوار في معاقلهم بالجبال.

وإلي جانب الدعم العسكري الذي تلقته سلطنة عمان من ايران تلقي السلطان قابوس دعما ماليا من الشيخ زايد بن سلطان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، كما قدم الملك فيصل مساعدات مالية سخية حيث وصلت إلي مسقط في عام ١٩٧٢ بعض البعثات السعودية التي قدمت أموالا وأسلحة بلغت قيمتها خمس عشر مليون دولارا.

وعلي إثر نجاح السلطان قابوس في قمع الثورة وإعلان دمج إقليم ظفار في الوحدة العمانية تم الاعلان عن انسحاب القوات الايرانية في يناير ١٩٧٧ وأن استمرت بعض الفيالق العسكرية إلي جانب بعض الطائرات الايرانية لمراقبة الأجواء العمانية حتي العام التالي[٩٠].

وليس من شك في أن الدور الذي قامت به ايران في مساعدة السلطان قابوس علي قمع الثورة مكن لها في أن تصبح القوة التي يخشي من بأسها في الخليج، ولعل ذلك ماجعل الشاه

يردد دائما بأن هيمنة ايران علي الخليج إنما هي من الأمور الطبيعية . وحقيقة الأمر أن إيران في السنوات الأخيرة من حكم الشاه أخذت تتحول بالفعل إلي دولة إقليمية مسيطرة علي الخليج ساعدها علي ذلك الدعم الأمريكي المتواصل وما تتمتع به من إمكانات اقتصادية وبشرية كبيرة.

وفي الوقت الذي كانت فيه المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربية ترتاب من نوايا الشاه إلا أن ايران كنظام سياسي محافظ كانت تمثل خطا دفاعيا هاما يتسق وأنظمة الحكم المعتدلة في المنطقة، ومن ثم فقد تغاضت كل من السعودية ودول الخليج العربية عن بعض التجاوزات الايرانية مقابل الاعتماد علي ايران كقوة استقرار في المنطقة، ومن ثم فإن العلاقات الايرانية العربية في الخليج خلال حقبة السبعينيات لم تشهد توترا ذا بال خاصة بعد توصل العراق وايران لاتفاقية الجزائر وتسوية منازعات الحدود فيما بينهما في عام ١٩٧٥ . وفيما يبدو فإن قبول السعودية ودول الخليج العربية للدور الايراني كان مشروطا بتقارب سياسي بين ايران والعراق وباحترام إيران للأنظمة والكيانات السياسية القائمة (٩١).

ومن ناحية أخري، فإن التقارب العراقي الايراني في عام ١٩٧٥ أزال المخاوف من دول الخليج العربية إزاء ايران وأدي إلي مزيد من التقارب معها .

وقد تسترعينا هنا ملاحظة هامة وهي أنه علي الرغم من أن الشاه كرس بلايين من الدولارات من أجل تحديث وتقوية الجيش وبما يمكن لايران من أن يكون لها أكبر قوة بحرية في الخليج وأحدث قوة جوية في الشرق الأوسط وخامس أكبر قوة عسكرية في العالم تمتلك أحدث أنواع الأسلحة، فإن من سخريات التاريخ أن الجيش الايراني قد خذل الشاه خلال أحداث الثورة الايرانية بين عامي ١٩٧٨ و١٩٧٩ . وحتي بعد سقوط نظام الشاه ونشوب الحرب العراقية الايرانية في سبتمبر ١٩٨٠ تمكن العراق من توجيه العديد من الضربات إلي الجيش الذي سعي الشاه جاهدا لتكوينه .

ولعل تلك الملاحظة تصدق أيضا علي المملكة العربية السعودية التي حاولت بعد سقوط نظام الشاه وقيام الجمهورية الإسلامية الايرانية أن ترشد الدور الايراني في الخليج وتحل بدلا منها كقوة إقليمية معتمدة في ذلك علي قوة تسليحها العسكري، وإن كان من المثير للدهشة أن التسليحات الضخمة التي انفقت عليها السعودية ملايين الدولارات لم تستطع أن تقف

أمام الغزو العراقي الذي اجتاح أراضي الكويت وامتد إلي حدودها في أغسطس ١٩٩٠، مما هيأ المجال لإعادة البحث عن مشروعات جديدة للأمن الأقليمي بصفة عامة ولأمن الخليج بصفة خاصة.

يبقي في ختام هذه الدراسة أن نقرر أنه علي الرغم مما يبدو من هدوء في العلاقات الايرانية بمنطقة الخليج إلا أن المنطقة لاتزال تثير الدوافع الايرانية في الهيمنة عليها، إذا قدر لايران رغم التغير في نظام الحكم أن تظل أسيرة تقاليد سياسية يأتي في مقدمتها التوسع علي حساب السيادة العربية لتحقيق الهدف التاريخي والاستراتيجي وهو جعل الخليج بحيرة فارسية .

وإذا كانت الأهداف الايرانية ملموسة في الماضي فإنها قد تبدو غير محسوسة في الوقت الحاضر إذ أن النشاط الايراني يقوم علي التغلغل البشري والزحف الاقتصادي في إطار من الشرعية الدولية خاصة بعد استقلال الدول العربية في الخليج ودخولها في علاقات سياسية واقتصادية مع ايران . والأمر الذي لاشك فيه أن تسليم ايران باستقلال تلك الدول قد أفسح لها مجالا أرحب مما كان لها في ظل القيود التي كانت تواجهها سابقا .

ولعل هذه الدراسة تكون قد حققت الهدف الذي سعت إليه وهو التركيز علي أهمية التفاهم العربي الايراني ،بما يحقق المصالح المشتركة للجانبين، وخاصة في منطقة الخليج التي أصبحت تحتل أهمية بالغة في عالمنا المعاصر.

* * *

الهوامش

١- كمال مظهر : دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر ، بغداد ١٩٨٥ ، ص ١٠٩

٢- أحمد محمود الساداتي : رضا شاه بهلوي الكبير ، مؤسس ايران الحديثة ، انظر نورالدين آل علي : الصلات الثقافية بين ايران والعرب، القاهرة ١٩٧٥ ، ص ٨٧.

٣- عبد العزيز فهمي : تاريخ ايران السياسي في القرن العشرين ، القاهرة ، ص ص ٥٨ ، ٥٩.

٤- كمال مظهر أحمد : مرجع سبق ذكره ، انظر رضا المازندراني والعرش الايراني ، ص ١٠٣

٥- حسين بن علي الوحيدي : تاريخ لنجه حاضرة العرب علي الساحل الشرقي للخليج ، دبي ١٩٨٥ ، ص ٧

٦- قبيلة كثيرة العدد يدين أفرادها بمذهب السنة وإن كان يخالطهم عدد قليل من الشيعة، وقد نزحت هذه القبيلة إلي الساحل الفارسي من بادية الشام والحجاز ، انظر : ابو الفوز البغدادي ، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ، بغداد ١٢٨٠ هـ ، ص ٤٦.

٧- مصطفي عبد القادر النجار: التاريخ السياسي لإمارة عربستان العربية ، القاهرة ١٩٧٠، ص ٢٤٥

٨- مذكرات رضا شاه ، ترجمة علي البصري من الفارسية ، بغداد ١٩٥٠ ص ص ١٩٤ - ١٩٦.

٩- مصطفي عبد القادر النجار، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٤٥.

١٠- عبد السلام عبد العزيز فهمي ، مرجع سبق ذكر ، ص ص ٧٤/٧٥

١١- نفسه ، ص ٧٦.

١٢- Protrest of the Persian Government against article 6 of the Treaty of Jedda. Ministere des Affaires Etrangeres, Tehran ou secretaire generale de la Societe des Nations 23November,

1927 cf. note by the secretary general December 22nd , 1927. F. O. 371 / 122 47.

١٣- جمال زكريا قاسم : الخليج العربي : دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٨٤٠- ١٩١٤ ، القاهرة ١٩٦٦ ص ص ١٦٥- ١٥٧.

١٤- لمزيد من التفاصيل عن الادعاءات القانونية لايران علي البحرين انظر
Al Bahrna, Hussain, The legal status of the Arabian Gulf states, University of Manchester, 1968, P. 124 ff.

١٥- Note by the secretary General of the League of Nation, Communicated to the Council and the members of the league, Geneve, August 14th, 1928 cf. official Journal of the league of Nations No. 6658 m 219 vol. VII, 1927. see also F. O. 371 / 12998,

١٦- Histrorical Memorandum on Bahrein, 1934, I. O. Confidential. F. o. 371 / 17825.

١٧- B. Kazemi, Minister of Foreign Affairs, Tehran to william Hornib rook, U. S. Minister, Tehran 22nd May, 1932.

١٨- أحمد محمود صبحي ، البحرين ودعوي ايران ، الاسكندرية ١٩٦٢ ، ص ص ١٦٥ - ١٦٦.

١٩- جمال زكريا قاسم : الخليج العربي دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٩١٤ - ١٩٤٥، القاهرة ١٩٧٣ ، ص ٢٥٤ انظر أيضا :
Report From the Political Resident in the Persian Gulf .No. 371 / 17825.

٢٠- انظر بصدد ذلك إعلان صادر من حكومة البحرين بتوقيع شارلس بلجراف Belgrave مستشار حكومة البحرين بتاريخ ٢ رجب ١٣٤٧ هـ
Bahrein Government Proclamation, Rejab 2, 1347.

٢١- أحمد محمود صبحي ، مرجع سبق ذكره ص ص ١٦٥ - ١٦٦

٢٢- نفسه ، ص ص ١٦٥ - ١٦٦

٢٣- R 115 / 1 / 19 / 44 Extract From Surush newspaper 28-1-1946.

٢٤- Ali Humaidan, Princes de l'or Noire, Paris 1968. P. 49 see also R 115/1/19/44 British Consul Bushire to Political Residency, Bagrein.

٢٥- R1 / 5 / 19 / 44 Persian claim on Bahrein Extract from Iran M. A. Bahrein Representative received by Mijles deputies, Iran 14 - 1- 1948.

٢٦ - المصدر السابق انظر ايضا جمال زكريا قاسم الخليج العربي دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٩١٤ - ١٩٤٥ ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص ٢٦٧ .

٢٧- سعد نوفل : الأوضاع السياسية لامارات الخليج العربى.

٢٨- عن تأثير أزمة النفط الايرانية علي منطقة الخليج انظر

Farnie, D. A. East & west of suez, oxford University Press 1968, P. 674 cf. The Abadan Crisis and the oil Boon in Kuwait 1951.

٢٩- خليل مراد : سياسة الولايات المتحدة في الخليج العربي والمحيط الهندي

٣٠- جمال زكريا قاسم : الخليج العربي ، دراسة لتاريخه المعاصر ١٩٤٥ - ١٩٧١ ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص ١٤٠ .

٣١- انظر بصدد ذلك تقرير الأمين العام إلي مجلس جامعة الدول العربية في دور انعقاده العادي في ٢٩ مارس ١٩٥٨ - موقف ايران من البحرين ، ص ص ٤٢ - ٤٣.

٣٢- Al Bahrna, H, op. cit. p. 1.

٣٣- من أبرز الدراسات التي تؤكد وجهة النظر الفارسية يمكن الرجوع إلي علي رضا ميرزا محمد ، أسانيد الخليج الفارسي ، القاهرة ١٩٧٦ ، وصادق نشأت ، تاريخ الخليج السياسي، وعباس إقبال، مطالعاتي درباب بحرين وجزاير خليج فارس ، القاهرة ١٩٥٦، ودراستي فريدين أداميات وعباس الفاروقي عن البحرين .

وعن وجهة النظر العربية يمكن الرجوع إلي أحمد محمود صبحي ، البحرين ودعوي إيران وحسين المجارفة ، ومجيد خدوري ، البحرين وايران ، وصلاح العقاد التيارات السياسية في الخليج العربي وجمال زكريا قاسم في دراساته عن الخليج العربي .

٣٤- جمال زكريا قاسم : الخليج العربي دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٨٤٠ - ١٩١٤ ، القاهرة ٦٦ ص ص ١ -٢. وكذلك جان جاك بيريبي ، الخليج العربي " مترجم " ، بيروت ١٩٥٩ ، ص ٦.

٣٥- Roderic Owen, The Golden Buble, London 1958, PP. 13-16.

٣٦- Jean Bereby, le Golfe Persique, Paris, 1959,

٣٧- المرجع السابق ، انظر الترجمة العربية ص ٢٢٨ وكذلك سيد نوفل ، مرجع سبق ذكره ، الكتاب الثاني ، ص ص ١١٦ - ١١٧

٣٨- cf. Development office, Trucial States, Census figures, Summary of Population, 1966.

٣٩- جمال زكريا قاسم : الادعاءات الايرانية في الخليج من أعمال المؤتمر الدولي للتاريخ ، بغداد ١٩٧٣ .

٤٠- ظهرالنشاط الايراني في مشيخات الساحل العماني بتأسيس مدرسة ايرانية في دبي، كما أسست ايران مستوصفا كبيرا بلغت تكاليفه أكثر من مليون جنيه ويعرف بمستشفي الأسد والشمس ويوجد في دبي، انظر جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي دراسة لتاريخه المعاصر ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص ١٩١.

٤١- تقرير بعثة جامعة الدول العربية إلي إمارات الخليج في ١٠ نوفمبر ١٩٦٤ ملحق (٢) سري جدا من تقرير الأمين العام إلي مجلس الجامعة في ١٥ مارس ١٩٦٥ ، ص ١٧٧ ومابعدها.

٤٢- عن التسلل والهجرة الايرانية غير المشروعة إلي إمارات الخليج العربي ، انظر ماذا يجري في خليجنا العربي ، إصدار الاتحاد الوطني لكلية الكويت، مارس ١٩٦٧ ، ص ٥٣ ومابعدها.

٤٣- جريدة الحياة (بيروت) ١٠/١/١٩٦٨.

٤٤- Robert J. Hanks, oil and seurity in the United States Policy touards the Arabian Gulf and the Indian Ocean, Arab Research Center, Croom Helm London, 1981, P. 48.

٤٥- تعليق علي الانسحاب انظر جريدة الحياة - بيروت ١٩٦٥/١/١٠.

٤٦- فريدهاليداي : النفط والتحرر الوطني في الخليج العربي وايران ، ترجمة زاهر ماجد بيروت ١٩٧٥ ، ص ١٣١.

٤٧- النهار - بيروت ١٩٦٨/٦/٢٤.

٤٨- Walter Laquer, The struggle for the Middle East, The soviet Union and the Middle East, London, PP. 114-115.

٤٩- Laquer , w, op. cit P. 364.

انظر ايضاً The Gulf Implication of British Withdrawal, Comment by Ian Michie, P. 20. Centre for Strategic and Internationsl Studies, Georgetown University Press,Washington D. C. Special Report Series No. 8, 1969.

٥٠- Newsweek, 12-2- 1968.

٥١- مجلة الطليعة - الكويت ١٩٧٦/٧/١٠.

٥٢- Laquer , W. op. cit. p. 41.

٥٣- توفيق المقدس : بوادر المحنة في الخليج - مجلة الجديد ١٩٦٨/٢/٩.

٥٤- Donald Hawley, The Trucial States, London 1972, P. 258.

انظر أيضا جريدة النهار - بيروت ١٩٦٨/٢/١٢.

٥٥- جبران شامية - سجل الآراء حول الوقائع السياسية في البلاد العربية دار الابحاث والنشر - بيروت - فبراير ١٩٧٧.

٥٦- الأهرام - القاهرة ١٩٦٨/٢/٣.

٥٧- جمال زكريا قاسم : الخليج العربي ، دراسة لتاريخه المعاصر ، ص ص ٢٣٨/٢٩٩

٥٨- Nesweek, 25-11-1968

٥٩- Johm Marlowe, The Persian Gulf in the 20th Century, London 1962, P. 204

٦٠- الحماية - بيروت ١٩٦٨/١١/١٦.

٦١- النهار - بيروت ١٩٦٨/١١/١٨.

٦٢- انظر بصدد ذلك الوثائق الرسمية للأمم المتحدة - الجمعية العامة - الدورة الخامسة والعشرون - ملحق رقم (١) A / 2001 .

٦٣- يشير تصريح الشاه إلي ارتباط البحرين ببريطانيا بموجب معاهدة ١٨٢٠ وهي أولي المعاهدات التي عقدتها بريطانيا مع البحرين .

٦٤- السياسة - الكويت ١٩٦٩/١/٧.

٦٥- الجمعية العامة للأمم المتحدة - الوثائق الرسمية - انظر التقرير السنوي للسكرتير العام للأمم المتحدة عن أعمال المنظمة في انفترة من ١٦ يونيه ١٩٦٣ إلي ١٥ يونيه ١٩٧٠ ملحق رقم (١)

٦٦- بيان صادر عن مجلس الدولة في البحرين حول مهمة وينسبير جوتشياردي المبعوث الدولي للأمم المتحدة في ٢٩ مارس ١٩٧٠.

انظر جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي دراسة لتاريخه المعاصر ، ص ١٥٢.

٦٧- جاء في نص التقرير :

"My Consultations have convinced me that the overwhelming majority of the People of Bahrein wish to gain recognition of their identity in a fully independent and sovereign state free to decide for itself its relations with other states . cf Report of the Personal representative of the Secretary General in charge of the good offices Mission, Bahrein 30th Apeil, 1970.

٦٨- تقع جزيرة طنب الكبري علي مضيق هرمز وتبعد حوالي ستين كيلومترا عن إمارة رأس الخيمة ويعيش بها مايقرب من سبعمائة نسمة أما جزيرة طنب الصغري فتقع إلي الشمال من الجزيرة الكبري وتكاد تكون خالية من السكان .

٦٩- Bagher Kaqemi, Persin minister for foreign affairs to his majesty's British Minister in Tehran. April 30th, 1937 F. o. 391 / 1 / 224.

٧٠- F. o. 317 / 13014 I. o. to F. o. November, 1928

٧١- R/ 15/3/9/27. Naval & shipping - Persian Navy Activities and visits to Arab ports. Resident, Bushire to Agent, Muscat 7th March, 1932.

٧٢- R/15/21/8/14 Annual Report on Trucial Coast Oman for, 1934 Golden valley Ochre & Oxide Company lte-E.

٧٣- انظر بصدد ذلك بيان صحفي أدلي به الشيخ خالد القاسمي لمندوب جريدة الأنوار - بيروت - ١٩٧١/١٢/٨ .

٧٤- من تقرير كوارد تشانس الي المستر نورت كات آيلي مستشار حاكم الشارقة حول ملكية الشارقة لجزيرة بوموسي - انظر رياض نجيب الريس ، صراع الواحات والنفط - هموم الخليج العربي ١٩٦٨ - ١٩٧١ ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ص ٢٧٣ - ٢٧٥.

وعن حقوق السيادة العربية علي بوموسي والطنبين وأسانيدها القانونية راجع الدراسة التي وضعها عبد المسيد القطيفي والتي قدمت إلي المؤتمر الدولي للتاريخ ، بغداد ١٩٧٣، وكذلك الدراستيْن اللتين وضعتهما اللجنتان السياسية والقانونية بجامعة الدول العربية واللتان عنيتا بابراز المقومات الجغرافية والتاريخية لتلك الجزر .

٧٥- سيد نوفل ، مرجع سبق ذكره ، الكتاب الثاني إمارات الساحل العماني ص ص ٢٣٧، ٢٤٠.

٧٦- انظر بصدد ذلك مذكرة مقدمة من أبناء طنب الكبري الي الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة في ٢٤ ديسمبر ١٩٧٢ ، جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي دراسة لتاريخه المعاصر ١٩٤٥ / ١٩٧١ ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص ٢٢١.

٧٧- محمد حسنين هيكل : مدافع آية الله ، قصة ايران والثورة ، القاهرة ص ١٩، ص ص ١٣٢/١٣٣

٧٨- Hanks, R. J. , op. cit. p. 140.

٧٩- خليل مراد : مرجع سبق ذكره ، ص ص ٣١/٣٢

٨٠- محمد حسنين هيكل : مرجع سبق ذكره ص ١٣٣

٨١- Hanks, R. I. op. cit. P. 140 ff

٨٢- Henry Kissinger, years of upheavel, Boston, 1982, P. 669 ff

٨٣- Hanks, R. J. op. cit. P. 41.

٨٤- محمد حسنين هيكل ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٤٢.

٨٥- John Townsend, Oman, The making of Modern state, Croom- Helm, London, 1977, P. 105.

٨٦- جبران شامية ، سجل العالم العربي ، دار الأبحاث والنشر بيروت - يوليه - ديسمبر ١٩٨٧ ، ص ١٠٨.

٨٧- F. A. Clements, Oman, The Reborn land. Longman, London & Newyork1980, PP. 94-95

٨٨- Townsend, John, op. cit. P. 105.

٨٩- J. B. Kelly , Arabia, The Gulf & The West. A Critical view of the Arabs and their oil Policy, London, 1980, P. 146.

٩٠- Ibid. P. 149

٩١- د. برون : المحيط الهندي منطقة تنازع أم إقليم سلام ، مجلة دراسات الخليج والجيزرة العربية - جامعة الكويت ، العدد ٥٥، ص ٢٠١.

* * *

المصادر والمراجع

أولا : الوثائق

- وثائق وزارة الخارجية البريطانية ووزارة الهند.F.o. - I. O
- وثائق مكتب التطوير البريطاني .

- Development office - Trucial states-
- League of Nations Official Journal, 1927.
- Report of the Persconal Representative of the Secretary General (U. N.) in charge of the good offices Mission, Bahrein 30 th April, 1970.
- الوثائق الرسمية للأمم المتحدة - التقارير السنوية للسكرتير العام للأمم المتحدة .
- تقارير الأمين العام إلي مجلس جامعة الدول العربية .
- تقرير بعثة جامعة الدول العربية إلي إمارات الخليج العربي ١٠ نوفمبر ١٩٦٤.

ثانيا : مراجع باللغة العربية :

- أبو الفوز البغدادى

سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ، بغداد ١٢٨٠هـ .

- الاتحاد الوطني لطلبة الكويت

ماذا يجري في خليجنا العربي ، القاهرة ١٩٦٧

- أحمد محمود الساداتي

رضا شاه بهلوي مؤسسة إيران الحديثة - من مجموعة أعمال الصلات الثقافية بين ايران والعرب ، القاهرة ١٩٧٥

- احمد محمود صبحي

البحرين ودعوي ايران ، الاسكندرية ١٩٦٢.

- جان جاك بيريبي

الخليج العربي (مترجم) ، بيروت ١٩٥٩.

- جمال زكريا قاسم

- الخليج العربي ، دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٨٤٠ - ١٩١٤ ، القاهرة ١٩٦٦.
- الادعاءات الايرانيـة في الخليج العـربي ، من أعـمـال المؤتمر الدولي للتـاريخ ، بغـداد ١٩٧٣.
- الخليج العربي ، دراسة لتاريخه المعاصر ١٩٤٥ - ١٩٧١ ، القاهرة ١٩٧٤ .
- حسين بن علي الوحيدي
تاريخ لنجه ، حاضرة العرب علي الساحل الشرقي للخليج ، دبي ١٩٨٥.
- خليل مراد
سياسة الولايات المتحدة في الخليج العربي والمحيط الهندي ، مجلة الخليج العربي
- رياض نجيب الريس
صراع الواحات والنفط - هموم الخليج العربي ١٩٦٨ - ١٩٧١ ، بيروت ١٩٧٣ .
- سيد نوفل
الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربية ، مجلدان ، القاهرة ١٩٧٢.
-صلاح العقاد
التيارات السياسية في الخليج العربي ، القاهرة ١٩٦٥.
- عباس إقبال
مطالعاتي درياب بحرين وجزاير خليج فارسي ، القاهرة ١٩٥٦
- عبد الحسين القطيفي
حقوق السيادة العربية علي جزيرة بوموسي والطنبين ، من أعمال المؤتمر الدولي للتاريخ ، فبراير ١٩٧٣
- عبد السلام عبد العزيز فهمي
تاريخ ايران السياسي في القرن العشرين ، القاهرة
- علي رضا ميرزا
أسانيد الخليج الفارسي ، القاهرة ١٩٧٦.
- فريد هاليداي
النفط والتحرر الوطني في الخليج العربي وايران - ترجمة زاهر ماجد ، بيروت ١٩٨٥.

-كمال مظهر أحمد
دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر ، بغداد ١٩٨٥.
- محمد حسنين هيكل
مدافع آية الله ، قصة ايران والثورة ، القاهرة ١٩٨٥.
- مجيد خدوري
البحرين وايران ، العدد الأول من منشورات صوت البحرين ، بيروت ١٩٥٣.
- مذكرات رضا شاه
ترجمة علي البصري من الفارسية ، بغداد ١٩٥٠.
- مصطفي عبد القادر النجار
التاريخ السياسي لإمارة عربستان العربية ، القاهرة ١٩٧٠.

ثالثا : مراجع باللغة الأجنبية :

- Adamyiat, Feredoun
  Bahrein Islands, New York 1955.
- Al- Baharna, Hussain
  The legal status of the Arabian Gulf States. University of Manchester Press, 1968.
- Bearebey, Jean Jack
  le Golfe Perşique, Paris, 1959.
- Centre for strategic and International studies, The Gulf, Implication of British Withdrawal, special report series No. 8, GeorgeTown University Press, 1980.
- Clements, F. A. Oman, The reborn Land. Longman, London & NewYork, 1980.
- Fernie, D. A.
  East & west of Suez. oxford University Press, 1968.
- Farraughy, Abbas
  The Bahrein Islands, A contribution to the study of Power

Politics in the Pesian Gulf, New Yourk, 1951.
- Hanks, Robert, H.
Oil & security in the United States Policy towards the Arabian Gulf and the Indian Ocean, Arab Research Centre, croom- Helm, London, 1981.
- Hawley, Dohald
The Trucial States, London 1972
- Humaidan, AAli
Princes de l'or Noire. Paris, 1968.
- Kelly, J. B.
Arabia, The Gulf and the west, A critical view of the Arabs and their oil Policy, London 1980.
- Kissinger, Henry.
Years of upheavel, Boston, 1982.
- Laquer, Walter
The struggle for the Middle East, The Soviet Union & The Middle East, London.
- Marlowe, Hohn
The Persian Gulf in the twentieth the century , London, 1962.
- Owen, Roderick
The Golden Buble, London 1958.
- Townsend, John
Oman, The making of Modern State. Croom - Helm, London 1977.

رابعا: الدوريات

- مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية - جامعة الكويت
- مجلة الخليج العربي ، مركز دراسات الخليج العربي - جامعة البصرة
- المجلة المصرية للدراسات التاريخية
- سجل الأراء حول الوقائع السياسية في البلاد العربية - دار الابحاث والنشر - بيروت

الفصل الخامس

تأثير الثورة الإيرانية الإسلامية علي العلاقات العربية ★

مثلت الثورة الإيرانية الاسلامية أول ثورة اسلامية سياسية ناجحة في العصر الحديث . وهي الحدث الذي كان له أكبر الاثر ليس فقط علي العالم العربي بل علي العالم الاسلامي ككل . فهي تعد بمثابة ثورة "رائدة " طرحت أفكارا جديدة ولها خصوصيتها ، فبالرغم من اسلامية الثورة إلا أنها قدمت رؤى مغايرة لما هو سائد في بيئتها الاقليمية. ولدراسة تأثير هذا الحدث الثورى على العلاقات العربية الإيرانية تواجه إشكالية رئيسية وهي وجود قدر واضح من التداخل بين ماتنتجه الثورة الإيرانية الإسلامية من تأثير وما تمارسه الجمهورية الاسلامية الإيرانية من سياسة خارجية ، وهو الأمر الذي سيتضح أكثر من محاولة تقييم حجم ومدي التأثير الثوري الايراني علي مستوى الواقعي العملي.

تثور عدة قضايا وإشكاليات عند الحديث عما تركته الثورة الإيرانية الإسلامية من آثار

---

* أعد هذه الدراسة الباحثة باكينام رشاد الشرقاوي - المدرس المساعد بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة.

على العالم الإسلامي بشكل عام وعلي المنطقة العربية بشكل خاص حيث إنها أحرزت قدرا من الازدواجية . ففي حين أنها تعبر عن حدث ثوري ، أي عن نقطة تحول اساسية في النظرة للعالم الخارجي ولكيفية التعامل معه، إلا أنها في نفس الوقت حدث ايراني واسلامي مثل بعدا قوميا وآخر دينيا، فرضا علي صانع القرار الايراني قدرا من الحيرة والتخبط مابين ماتمليه المصلحة القومية ومتطلبات الأهداف الايديولوجية التي يفرض تغيرها تغير السلوك الخارجي ولكن في حدود ماتسمح به قيود الواقع .

وتطرح الورقة عدة تساؤلات:

ماهي طبيعة تأثير الثورة الإيرانية الإسلامية علي العلاقات العربية الإيرانية ؟ وفي أي المجالات كان هذا التأثير أوضح ؟ وما هي حدود ذلك التأثير وأسباب ذلك . وللإجابة عن هذه التساؤلات توضح الدراسة التفرقة بين ماطرحته القيادة الإيرانية بعد ثورة ٧٩ من مفاهيم ورؤي نظرية عن العالم العربي وكيف يجب أن يكون التعامل معه ونمط السلوك تجاهه وبين المستوي التنطبيقي الخاص بالسلوك الواقعي الحادث بالفعل ومجري العلاقات العربية الإيرانية ذاتها . وذلك لاينفي ما للمحددات الايديولوجية من تأثير علي السلوك الفعلي والتأثير الحقيقي للثورة الإيرانية الاسلامية، ولكن هناك أيضا محددات أخرى تتعلق بالبيئة الدولية والإقليمية والإيرانية الداخلية .

ومن ثم ستنقسم الدراسة الي عدة أجزاء تبدأ بنبذة تاريخية موجزة عن المراحل التي مرت بها العلاقات العربية الإيرانية لتكون خلفية ضرورية لرصد أبعاد التغير والاستمرارية في تلك العلاقة بعد قيام الثورة . وستتم معالجة تأثير الثورة الإيرانية الإسلامية على العلاقات العربية الإيرانية من خلال جزئين رئيسيين الأول خاص بالنظرية السياسية الإيرانية تجاه العالم الخارجي وبالتركيز علي الأهداف العقائدية المعلنة ومفهوم الأمن لدي القيادة الإيرانية الثورية، أما الجزء الثاني فيختص بالبعد التطبيقي لهذه النظرية - أي مدي ونطاق تأثير الثورة علي مجرى العلاقات مع محاولة النظر للمنطقة العربية وفق الترتيب الايراني للأولويات، بحيث تحظي منطقة الخليج بقمة سلم الاولويات الايراني تليها العلاقة مع سوريا ثم تأتي باقي الدول العربية

في إطار الموقف من الحركات الإسلامية .

مرت العلاقات العربية الإيرانية في عهد الشاه بمرحلتين أساسيتين مثلت فيها الأولي الجانب السلبي في هذه العلاقات من ٤٧ الي ٦٧ حيث اعترفت إيران باسرائيل عام ٥٠ ، واتسمت تلك المرحلة عامة بمعاداة إيران للاتجاهات القومية الراديكالية في المنطقة العربية والتحالف القوي مع الغرب والعمل علي حماية مصالحه، مع بروز طابع توسعي داخل منطقة الخليج - مثل المطالبة بالبحرين كجزء من إيران والتدخل في الشئون الداخلية لبلدان المنطقة[١]. ففي نفس الوقت الذي عادت قيام دولة عربية كبيرة علي حدودها عملت علي قيام تحالفات إقليمية بين إيران والدول العربية المؤيدة لاتجاهها الموالي للغرب ،مع البقاء فى حالة مواجهة مع النظم الراديكالية العربية في تلك المرحلة [٢] .

أما المرحلة الثانية للعلاقات العربية الإيرانية فكانت في الفترة من ٦٧ الي مابعد هزيمة ٦٧ وانسحاب بريطانيا من الخليج ٦٨ وآثار حرب اكتوبر ٧٣، مما أدي إلي انحسار المد القومي العربي الراديكالي وتصاعد فكرة القومية الفارسية، كإطار للتعبير عن هوية إيران الفارسية وذلك بالاضافة إلي ظهور دور جديد للنفط في المنطقة، وهو الأمر الذي أدي إلي ازدياد دور الدول المحافظة في النظام العربي والالتقاء في النوعية الي الغرب، ولعبت ايران في تلك المرحلة دورا هاما في جهود التسوية المصرية الاسرائيلية كما أنهت اتفاقية الجزائر ٧٥ الخلاف الايراني العراقي، وذلك مع استمرار الطابع التوسعي لنظام الشاه من خلال احتلال ثلاث جزر خليجية عند مضيق هرمز [٣].

إن المحور الذي تمركزت حوله العلاقات العربية الإيرانية حتي نهاية حكم الشاه كان سياسيا استراتيجيا بالأساس تراوح بين البعد القومي أو المذهبي الديني ، حيث دار الصراع بين الطرفين إن وجد حول الحدود والنفوذ في المنطقة، فالاحتكاكات العربية الإيرانية تظهر بوضوح مع تواجد قوي عربية مناوئة - مثل مصر والعراق [٤] .

كان التعرض للفترة السابقة علي الثورة ضروريا ليس فقط لرصد محاور الاستمرار والتغير في التوجه الخارجي الايراني تجاه النظام العربي، ولكن لأن البعض يري أن التفجر الثوري ليس

فقط لرفض سياسات نظام الشاه الداخلية بل أيضا للمعارضة القوية لسياسته الخارجية خاصة فيما يتعلق بالتحالف مع الولايات المتحدة (٥)، وبالتالي فالسياسات الخارجية التي اتبعتها الجمهورية الإسلامية تعد بمثابة رد فعل للممارسات التي سبقته، وهو الأمر الذي جعل من المراحل التي مرت بها العلاقات العربية الإيرانية مدخلا هاما عند صياغة القيادة الإيرانية لسياساتها وسلوكها بعد الثورة تجاه العرب .

المنطلق الأيديولوجي لتأثير الثورة الإسلامية الإيرانية

للحديث عن تأثير الثورة الإسلامية الإيرانية لأبد من تناول التطور الايراني نفسه للبيئة الخارجية . وتلعب العقيدة دور الركيزة الأساسية لرؤية ايران الثورية للعالم الخارجي عامة وبالتالي للبيئة العربية . وتعبر مقولة الخوميني أصدق تعبير عن ذلك حين أعلن " إننا نواجه الدنيا مواجهة عقائدية " (٦) . ولقد قدمت الثورة لغة خطابية جديدة ومتفردة للتعبير عن الخارج ، فتميزت بإسلامية المفاهيم من خلال الاقتباس الناجح والمؤثر من القرآن الكريم، وببساطة أعطتها الفعالية المطلوبة للتأثير علي المتلقي لهذا الخطاب.

إن المعيار الأساسي للتميز والتفرقة علي المستوي العالمي في نظر القيادة الثورية الإيرانية هو بالأساس سلوك معنوي يتلخص في مصطلح " الاستكبار" وهو المصطلح الذي لم يقتصر استخدامه علي الدول المتقدمةالكبري فقط بل امتد لمستويات إقليمية أصغر (٧) من خلال وضع " هيراركية شيطانية " بها " شيطان أكبر " و"شياطين أصغر" .

المنظور الإيراني لمفهومي الاستقلالية والحكم الإسلامي باعتبارهم' المحورين الأيدويولوجيين الرئيسيين هو الذي أثر في العلاقات العربية الإيرانية

من أهم مبادئ السياسية الخارجية الإيرانية شعار " لاشرق لا غرب " وهو المبدأ المكمل والناتج الطبيعي للنظر الي كل من الشرق والغرب كمستكبرين يواجههم علي الجانب الآخر معسكر المستضعفين ، وسبب كلية النظرة الاسلامية لا معني للتفرقة مابين المجال الداخلي والخارجي. فالجمهورية الإسلامية الإيرانية ذاتها تأسست من جراء إنتصار المستضعفين (٨) كما أعلنت مرارا القيادة الإيرانية الثورية، ولم يؤمن الخوميني بفكرة عدم الانحياز، وهذا

الرفض ناتج عن الرغبة في قطع أي نوع من التبعية تجاه القوتين العظميين [٩] سابقا وتجاه الولايات المتحدة بعد ذلك . ومن ثم استحكمت النظرية العدائية أو الرفض الشديد لما يسود النظام الدولي من علاقات غير متكافئة تلعب بينها القوي الكبري دور المستغل، إلا أن الرؤية الإيرانية وإن جمعت كلا من الشرق والغرب في سلة واحدة ولكنها اختصت الولايات المتحدة بمركز "أم الفساد " وزعيمة الاستكبار" " والشيطان الأكبر " .

فماذا عن الرؤية الإيرانية للعالم الإسلامي بشكل عام والمنطقة العربية بشكل خاص ؟ إن الدستور الايراني أكد علي فكرة " دارالسلامة " فكل المسلمين يكونون جماعة واحدة وحكومة الجمهورية الاسلامية يجب أن تؤسس سياستها العامة علي أساس وحدة وتحالف الأمم الاسلامية (المادة الحادية عشر) . بل وعمليا هناك ازدواجية في قمة الدولة الإيرانية : فرئيس الجمهورية يجب أن يكون إيرانيا أما الإمام فيمكن أن يكون أجنبيا حيث أن الرئيس يجسد مصالح الدولة أما الإمام فيجسد مصالح أمة المسلمين ، ففي سعي الخوميني للعالمية الإسلامية رفض القومية حيث أن الآيديولوجية المشتركة هي أساس وحدة الأمة الاسلامية وليس الجنس أو اللغة أو الثقافة [١٠] .

ولذا لايمكن للجمهورية الإسلامية أن تكون ذات طابع قومي وإلا ماكانت إسلامية لأن الإسلام لا يعرف الوطن كمفهوم إسمي [١١]، كما أدان الخوميني التفرقة بين ماهو سني وشيعي ورأى أن الإيمان الإسلامي والاعتقاد في إله واحد هى عوامل وحدة أكثر منها عوامل اختلاف بين المسلمين [١٢].

وهذا يقود إلي مفهوم الحكم الإسلامي كمحور رئيسي للرفض الإيراني للواقع الإسلامي والعربي . إن الأمر لايرتبط بالأساس بإسلامية النموذج الإيراني بقدر مايرتبط بالتفسير الإيراني لما هو الحكم الإسلامي ولما هو إسلامي عامة . فلقد تفاعلت إيران مع العالم الخارجي ليس كدولة ولكن كمتحدث باسمه قضية عامة، وأيديولوجية الحكومة الإسلامية قامت علي تفسير الخوميني لماهية الإسلام كتطبيق يشمل علاقات المجتمع داخليا وخارجيا [١٣]. فعزا الخوميني فشل العالم الإسلامي في مواجهتر الاستكبار العالمي بسبب زعمائه، فهم إما

"عملاء له أو ضحاياه " ، ومن ثم وجه نصيحته للنظم السياسية في الدول الإسلامية بالعودة للإسلام الحق " وتطبيق الشريعة تحت إشراف الفقهاء والاعتماد على شعوبهم وهذه هي الطريقة الوحيدة لتحقيق الاستقرار والتقدم (١٤).

ماييز الجمهورية الإسلامية الإيرانية أنها تمتلك بالفعل نظرية السياسية لماهية الحكم الإسلامي - محورها فكرة ولاية الفقيه - تسعي لنشرها والتوسع فيمن يتبناها، وتراها الحل الاسلامي الحقيقي لمشاكل المنطقة ككل .

فللحكومة الإسلامية الحق " من وجهة النظر الإيرانية ثلاثة أركان، أولا : لايمكن أن تكون ملكية فالإسلام - وفق الخوميني - عارض بشدة فكرة الملكية، ثم ثانيا لابد أن يكون للفقهاء فى الحكومة الإسلامية دور كبير في السلطة والسيطرة علي المجتمع وإن كان الأمر لا يتطلب تطابقا مع الحالة الإيرانية فعلي الأقل تشابها لها، وأخيرا ففي الحكومة الإسلامية يحكم الفقهاء جمهورية شعبية وهذا لا يعني قيام حكم تمثيل بالأغلبية فقط ولكن أحد الأشكال الممكن اللجوء إليها للتعبير عما يسمي " بكومة المستضعفين " حيث لايزال الفقهاء لهم الحق في معرفة ماهو صالح المجتمع الاسلامي (١٥).

رفع الخوميني لأول مرة في التاريخ المعاصر مسألة حيازة السلطة من قبل الفقهاء، وتأسيس حكومة إسلامية تقاد من جانبهم، حيث يستطيعون تطبيق الشريعة بشكل سليم وإنقاذ الأمة وخلق المسلم الجديد، حيث أن حكومة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم - والامام علي (رضي الله عنه) لم تكن إلا كذلك (١٦). ففي الذكري الأولي للثورة الإيرانية طالب الخوميني الشعوب المسلمة أن تنهض ضد حكوماتها الجائرة وهاجم قادة الدول المسلمة واعتبرأن التاريخ الاسلامي منذ ظهور الاسلام لم يعرف إلا حكومتين اسلاميتين بعد الرسول صلى الله عليه وسلم هما خلافة علي بن ابي طالب وحكومة الجمهورية الاسلامية الإيرانية منذ ٧٩ (١٧) .

لقد توصل الخوميني إلي ثبوت الولاية الاعتبارية للفقيه في زمن الغيبة (١٨) حيث لايفرق بين ولاية المعصوم وولاية الفقيه، وحيث درجة العموم والشمول في حياة البشر، وبالتالي إذا

غاب المعصوم انتقلت ولايته بالكامل إلي الفقيه العالم العادل، ولكن لماذا الفقهاء ؟ باعتبارهم ورثوا منصب أو مركز الولاية عن الأنبياء والأئمة لمعرفتهم وعلمهم وعدلهم وهي الصفات اللازمة للفقيه الوالي (١٩)، ومن ثم كان للثقافة الشيعية انعكاس واضح على رؤية إيران مابعد الثورة لمفهوم الحكومة الإسلامية حيث كان مفهوم ولاية الفقيه ترجمة عصرية وعملية لمفهوم الإمامة الراسخ في الفكر الشيعي .

لقد طور الخوميني مفهوم ولاية الفقيه بحيث أصبح محور عملية الإحياء الاسلامي الإيرانية وأصبح معياراً هاما للحكم علي شرعية النظم السياسية الأخرى وذلك في حين استطاع السنة "شرعنة " الحكم العلماني في الدول الإسلامية طالما تلتزم بالشريعة الاسلامية، ولكن ذلك لم يمنع مامر به التاريخ السني من محاولات متجددة لتنقية الدين الإسلامي والعودة للمبادئ الأساسية للشريعة الاسلامية (٢٠) .

وبالرغم من بلورة الشيعة لنظرية سياسية تتمتع بقدر أكبر من الوضوح في معانيها وتفصيلاتها ، إلا أن هناك العديد من نقاط الانتقاد تجمع بين الشيعة ومعظم الحركات الإسلامية في الوطن العربي، منها الاتفاق علي أن الإسلام يحدد القواعد التي تحكم الحياة الإنسانية بأكملها وأن سبب كل أمراض المجتمع يعود إلي تبني نموذج الدولة العلمانية من الغرب وأن العودة للإسلام هو الأساس لخلق مجتمع صالح (٢١) .

جاء النموذج الايراني للدولة بعد الثورة مستندا إلي الإسلام الحركي والثوري كمصدر لبناء شرعيته الجديدة، الأمر الذي أثر علي مصادر الشرعية الوافدة داخل واقع النظم السياسية العربية، ونظرت هذه النظم لمصدر الشرعية الجديد باعتباره يشكل تهديدا وتحديا مباشرا لمصادرها الفكرية خاصة مع إدراك أهمية ودور المحدد العقيدي في الثقافة السياسية المجتمعية العربية (٢٢) .

- في الخطب الثورية الإيرانية يمكن ملاحظة أن الهجوم يكون من نصيب الحكومة والنداء من نصيب الشعوب، فبحسب تعبير الخوميني " كل ضعف في المسلمين وكل فساد في الدول الإسلامية نابع من الحكومات . والحل بيد الشعوب " (٢٣).

ولقد صنف برنامج حزب الجمهورية الإسلامية (قبل حله في ٨٧) النظم داخل العالم الإسلامي الي ثلاثة، أولها تلك التي تحكمها المبادئ الإسلامية، وثانيها ليست بالإسلامية ولكنها تتمتع بالتأييد الشعبي، وأخيرا النظم المستكبرة المفروضة علي شعوبها بدون قاعدة قومية. ولتقديم المساعدة لأي معارضة اسلامية للنمط الأخير كان هناك معيار رئيسي حاكم هو مدى المساهمة في تضامن وتماسك الجمهورية الاسلامية ومن ثم نلاحظ تداخل قدر واضح من البراجمانية في السياق الايديولوجي ذاته، وهو ما اتضح في السياسة الانتقائية للدول التي يتم التعاون معها وتلك التي تكون هدفا لتصدير الثورة (٢٤) .

ويعد الاختلاف في التفسير الإسلامي للحكم بين الثورة الإيرانية وبين الأنظمة السياسية العربية السبب الحقيقي في إدراك النظم العربية لمخاطر ومضمون تصدير الثورة، فبالنسبة للنظام الايراني هناك بيئة ملائمة للوضع الثوري الإسلامي في المنطقة العربية لتشابه الظروف الموضوعية والتاريخية للواقع الايراني والعربي (٢٥) .

مثلت الرؤى السابقة مدخلا أساسيا لتبني الثورة الإسلامية الإيرانية منطلقا فكريا وحركيا تجاه المنطقة الإسلامية والعربية خاصة، وهو المتعلق بمبدأ تصدير الثورة فهو بمثابة أداة لتحقيق أهداف عقائدية أعلنتها الثورة الإسلامية الإيرانية كسبب لوجودها ومعني لانتصارها. إن سمتي الثورية والاسلامية جعلتا من مبدأ تصدير الثورة نتاجا طبيعيا وجعلت من المنطقة العربية أولي المناطق المستهدفة، فلكل قيادة ثورية تصورها الخاص للدور الذي يجب أن تقوم به في النظام الدولي أو البيئة الخارجية، وتظهر المشاكل عندما تميل القيادة الي تعريف الدولة كمحرك أو أداة مصدره للايديولوجية خارج الحدود (٢٦) وبالإضافة إلي ذلك هناك الفهم الايراني لرسالة الإسلام العالمية وللنظام الدولي القائم مما جعل من تصدير الثوة مرادفا لإسلامية الثورة ولكونها حركة المستضعفين ضد المستكبرين كما صرح الخوميني في عيد الثورة الأول "سوف نصدر ثورتنا للاركان الأربعة لأن ثورتنا اسلامية " (٢٧).

كما لعب مبدأ تصدير الثورة دورا حيويا آخر حين ربط الخوميني تصدير الثورة ببقاء واستمرار الثورة ذاتها من خلال إعلانه " إن كل القوي العظمي قد قامت لتحطمنا وإذا ما

بقينا في بيئة منغلقة فسوف نواجه حتما الهزيمة " (٢٨)، وهو الدور الذي أضفي مزيدا من البراجمانية علي هذا المبدأ من خلال إضفائه جانب الانتقائية عند التطبيق . وبالرغم من وجود المعني العالمي لهذا المبدأ إلا أن دول الخليج مثلت أهمية خاصة في هذا المجال لأسباب جيوبوليتكية واستراتيجية . فتصدير الثورة يدخل أيضا في إطار نظرية الدفاع النشط حيث يسعي لتحقيق هدفين أساسيين: الأول حفظ الدولة الوحيدة التي عرفت انتصار الثورة الإسلامية، والثانى الخروج من العزلة بخلق دول اسلامية وشيعية صديقة ورفض الوضع القائم المتحقق من قبل وكانت معظم الجهود تتجه للأقليات الشيعية خارج إيران مع اهتمامه أيضا بالحركة الأصولية السنية" (٢٩) . وثيقة الصلة بالشرعية في السياق العربي من خلال محاولة ايران نشر أفكارها للدولة سواء بالمحاكاة أو القوة (٣٠).

فما المقصود بتصدير الثورة ؟ لقد أراد الخوميني والنظام الثوري تصدير حماس ايران للاسلام ،حيث آمن الخوميني بأنه بتصدير هذا الحماس للجماهير الاسلامية ستنهض وتخلص نفسها من " النظم الفاسدة " ، ورأي أن الدعاية هي الأسلوب الأمثل لتحقيق ذلك فهدف الثورة العالمي لن يتحقق بالنسبة له إلا بالدور الإلهامي فتصدير الأفكار بالقوة ليس تصديرا(٣١) ولقد اختلف أفراد النخبة الإيرانية حول (استخدام) وسائل تصدير الثورة الملائمة والفعالة، فهناك من رأي تقديم النموذج أو المثل كأداة رئيسية للتصدير وبالتالي جند هذا الاتجاه الوسائل السلمية، ولكن هناك رأي آخر فضل أسلوب التصديرالعسكري ولكنه مثل الاتجاه الأضعف وسرعان ما اختفي (منذ عام ٨٦ تقريبا). وبشكل عام هناك أداتان رئيسيتان لتصدير الثوة : الأولى تقديم نموذج اسلامي إيراني كقدوة والثانية استخدام أدوات الدولة المختلفة لنشر رسالة الثورة منها المؤتمرات والسفارات في الخارج بل واستغلال موسم الحج لنشر تلك الأفكار الثورية، بل توجد عدة أجهزة يتعلق عملها بنشر تلك المبادئ خارجيا، منها القسم الدولي للحرس الثوري والمجلس الأعلي للثورة الإسلامية العالمية وبعض المكاتب المتخصصة والمستقلة في مكاتب وزراء الداخلية والثقافة والاعلام والأمن (٣٢).

ولقد ظهرت عدة مؤشرات لتراجع مفهوم تصدير الثورة بالمعني العسكري منها: نقل مقر

الجمعية العليا للثورة الإسلامية من طهران، وإعدام مهدي هاشمي الذي يعد الرأس التنفيذي لعمليات تصدير الثورة للخارج والمساعدة في عمليات إطلاق الرهائن بلبنان (٣٣) (وإن كان لها أسباب أخري) . ولكن تصدير الثورة سلميا مازال يعد تهديدا مباشرا للاستقرار الداخلي للعديد من النظم السياسية العربية .

هناك ترابط واضح بين الأهداف العقائدية التي أعلنتها الثورة الإيرانية الإسلامية ومفهوم الأمن لدي النظام الايراني مابعد الثورة ، حيث ارتبط تحقيق الأمن من المنظور الايراني بوجود " حكم إسلامي " في المنطقة العربية لخلق بيئة صديقة للنظام،وهو الأمر الذي يرتبط أيضا بمواجهة القوي المستكبرة خاصة الولايات المتحدة التي تري وجودها في المنطقة بمثابة الخطر الأساسي الذي يواجه الثورة الإيرانية، خاصة بعد تزايد الدور الأمريكي في إطار مايسمي بالنظام الدولي الجديد . بل إن إيران تري أن تعريف النظام الدولي الجديد في يد الولايات المتحدة بقوانينه وقواعده تكتبها اليد الأمريكية مع استخدام الأمم المتحدة كأداة لتحقيق ذلك(٣٤)، وبالتالي فهو نظام لايختلف عن سابقه طالما استمرت الولايات المتحدة في وضع " حائط من عدم الثقة " - وفق ايران - بينها وبين دول الشرق الأوسط عامة (٣٥).

مازالت الثورة الإيرانية تمثل في طياتها جوانب قومية وسياسية، ويعطي البعض الأهمية الرئيسية للأبعاد الجلسيوليتيكية أكثر من الدينية (٣٦) خاصة أنه بالنظر الي الموقع الجغرافي وحجم السكان والإمكانيات الاقتصادية - خاصة البترولية - تؤكد بعض الآراء أن هذه العوامل تجعل الميزان الجيوبولتيكي يميل لصالح ايران (٣٧) ولكن بالرغم من ذلك فإن الحملة الايدولوجية للنظام الايراني" تظل أهم عامل يجعل من التعدي الايراني قويا ومؤثرا أكثر من أي عوامل أخري ثابتة"(٣٨).

المحددات الحاكمة لتأثير الثورة الإيرانية الإسلامية

جاء تناول المنظور الإيراني للعلاقة مع العالم الإسلامي والعربي ليقدم الخلفية الفكرية والايديولوجية اللازمة التي أثرت علي مجري العلاقات العربية الإيرانية باعتبار أن الثورة الإيرانية الإسلامية تمثل حركة ايديولوجية بالأساس، إلا أن هناك عدة مدخلات أخري أثرت

علي مسار هذه العلاقة ، بعضها خاص بالواقع الايراني الداخل وتطوره والبعض الآخر خاص بالواقع العربي ذاته وماقدمه من فرض وقيود لهذه العلاقة، كما كان للبيئة الدولية باعا هاما في التأثير علي العلاقات العربية الإيرانية في سياق التغيير الحادث لايران بعد ٧٩ .

أولا : تطور الساحة الإيرانية الداخلية :

يتأثر مدي الالتزام بتطبيق الايديولوجية التي يتبناها النظام بالتطورات الداخلية التي مرجعها النظام الثوري الإيراني، فالبعض يري أن سياسة إيران الخارجية ليست الا مرآة تعكس السياسات الداخلية في حين يؤكد آخرون علي المحددات الجيوبولتيكية ، ولكن بالرغم من تأثير هذه المحددات الأخيرة إلا أن سياسة طهران الخارجية تظل محاولة للتوفيق مابين الوضع الداخلي - خاصة الانقسامات داخل النخبة - والبيئة الخارجية [٣٩] ، وبالمثل لعبت السياسة الخارجية دورا هاما فى الخلافات الداخلية بعد نجاح الثورة وارتبطت بازدهار وأفول الجماعات والاتجاهات السياسية الداخلية [٤٠].

لقد ساهمت حالة الفوضي الثورية التي مرت بها التجربة الإيرانية ، والتداخل الكثيف بين مراحلها الانتقالية، في عملية توجيه السلطة الي ايجاد حالة من الانقسام الرسمي في المواقف مما أوجد مشكلة رئيسية في إدارة السياسة الخارجية الإيرانية، حيث حدثت تغييرات عديدة في مؤسسة وزارة الخارجية [٤١] . ومن ثم يمكن التمييز بين عدة مراحل للسلوك الخارجي الإيراني ترتبط بالمراحل التي مربها النظام الثوري الإيراني حتي تم توحيد السلطة داخله .

لقد كانت سياسة باذرجان التي واصلها إلي حد ما " بني صدر" و "قطب ذاده " هي الأساس لحدوث تحسين عام للعلاقات مع العالم العربي بغض النظر عن طبيعة النظم الحاكمة، فقد رفضت هذه السياسة فكرة تقسيم الدول العربية الي دول محافظة وأخري تقدمية وذلك تجنبا لسوء العلاقات مع العالم العربي [٤٢].

- ولذا تميز عهد باذرجان بتحسن نوعي في العلاقات مع السعودية ودول الخليج .. كما تميزت العلاقات مع جبهة الرفض بالمحدودية خاصة مع سوريا وليبيا ، وتم التركيز نسبيا علي الجزائر والدول المعتدلة داخل جبهة الرفض التي كانت تقوم بدور الوساطة في العلاقات مع

الولايات المتحدة والدول العربية المحافظة، ولكن بدأ تكثيف العلاقات مع سوريا وليبيا ابتداء من نوفمبر ١٩٧٩، ولم يكن ذلك ناتجا عن سيطرة الاتجاه الأصولي بقدر ما كان نتيجة العزلة المتزايدة (٤٣) .

وجاء احتلال السفارة معلنا بداية المرحلة الثانية في نوفمبر ١٩٧٩ وهو الحدث الذي وصفه البعض بأنه العامل المؤسس لدبلوماسية النظام الإسلامي (٤٤) ، حيث أظهر رغبة لمواجهة الولايات المتحدة. والسؤال هو لماذا الانتظار عدة شهور ، وكانت الإجابة ترتبط بالتغير في علاقات القوة داخل النخبة الحاكمة في اتجاه المتشددين (٤٥).

ولكن بعد التخلص من " بني صدر" و" قطب زاده " وانتهاء فترة الليبرالية من فبراير ٧٩ الي يونيو ٨١ عندما كان الجناح الليبرالي "من النخبة الثورية الجديدة مسؤولا عن السياسة الخارجية (٤٦) ، كان يأمل الخوميني أن تتجه السياسة الخارجية الإيرانية الي الالتزام الأقوى بمصالح وأهداف الثورة وتم اتخاذ عدة خطوات فى هذا الاتجاه منها تحسين العلاقات مع دول جبهة الخلاص وتأسيس علاقات دبلوماسية مع اليمن الجنوبي (٤٧).

ثم بعد ذلك انتج تماسك قوة الفقهاء ومؤسسات الجمهورية الاسلامية مرحلة جديدة حكمتها أساسا مسألة الحرب التي أصبحت المعيار للحكم علي سلوك الدولة الأقوي (٤٨)، ومما جعل الظروف التي تلعب دورا أكبر في عملية صنع قرار السياسة الخارجية، ووجد الثوار الايرانيون أنه لا غني عن تبني استراتيجية توفيقية عندما تكون الضغوط الخارجية للبناء الثوري ودرجة التهديد تحدد درجة التواؤم والتكيف(٤٩) بدأ الحديث بصراحة أكبر عن اتجاه السياسة الإيرانية للبراجماتية حيث أن السلوك المتطرف فيما يخص السياسة الخارجية يفيد إيران داخليا ولكن مرحليا قد اخليا بساعد التيار الراديكالي للفقهاء علي تأكيد نفسه ومركزه أما خارجيا فظهرت الجمهورية الإسلامية كمركز جديد للسلطة، إلا أن هذه الدبلوماسية بدأت تفقد فعاليتها مع مرور الوقت بظروف الحرب والاستحالة لاحتياجات الدول الأساسية خاصة بعد ازدياد عزلة ايران التي احتلت موقع الدولة المعتدية، (مما أوجد صعوبة بالغة في الحصول علي الأسلحة حتي بأسعار مرتفعة أمام سهولة حصول العراق عليها (٥٠).

فالفترة من ٨١ إلي ٨٤ حكم فيها اتجاه انعزالي وكانت بمثابة فترة التضامن والتماسك الداخلي بين أجنحة النخبة الثورية وأنتجت تطبيق حكم المكتبيين " وتم تطبيق مبدأ لا شرق ولا غرب بتفسير انعزالي صارم (٥١).

وبدأت المرحلة البراجماتية للسياسة الخارجية الإيرانية، فبعد خطاب الخوميني في نوفمبر ١٩٨٤ أوضح أن الحكومة الإيرانية يجب أن تقبل الحاجة لأهمية العلاقات الاقتصادية والدبلوماسية مع غالبية حكومات العالم من أجل تحقيق أهداف الدولة (٥٢).

ويمكن اعتبار قبول قرار ٥٩٨ ووقف إطلاق النار كبداية لمرحلة جديدة حيث تغيرت راديكاليا الظروف الموضوعية الحاكمة للدبلوماسية، بحيث لم تصبح الحرب هي اللعبة الأساسية أو مركز الجاذبية في السياسة الخارجية، فقد ظهرت أولويات جديدة سواء علي المستوي الداخلي أو الخارجي . حيث يجب تحسين الصورة الخارجية علي المستوي الدولي مع اهتمام واضح بالتسليح كما ركزت الجمهورية علي اعادة بناء الوطن(٥٣)، خاصة مع ملاحظة بداية انحدار قوة ايران علي المستوي الاقليمي إذا تم النظر لفقدان المصداقية الإيرانية أمام الحركات الإسلامية في المنطقة من خلال هزيمة الدولة الأصولية الثورية الوحيدة في العالم الاسلامي(٥٤). فخلال الفترة التي تلت قبول الخوميني لوقف إطلاق النار تحسنت العلاقات مع العالم العربي بشكل عام ويمكن اعتبار الفترة من ٨٤ إلي ٨٩ مرحلة البراجماتيين من خلال اتجاه أكثر انفتاحا للقوي الخارجية(٥٥).

الواقع العربي والدولي

قدمت البيئة العربية العديد من الفرص والقيود للتحدي الايديولوجي الايراني لكي يؤثر في السياق العربي، سواء فيما بين وحدات النظام العربي أو داخل كل وحدة .ففي إطار محاولات النظم العربية المستمرة للاستجابة الواعية لما تواجهه من تحد ايرانى خاصة علي المستوي الايديولوجي ، عملت علي توسيع نطاق الحرية السياسية وطرح تفسير اسلامي مقابل لسلوك الأنظمة الحاكمة . وساعد ما تملكه العديد من النظم العربية، خاصة الخارجية الأكثر تعرضا للتهديد الايراني ، من إمكانيات اقتصادية علي توفير قدر من الاستقرار الداخلي

ومستوى جيد للمعيشة بل وأحيانا مرتفع لمواطنيها.

ولكن في المقابل قدم السياق العربي بعض الفرص للتأثير الثوري الايراني ووفر بعض المداخل للتغلغل داخل المنطقة العربية. فعلي مستوي العلاقة بين وحدات النظام العربي ، استغلت إيران الخلافات العربية العربية بشكل ملحوظ خاصة ماساد من تداعيات ونتائج عقب انتهاء حرب الخليج الأولي من خوف وتوجس من القوة العراقية بل وظهور رغبة عربية وليس ايرانية في تحجيمها ، فلقد عاد التوجس أمام التوجه العربي القومي لحزب البعث العراقي ، فعلي العرب التعايش مع كل من العراق وايران كما تعايشوا مع الحرب، بل علي القوي العربية تحسين علاقاتها مع ايران لمواجهة السياسات الإقليمية العراقية، الأمر الذي تأكد واستمر بعد حرب الخليج الثانية . وهو الأمر الذي يعد تطويرا واستمرارا لدور نظام الشاه في المنطقة العربية ولكن في ظل نظام الجمهورية الإسلامية [٥٦] . ففي الوقت الذي استغلت فيه الدول العربية إيران كأداة للتأثير علي توازن القوة فيما بينهم ، استفادت ايران من بعض التحالفات التكتيكية لخلق بيئة إقليمية متلائمة مع مصالحها [٥٧].

كما تعاني العديد من الدول العربية من بعض نقاط الضعف علي المستوي السياسي ومستوي التركيبة الاجتماعية لبعضها ، ولم يساهم التهديد الايديولوجي الايراني الا في مزيد من التأكيد عليها واستغلالها ، ومن أهم نقاط الضعف تلك الحركات الإسلامية المعارضة والأقليات الشيعية - خاصة في دول الخليج . تلعب الحركات الإسلامية فورا في تهديد شرعية النظم السياسية طارحة بديلا إسلاميا يبدو براقا بعد فشل البدائل القومية والاشتراكية بل والتحديثية [٥٨] .

ولقد سهلت الاقليات الشيعية (خاصة الخليجية) (٥٩) من التأثير الايديولوجي الايراني نظرا لما تقدمه التركيبة الاجتماعية لتلك المجتمعات من قابلية للتدخل . حيث قدمت الثورة الإيرانية نموذجا لإمكانية تعبئة الشيعة والأقليات بصفة عامة في المنطقة . وفي المقابل اعتبرت الثورة الإيرانية نفسها مسؤولة عن حماية الشيعة في الخليج والدول العربية . فلقد أحيت الثورة الإيرانية الحس المذهبي الشيعي لديها ، وذلك بالإضافة إلي وجود أوضاع تنويرية

مساعدة كالإحساس بالفوارق والتمايزات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية و... الخارجية الأسبق الايراني

الإقليمية الموجهة من قبل الثورة (٦٠).

وفي المقابل كانت لبعض ممارسات الجمهورية الإسلامية آثار سلبية حيث أضعفت من تأثير الثورة الإيرانية علي المنطقة العربية ، منها سلبيات التجربة الإيرانية في الممارسة الداخلية، مما أفقدها الكثير من البريق داخل الشعوب العربية ودعم ذلك استمرار ايران في الحرب ضد العراق لمدة ثمان سنوات (٦١) .

لقد أدي نظام الجمهورية الإسلامية وسياستها الخارجية إلى حساسية واضحة للسياسات الدولية وسلوك القوي الكبري (٦٢) ولقد كان تأثير التنافس مابين الشرق والغرب علي المستوي الدولي تأثيرا ضعيفا علي الثورة الإيرانية ونجاحها بالمقارنة بثورات العصر الحديث، وهو الأمر الذي أدي إلي صعوبة إقامة إيران لعلاقات جيدة مع الولايات المتحدة، فطابعها(٦٣) الاستقلالي وايديولوجيتها الثورية تعارضا مع مصالح القوتين العظميين سابقا ، ثم مع الولايات المتحدة الأمريكية كأكبر قوة عالمية بعد ذلك .

كما مكن العامل الدولي في بدايات الثورة ايران من صياغة سياسة خارجية أكثر استقلالية عما كان قائما قبل ٧٩، ولكن تغير الموقف منذ عام ٨٥ مع التغيرات الحادثة في هيكل الاتحاد السوفييتي . فما حدث من تطورات علي المستوي الدولي وقاد الي فتح باب تعاون القوي الكبري علي مستوي القضايا الإقليمية زاد من صعوبة الموقف الايراني وقلل من قدرتها علي استغلال التنافس بين القوي الكبري - مثال ذلك فشل ايران في حل الأزمة الناتجة عن رفع الأعلام الأمريكية علي السفن الكويتية بتقربها للاتحاد السوفيتي سابقا (٦٤).

وساهمت سياسة المواجهة التي اتبعتها ايران علي المستوي العالمي في تحديد شركائها علي المستوي الإقليمي (٦٥) مثل سوريا وليبيا واليمن ثم بعد ذلك السودان . وكذلك تحديد أي الدول في المنطقة العربية أحق بالعداء الايراني بل وأفضل الأدوات الإيرانية المستخدمة للتأثير.

تأثير الثورة الإيرانية بين الايديولوجية والبراجماتية :

علي المستوي التطبيقي يمكن التفرقة بين عدة دوائر بحسب ترتيب أولويات الجمهورية الإسلامية، حيث تحتل منطقة الخليج الأولوية الواضحة للظروف الجغرافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ثم يأتي المحور السوري الايراني كنقطة ارتكاز وتوازن للعلاقات الإيرانية مع العالم العربي . وذلك في إطار علاقة يغلب عليها التعاون مع الدول العربية التي تعلن عن عدم ارتباطها الكامل بالغرب بل ومواجهته أحيانا مثل ليبيا ومؤخرا السودان ، ثم تأتي العلاقات الإيرانية مع باقي الدول العربية في إطار الموقف الايراني من الحركات الإسلامية المعارضة الذي يعد نقطة الخلاف الرئيسية والعقبة الأساسية أمام تأسيس علاقات عربية إيرانية سلسة . كما تظهر القضية الفلسطينية والموقف من إسرائيل باعتبارها إحدى أهم المشاكل المؤثرة علي العلاقات العربية الإيرانية والتي تساعد علي الانتقاء الايراني للخلفاء الإقليميين .

أولا : العلاقات الإيرانية الخليجية:

ظهر شعار جديد يلائم الطموح الإقليمي لإيران ، ففي إطار ظروف حرب الخليج الثانية وإنتهاء الحرب الباردة وتفكك الإتحاد السوفيتي وموت الخوميني وظهور القيادة المزدوجة " لخاميني " و " رافسنجاني"، ثم استبدال شعار لا شرق ولا غرب والتأكيد علي شعار آخر جديد هو كل من الشمال والجنوب - أي جمهوريات آسيا الوسطي شمالا والخليج جنوبا كمنطقة حيوية أمنية لإيران . فقبل حرب الخليج الثانية لم تكن القيادة الإيرانية تأمل في أن تمارس دورا أقليميا مهيمنا ، إلا أنه بعد انكسار قوة العراق العسكرية أصبح النظام الايراني يتمتع بهامش واسع من حرية الحركة في المنطقة (٦٦).

وجاء التوتر في العلاقات الإيرانية الخليجية بعد الثورة من جراء عدم الاتفاق بين الجانبين حول أهمية الافكار الايديولوجية الإيرانية الثورية المتمثلة في كل من المفهوم الايراني للحكم الإسلامي وللاستقلالية - فالأمن الحقيقي للمنطقة بالنسبة للقادة الايرانيين يرتبط بتحقيق الاستقلال الحقيقي لكل دول الخليج وتأسيس حكومة إسلامية حقيقية . وهذا لايكتمل وفق الرؤية الإيرانية إلا بتحقيق مظلة أمنية للخليج تحقق فيها إيران التفوق السياسي والديني

والاستراتيجي خاصة علي مضيق هرمز (٦٧) ، فلقد رأي سنجابي - وزير الخارجية الأسبق - أن لإيران " الدور المحوري الرئيسي في كل منطقة الخليج " ولقد أكد النظام الإيراني الثوري أنه أضاف إلي سياسة القوة التي اتبعها الشاه في الخليج ما أسموه " بالقوة والإيمان " كمزيج معا لتحقيق الأمن الإقليمي ومن ثم كانت سياسة إيران تجاه الخليج مزيجا من المصلحة القومية والايديولوجية الإسلامية أو القوة السياسية والقوة الايمانية كما أطلق عليها (٦٨).

ولقد أثرت الثورة الايرانية علي دول الخليج تأثيرا ايديولوجيا وفكريا ونفسيا وسياسيا، وكان التأثير الأكبر للإحياء الإسلامي الايراني علي الخليج ليس فقط له بعد إثني وقومي وديني ، بل مثل المواجهة الأولية السياسية بين الاتجاه المحافظ والراديكالي دون أن يقتصر علي الفروق بين ماهو سني وشيعي أو عربي وفارسي . وفي إطار مواجهة ايران لطبيعة واتجاهات نظم الخليج المحافظة ظهرت علي السطح التنافسات الإقليمية القومية (٦٩).

كما ساهمت الثورة الايرانية في زيادة الشعور والحاجة لدي زعماء دول الخليج خاصة صغار الدول لنوع من التجمع والتوحد (٧٠) ، ولذا فمن أهم نتائج الثورة الايرانية علي منطقة الخليج إنشاء مجلس التعاون الخليجي (مايو ١٩٨١) ، وتبنت ايران نظرة سلبية تجاه هذه المنظمة حيث نظرت إليها كحلف عسكري موجه ضدها وليس هناك سبب للاعتقاد بأنها موجهة لإسرائيل، واعتبرتها أداة لإبعاد إيران عن شئون المنطقة . كما أنها مثلت خطوة أولية للإندماج الاقتصادي والسياسي العربي مما شكل وضعا غير ملائم للمصالح الإيرانية ، بل امتد الأمر إلي أن نظرت إيران لهذا الكيان التنظيمي بصفته غطاء لمد النفوذ السعودي . إلا أنه علي المستوي العملي لم يؤثر إنشاء هذه المنظمة علي علاقات إيران بالدول الأعضاء بشكل منفرد، حيث كان لكل منها اقترابها المستقل للتعامل والارتباط بالجمهورية الاسلامية الإيرانية (٧١).

يمكن تقسيم العلاقات الإيرانية الخليجية الي ثلاث فترات رئيسية: الأولي من ٧٩ الي ٨٤ والثانية من ٨٤ إلي ٨٨ ثم بعد ذلك من ٨٨ أي بعد وقف إطلاق النار، وهي المراحل التي ترتبط بالطبع بالتطورات الحادثة في التوجه الخارجي للثورة الإيرانية .

تميزت الفترة الأولي بحماس حركي حاولت إيران نقله بالقوة أو الاستمالة، بعكس المرحلة الثانية التي تركز الاهتمام الإيراني فيها علي الذات ومركز إيران في حربها مع العراق

ومحاولتها الهروب من العزلة المفروضة عليها، ولكن ذلك لم يمنع من ظهور بعض محاولات التأثير والتغلغل علي بعض دول الخليج منذ ٨٧ . ولقد مرت العلاقات العربية الخليجية بمرحلة المطالب والتهديدات والضغوط. تحول الأمر منذ ٨٤ الي مرحلة العزلة والحوار، ولكن مع بدايات عام ٨٦ ظهرت العديد من الأزمات التي هددت هذه العلاقات إلا أن التوازن عاد من جديد منذ عام ٨٨ (٧٢) ، وساعد علي ذلك عودة دول الخليج خاصة الصغري منها الي سياستها التقليدية القائمة علي الموازنة ما بين العراق وإيران . كما كان للعامل الاقتصادي أهميته في تدعيم هذه الاتجاه نحو إعادة التوازن بسياسة إيران البترولية الهادفة إلي التوسع في الإنتاج إلي أن تبحث عن المهادنة مع السعودية وباقي دول مجلس التعاون الخليجي، وهو ما أسماه وزير البترول الإيراني آتازاده بالواقعية الجديدة وهي الواقعية التي كان لها امتداد خارج المجال الإقتصادي لتؤثر علي السياسات الخارجية، مما أدي إلي تأكيد القيادة الإيرانية علي منطق الدولة في مواجهة المنطق الايديولوجي الأمر الذي تواكب مع تفضيل الأداة السلمية لتصدير الثورة - بخلق نموذج إيراني يحتذي به - علي الأداة القهرية العسكرية (٧٣).

لايضيف جديدا الحديث عن التنافس العراقي الإيراني الذي ترجم الي حرب استمرت ثماني سنوات، ولكن من المفيد الإشارة إلي السلوك الإيراني لاحتواء العراق بعد وقف إطلاق النار في عام ٨٨ . وحتي ٢ أغسطس ١٩٩٠ سادت حالة اللا حرب واللا سلم بين كل من العراق وإيران وتميز السلوك الإيراني تجاه العراق بما أسماه رافسنجاني "المقاومة في المفاوضات" وذلك لتصميم إيران علي استعادة أراضيها وقيام العراق بقبول اتفاقية الجزائر لعام ٧٥، وهو الأمر الذي تحقق بالفعل في المرحلة التالية من خلال ماتنازلت عنه العراق عقب أزمتها في حرب الخليج الثانية ، وذلك في محاولة لتحييد القوة الإيرانية في الصراع (٧٤) . ولكن مع نهاية عام ٩١ سادت حالة ترقب حيث لم يتم حسم الموقف بشكل رسمي فلا وجود لأي اتفاقية سلام رسمية إلا أن الجانبين قاما بالحفاظ علي مستوي منخفض من العداء (٧٥).

وتأتي السعودية باعتبارها الدولة الثانية بعد العراق التي وجه إليها نقد شديد ، فالعلاقات السعودية الأمريكية وطبيعة النظام الحاكم السعودي كانا هدفين مثاليين للهجوم الايديولوجي الإيراني ، وفي المقابل تري السعودية في إيران قوة ثورية عنيفة تهدد الخليج(٧٦)، ولأن كلا من الجانبين يعلن عن تمثيله للإسلام الصحيح فلقد أصبحت الدولتان في مسارين متضادين (٧٧) .

يعد الصراع السعودي الإيراني نتيجة طبيعية للتعارض المستمر المتوقع بين قوتين اقليميتين متنافسين ، ومن أهم العقبات التي وقفت أمام تدعيم علاقات سعودية إيرانية ما حاوله النظام الإيراني من استغلال موسم الحج لنشر أفكاره الثورية والتعبير عنها. ولاحراج النظام السعودي بإحداث تلك الاضطرابات في الحج مما يثبت عدم قدرة السعودية علي حماية بيت الله الحرام (٧٨) ، كما تعارضت المصالح الإيرانية والسعودية ولم تتفق علي سياسة بترولية واحدة (٧٩).

إلا أنه مع تعدد جوانب الاختلاف وخطورتها خفت حدة الهجوم الإيراني وتغيرت لهجة التخاطب نحو مزيد من المهادنة بعد ثبات عدم قدرتها علي فرض رؤيتها الايديولوجية (٨٠)، وإرادتها الثورية . وفي إطار السياسة التهادنية الإيرانية تجاه دول مجلس التعاون الخليجي عادت العلاقات الدبلوماسية مع السعودية في مارس ٩١ (بعد أن قطعت عام ٨٨ علي إثر حادث الحج في عام ١٩٨٧، ولكن ظلت الخلافات حول العلاقة مع الولايات المتحدة والموقف من مفاوضات السلام العربية الاسرائيلية حجر عثرة امام التطور السريع تجاه اهتمام موحد للأمن الإقليمي (٨١).

كانت دول الخليج الصغري في الخليج علي استعداد أكبر للتعاون مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية كما كانت عليه السعودية . وتمتعت الكويت بعلاقات خاصة مع إيران في السنة الأولي لقيام الثورة إدراكا منها لقرب التهديد الإيراني وخطورته (٨٢). ولكن بالرغم مما سببه رفع الاعلام الأمريكية علي السفن الكويتية أثناء حرب الخليج الأولي من تقييد لحرية حركة البحرية الإيرانية إلا أن إيران ظلت علي استعداد لتناسي ذلك حتي قبل الغزو العراقي للكويت بل استمرت لإيران علاقات مع حكومة الكويت في المنفي أثناء حرب الخليج الثانية (٨٣).

وظلت الإمارات العربية (حتي مارس ٩٢) علي علاقة جيدة بإيران حيث كانت دبي تعد أكبر شريك تجاري لإيران في المنطقة (٨٤) .

والعامل الاستراتيجي المشترك بين سلطنة عمان وإيران المتمثل في التحكم في مداخل مضيق هرمز ظلت عمان وسيطة لعلاقة إيران بدول مجلس التعاون وتوسعت العلاقات فيما بينهما في مجال العمل الاقتصادي ، مثال ذلك ماقدمته سلطنة عمان من تخفيض مبلغ ٢٥٪

في الجمارك للسفن الإيرانية [٨٥].

بالرغم من الادعاء التاريخي لإيران في البحرين الذي يمهد لاستمرار علاقات سيئة بينهما - خاصة بعد انقلاب ١٩٨٠ الا أن العلاقات بدأت بالتحسن تدريجيا بعد إنتهاء حرب الخليج الثانية والمؤشرات علي ذلك عديدة منها : تصعيد التبادل الدبلوماسي، وتأسيس خطوط شحن جديدة وطيران مباشر وشركات نقل وسياحة مشترك ومشاريع للتعاون الصناعي - أما العلاقات مع قطر فكانت أحسن حالا حيث ظهرت الإتفاقيات المشتركة، في مجال النقل البحري والجوي والزراعة والاعلام والجمارك والصيد كما تقوم إيران بنقل الماء الصالح للشرب لقطر [٨٦].

لم يكن تأثير الثورة الإيرانية الإسلامية واحدا علي العلاقات الخليجية الإيرانية إلا علي المستوي الأيديولوجي والفكري والنفسي ، في حين أن العلاقات الفعلية لم تتأثر بشكل ملحوظ إلا في فترات محددة أثيرت فيها أزمات غالبا ما يبادر الجانب الإيراني بتفجيرها، ولكن سرعان ما تعود العلاقات لمجراها الطبيعي، وهو الأمر الذي تفرضه القيود الجيوبوليتيكية والاستراتيجية علي الجانبين .

ساد اعتقاد -ثبت عدم صحته - أن الشيعة سوف يكونون أكثر عرضة وتأثرا بالأفكار الثورية الإيرانية ، ولكن أن النظام الإيراني فشل في كسب تأييد هؤلاء الشيعة[٨٧] . هناك عدة تفسيرات تجيب عن سبب هذا الفشل ، أولها ما رأته الجماعات الشيعية من أن ممارسات النظم الخليجية أفضل من تلك التعسفية التي يمارسها النظام الإيراني مع مواطنيه . كما لم تظهر قيادة كاريزمية شيعية وسط تلك الجموع لتنظيمها وتعبئتها، فبدون قيادة أو تنظيم لاتوجد معارضة سياسية فعالة، وفي المقابل زادت النظم الخليجية من الإجراءات الأمنية خاصة في المناطق الشيعية في الوقت الذي حاولت فيه احترام وتلبية العديد من احتياجاتهم خاصة وأن الشيعة يشاركون بقدر لا بأس به في الحصول علي العوائد النفطية ويتمتعون بمستوي معيشة مرتفع نسبيا [٨٨]، ومن ثم حدت قيود الواقع من درجة تأثير الثورة الاسلامية الإيرانية علي المجتمع الخليجي ومن وقوع تحت التأثير الايديولوجي الإيراني.

التقارب السوري الإيراني :

لقد أصبحت سوريا محور الدبلوماسية الإيرانية وسط العالم العربي والشريك الذي أملته التغيرات في توازنات القوة بالمنطقة للعب دور الوسيط بين إيران والعديد من الأنظمة السياسية العربية . فبينما حطمت الثورة الإيرانية تحالف نظام الشاه مع اسرائيل أنتجت تحالفا مقابلا بين إيران وسوريا حيث جمع بينهما العداء لإسرائيل وظروف الحرب العراقية الإيرانية (٨٩) ، خاصة وأن إيران أرادت لهذا التحالف الاستمرار ليس فقط لتلبية احتياجات عسكرية بل لرغتبها في كسر وحدة الصف العربي ومنع تحول العرب مع العراق الي صراع فارسي – عربي (٩٠) . أما العوامل الرئيسية التي ساهمت في استمرار مثل هذا التقارب رغم ما اعتراه من عقبات وفتور في بعض الفترات فهي: أولا كان العداء بين النظام السوري ونظام الشاه دفعة قوية لتطوير العلاقات الإيرانية السورية مابعد الثورة ، كما جمع بينهما العداء لنظام صدام حسين ، ولأسباب سورية داخلية فإن العلاقة مع دولة ذات قاعدة دينية تفيد نظاما علمانيا بعثيا في مواجهة المعارضة الداخلية – خاصة من قبل الإخوان المسلمين .

ومن ثم تمثل الحالة السورية حالة واضحة لتغلب المصلحة البراجماتية علي المصلحة الأيديولوجية ، ومن أبرز الدلائل علي ذلك فشل الإخوان المسلمين في سوريا في الحصول علي أي مساعدة ضد نظام الأسد، بل علي العكس أدان الزعماء الإيرانيون النهوض ضد النظام السوري العلماني (٩١). وساهم العداء المشترك لإسرائيل والولايات المتحدة في توحيد اللغة المستخدمة من الطرفين ، ونتيجة للعوامل السابقة العديدة تحولت العلاقة الي تحالف رسمي من خلال اتفاقية تعاون اقتصادي مشترك لمدة عشر سنوات تم توضيحها في عام ٨٢ بالإضافة الي اتفاقية بترولية وربما اتفاقية تسليح سرية كما أشارت بعض المصادر .

إلا أن ذلك لم يمنع تعرض العلاقة السورية الإيرانية لبعض الضغوط خاصة منذ منتصف عام ٨٦ ، وتركزت معظمها حول اختلاف المفاهيم والمصالح فيما يخص السياسة تجاه لبنان(٩٢).

يعد الدور الإيراني في لبنان أحد أهم المجالات الحيوية للتدخل الإيراني المباشر بعد الثورة في السياسات العربية . وتمتعت ممارسات إيران في بدايات العقد الماضي بقدر يعتد به من المصداقية الأيديولوجية من خلال إرسال قوة من الحرس الثوري لمقاومة الغزو الاسرائيلي لجنوب

لبنان (مع السوريين والفلسطينيين) ،فلقد مثلت لبنان فرصة هامة امام إيران لنشر ايديولوجيتها الثورية وإثبات عدائها لإسرائيل ولزيادة عدد مؤيدي الأفكار الثورية الاسلامية الإيرانية (٩٣).

استمر التعاون السوري الإيراني حتي عام ٨٢ ولكن في أضيق الحدود إلي أن بدأت مرحلة توحيد الجهود للصراع ضد اسرائيل والولايات المتحدة حتي عام ٨٥، وبحلول عام ٨٥ ظهرت من جديد بعض الانقسامات (٩٤) حول لمن السيطرة أو اليد العليا علي الطائفة الشيعية ، حيث تنافست حركة أمل الموالية لسوريا مع حزب الله والجهاد الإسلامي الموالين لإيران ، وبعد عدة معارك طاحنة جاء الاتفاق في المحصلة النهائية لصالح حركة أمل مع إعادة ترتيب مواقع حزب الله في الجنوب اللبناني وجنوب بيروت ، وتم الاعتراف للوجود السوري بمهام الأمن. وهكذا ظل التأثير الإيراني علي الطائفة الشيعية محكوما بهامش الحركة الذي أتاحه النفوذ السوري لدي لبنان (٩٥). ولكن ذلك لم يمنع إيران من لعب دور هام في تحقيق انفراج للحركات الإسلامية في لبنان (مثل حركة توحيد حزب الله والجماعة الإسلامية وتجمع العلماء المسلمين) في بداية الثمانينيات لمواجهة الوجود الاسرائيلي ، الأمر الذي يثبت ان لإيران بعض النفوذ داخل المعادلة اللبنانية الداخلية.(٩٦)

وفي ظل المواجهة مع الغرب ، استفادت إيران من وجودها في لبنان من خلال الاستمرار في ممارسة " دبلوماسية الرهائن" خلال الثمانينيات ، ففي مقابل الحصار العربي ارتأت أن توجه المنظمات الموالية لها في لبنان ضد الأهداف الغربية . وتمتعت تلك المنظمات بقدرة عالية علي المناورة والفعالية في احتجاز الرهائن ، وتم تبرير دبلوماسية الرهائن تلك بأنه إذا لم يكن من المتيسر إنزال الهزيمة كاملة بقوي الاستكبار فعلي الأقل وصفها بموقف الضعف والعجز والهوان(٩٧).

هناك عدد من الدول العربية تؤهلها مواقفها من الولايات المتحدة لأن تكون أطرافا إقليمية حليفة أو صديقة للنظام الايرانى الثورى - كما أن تكوينها المذهبى الداخلى وبعدها الجغرافى يساهمان فى افتقاد شعار تصدير الثورة لأى تهديد حقيقى- (٩٨) ومن هذه الدول - ليبيا- واليمن الجنوبى (سابقا) والسودان مؤخرا.

لقد تحمس القذافى خاصة فى البداية للثورة الايرانية حيث اشترك معها في رفض الوضع

الدولى القائم والعداء للنظام الدولي الذى سيطر عليه الغرب (٩٩). وبالرغم من . المواقف تجاه الوضع اللبنانى ومن الخلاف الأيديولوجى بين النظامين إلا أنهما احتفظا بقدر يعتد به من الصداقة - ومن المؤشرات على ذلك، قيام ليبيا بمد ايران بالسلاح (بالرغم من من انكار الأولى ذلك) والتأييد الايرانى لليبيا فى مواجهتها مع الولايات المتحدة عام ١٩٨٦ ومساعدة الايرانيين فى الصناعة البترولية الليبية - كما ساعد على تقريب وجهات النظر بين الطرفين - الموقف الموحد الرافض للاتجاه المتعاون مع اسرائيل والمؤيد لعملية السلام العربية الاسرائيلية. وبالطبع حدثت بعض التطورات فى المفاوضات العربية الاسرائيلية أثرت نتائجها على وضوح الموقف الليبى والعربى عامة من تلك القضية.

وبالرغم من التناقض بين الايديولوجية الماركسية والإيرانية إلا أن العداء المشترك للغرب وخاصة الولايات المتحدة والتأييد الثنائي للخط الفلسطيني المتشدد قد أديا الي ظهور التعاون بين إيران واليمن الجنوبي (سابقا) ، إذ أرادت إيران من تلك العلاقة إثبات رغبتها في تكييف مادتها الايديولوجية للأصدقاء العرب (١٠٠) .

وترددت مؤخرا المقولات التي تؤكد علي وجود علاقات إيرانية سودانية قوية وأعلنت مصر عن وجود عناصر من الحرس الثوري الإيراني في الأراضي السودانية (١٠١). ولقد تطورت هذه العلاقة بشكل ملحوظ بسبب التقارب الفكري بين القيادة السودانية عقب سقوط نميري والقيادة الإيرانية ، وذلك لا يمنع من الاعتراف بوجود قدر يعتد به من التأثير الإيراني علي تجربة أسلمة القوانين في السودان في عهد النميري حيث إنها قوت الاتجاه الداخلي للأسلمة ودعمته (١٠٢).

الموقف تجاه المشكلة الفلسطينية

أدي انتصار الثورة الإيرانية الإسلامية إلي التحول من النقيض الي النقيض في موقف إيران من اسرائيل - أي من موقف التحالف الي موقف المواجهة. ووجهت القيادة الإيرانية الدعوة للجهاد لتحرير الأراضي المحتلة (١٠٣). فلقد كان الموقف من القضية الفلسطينية من أشد مواقف الثورة الخارجية وضوحا، حيث كان إغلاق السفارة الاسرائيلية بطهران أول أعمالها وقامت بتحويله كمقر لمنظمة التحرير الفلسطينية التي كان رئيسها أول زعيم خارجي

يزورها(١٠٤). إلا أن التحالف مابين إيران ومنظمة التحرير الفلسطينية كان أحد ضحايا الحرب العراقية الإيرانية حيث وضعت المنظمة في وضع حرج (١٠٥).

تعتبر الحركة الإسلامية في فلسطين وقياداتها من أكثر الحركات تأثرا بالثورة الإيرانية، حيث أعطت قوة دفع كبيرة للاتجاهات والرؤية الإسلامية داخل الأراضي المحتلة، ويرز ذلك في قوة حضور الاتجاه الإسلامي في قطاع غرة والجامعات الإيرانية ويبدو خطاب هذه الجماعات أكثر تفهما للمواقف والمقولات الإيرانية، من حركات إسلامية أخري خارج الضفة والقطاع . فلقد جاءت الثورة الإيرانية لتعطي الاتجاه الإسلامي مزيدا من الحماس والدفع وحافزا قويا للاستشهاد (١٠٦). فلقد كانت إيران وراء تصاعد الحركات العنيفة تجاه الأهداف الاسرائيلية ، وبعد حرب الخليج عاد الاهتمام الإيراني ليتجدد بها ، وزاد من فعالية هذه الحركات تصاعد التعاون بين حماس وحزب الله(١٠٧).

وتمثل حركة الجهاد الإسلامي في قطاع غزة خصوصية واضحة فهي حركة تعمل في سياق سني ولكن تستوحي أفكارها من ثورة شيعية في إيران (١٠٨). وبالرغم من التأثير القوي لأفكار الخوميني ، فشلت حركة الجهاد الإسلامي في طرح أيديولوجية متسقة ومنسجمة فإنعكس ذلك في بزوغ عدة جماعات لا تمثل جسدا واحدا بقدر ما تمثل تحالفا داخليا لعدة ولاءات ايديولوجية : (للثورة الإيرانية وللإخوان المسلمين ولحركة الجهاد في مصر) (١٠٩).

لقد ارتبطت المنظمة بالجناح المعتدل في المنطقة العربية ممثلا في مصر ودول الخليج في حين لجأ القطاع المتشدد إلي الجانب الآخر ممثلا في سوريا وإيران (١١٠) ، حيث قدمت الميزانية الإيرانية لعام (٩٢/٩٣) ٢٠ مليون دولار لدعم الخط المتشدد للفلسطينيين ومنهم حماس، وقامت بفتح سفارة لهم في طهران ، بل وانتشرت الآراء المؤكدة علي حصول حماس علي سلاح جديد للهجوم علي اسرائيل (١١١).

لقد تناست إيران في علاقاتها مع بعض الدول العربية- خاصة سوريا - أحد أهم أفكارها الأيديولوجية الخاصة بنشر الرؤية الإيرانية لنظام الحكم الإسلامي، وارتكزت في المقابل علي محور أيديولوجي آخر يستطيع أن يساهم كعامل تقارب، وهو الخاص بمقاومة النفوذ الأمريكي في المنطقة العربية ومواجهة الوجود الإسرائيلي بها.

التأثير الإيراني علي الحركات الإسلامية المعارضة

عند الحديث عن مجموعة أخري من الدول العربية نجد أن التأثير الإيراني يكاد ينحصر في محاولة تقوية المعارضة الإسلامية ولو من خلال إبراز النموذج الإيراني كنموذج يجب الإقتداء به، وذلك بدون تدخل مباشر وصريح من جانب الحكومة الإيرانية (١١٢) . ويتسم دعم الجمهورية الإسلامية الإيرانية للحركات الإسلامية بالتفاوت حيث يتراوح مابين التأييد المعنوي وبين الدعم المالي والتدريب العسكري، واختلاف الموقف يرتبط بمدي التأثير علي تماسك ووحدة الجمهورية الإسلامية (١١٣) ، ومصالحها الحيوية .

ومثلت كل من دول المغرب العربي والأردن ومصر أهدافا للتأثير الإيراني علي الحركات الإسلامية المعارضة، وذلك وفق ما تعلنه دوما هذه الدول نفسها واتهامها المستمر لإيران بالتدخل في شئونها الداخلية وإرجاع أية اضطرابات تحدثها المعارضة الإسلامية إلي الدور الإيراني، مثال ذلك ما أعلنه الملك الحسن في أوائل الثمانينيات (١١٤) والرئيس بورقيبة قبل ذلك (١١٥)، بل وأعلنت حكومة كل من الاردن ومصر والجزائر عن اتهامها لإيران بكونها وراء تصاعد العنف من الجماعات الراديكالية الإسلامية (١١٦).

لقد أثرت الخريطة التحالفية الجديدة في المنطقة العربية علي العلاقة الإيرانية المصرية بحيث حولتها لعلاقة صراع وتنافس (١١٧) وليس تعاون كما كان الوضع قبل الثورة الإيرانية، وهو الأمر الذي كان له تأثير ملحوظ علي الحركات الإسلامية بها. فبالرغم من أن قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين قد ساهم في التقليل من الاتصالات الإيرانية بالحركات الإسلامية في مصر (١١٨)، إلا أنه يمكن التمييز بين عدة مراحل مرت بها إحدي الحركات الإسلامية الهامة في مصر وهي جماعة الاخوان المسلمين حيث لقيت الثورة التأييد العاطفي والمعنوي غير المحدود بعد انتصار الثورة مباشرة ولكن مع تزايد الأنباء حول المشاكل الداخلية في إيران بدأت مرحلة دفاعية تبلغها فترة قلت فيها درجة الاهتمام بالثورة بعد استمرار التقارير السلبية عن إيران داخليا ونشوب الحرب العراقية الإيرانية (١١٩).

كانت الجزائر حتي وقت قريب تدخل في الجناح العربي الذي يملك علاقات جيدة مع إيران ، فالثورة الجزائرية وعدم الثقة في القوي الكبري قربت مابين إيران والجزائر ، ، حتي إبان الحرب مع العراق عملت الجزائر علي إتخاذ موقف متوازن بل ومثلت الجزائر مصالح إيران في

الولايات المتحدة عقب قطع العلاقات الأمريكية الإيرانية (١٢٠)، إلا أن الموقف الإيراني المؤخر من الحركة الجزائرية الإسلامية الداخلية والتطورات الحادثة في النظام الجزائري ذاته غير الموقف تماما وحول مجري العلاقات الرسمية بين البلدين .

لم تخلق الثورة الإيرانية المعارضة الاسلامية بالدول العربية . فمنذ أمد ليس بالقصير يعيش داخل الكيان العربي بشكل عام بديل إسلامي معارض للعديد من النظم العربية . إذ لم تلعب إيران دورا تكوينيا أو تثويريا للحركات الإسلامية في الوطني العربي ، لكنها لعبت دورا تحفيزيا ومعنويا كانت بحاجة إليه تلك الجماعات بعد سلسلة الإحباطات التي مرت بها ، فالمعارضة الإسلامية قد انتقلت من مرحلة الكمون إلي مرحلة الظهور بعد نجاح الثورة الإيرانية من دور تحريكي بل وتكويني الي حد ما للأقليات الشيعية في المشرق العربي، فقد استطاعت أن توحد الحس المذهبي الحركي لدي التجمعات الشيعية وأسهمت في ظهور الدعوة لتحسين أوضاع الشيعة وإزالة أي فوارق اجتماعية وسياسية واقتصادية موجودة، ولكن ظل الأمر محصورا في إطار استخدام إيران كورقة خارجية للدعم والتأييد (١٢١).

إذا ما اعتبرنا أن مفهوم الحكم الإسلامي ومفهوم الاستقلالية هما حجر الزاوية في الرؤية الايديولوجية الثورية الإيرانية ، فيمكن القول أن المحور الايديولوجي الذي حكم علاقة إيران بمجموعة الدول العربية الأخيرة ارتكز - ولو نظريا علي الأقل - علي محاولة نشر المبادئ الإسلامية للحكم ، الأمر الذي خلق صراعا مع النظم الحاكمة بها وأنتج علاقات مؤثرة .

وذلك عكس ما تحقق علي مستوي عربي آخر (سوريا وليبيا والسودان) حيث كان العداء للدور الأمريكي والإسرائيلي في المنطقة - الذي يعد المحور الأيديولوجي والأمني الثاني للثورة الإيرانية - عامل تقارب وليس تباعد بين بعض الأنظمة العربية وإيران، مما جعل إيران تغض الطرف عن محاولة تطبيق المحور الآخر لأيديولوجيتها الثورية . إذن عند التطبيق تفرض المصلحة القومية لإيران نوعا من المفاضلة الايديولوجية ، بحيث كلما زادت العوامل الاستراتيجية والسياسية والجيوبوليتكية المشتركة مع بعض الأطراف العربية تلجأ الجمهورية الإسلامية للبحث عن مخرج يعفيها من معاداه هذه الأطراف .

الخاتمــة

وأخيرا فقد أثرت الاختلافات الإثنية والدينية والقومية بل والثقافية أيضا علي مجري العلاقات العربية الإيرانية ، كما كان للنزاعات الحدودية دور في إضفاء التوتر علي هذه العلاقات في كثير من الأحيان[١٢٢].

فمنذ قيام الثورة الإسلامية لعبت الأيديولوجية دورا أكبر في تحديد السلوك الإيراني الخارجي وطبيعة علاقات النظام الخارجي، إلا أن إيران عانت باستمرار من المشكلة الناتجة عن التعارض الذي يحدث في كثير من الأحيان بين متطلبات المصلحة القومية والمصلحة الأيديولوجية [١٢٣] . فلقد قدم مفهوم تصدير الثورة مثالا للتعارض القائم بين مفهوم الثورة ومفهوم بناء الدولة فحيث كشف التطبيق عن ازدواجية في الممارسة السياسية تتراوح مابين البراجماتية والالتزام الايديولوجي .

هذا وإن اتفق النظام الثوري مع نظام الشاه في الرغبة في لعب دور القوة الإقليمية الكبري إلا أنهما اختلفا حول الهدف والوسيلة والحلفاء . ففي إطار تبني نظام آيات الله لمبدأ تصدير الثورة أصبح الهدف تصدير نموذج بذاته وبأفكاره ومبادئه وأصبحت الوسيلة تعتمد علي فكرة التدخل شبه المباشر وغير المباشر في شئون دول المنطقة خاصة تلك التي ترتبط ارتباطا قويا بتحقيق مصلحة قومية والحلفاء تحولوا من النظم المسماه " بالنظم المحافظة " إلي الدول المسماه " بالدول التقدمية أو علي الأقل غير الملكية .

فلقد فرضت القيود الجيوبوليتيكية قدرا من الاستمرارية في السلوك الخارجي الإيراني وسياساته وأهدافه، باعتبار الدولة الإيرانية دولة ذات موارد كبيرة نسبيا في المنطقة مما يفرض عليها أن تلعب دورا ، فالمنطق الدائم لدي السياسة الخارجية الإيرانية في المنطقة هو منطق القوة الإقليمية .

ولكن تأثير الثورة الإسلامية الإيرانية علي المنطقة العربية ظل تأثيرا فكريا وايديولوجيا ونفسيا ومعنويا أي تأثير غير مباشر ، بالرغم من أن إمكانيات إيران كقوة إقليمية كانت تؤهلها لممارسة تأثير أكبر ومباشر. وإن انحصار نطاق التأثير داخل محيط الأفكار والأيديولوجية ارتبط بالقيود التي فرضها النظام الدولي علي النظام الثوري الإيراني وبمعطيات وظروف المنطقة العربية .

ومن ثم فإن تأثير الثورة الإيرانية الإسلامية علي العلاقات العربية الإيرانية ، المتوقع حدوثه ، والمتمثل في فتور تلك العلاقات بل وتحويلها للعداء في بعض الحالات، لم يتحقق الا في البدايات الأولي للثورة . حيث بدأ الأمر في التغير بالتدريج مع تغير لهجة خطاب النظام الإيراني وتحوله لمزيد من البراجماتية علي المستوي الخارجي . ولقد بدأ الأمر بالتقارب السوري الإيراني نظرا لوضوح المصالح التي تجمع بين البلدين، ثم تطور الأمر إلي سياسة تهادنية تجاه دول الخليج وإن ظلت منذ بدأ واستمر الموقف من الحركات الإسلامية المعارضة في أن يمثل العقبة الأساسية امام عودة علاقات هادئة مع باقي الدول العربية . ومثلت علاقة إيران بالمنظمة الفلسطينية الحالة الوحيدة التي انعكس فيها الوضع وانتقلت العلاقات من مرحلة التحالف الوثيق الي الهجوم ، بل إن العلاقة الإيرانية العراقية التي شهدت ثماني سنوات من الحروب الدامية عادت إلي مرحلة الهدوء الحذر، مثلها مثل باقي العلاقات العربية الإيرانية .

* * *

الهوامش

(١) خالد العواملة ، الثورة الايرانية وشرعية النظم السياسية العربية ، رسالة ماجستير ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص ٤٧٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٨٣

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٧٦ - ٤٧٧

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٨٦ - ٤٨٧

(٥) R. K. Ramazani; Iran's foreign policy: contending orientations, R. K. Romazani (ed), Iran: The Search for consensus, John Hopkins Universty Press, London, Baltimore, 1989. p. 49.

(٦) من حديث الإمام بمناسبة حلول السنة الهجرية الجديدة في ٢١ مارس ١٩٨٠ ، محمد علي حسين ، نداء الثورة : عرض لطائفة من نداءات الإمام الخوميني الي أبناء العالم الإسلامي ، الجمهورية الإسلامية لايران ، ١٩٨٢ ، ص ٧٨

(٧) باكينام الشرقاوي ، الظاهرة الثورية والثورة الايرانية ، رسالة ماجستير ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، ١٩٩٠ ، ص ٣٣١

(٨) المرجع السابق ، ص ٣٢٢

(٩) المرجع السابق ، ص ٣٣٣

(١٠) المرجع السابق ، ص ٣٣٢

(١١) فاضل الرسول ، العراق - ايران : أسباب وأبعاد النزاع ، المعهد النمساوي للسياسة الدولية ، كتب مترجمة من الهيئة العامة للاستعلامات ١٩٩١ ، ص ٣٦٢ .

(١٢) Mootaz Ahmadein, Iranian Foreign Policy between ideoligy and pragmatism, M. A Degree, Institute of studies and Middle East, London, 1988, p. 16

Shireen Hunter, Iran and the world ; continuity in a Revolu- (١٣) tionary Decade, Indiana University Press, Indianapolis, 1990, p36.

Ahmadein op.cit . p. 16-17 (١٤)

R. K. Romazani, Revolutionary Iran: Challenge and Re-(١٥) sponse in the Middle East, the Johns Hopkins press, London, 1988, p. 23-29.

Monachehr Dorraj, From Zarathustra to Khomeini: Popul-(١٦) ism and Dissent in Iran, Tynne Rienner Puplishers, London, 1990, p. 160-167.

(١٧) خالد العوامله ، المرجع السابق ص ٣٤٦

(١٨) الإمام الخوميني ، الحكومة الإسلامية ، إعداد وتقديم حسن حنفي ، ط ٢ ، سبتمبر ١٩٧٩ ص ٣٥٥ ، مع اعتبار أن للإمام علي وأولاده فقط الولاية الكونية وهي " التي يخضع لها جميع ذرات الكون".

(١٩) باكينام الشرقاوي ، مرجع سابق ص ١٥٥ - ١٥٦

David E. Long, The Impact of the Iranian Revolution on the (٢٠) Arabian penisula and the Gulf states, John Esposito (ed), The Iranian Revolution its global impact, The Florida International University Press, 1990, p. 102. 103.

John Esposito, The Iranian revolution its global Impact, (٢١) John Esposito (ed) op cit, p4.

(٢٢) خالد العواملة ، المرجع السابق ، ص ٢٩٢

(٢٣) المرجع السابق ، ص ٣٤٧

(٢٤) باكينام الشرقاوي ، المرجع السابق ، ص ٣٤٤

(٢٥) خالد العواملة ، المرجع السابق ص ٣٦٣ - ٣٦٤

(٢٦) Moartaz Ahamadein , opcit, p. 4.

(٢٧) Kenneth Thompson, Behind Iranian lines, Robinson books, London, 1988, p.82.

(٢٨) باكينام الشرقاوي ، المرجع السابق ، ص ٣٣٩

(٢٩) المرجع السابق ، ص ٣٤٠

(٣٠) خالد العواملة ، المرجع السابق ، ص ٢٩١

(٣١) باكينام الشرقاوي ، المرجع السابق ص ٣٤٠

(٣٢) المرجع السابق ، ص ٣٤١ ، ٣٤٢

(٣٣) خالد العواملة ، مرجع سابق ، ٣٦٢

(٣٤) Mehdi Noorbaksh, The old and the new world order, The middle East perspective, The Iranian Journal of Introvnu-tional Affairs, 1992, p. 457-458.

(٣٥) Ibid, p. 460.

(٣٦) David E. Long, The of the Iranian Revolution on the Arabian Penisula and the gulf states, John Esposito (ed) , The Iranian Revolution its global Impact, The Florida International University Press, 1990. p 101.

(٣٧) R. K. Romazani, Revolutionary Iran, op.cit , p 3.

(٣٨) Ibid, p.19.

(٣٩) R. K. Romazani, Iran The Searchof consensus, op.cit, p. 48.

(٤٠) خالد العواملة ، المرجع السابق ، ص ٣٥٤ - ٣٥٥.

(٤٢) باكينام الشرقاوي ، المرجع السابق ، ص ٣٢٧

(٤٣) فاضل الرسول ، المرجع السابق ، ص ٦٠

(٤٤) Reza Djalli, op.cit, p 30.

(٤٥) Ibid, p 31.

(٤٦) Maziar Behrooz, Tnends in the Foreign policy of the Islamic Republic of Iran (1979-1988), Nekkie Keddie (ed), Neither East nor west,

(٤٧) Nureddin Riyansiu, la vie difficle de la revolution Iranienn , la nouvelle revue Internationalle, Vol XXVI, eme , No. 3. Mars 1983, p. 79.

(٤٨) Ibid, p 78.

(٤٩) Moataz Ahmadein, op.cit, p 29.

(٥٠) Reza Djalili, op.cit, p 58.

(٥١) Maziar Behrooz , op.cit, p. 14

(٥٢) باكينام الشرقاوي ، المرجع السابق ، ص ٣٢٩

(٥٣) الأهرام ، ١٨ يونيو ١٩٨٨

(٥٤) Reza Djolili, op.cit, p 60.

(٥٥) Maziar Behrooz, op.cit, p14

(٥٦) Fred Holiday, The Iranian revolution and great power politics, Ibid.,p. 263.

(٥٧) Shireen Hunter, op.cit , p. 104.

(٥٨) خالد العواملة ، المرجع السابق ، ص ٣٦٤ - ٣٦٥

(٥٩) تبلغ نسبة سكان الشيعة في البحرين ٥٪ من السكان و٢٠٪ من سكان قطر و٥٦٪ في العراق و١٥٪ في الإمارات العربية ومابين ٣٠٠ ألف و ٤٠٠ ألف في السعودية ، وبذلك يشكل الشيعة مابين ٢٥٪ و ٣٠٪ من سكان الخليج : خالد العواملة ، المرجع السابق ، ص ٤٤٢.

(٦٠) خالد العواملة ، المرجع السابق ، ص ٤٤١

(٦١) المرجع السابق ، ص ٤٦٥

(٦٢) Shireen Hunter, op.cit, p. 39

(٦٣) Fred Haliday, op.cit, p 257

(٦٤) Shireen Hnter, op.cit, p. 19.

(٦٥) Ramazani, Iran's foreign policy : contending orientations, op.cit, p 57.

(٦٦) باكينام الشرقاوي ، مرجع سابق ، ص ٣٤٧

(٦٧) R. K. Ramazani, Revolutionary Iran, op.cit. pp28-29.

(٦٨) Ibid., pp 30-31

(٦٩) David E. long, opcit. , pp. 110-111.

(٧٠) R. K. Ramazani, Revolutionary Iran, op.cit., p. 118.

(٧١) Shireen Hunter , op.cit , p 118-119.

(٧٢) Shohran Chulrin , Iran and the Persian Gulf States, The Iranian Revolution and muslim world, David Menashri (ed), westview Press. special studies on the Middle East, oxford, 1990, p 73-71.

(٧٣) R. K. Ramazani, Iran's Foreign policy: Both North and South, Millde East Journal , Vol . 46, no. 3, Summer 92, p 26.

(٧٤) Ibid, p 28-29.

(٧٥) Ibid, p30

(٧٦) باكينام رشاد الشرقاوي ، المرجع السابق ص ٣٥٢.

(٧٧) Jacob Goldbery, Saudi Arabia and the Iranian Revolution: The religious Dimension, David Menoshri, op.cit, p155.

(٧٨) David Elong , op.cit, p 109.

(٧٩) ولمزيد من التفاصيل انظر من ص ١١٩ - ١٢٣ :

(٨٠) باكينام الشرقاوي ، المرجع السابق ، ص ٣٤٥

(٨١) Ramazani, Iran's Foreign Policy: North and South , op.cit, p. 31

كما سمحت السلطات السعودية في نفس العام بالحج لحوالي مائة وعشرة آلاف إيراني .

(٨٢) Ramazani, Revolutionary Iran, op.cit, p 118.

(٨٣) Ramazani, Iran's foreign policy : Both North and South , op.cit,

(٨٤) أعلنت ايران السيادة علي جزر أبو موسي في أبريل ١٩٩٢.

(٨٥) Ibid, p 33-43

(٨٦) Ibid, p 34

(٨٧) John Esposito , Iranian revolution its globlal Impact, op.cit, p 7.

(٨٨) David Elong. op.cit, p 106-106.

(٨٩) Ramazani, Reivolutionary Iran, opcit, p 176,

(٩٠) Sheerin Hunter op.cit, p 123.

(٩١) باكينام الشرقاوي ، المرجع السابق ، ص ٣٤٥ - ٣٤٦.

(٩٢) المرجع السابق ، ص ٣٤٥.

(٩٣) Sheerin Hunter, op.cit, p 123.

(٩٤) Yosef olmert, Iranian- Syrian Relations: Between Islam and Real politik, Daivd Menoshri, opcit, p 179.

(٩٥) خالد العواملة ، المرجع السابق ، ص ٥١٢

(٩٦) المرجع السابق ، ص ٤٣٩

(٩٧) المرجع السابق ، ص ٥١١

(٩٨) باكينام الشرقاوي ، مرجع سابق ، ص ٣٤٦.

(٩٩) Lisa Anderson, Tunisia and libya: Responses to the Islamic Impulse, John Esposito (ed), op.cit, p 174.

(١٠٠) Shireen Huntre op.cit, p 128

(١٠١) Patrich Clowson of Daniel Pipes, Ambitious Iran, troubled Neigbors, Foreign Affairs, vol 72, no. 1 , 92/93, P.126.

(١٠٢) John Ovoll , Islamization in the Sudan and the Iranian Revolution, John Esposito (ed), op.cit, p. 274-285.

(١٠٣) خالد العواملة ، المرجع السابق ، ص ٤٩١

(١٠٤) باكينام الشرقاوى، المرجع السابق، ٤٣٩،

(١٠٥) Shereen Hunter , op.cit, p 127.

(١٠٦) خالد العواملة ، المرجع السابق ، ص ٤٣٩

(١٠٧) Louis Rene' Beres, Israel, Iran and prospects for nuclear war, strategic Reivew, no. 2, Vol XXI, Summer 93, p 53-54:

حصلت حماس مؤخراً علي ٣٠٠ مليون دولار من طهران.

(١٠٨) Elie Rebless, The Iranian Impact on the muslim Jihad movement in the Gaza trip, David Menashri, op.cit, p 189.

(١٠٩) Ibid, p 197.

(١١٠) Ramazani, Revolutionary Iran, op.cit, p 172.

(١١١) Patrick Clawson, op.cit, P. 126.

(١١٢) John Esposito & James, The Iranian Revolution, its global impact: Ten Years later, John Esposito (ed), opcit, P. 13.

(١١٣) خالد العواملة ، المرجع السابق ، ص ٣٥٧

(١١٤) المرجع السابق ، ص ٤٧٠ - ٤٧١

(١١٥) Lisa Anderson op.cit, P. 173.

(١١٦) Patrick Clawson, op.cti, p. 126.

(١١٧) Ramazani, Revolutionary Iran, op.cit, p. 172.

(١١٨) خالد العواملة ، المرجع السابق ، ص ٤٢٠ - ٤٢١

(١١٩) المرجع السابق ، ص ٤١٥ .

(١٢٠) Shireen Hunter, op.cit, P. 128.

(١٢١) خالد العواملة ، المرجع السابق ، ص ٤٧١ .

(١٢٢) Shireen Hunter, op.cit, P. 98-99.

(١٢٣) Ibid, P. 16-17.

قائمة المراجع

أولا باللغة العربية :

الكتب:

- الإمام الخوميني ، الحكومة الإسلامية ، إعداد وتقديم حسن حنفي ، الطبعة الأولي ، سبتمبر ١٩٧٩ .
- فاضل الرسول ، العراق – إيران : أسباب وأبعاد النزاع ، المعهد النمساوي للسياسة الدولية ، كتب مترجمة الهيئة العامة للاستعلامات ، ١٩٩١ .
- محمد علي حسين ، نداء الثورة : عرض لطائفة من نداءات الإمام الخوميني إلي أبناء العالم الإسلامي ، الجمهورية الإسلامية الإيرانية ، ١٩٨٢ .

الرسائل العلمية:

- باكينام رشاد الشرقاوي ، الظاهرة الثورية والثورة الإيرانية ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، قسم العلوم السياسة ، ١٩٩٣ .
- خالد العواملة : الثورة الإيرانية وشرعية النظم السياسية العربية، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، قسم العلوم السياسية ، ١٩٩٢ .

ثانيا : بلغات أجنبية :

Books

- Dorraj, Monachehr, From Zarathustra to Khomeini: Populism and dissent in Iran, Tynne Rienner Publishers, London.1990.
- Esposito; John L. , The Iranian Revolution: Its global impact, The Folrida Int. Univ. Press, U. S. A., 1990.

-Hunter; Shireen, Iran and the world : Continiuty in a revolutionary decade , Indiana Univ. Press, Indiana Polis, 1990.
- Keddie; Nekkie, and Casiorowski Mark (ed.) Neither East nor West: Iran, the Soviet Union and the United States, Yale Univ. Press, New Haven, London, 1990.
- Menashri; David, The Iranian revolution and the muslim world, Special Studies on the Middle East, West. View Press, Oxford, 1990.
- Ramazani; R. K. , Revolutionary Iran: Challenge and Response in the Middle East, John Hopkins Univ. Press, Baltinore, London, 1988.
ed. Iran's foreign policy : Contending orientations the search for consensus, John Hopkins Univ. Press, London, 1989.
- Thompson kenneth, Behind Iranian lines, Robinson book, London, 1988.

Periodicals

- Beres' Louis Rene, Israel , Iran and prospects for nuclear war in the Middle East, Strategic Review, vol VXXI , No. 2.1993.
- Noorbaksh; Mehdi, The old and the new world order: The Middle Eastern perspective, The Iranian Journal of International Affairs, 1990.
- Pipes; Daniel; Patrick Clawson, Ambitious Iran, troubled neighbors, Foreign Affaire, Vol. 72, No. 1,1992- 1993.

- Reza; Djalili, Une diplomatic dans L'impasse, les Cahiers de l' Orient, No. 14, 1ere trimestre, 1989.
- Ramazani' R. K. Iran's foreign policy: Both North and South, Middle East Journal , vol. 46., No. 3, Summer 1992.
- Riyansui; Nureddin, la voie diffecile de la revolution Iranienne, La Nouvelle Revue Internationale, Vol. XXVI, No. 3, Mars 1983.

Thesis

- Ahmadein; Mootaz, Iranian foreign policy between Ideology and pragmatism, M. A. degree, Institute of studies of Middle East, London, September 1988.

القسم الثانى

الجوانب السكانية والإجتماعية والإقتصادية في العلا قات العربية الإيرانية

الفصل السادس:

الأوضاع الديموجرافية فى إيران والدول العربية

الدكتور محمد محمد زهرة

الفصل السابع:

العلاقات الإقتصادية العربية الإيرانية

السيد/أحمد سيد النجار

الفصل السادس

الأوضاع الديموجرافية فى إيران والدول العربية*

من الأهمية بمكان التركيز على الأوضاع الديموجرافية وأبعادها السياسية فى إيران والمشرق العربى بالإضافة لمصر لأن لذلك مغزاه السياسى الهام والمتمثل فى العلاقة المباشرة لإيران مع تلك الدول فى إطار الأمن القومى لهذه الدول مجتمعة، حيث أنه يستبعد أن يكون لتونس والجزائر أو المغرب أو موريتانيا أو الصومال علاقة مباشرة مع إيران من خلال الخاصة الجغرافية للأمن القومى وإن كانت هناك مصالح أيديولوجية أو سياسية بين إيران وبعض الدول العربية أو الإتجاهات السياسية فى هذه الدول ،فرغم وجود علاقة حالية بين إيران وكل من السودان وليبيا فإن هذه العلاقة حسب رأى الكاتب غير دائمة وتعتمد على نوعية الأنظمة وتوجيهاتها وعلاقاتها الأخرى فلو تحسنت العلاقات بين السودان وبعض الدول العربية الأخرى لتغيرت معادلة العلاقات السودانية الإيرانية والسودانية العربية ونفس الأمر يقال حول العلاقة الليبية الإيرانية.

---

* أعد هذه الدراسة الدكتور محمد محمد زهرة ـ الأستاذ المساعد بقسم الجغرافيا بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة

إلا أن الثابت بسبب المتغيرات الجغرافية ومتغيرات أخرى في العلاقات الإيرانية مع دول المشرق العربى ومصر هى الأكثر أهمية دائما لمساسها بالأمن القومى لكل الأطراف وإن تغيرت مداً وجزراً وشداً وجذباً بين وقت وآخر وذلك طبقاً لحالات السلم والحرب والمتغيرات الدوليةالأخرى فدائرة المشرق العربى وإيران هى دائرة التفاعل المستمر والثابت.

تطور الهجرة الإيرانية فى دول الخليج وشبه الجزيرةالعربية

تتصدر الجالية الإيرانية قائمة الوافدين فى كل من دولة الإمارات العربية المتحدة وقطر حيث بلغت نسبتهم فى الأولى ٤٢٪ من جملة الوافدين فى عام ١٩٦٨ وفي الثانية ٥ر٣١٪عام ١٩٧٠ إلا أن هذه النسبة الكبيرة لم تلبث أن تناقصت فى دولة الإمارات إلى ٧ر١٠ عام ١٩٧٥وتراجع النسبة هنا ليس بسبب تناقص أعداد هذه الجالية فأعدادهم المطلقة تزايدت من ٢٨ ألف نسمة إلى ٣٨ ألف نسمة ، وإنما السبب فى ذلك يعود إلى تزايد حجم الوافدين من الجنسيات الأخرى مثل الجالية الهندية والباكستانية مما أثر على انخفاض نسبة الإيرانيين.

ويوضح الجدول التالى تطور أعداد ونسبة الإيرانيين فى الدول العربية الخليجية:

نسبة الإيرانيين فى دول المنطقة إلى جملة الوافدين من خلال سنوات مختلفة

الدولة	السنة	الإيرانية
الكويت [1]	١٩٦٥	١٢ر٤
	١٩٧٠	١٠
	١٩٧٥	٧ر٨
المنطقة الشرقية[2]	١٩٧٤	٢ر
البحرين[3]	١٩٦٥	١٨ر٨
	١٩٧١	١٣ر٥
	١٩٧٦	٦ر٥
قطر [4]	١٩٧٠	٣١ر٥
الإمارات [5]	١٩٦٨	٤٢
	٧٥	١٠ر٧
	٨٠	٣ر٥

المصادر:

(١) وزارة التخطيط والإدارة المركزيةللإحصاء، المجموعة الإحصائية السنوية ١٩٨١، العدد ١٨ ، ص٣٣

(٢)وزارة المالية والإقتصاد الوطنى ، مصلحة الإحصاءات العامة، التعداد العام للسكان ١٩٧٤، البيانات التفصيليجة لسكان المنطقة الشرقية ص٩١- ٩٢

(٣)أرقام ١٩٦٥- ١٩٧١ من وزارة المالية والإقتصاد الوطنى إحصاءات تعداد السكان ١٩٧١ ، ص ١٢٧ أرقام ١٩٧٦من

(٤)التعداد العام للسكان عام ١٩٧٠

(٥) أرقام ١٩٦٨ من كتاب دولة الإمارات العربية المتحدة ، دراسة مسحية شاملة ص٢٦٢.

أرقام ١٩٧٥ من وزارة التخطيط - الإدارة المركزية للإحصاء .التعداد العام للسكان

١٩٧٥ الجزءالثانى ص٨٨- ٩١

أرقام ١٩٨٠من وزارة التخطيط، الإدارة المركزية للإحصاء ، التعداد العام للسكان ١٩٨٠ الجدولين ١ .٦

ويعطى تعداد دولة الإمارات لعام ١٩٨٠ هذه الجالية نسبة ٣٫٥٪ فقط من جملة الوافدين، وقد تبع هذا التناقص الكبير فى النسبة تناقضاً مماثلاً فى الأعداد المطلقة حيث إنخفضت أعدادهم إلى ٢٦ ألف نسمة. وهذا نتيجة عودة الكثيرين منهم الى بلادهم بعد أحداث حرب الخليج.

أما الكويت فقد شكلت الجالية الإيرانية فيها نسبة ٧٫٨٪ من جملة الوافدين عام ١٩٧٥، وفى التعدادات السابقة ١٩٦٥، ١٩٧٠

كانت النسبة أعلى من ذلك، حيث مثلت ١٢٫٤٪ و١٠٪ على التوالى وفى البحرين إنخفضت نسبة هذه الجالية أيضاً، فبعد أن كانت ١٨٫٨٪ من جملة الوافدين عام ١٩٦٥ إنخفضت إلى ١٣٫٥٪ عام ١٩٧١ثم واصلت إنخفاضها حتى وصلت إلى ٦٫٥ ٪ عام ١٩٧٦ وقد تبع هذا الإنخفاض فى النسبة إنخفاضاً مماثلاً فى الأعداد المطلقة وقد يكون عنصر التجنيس لكثير من هؤلاء سببا رئيسيا فى تناقص أعدادهم بحجة أنهم ولدوا فى البحرين فى وقت لم تكن شهادات الميلاد متداولة فى البلاد، لذلك إعتبروا مواطنين ولم يظهروا فى الإحصاءات السكانية على أنهم إيرانيين.(١)

لا نغفل هنا جانبا مهما آخر وهو سياسة التشدد التى اتخذتها الحكومة نحو الوافدين من الإيرانيين، خصوصاً بعد إدعاءات إيران بتبعية البحرين لها ـ ومحاولة السيطرة على تسللهم إلى البلاد (٢). أمابالنسبة للمنطقة الشرقية فلم تتعد نسبة الإيرانيين فيها ٠٫٢٪ من جملة الوافدين عام ١٩٧٤ وهى نسبة منخفضة جدا مقارنة بمثيلتها فى بقية دول المنطقة .

ويلاحظ من العرض السابق أن نسبة الجالية الإيرانية تناقصت بإستمرار فى جميع دول المنطقة، وذلك إما بسبب إرتفاع أعداد الجاليات الأخرى مما أثر على النسبة بالإنخفاض كما هو فى الكويت أو بسبب نقص أعدادهم بالفعل كما هو فى البحرين ودولة الإمارات للأسباب السابقة الذكر.

وقد هاجر الإيرانيون من الساحل الشرقى للخليج العربى إلى الساحل الغربى فى فترات تاريخية متفاوتة قبل قيام الدولة العصرية الحديثة بالساحل العربى.

وكانت الهجرة لأسباب كثيرة وكانت من العوامل التى أدت إلى زيادة إرتفاع نسبة الشيعة

إلى جملة السكان فى بعض المناطق . وقد تعددت أسباب الهجرة ويمكن تقسيم عوامل الهجرة من الساحل الفارسى إلى الساحل العربى من الخليج إلى عدة أقسام هى:

العوامل الطبيعية:

هناك مجموعة من العوامل الطبيعية التى ساعدت على إنتقال السكان من الساحل الفارسى إلى الساحل العربى على الخليج العربى وهى الفيضانات والزلازل والجفاف.

وبالنسبة للفيضانات كانت أهم هذه الاسباب، حيث أن فيضانات جبال زاجروس وإرتفاع مياه نهر قارون وغيره من الأنهار التى تجرى فى المنطقة كانت كثيراً ما تغرق المزارع وتدمر الجسور الطبيعية التى بنتها الانهار الأمر الذى كان يتطلب جهودا شاقة لإعادة بناء ما تهدم. كما كان للزلازل أيضا أثر كبير على هجرة السكان وكانت نتائجها تؤدى إلى هجرة جماعية.

كما كان الجفاف الذى يحل بالسواحل الفارسية من أهم عوامل الهجرة إذ أن الجفاف إذا ما تكرر فإنه يجعل الحياه صعبة فى تلك المناطق وكان نقص المياه فى بعض الجهات يؤدى إلى إتجاه السكان إلى الهجرة للعمل فى الإمارات العربية بساحل الخليج العربى اضف إلى ذلك وجود. وموجات من الجراد الذى كان يجتاح المنطقة ويأتى على الأخضر واليابس ، وقد ساعد على تفاقم كل هذه العوامل وتأثيرها فى حياة السكان، التخلف ونقص الخدمات الحكومية المركزية من الأهتمام بالساحل.

أما العوامل الأقتصادية التى أدت إلى هجرة الإيرانيين فاهمها تذبذب الأوضاع الزراعية فى إيران من حيث المساحة المزروعة وكمية الأنتاج، ونتج عن هذه الزراعة المطرية أساسا نوع من البطالة الموسمية، وقد اجتذبت صناعة البترول الناشئة فى عبدان فى البداية أعدادا كبيرة من السكان للعمل بها ، ومع مرور الوقت لم تعد هذه الصناعة بحاجة إلى المزيد من الايدى العاملة الأمر الذى جعلهم يعبرون الخليج إلى الساحل العربى الذى كان فى بداية عمليات استغلاله للبترول، أى عوامل الدفع متوافره فى ايران بينما عوامل الجذب الكامنه فى الساحل العربى متوافرة أيضا.

أما العوامل الإجتماعية: فتبرز فيها أيضا عوامل دفع وعوامل جذب عوامل دفع بالساحل الايرانى يقابلة عوامل جذب بالساحل العربى ومن بين أهم العوامل الإجتماعية تلعب الروابط العائلية دورا هاما ، فان الأب المهاجر يجذب أبناءه إلى الأراضى التى هاجر إليها من قبل،

وكذلك يجذب الجار جاره والقريب قريبة والأخ أخوتة وهكذا، وكان الكثير من المهاجرين من أقليم فارس أكثر أقاليم ابران تخلفا حيث تقل الخدمات الطبية والتعليمية، وتنتشر الأوبئة والأمراض، كل ذلك كان من عوامل الدفع فى هذا الأقليم الذى أعطى الساحل العربى للخليج مهاجرين وكانت امارات الساحل بالمقابل أفضل حالا، ومن العوامل الإجتماعية انتشار التسول في ايران وصدور قانون ١٨٦٣ الذى يقضي بابعاد كل من يضبط وهو يتسول.

وفى عام ١٩٢٦ اصدر رضا شاه قانون[٣] الغى بمقتضاه إرتداء النساء للحجاب وسعى لتطبيق ذلك بوسائل الترغيب والترهيب، وقد أثر هذا المرسوم بصورة عميقة على الحياة الأسرية فى ايران واحدث هجرة فى الطبقات الوسطى والعليا [٤].

وقد أشارت تقارير المقيم البريطانى فى بوشهر فى عام ١٩٣٦ أنه تسلم خطابا من شيخ كلباء يقول أن نحو ٤٠٠ شخص قد هاجروا من منطقة شيرو إلى مشيخته نتيجة لسخطهم على ادارة الحكومة الأيرانية بسبب خلع حجاب المرأة وأنه هاجر بضعة ألوف من أبناء الساحل الأيرانى للخليج خلال السنوات الأخيرة إلى الساحل المتصالح[٥].

أما العوامل السياسية والإدارية :التى أدت إلى الهجرة فكان من بينها فرض الرسوم والغرامات على التجار فى أيران (٣٪) بالأضافة إلى رسوم أخرى مما أدى إلى هجرة التجار إلى الساحل العربى وكانت أول هجرة للتجار عام ١٨٧٤[٦]وقدتوجهوا إلى دبى حيث اجتذبتهم سياسة الشيخ مكتوم بن حشر (١٨٩٢ إلى ١٩٠٦[٧])كما أدى نظام استخراج تصاريح الصيد للبيع والشراء فى عهد رضا شاه إلى هجرة ايرانية.

ومن اخطر العوامل السياسية نظرة سكان سواحل ايران إلى البحرين بالذات، حيث كانت الحكومة الأيرانية تبث ادعاءاتها بإن البحرين جزء من ايران وذلك من خلال المحافل الدولية والصحف والأذاعة والتلفزيون مما دفع الايرانيين إلى الانتقال إليها على أساس أنه انتقال داخلى بين إجزاء أيران.[٨]

من العوامل الهامة فى الهجرة من ايران إلى الساحل العربى والبحرين هو تشجيع حكومة البحرين وترحيبها بالمهاجرين من السُنة من سكان الساحل الإيرانى حيث كانت تعيش السُنة فى البلاد وعلى رأسها الأسرة الحاكمة فى صدام دائم مع السكان الشيعة [٩].

حجم السكان فى الوطن العربى:

يعتبرحجم السكان من المكونات الديموجرافية الهامة فى السلم والحرب وفى التخطيط الاقتصادى والاجتماعى والعسكرى والسياسى وغيره من الموضوعات فحجم سكان أي دولة هم من أدواتها سلما أو حربا وفى دراسة كدراستنا هذه يعد السكان على جانب كبير من الأهمية لدول تتفاوت فى أحجام سكانها كثيرا، مع النظرات الجيوبولوتيكية التوسعية لبعض الدول فى المنطقة.

ومن دراسة أحجام السكان فى عام ١٩٩١ يتضح ما يلى :

(١) تتساوى مصر وإيران تقريبا كأكبر دولتين فى المنطقة من حيث عدد السكان وبالنسبة للشرق الأوسط تضاف إليهما تركيا، وحسب التقديرات المصرية فإن عدد سكان مصر يفوق عدد سكان إيران قليلاً، وكلاهما يزيد على ٥٠ مليون نسمة، والفرق بينهما وبين ما يليهما فارق كبير.

(٢) يلى ذلك مجموعة من الدول العربية التى يتراوح عدد سكان كل منها من ٢٥ ـ ٣٠ مليون نسمة وتضم المغرب والسودان والجزائر وهذه الدول العربية أفريقية رصيدها السكانى للبلاد العربية ككل ولكن دولتين منها بعيدتان عن الصراع الإيرانى العربى إذا حدث ، أما السودان فلها صلات بإيران سبق توضيح أبعادها.

(٣) هناك مجموعة من الدول العربية يبلغ عدد سكان كل منها بين ١٠ـ ٢٠ مليون نسمة تضم العراق (١٩ مليون)، السعودية(١٤ مليون نسمة)، سوريا (٥ر١٢مليون نسمة)، اليمن (٥ر١١ مليون نسمة)، وكلها دول فى آسيا، ولها صلة مباشرة بالعلاقات العربية الإيرانية بحكم الجوار الجغرافى، والعلاقات السياسية الخاصة.

(٤) هناك دول عربية أخرى يتراوح عدد سكان كل منها بين ٥ ـ ١٠ مليون نسمة وتضم تونس (٨ مليون نسمة)، الصومال (٥ر٧مليون نسمة)، وهما دولتان أفريقيتان وقد تكونا على هامش العلاقات العربية الإيرانية وإن إتجهت إيران أخيرا إلى الصومال لدعم بعض الجماعات السياسية.

(٥)وهناك مجموعة عربية أخرى يتراوح عدد سكان كل منها بين مليون نسمة و ٥مليون نسمة وتضم الاقطار العربية الأسيوية ، كالكويت (٢ مليون) قبل الغزو العراقى فى أغسطس

١٩٩٠، ولبنان (٢٫٧٠١ ألف نسمة)، وعمان (١٫٥ مليون نسمة)، والإمارات (١٫٥٨٩ ألف نسمة)، أما الأقطار الأفريقية فهناك موريتانيا (٢٫٠٢٤ ألف نسمة) وليبيا (٤٫٥ مليون نسمة).

(٦) الدول التى يقل عدد سكانها عن مليون نسمة فيمثلها دولة البحرين ٥١٦ ألف نسمة وقطر ٣٦٨ ألف نسمة وهما من دول الخليج العربى ذات الحساسية فى علاقتها مع إيران.

وإذا كانت تقديرات سكان الكويت لعام ١٩٩٠ (تبلغ نحو مليونى نسمة فإن الوضع الآن يختلف كثيرا حيث تم الإستغناء عن خدمات العاملين من بعض الجنسيات العربية ويلغ حجم هؤلاء نحو ٠٫٥ مليون نسمة بالإضافة إلى بعض الجنسيات الأجنبية الأخرى الذين خرجوا خلال حرب الخليج الثانية. المهم يقدر سكان الكويت حاليا نحو ١٫٥ مليون نسمة فقط، ولأسباب سياسية متعددة الجوانب تحاول الكويت الآن ترشيد التركيبة السكانية للدولة والحد من الجنسيات الأجنبية، والعمل على ألا تزيد هذه الجنسيات على عدد الكويتيين ويرتبط الإنحدار الجيوبولتيكى بحجم السكان من الناحية السياسية ودراسة الإنحدار الجيوبوليتيكى الذى يقيس نسبة سكان كل دولة إلى مجموع سكان الدول الجيران، لما لذلك من أهية إستراتيجية فى حالة قيام الإضطرابات والمنازعات لأسباب مختلفة.

ويتبين لنا من الإنحدار الجيوبوليتيكى لدول المشرق العربى ذات الصلة المباشرة بالعلاقات العربية الإيرانية مايلى:

١ـ أن معظم الدول تعانى إنحداراً جيوبوليتيكياً سالباً.

٢ـ أن مصر هى الدولة الوحيدة ذات الإنحدار الجيوبولوتيكى الموجب فى المنطقة.

٣ ـ نظرا لطبيعة الإنحدار الجيوبولتيكى تعاني دولة كالعراق حاليا من جراء علاقاتها غير الطيبة مع جيرانها جميعا تقريبا.

٤ ـ يسجل الإنحدار الجيوبولتيكى لإيران مع الدول العربية المجاورة ميزاناً موجباً مقداره٣:٢ تقريباً.

الريف والحضر:

تتفاوت نسبة سكان الحضر والريف فى الدولة لعوامل إقتصادية وإجتماعية وجغرافية عامة وكذلك حسب مرحلة التنمية التى تعيشها الدولة، وكل هذه العوامل متداخلة ومتشابكة، إلا

أنه كلما إرتفعت نسبة سكان الحضر كان ذلك دليلاً على إرتفاع مستويات المعيشة طالما صاحب ذلك زيادات فى الإنتاج وإرتفاع فى نصيب الفرد من الدخل القومى، وطالما لم تتأثر المساحات المزروعة أو الإنتاج الزراعى، والأهم من ذلك من الناحية السياسية أن تنتشر شبكة المدن بأحجامها المختلفة على رقعة الدولة ، وبصفة عامة تشهد منطقة الشرق العربى وإيران إرتفاعا مستمرا فى نسبة سكان الحضر لإختيار السكان المدن كمسكن وللرغبة فى تغيير نمط الحياة.

وفى منطقة الدراسة يصل الأمر إلي إستئثارمدينة واحدة بغالبية السكان كما فى الكويت والدوحة والمنامة وفى مدن الإمارات العربية المتحدة . كما فى دبى وأبو ظبى والشارقة وغيرها.

ويبدو من دراستنا للإحصائيات الخاصة بدول المنطقة ما يلى :

(١) ترتفع نسبة سكان الحضر فى دول مجلس التعاون الخليجى بوجه عام حيث تبلغ ٩٥٫٦٪ فى الكويت، ٨٩٫٥٪ فى قطر، ٨٣٪ فى البحرين، ٧٧٫٨٪، ٧٧٫٣فى الإمارات والسعودية على التوالى إلا أنها تتدنى إلى ٣٠٪ فى عمان للظروف الجغرافية والإقتصادية ومرحلة التطور الإقتصادى والإجتماعى.

(٢) تتفاوت نسب الحضر فى بقية أجزاء الوطن العربى الأسيوى فهى تبلغ ٢٨٫٦٪ فى اليمن، ٥٠٫٤٪ فى سورياو ولكنها ترتفع إلى ٦٨٪ فى الإمارات و٧١٫٣٪ فى العراق،٧و٨٣٪ فى لبنان، وتعكس هذه النسب التفاوت الإجتماعى والإقتصادى والجغرافى السابق توضيحة.

(٣) تبلغ نسبة التحضر فى مصر ٤٦٫٧٪ إلا أنها تبلغ فى السودان ٢٢٪.

(٤)هناك تركز حضرى داخل بعض الدول. فالدول ذات المدينة الرئيسية تشهد تجمعات سكانية فى رقعة محدودة وهناك تركز حضرى فى العراق معظمه يمتد من الشمال إلى الجنوب مع دجلة والفرات أما السعودية فبها إنتشار حضرى على أجزاء الدولة الشمالية والشرقية والغربية والوسط، وهناك تركز حضرى فى الأردن ونظرا لتشكيل الصحارى والمرتفعات الوعرة فى أجزاء من معظم البلاد ، فإن شبكة المدن عادة لا تنتشر على رقعة الدولة كلها، وينطبق ذلك على إيران.

ومن الناحية الإستراتيجية فإن التوزيع المنتظم لشبكة المدن فى أى دولة يعطى نوعا من الحماية والقوة إذ تتحاشى الجيوش شبكات المدن ومناطق التركزوالإكتظاظ السكانى فى حالات الغزو والإضطرابات السياسية. وعدم الإستقرار السياسى اللهم إلا إذا كانت للمدينة أهمية إستراتيجية وأن تكون هدفا في حد ذاتها ـ كإحداث البصرة والفاو فى حرب الخليج الأولى، أو الكويت فى حرب الخليج الثانية ولكن يلاحظ أن المسافة التى قطعتها الجيوش العراقية فى غزو الكويت فى أغسطس ١٩٩٠ كانت خالية من المدن والسكان.

المواليد والوفيات والزيادة الطبيعية:

يلاحظ بالنسبة للمواليد والوفيات نقص التسجيل أو عدم إكتمالة لأسباب كثيرة، وإن كانت هذه التجمعات حالياً تتجه نحو التسجيل لأسباب إجتماعية وإقتصادية منها أن العديد من حالات الولادة فى شبه الجزيرة العربية على الأقل تتم فى مستشفيات وكذلك ومع الحاجة إلى وجود شهادة ميلاد للإلتحاق بالتعليم يتم التسجيل ولأسباب الميراث وإعادة الزواج يتم تسجيل الوفيات وإن لم يوجد القانون الملزم لذلك إلا فى عدد قليل من دول منطقة الدراسة.

ومن الدراسة الإحصائية يتضح لدينا ما يلى:

١ ـ يزيد معدل المواليد على ٤٠٪ فى عمان والسعودية وسوريا والعراق والسودان وهى إما مجتمعات زراعية مستقرة وتركيب السكان بها مستقر أو دول مستقبلة للوافدين، وبالنسبة للسعودية التى تستقبل الوافدين فإن قاعدة السكان بها كبيرة لا تتأثر كثيراً بخصائص السكان الوافدين وسلوكهم الإنجابى، أما عمان فإن إستقبالها للمهاجرين قليل.

٢ ـ تتراوح معدلات المواليد بين ٣٠٪ ـ ٤٠٪ فى كل من الأردن وإيران ومصر وهى مجتمعات تخطو نحو التنمية الإجتماعية والإقتصادية، ويصاحب ذلك إنخفاض فى معدل المواليد .

٣ ـ أما دول الخليج العربى الأخرى كالكويت وقطر والإمارات والبحرين فإن معدلات المواليد بها تنخفض عن ٣٠٪ وهى معدلات منخفضة نسبيا، ويمكن أن يعزى ذلك إلى إستقبالها للوافدين بنسبة كبيرة وتؤثر خصائص الوافدين السكانية وسلوكهم الإنجابى فى الإنخفاض العام لمعدل المواليد فى الدولة ككل فنسبة الوافدين تزيد على ٥٠٪ من السكان من

إجمالى السكان ويراعى وضع الكويت الجديد ـ ولذلك يميل الإتجاه نحو سلوكهم الإنجابى وخصائصهم السكانية ـ أما معدل المواليد للسكان الأصليين (الوطنيين) فإنه يزيد على ٤٠٪ بحكم الظروف والعوامل الإجتماعية والإقتصادية.

٤ ـ يعد معدل المواليد عاملا على قدر كبير من الأهمية فى النواحى الإقتصادية والسياسية فى دول شبه الجزيرة العربية التى تحتاج إلى رفع معدلات مواليد بتشجيع الإنجاب للوصول إلى ما يعرف بالحكم الامثل للسكان ويساعد المواليد على فتوة الدولة سياسيا وإقتصاديا وعسكريا، وهو أمر مهم فى العلاقات الدولية ولما لذلك من علاقة بمكانة الدولة مع الدول الجيران ، وطالما يستطيع إقتصاد الدولة تحمل أعداد السكان فإن الأمر لا يشكل عبئا ، وبالعكس مما سبق فإن بعض الدول تعانى إفراطا سكانياً الأمر الذى يحتم تخفيض معدلات المواليد لأنها تشكل عبئا على الإقتصاد والموارد وينطبق ذلك على مصر والسودان والأردن وسوريا والعراق واليمن، وينطبق أيضاً على إيران، إلا أن الظروف الاجتماعية عامة والدينية فيها خاصة ساعدت على الإنجاب وبطء نجاح الدعوات لخفض المواليد.

الخصوبة:

ترتبط الخصوبة بالمواليد، ولكنها منسوبة إلى الإناث اللاتى يمكن آن ينجبن هؤلاء المواليد وهم النساء فى سن الحمل، وترتفع نسبة الخصوبة بصفة عامة فى دول المنطقة وقد أعطى ذلك المجتمعات فى المنطقة فتوتها وإمكان تعويض السكان يمكن تقسيم دول المنطقة من حيث الخصوبة إلى المجموعات التالية:

١ ـ مجموعة ترتفع فيها الخصوبة على ٦ وتضم اليمن ٧ر٣ والسعودية ٧ر١ وسوريا والسودان٦ر٣ وهى دول تتميز بإرتفاع معدلات المواليد فى مجتمع تقليدى ولا توجد برامج لتنظيم الأسرة أساساً أو قلة تأثير البرامج المتوافرة.

٢ـ دول تتراوح فيها معدلات الخصوبة بين ٦ ـ٥ وتضم العراق ٥ر٩ الأردن٥ر٥، وقطر٥ر٣ وهى دول ترتفع فيها معدلات المواليد مع إرتفاع فى مستويات المعيشة والتنمية الاجتماعية وتعليم المرأة وهوالأمرالذى أدى إلى إعتدال الخصوبة مع مراعاة السلوك الإنجابى لزوجات الوافدين فى قطر.

٣ ـ مجموعة تتراوح فيها معدلات الخصوبة بين ٤ ـ٥ الإمارات وإيران ومصر، والأخيرتان دولتان تتبع برامج تنظيم الأسرة مع التطور الإجتماعى الذى يقلل من الخصوبة. أما الإمارات فينطبق عليها ما قيل عن قطر.

٤ ـ مجموعة تقل فيها معدلات الخصوبة عن ٤ وتضم البحرين٧ر٣، والكويت ٦ر٣ ولبنان ٤ر٣ وبالنسبة للكويت والبحرين فالتقد متماعى فى الدولتين بالإضافة إلى السلوك الإنجابى لزوجات الوافدين تؤثر فى معدلا لخصوبة العامة للمجتمع، أما لبنان فالتطور الإجتماعى العام والظروف السياسية التى عاشتها نسبيا خلال الخمس عشرة سنة الأخيرة لها دور فى إنخفاض معدلات الخصوبة.

الوفيات:

معدل الوفيات أحد مؤثرات ومعايير التنمية ومستويات المعيشة وبصفة عامة تشهد منطقة الدراسة إنخفاضاً ملحوظاً فى معدلات الوفيات نتيجة لإنتشار الخدمات الصحية والإجتماعية ولإنخفاض معدلات وفيات الأطفال وكذلك لأسباب تقدم الطب العلاجـي والوقائي، ولتقدم الوعى والتعليم ، ومع ذلك تتفاوت معدلات الوفيات بين دولة وأخرى، ويمكن تقسيم منطقة الدراسة إلى فئات من حيث معدلات الوفيات.

١ ـ دول ترتفع فيها معدلات الوفيات على ١٠٪ سنويا وتضم اليمن ٩ر١٣٪ والسودان٢ , ١٤٪هما دولتا إقتصاد زراعى ورعوى تقليدى. والدولتان فى مراحل التطور البطئ بسبب الأبعاد الجغرافية الإقتصادية والإجتماعية ويلاحظ أن هاتين الدولتين تتميزان بارتفاع معدل المواليد.

٢ - دول تتراوح بين ٥-١٠٪ وتضم العراق والاردن وعمان والسعودية ولبنان وسوريا ومصر، وهى دول ذات معدلات مواليد مرتفعة أو متوسطة نتيجة لعمليات تنمية اقتصادية واجتماعية، ونشر الخدمات الطبية وقطعت اشواطا مناسبة فى عمليات التنمية، وتدخل ايران ضمن هذه المجموعة وينطبق عليها نفس التحليل.

٣ - دول تنخفض فيها معدلات الوفيات عن ٥٪ وتضم البحرين والكويت وقطر والامارات وهى الدول ذات معدل المواليد المنخفض ويرجع ذلك إلى عوامل التنمية الاقتصادية

والاجتماعية والطبية ويضاف إلى ذلك أثر تركيب السكان العمرى بسبب الوفود فى انخفاض الوفيات، وبصفة عامة فإن لانخفاض معدلات الوفيات تأثير هام على مكانة الدولة اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا.

وفيات الأطفال:

ووفيات الأطفال دليل هام على التقدم الذى تعيشة الدولة، ونظرا للتطور الاقتصادى والاجتماعى والتعاون الدولى بين دول المنطقة فقد انخفضت وفيات الأطفال كثيرا وسريعا فى السنوات الأخيرة ولهذا دلالة كبيرة حيث يؤثر ذلك فى تركيب السكان العمرى وبالتالى فى قدرات الدول مستقبلا على توفير ايدى عاملة للتنمية، والدارس لتطور معدلات وفيات الأطفال يلاحظ أنها تنخفض بسرعة كبيرة، وحسب بيانات وتقديرات ١٩٩٠ يمكن تقسيم دول المنطقة من حيث وفيات الأطفال إلى المجموعات التالية:

١ - مجموعة تنخفض فيها وفيات الأطفال عن ٣٥٪ وتضم البحرين ١٢٪، والكويت ١٥٪، وقطر ٢٦٪، والامارات ٢٦٪ وهى دول جاذبة للسكان الامر الذى يساعد على خفض معدلات وفيات الأطفال مع التطور الاقتصادى والاجتماعى لهذه الدول.

٢ - دول تتراوح معدلات وفيات الأطفال بين ٣٠-٦٠ فى الألف. وتضم معظم دول المنطقة العراق ٤٠، الاردن ٣٦، لبنان ٤٠، عمان ٣٤، السعودية ٥٨، ايران ٥٠، مصر ٥٧ وهى دول مستقرة سكانيا وتشهد تطورا اقتصاديا واجتماعيا وفى الخدمات الصحية والدول ذات المعدلات- المرتفعة نسبيا تحاول الأن من خلال الخدمات الصحية أن تقلل من المعدلات.

٣ - دول ترتفع فيها المعدلات عن ٦٠ وتضم السودان ٦٩، واليمن ١٠٧، وهما دولتان عربينان من دول الاقتصاد الزراعى والرعوى التقليدى الذى من خصائصة ارتفاع معدلات وفيات الأطفال.

الزيادة الطبيعية:

ترتبط دراسة الزيادة الطبيعية بمعدلات المواليد والوفيات، فهى نتيجة للعلاقات بينهما، وترتفع الزيادة الطبيعية بصفة عامة فى دول المنطقة نتيجة لارتفاع معدلات المواليد وانخفاض

الوفيات ويمكن تقسيم دول المنطقة من حيث الزيادة الطبيعية إلى مايلى:

١ - دول تزيد فيها الزيادة الطبيعية على ٣٠٪ سنويا وتضم عمان ٨ر٣، السعودية ٨ر٣، سوريا ٦ر٣، اليمن ٦ر٣، السودان ٤ر٣، قطر ٤ر٣، الاردن ٣ر٣، البحرين ١ر٣، وهذه الدول تنخفض فيها معدلات الوفيات عن ٢٠ فى الالف مع ارتفاع معدلات المواليد.

٢ - دول تقل فيها معدلات الزيادة الطبيعية عن ٣٠٪ وتضم السودان ٢٩، والامارات ٢٢، ومصر ٢٢، وايران ٢٠، وتنقسم إلى دول تنخفض فيها معدلات المواليد والوفيات كمصر وإيران والامارات، ودول ترتفع فيها المواليد والوفيات نسبيا كالسودان.

وبصفة عامة ترتبط الزيادة الطبيعية بالنمو السكانى الذى يرفع من معدلاتة فى المنطقة الهجرة الدولية إلى دول الخليج العربى والسعودية.

كثافة السكان:

تعد كثافة السكان من المقاييس الهامة لعلاقة السكان بالأرض، ولكثافة السكان أكثر من نوع فيها، يقيس العلاقة بين السكان والمساحة بصفة عامة، أو السكان والمساحة المأهولة فقط وغيرها.

وللكثافة أهمية اقتصادية وسياسية كبيرة ويتبين لنا من دراسة الكثافة السكانية مايلى:

١ - دول تزيد كثافتها على ٦٥ نسمه فى الكم ٢، وتضم سوريا والكويت ولبنان وفلسطين حيث تساعد العوامل الجغرافية والاقتصادية على ارتفاع الكثافة.

٢ - دول تتراوح كثافتها بين ٤٠-٦٤ نسمه كم ٢ وتضم العراق والاردون ومصر.

٣ - دول تتراوح كثافتها بين ١٥-٤٠ نسمه وتضم ايران واليمن والامارات.

٤ - دول تقل كثافة السكان بها عن ١٥ نسمه ١كم وتضم عمان والسعودية والسودان وهى دول شاسعة المساحة نسبيا بالمقارنة بحكم السكان بها.

أما الكثافة الصافية وهى خاصة بنسبة عدد السكان إلى المساحة المأهولة فى الدولة فقط فأن الامر هنا له علاقة بثقل سكاني متميز فى الدولة حيث يتضح:

١ - تزيد الكثافة على الف نسمه/كم٢ فى وادى النيل ودلتاه بمصر وفى المناطق حول المدن الرئيسية فى الحوض الأوسط ودجلة والفرات بالعراق والمنامة فى البحرين والمنطقة

الوسطى فى البحرين وحولى بالكويت والخبر والمنطقة حول جده ومكه والرياض فى السعودية وجبال لبنان الغربية ومنطقة دمشق وحول المدن السعودية الكبرى. ووأضح هنا تأثير وجود المدن أو السهول الفيضية ذات التربة الخصبة أو الموارد الطبيعية الوفيرة.

٢ - مناطق تتراوح كثافتها بين ٥٠٠-١٠٠٠ نسمه وتضم دلتا النيل فى مصر العمود الفقرى لتوزيع السكان وفى الاردن واليمن حول صنعاء وحول مدن العظيم والدمان والثقبة فى السعودية والساحل السورى وستره بالبحرين وبعض جهات حوضى دجلة والفرات.

٣ - مناطق تتراوح بين ١٠٠-٥٠٠ وتضم بعض جهات الساحل السورى ووادى النيل إلا فى السودان حول الخرطوم والنيل الازرق وبعض اجزاء الحجاز والهضبة الوسطى والمنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية وشرقى قطر والرفاع بالبحرين.

٤ - مناطق تتراوح كثافة السكان بها بين ٥٠-١٠٠ نسمة/ كم٢ وتضم بعض جهات فى سوريا والاردن والسعودية وشرقى العراق وجنوب هضبة وسهول اليمن.

٥ - مناطق تتراوح كثافتها بين ٢٥-٥٠ نسمة/ كم٢ وتضم بعض جهات غرب السودان وشرقى سوريا- وغرب العراق.

٦ - مناطق أقل من ٢٥ نسمه/ كم٢ وتضم معظم جهات شبه الجزيرة العربية والصحارى المصرية وبقية صحارى المنطقة.

وترجع أهمية الكثافة الصافية إلى أنها تعيش العلاقة الحقيقية بين السكان والأرض، كما أن مناطق الكثافة السكانية المرتفعة تمثل عائقا هاما أمام تقدم الجيوش المعادية فى وقت الحرب لان- المرور عبرها أمر محفوف بالمخاطر، وأن كانت بعض مناطق الكثافات المرتفعة تمثل ضغطا سكانيا حقيقيا على الموارد وتتسبب فى مشكلة الاكتظاظ السكانى كما فى مصر.

وهناك مقياس يوضح موقع الكتل السكانية الرئيسية فى الدول المتجاورة فهناك أربعة نماذج للكثافات السكانية فى الدول المتجاورة وهى إلى المتوسط، التناظر، التباعد، المواجهة، وبالنسبة لايران والعراق فأن العلاقة بينهما علاقة تناظر، اذا أخذنا فى الاعتبار كتلة السكان الرئيسية فى حوض دجلة والفرات، والعلاقة على المواجهة اذا أخذنا فى الاعتبار منطقة الاكراد وهى على التباعد مع دول الخليج اذا أخذنا فى- الاعتبار كتلة الكثافة السكانية فى ايران ودول الخليج، كما أنها على المواجهة عبر الخليج العربى لوقوع معظم الكثافات المرتفعة فى

دول المنطقة وبأستثناء السعودية على ساحل الخليج العربى. قطر - الكويت- البحرين-الامارات وقد يعوق ذلك فى حالة قيام غزو دون نجاح تماما على شرط الا يكون بليل كما حدث فى الكويت.

الاكراد

الأكراد احدى المجموعات العرقية اللغوية فى الشرق الأوسط حيث يتوزع سكانها حول هضبة الاناضول جنوب وشرق بحيرة فان فى سوريا والعراق وتركيا وايران وفى جمهورية أرمينيا، وهناك من يضيف لبنان كموطن للأكراد (٩/أ)، وتقدرمساحة المواطن الاصلية للأكراد ب.....٥ كم٢، بينما يذكر بعض الباحثين رقما لايتجاوز نصف المساحة المذكورة (٩/ب).

واذا كانت قضية التوزيع الجغرافى للأكراد واضحة كما سبق فانه تظل قضيتان لم تحسما فى موصوع دراسة الأكراد،:

القضية الأولى: تتعلق بأصلهم ونشأتهم، أما القضية الثانية: فتختص بتوزيعهم العددى على الدول التى يوجدون فيها.

وسنتناول الآن الاراء المختلفة التى قيلت فى القضية الأولى، ثم دراسة التقديرات السكانية المختلفة الخاصة بالأكراد.

أصل الاكراد ونشأتهم:

يرجع المؤرخ اليونانى زينوفون Xenophone (٤٠٠ ق.م) الأكراد إلى شعب يسميه اليونان الكرد وخيين بينما يرجعهم نولوكة وهارتمان وفيسباخ إلى بعض عناصر سكان فارس. ووجهة نظر هؤلاء فى تقارب اللغتين الفارسية والايرانية والكردية ولكن مينورسكى يرى أنهم اختلطوا عبرالتاريخ بجماعات عربية واصبحوا الأن خليطا من قبائل عديدة متنقلة وليسوا من دم واحد ومن أرض واحدة ويتكلمون لغة ايرانية الأصل متعددة اللهجات وخاصة بعد رحيلهم فى القرن السابع للميلاد من جنوب بحيرة أرميا نحوبوتان.

إلا أن هناك رأى آخر هو رأي مارد الذي يرجع ألاكراد الي نفس أصول الأرمن والجورجين في جنوب القفقاس وأنهم شعب أصل وجوده في جبال آسيا الصغري ومناطق وجودهم الحالية وأن لغتهم هندية أوروبية قريبة من الإيرانية وألارمنية[١٠]ويجمع معظم الأكراد ودراسات كثيرة آخري علي أنهم من أصل هندي أوربي وبصفة خاصة أرميني[١١].

وهناك رأي آخر يرجع الأكراد إلي أصل عربي وهو رأي المسعودي حيث يري أنهم يرجعون إلي مضر وربيعة ابني نزار[١٢].

ومهما يكن من أمر فإن صفاتهم الجسمانية تختلف عن العرب وإنهم وإن كانوا من سلالة البحر المتوسط الفرعية . إلا إنهم يتميزون بضخامة الجسم وعرض الوجة ورؤسهم ضخمة مدورة ، وتظهر بينهم الرؤس العريضة المدورة[١٣]. كما تنتشر صفات الشقرة بين مجموعات منهم[١٤].

وقد أنعكس أختلاطهم بما حولهم من الشعوب وكذلك لأمتداد رقعتهم علي اللغات واللهجات الكردية إذ أن هناك تفاوتا بين العناصر الكرديةلغويا من أختلاطها بعناصر شمالية (هندية ـ أوربية) أو جنوبية (سامية ـ عربية) وأنعكس ذلك أيضا علي سماتهم الجسمانية ، ويصعب التفاهم بين جميع الأكراد لتفاوت اللهجات الي حد كبير وان إشتركت معها في الأسرة .

وهناك من يري أن هناك أربع لهجات رئيسية للغة الكردية وهي الكرمانيجية والجوزانية والكلهرية والسورانية[١٥].

بينمايورد عادل عبد السلام أهم اللغات الكردية وهي الكرمانيجية والكورانية والسورانية والبابانية واللوردية والنيجتارية وغيرها .[١٦] كماتوجد لهجة الزازاريين دياريكر وأرزنجان[١٧].

ولعل الإختلاف بين أدموندز وعادل عبد السلام يرجع إلي أختلاف الأسم المحلي للهجة إلا أنة في النهاية فإنة من الصعب التفاهم بين كل الأكراد بلهجة واحدة.

وتنتمي اللغة الكردية إلي مجموعة اللغات الإيرانية التي تمثل فرعا من أسرة اللغات الهندية الأوربية وهي تضم الكردية والفارسية والأفغانية والطاجيكية[١٨].

ويتحدث الأكراد اللهجات الكردية المذكورة بالإضافة إلي اللغة العربيةفي العراق وسوريا والفارسية في إيران والتركية في تركيا [١٩].

وأكثر اللهجات الكردية استخداما هي اللهجة الكرمانجية التي يستعلمها أكثر من ٥٠٪ من الأكراد وتستعمل في الكتابة والتعليم خاصة في المنطقة الكردية الشمالية من العراق كما يتكلم بها بعض الأكراد في تركيا وسوريا والأتحاد السوفيتي [٢٠].

وتعتبر لهجة موكريان إحدي لهجات القسم السليماني في المنطقة الجنوبية من كردستان وهي أساس اللهجات المحلية لتلك المناطق .

يتكلم بها الأكراد في عدة مناطق وهي اللهجة الأكثر تطورا وفي منطقة السليمانية وهي غنية باشتقاقات ومصطلحات جديدة خاصة خلأل الخمسين عام المنصرمة وبها تكتب الكتب والقصص والمجلات [٢١].

كما صدرت بها صحف ومجلات أسبوعية وشهرية بأعداد كبيرة ، وكذلك طبعت بها دواوين شعرية قديمة وحديثة وكتب تاريخية ودينية وسياسية.

حجم الاكراد وتوزيعهم الجغرافي :

تواجه الباحث في دراسة السكان الأكراد صعوبات كثيرة تتعلق بالحجم والتطور والتوزيع الجغرافي ، والخصائص الديموجرافية وغيرها وترجع هذة الصعوبات إلي عدة عوامل هي :-

١ - انكار بعض الدول التي يوجد فيها الأكراد لحقوق تلك القومية فهم في تركيا (أتراك جبليون وتنكر عليهم تماما دعاواهم كقومية[٢٢] وبالتالي لا توجد أرقام بأسم الأكراد علما بأن أكبر جزء من كردستان يقع ضمن حدود تركيا السياسية الحالية وتمثل مواطن الأكراد ٢٠٪ من مساحتها وأقل من ذلك في الأتحاد السوفيتي سابقا وايران والعراق[٢٣]

٢ - لايعلم إلا القليل عن عدد ضحاياهم في المناسبات العديدة كما لا يعلم شيء عن عمليات التهجير التي كانت تتم في أعقاب الثورات أوحالات التمرد المختلفة .

٣ - تنكرإيران علي الأكراد اعتبارهم قومية ولا تشير اليهم بهذا المعني في إحصاءاتهم المحلية.

٤ - امتناع عشائر الأكراد عن تسجيل أنفسهم أثناء التعدادات أو الإحصاءات الرسمية خوفا من التجنيد والضرائب [٢٤].

أما في العراق فالأمر مختلف حيث تم الأعتراف بهم كقومية من القوميات المكونة للدولة.

٥ ـ انتشار الأمية بينهم وكذلك وعورة السطح يجعل من الصعب الوصول إلي أرقام دقيقة
٦ ـ اشتغال نسبة كبيرة منهم بالرعي الفصلي وتغير أماكن الإقامة وكذلك صعوبة المواصلات جعل من الصعب الوصول اليهم جميعا في كل الأوقات مما يصعب مهمة عدهم بدقة.

وبناء علي الصعوبات السابقة تتفاوت التقديرات تفاوتا كبيرا بين التقديرات الحكومية من ناحية والكردية من ناحية أخري ، فيما يتعلق بأعداد الأكراد في كل دولة وبالتالي يؤثر ذلك في تقدير إجمالي عددالأكراد بصفة عامة.

تقدير اجمالي عدد الاكراد :

يقدر الأكراد أنفسهم عام ١٩٧٣ ب٠٠٠ , ٥٠٠ , ١٢نسمة .بينما تنخفض أعدادهم عند بعض التقديرات بحوالي ٦ملايين نسمة ،ويري عادل عبد السلام [٢٥]أن قيام تركيا وإيران باعتبار الأكراد أتراكا وإيرانيين هو السبب في ذلك التفاوت الهائل في التقدير ، ذلك أن حوالي ٤٧٪من أكراد العالم يعيشون في تركيا ويضع عادل عبد السلام تقديرا لعدد السكان الأكراد عام ١٩٧٣ يتراوح بين ٥ , ٨ ـ ٩ ملايين نسمة يوزعهم كالتالي: ـ

٤٧٪من تركيا ، ١٩٪من العراق ، ٣١٪ في ايران ، ٩ , ١٪في الأتحاد السوفيتي سابقا[٢٦].

وهناك تقدير اخر في أوائل الثمانينيات (١٩٨٠) حيث يقدرالأكراد عددهم بما يتراوح بين ١٦ ـ ١٨ مليون نسمة [٢٧].

وتري بعض التقديرات أن النسب المئوية للشعب الكردي في الدول المنتشرة فيها كالتالي ٢ , ٤٦٪ في تركيا ،٧٤ , ٣٠٪ في إيران ، ٢٤ , ١٨٪ في العراق و في روسيا وسوريا ٧٢ , ٤٪ [٢٨] .

أي أن أكراد تركيا يشكلون عددا يساوي عددالأكراد في ايران والعراق[٢٩] .

وإذا أخذنا في الأعتبار هذه النسب المئويةللأكراد ونسبتها إلي سكان الدول التي يوجد فيها الأكراد لأصبح عددالأكرادفي إيران ٢٥٠ , ٤٠١ , ٤ ألف نسمة [٣٠]

وفي العراق نحو ٣مليون وتركيا نحو ٧ , ٦ مليون نسمة ونحو نصف مليون في الأتحاد السوفيتي سابقا وسوريا معا .

ورغم هذة التقديرات المبدئية إلا أن هناك تفاوتا كبيرا بين الكتاب في الدراسات المختلفتوسنتناول الأن ظروف كل دولة علي حدة .

العراق : يتركز الأكراد في منطقة يصعب الوصول اليها بسهولة وتشكل ثلثي البلاد الشمالي الجبلي، يفصلها عن أكراد سوريا وإيران . وتشغل منطقة حدودية يمكن إختراقها(٣١)

ويقدر عدد الأكراد العراقيين (منتصف الثمانينيات) بين ٥ر٢ ـ ٣ مليون نسمة أى نحو ٢٠٪ من إجمالى سكان العراق وهى نسبة أكبرمن تلك الموجودة فى كل من إيران وتركيا(٣٢) وهذا يفسر حفظ القومية الكردية فى العراق مما يجعلها القضية الكبرى فى الإندماج الكامل لوحدة العراق (٣٣)

وهذه النسبة التى أجمعت عليها بعض الدراسات ترفع العدد إذ يزيد قليلا عن ذلك ليصل إلى نحو ٤ مليون نسمة حالياً وكانت النسبة ٢٠٪ من سكان العراق ١٩٩١ الذين يقدرون ب١٩ مليون نسمة حسب تقديرات الأمم المتحدة (٣٤)

الاكراد فى سوريا:

قدر عادل عبد السلام عدد الأكرادفى عام ١٩٧٣ بـ١١٠ ألف نسمة فى حين أن المصادرالكردية تقدرهم فى ذلك التاريخ بنحو نصف مليون نسمة ويعترف عادل عبد السلام بصعوبة التحليل الديموجرافى والجغرافى من الإحصاءات المتاحة عن الأكراد(٣٥)

وأهم مناطق تركية هم كرد داغ فى نواحي يلبل وراجو وسويرس وقرى وبعض قرى منطقة أعزاز وجميعا تقع فى أقصى الشمال الغربى ويمكن ضمها تحت منطقة كرد داغ وجبل سمعان ويعيش فى هذه المنطقة أكثر من ٥٥٪ من الأكراد السوريين وتقع منطقة تجمعهم الثانية فى مجرى الفرات بين جرابيلس وموقع حجام صغير ومن حجام صغير يمكن رسم حد تقريبى لإنتشارهم يسير من الغرب نحو الشرق حتى قرب بندرخان قرب ألتقاء حدود منطقة عين العرب مع حدود منطقة تل أبيض مع الحدود التركية السورية وتقع اداريا ضمن القسم الشمالى من منطقة عين العرب، كما توجد فى دمشق أقلية صغيرة آخذه فى الإندماج فى المجتمع(٣٦).

ويمكن تقدير عددهم حاليا مع النمو السكانى بنحو ٢٥ر٠ مليون فى عام ١٩٨٥

وبصفة عامة قدر عدد الأكراد فى الوطن العربى بما يتراوح بين ٥ر٣ مليون نسمة (٣٧) وأكثر من ٤ ملايين نسمة (٣٨) فى النصف الأول من الثمانينيات.

زاخو

اغلبيه

عرب سنه.

آكراد سنه.

عرب شيعه.

سنه عرب وآكراد.

عرب سنه وشيعه.

اقليه

يزديون.

تركمان.

ايرانيون.

كنائس.

منديون.

يهود.

٠ ٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠ كم

المجموعات الاثنيه والطوائف الدينيه في العراق

أي أن عددهم حاليا يقدر بنحو ٤ر٥ مليون نسمة من الأكراد في البلاد العربية فمعدلات المواليد بينهم مرتفعة وكذلك حالات الوفيات مع مراعاة أن كثيرين منهم بدأو يندمجون في المجتمع العربى السنى المحيط بهم.

الاكراد فى إيران:

سبقت الإشارة إلى أن تقديرات كثيرة تشير إلى أن نسبة الأكراد فى إيران نحو ١٨٪ إلا أن كثيرا من الباحثين يرون أنهم أقل من ذلك وإن لم يوضحوا رقما أو نسبة معينة.

وإذا نظرنا إلى توزيع الأكراد أنفسهم داخل شمال العراق فإنهم يتوزعون على النحو التالى

محافظة السليمانية	١٠٠٪ من سكانها أكراد
محافظة أربيل	٩١٪من سكانها أكراد
محافظة الموصل	٣٥٪ " "
محافظة كركوك	٥٢٪ " "

ويحاول هؤلاء الأكراد فى شمال العراق قيام كيان سياسى مستقل لهم وإن كان لهذا الإتجاه تياران:

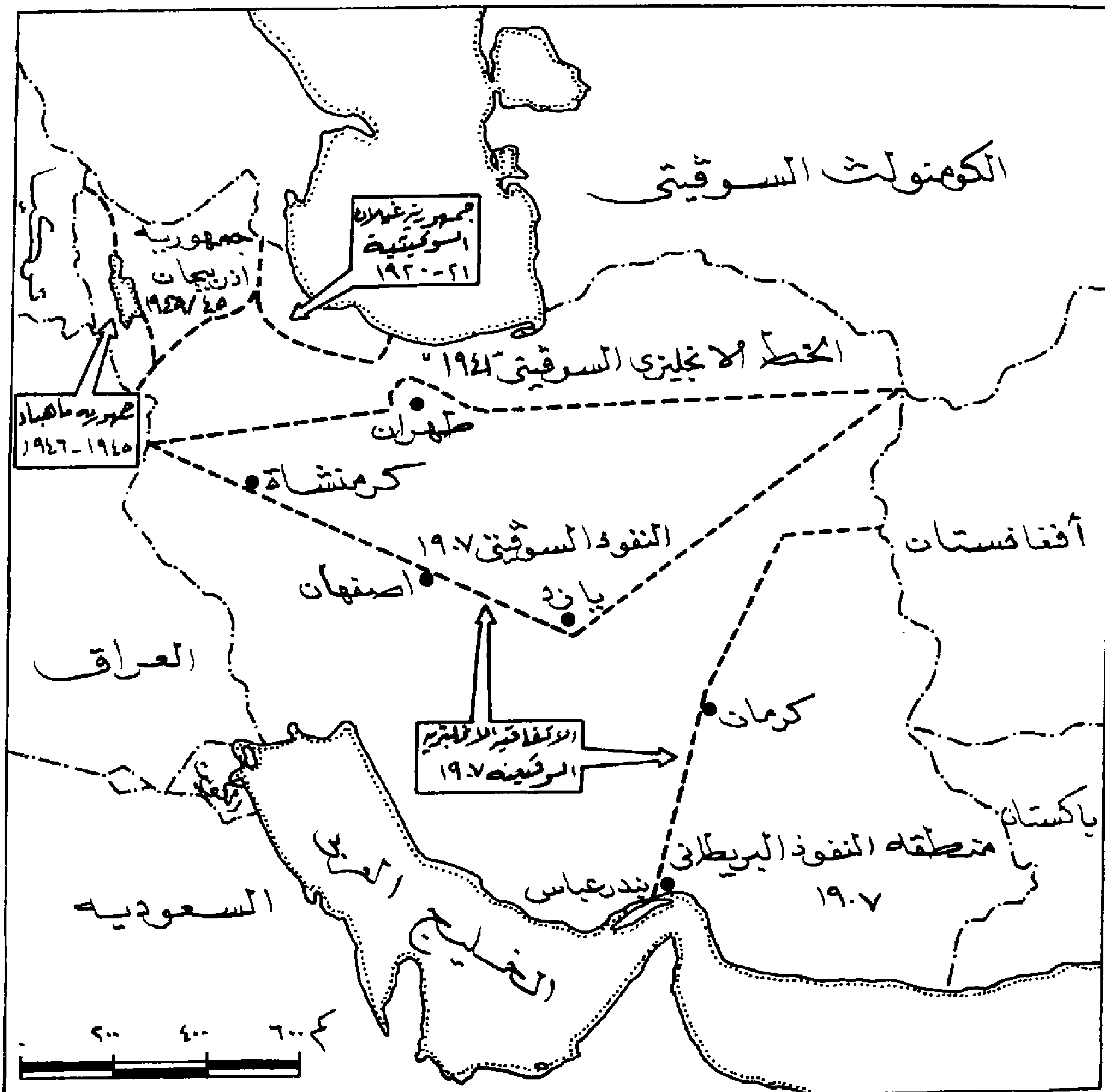
١ - تيار يسعى لإقامة دولة كردستان المستقلة نهائيا عن العراق.

٢ ـ وإتجاه معتدل ويسعى إلى الحكم الذاتي داخل العراق والسماح بإستخدام لغتهم فى التعليم والإدارة وقد قطعت الحكومة العراقية شوطا فى الإتفاق على هذه الأمور قبل حرب الخليج السابقة.

أما فى إيران فلا توجد بيانات حول الأكراد غير أنه فى دراسة حديثة نسبيا ١٩٨٢ قدرت نسبة الأكراد بـ ٣٪ فقط والسكان بـ١٩٪ تركمان و بلوش من إجمالى تعداد السكان آنذاك١ر٣٨ مليون نسمة(٣٩).

وهذا هو أقل تقدير للأكراد فى إيران فى كل الدراسات ولعل هذا التقدير أدي الي أعتبار بعض الأكراد ضمن التركمان والبلوش، وهو الأمر الذى أدى إلى إنخفاض نسبة الأكراد.

وإذا أخذنا فى الإعتبار سكان شمال غربى إيران من خلال ٥ محافظات غربى أوزبيجان



أتفاقيات مناطق النفوذ في ايران "١٩٠٧ / ١٩٤٦"

وكردستان٧٪ من السكان مع جزء من السكان شرق أزربيجان يمكن القول بأن الأكراد يشكلون١٠٪ من إجمالى سكان إيران وهى نفس نسبتهم فى تركيا حسب تعداد ١٩٩٠ فإن عددالأكراد يبلغ ٥ر٥مليون نسمة حيث عدد سكانه١٠٠٠ر٥٠٦ر٥٤ نسمة(٤٠).

ويتركز الأكراد فى المناطق الغربية والشمالية الغربية وقد تكونت جمهورية مهباد لمدة عام تقريباً (٤٥ ـ ١٩٤٦).داخل إيران على الحدود التركية العراقية بمساعدة السوفييت وقد سقطت الجمهورية بمجرد إنسحاب الروس (٤١).

أما تركيا فهى تضم أكبر عدد من الأكراد ويقدرون بـ ١٠٪من السكان(٤٢) ويتركز الأكراد فى الجنوب الشرقى من البلاد وكانت تركيا مكانا مقترحا للدولة الكرديتحسب معاهدة سيفر١٩٢٠، وإذا كان عدد سكان تركيا ١٩٩٠ نحو ٥٦مليون نسمة(٤٣) فإن عدد الأكراد يصبح نحو ٦ر٥مليون كردى .

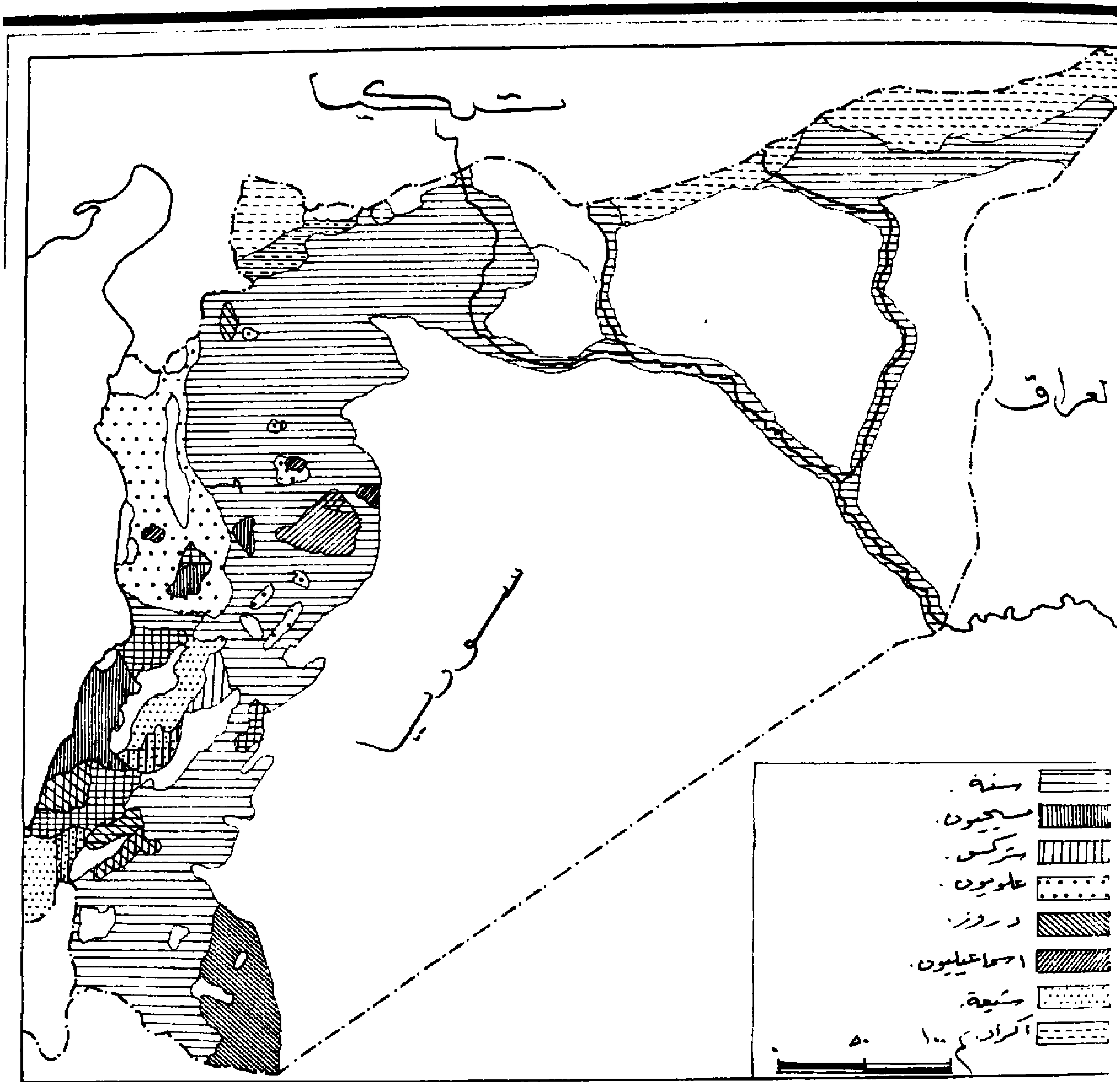
وعلى ذلك يمكن القول بأن عددالأكراد يقدر فى عام ١٩٩٠ بنحو ١٥ مليون نسمة إذا أخذ فى الإعتبار أكراد سوريا والإتحاد السوفييتى وهم يشكلون قومية مميزة وواضحة.

وفى البلاد العربية إندمج بعض الأكراد فى المجتمعات التى وجدوا فيها كما فى لبنان(٤٤) وفي العراق يشكل الأكراد دائما مصدر قلق وعدم إرتياح للسلطات المركزية من خلال الثورات وحركات التمرد التى دأبوا عليها فى تاريخهم، وقد كان من أهداف معاهدة ١٩٧٥ التى أبرمت فى الجزائر بين إيران والعراق القضاء على مساندة إيران للأكراد ، ولم تقتصر ثورات الأكراد وتمردهم على العراق وحدها بل قامت أحداث مشابهة فى تركيا عام ١٩٧١ ـ ١٩٧٢ .

الشيعة فى إيران والوطن العربى -

إبتدأت الشيعة كحركة سياسية لتأييد الأمام على كرم الله وجهه وفى مواجهة معاوية بن أبى سفيان ، ثم لأسباب وظروف عديدة تحولت إلى مذهب فى مقابل المذهب الآخر وهو أهل السنة والجماعة وتمثلهم أربعة مذاهب فقهية (المالكى، الحنفى، الشافعى، الحنابلة).

ومع أن الشيعة تفرعت إلى فروع عديدة فإنه لم يبق من مذاهبها سوى الإمامية والزيدية والعلويين والإسماعيلية، وتشكل الإمامية الإثنا عشرية أغلبية سكان العراق وإيران وأكبر طائفة فى لبنان حسب بعض الدراسات.



توزيع الطوائف في سوريا ولبنان

اما الزيدية فيشكلون اكثر من ٥٠ ٪ من سكان اليمن . اما العلويون فيتمركزون في سوريا ؛ و الاسماعيلية في لبنان و يشكل الامامية الاثنا عشرة نسبة من سكان دول الخليج العربية كالكويت و البحرين و قطر و المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية و الامارات .ونظرا لطبيعة نشر المادة الاحصائية و التي تضم الشيعة ككل و التي تنتمي للشيعة وليس علي مستوى الطائفة أو المذهب فإننا سنتناول الشيعة في كل دولة من الدول على حدة مع الاشارة الى الطائفة الشيعية السائدة بينهم .

الشيعة في سوريا :

ينتمي الشيعة في سوريا الى طائفتى العلويين والنصيرية[٤٥] ،و الاسماعيلية و العلويون هم اكبر اقلية اسلامية في سوريا و يتراوح تقديرهم بين ٥ر١٢٪ من إجمالي السكان [٤٦] و١٥٪ من السكان و قد قدر عددهم في سوريا عام ١٩٧٠ ب ٦٨٠ الف نسمة [٤٧] و قدرهم سعد الدين ابراهيم في منتصف الثمانينيات ب ٥ر١ مليون نسمة [٤٨] أى ما يزيد قليلا على ١٥٪ من إجمالي السكان و إن كانت التعدادات الحديثة كما سبق أن ذكرنا لا تذكر بيانات حول الطائفية الدينية ومحاولة البعض لاسباب اجتماعية الى عدم ذكرطائفتة ، فإن التقديرات تخضع لتفاوتات و تباينات كثيرة .

ويتركز العلويون السوريون في محافظة اللاذقية و في محافظة طوروس[٤٩] ويقطن في اللاذقية نحو ٧٥٪ منهم كما يوجد اعداد منهم في السهول في محافظتي حمص وحماه حيث يشكلون اغلبية بالاقليم الريفي ١ر٦٢٪ الا انهم يشكلون ١١٪ من سكان مدينة اللاذقية[٥٠] وتقدر بعض الدراسات نسبتهم في اللاذقية و طوروس نحو ثلثي السكان[٥١] .

و كانوا فيما مضى يقطنون الجبال المنعزلة حيث قراهم صغيرة الحجم فى جبل العلويين أو جبل النصيرية ،وكانوا يعملون فى القطاع الزراعى ،و لقد كانت قراهم فى الجبل تتميز بالفقر المدقع و عدم التطوير الا ان بعضهم هاجروا من تلك المناطق الى المدن و المناطق المختلفة ، كما هبطوا من الجبال و سكنوا السهل الساحلى الذى يشهد اكبر تركز لهم حاليا ٧٥٪ وقد سكن بعضهم فى دمشق [٥٢]

و لقد كانت سياسة فرنسا خلال فترة الإنتداب و الإحتلال لسوريا العمل على تدعيم هوية

الأقليات و تقطعهم عن الأغلبية مما أدى إلي عدم الثقة بينهما (٥٣)

و لقد كان للعلويين دور فى التطور السياسى الحديث فى سوريا خلال العقود الثلاثة الماضية (٥٤) إذ يعتبرون أقلية حاكمةإستراتيجية بتعبيرإيليا حريق منذعام ١٩٦٢ و المظاهر على ذلك متعددة ،وإذا أخذنا فى الإعتبار تقدير عدد السكان فى سوريا عام ١٩٩٠ هو ١٢٥٣٠ الف نسمة (٥٥).

فإن أعداد العلويين حاليا تتراوح بين ٥ر١ مليون نسمة،و٢ مليون نسمة وهو أكبر عدد لهم فى الدول الثلاث التى يوجدون بها ،و يقدر عددهم فى تركيا بنحو ٢٢٠ ألف نسمة و فى لبنان ١٠ ألف نسمة.

ا لإ سماعيليو ن :

أما الأقلية الإسلامية الشيعية الأخرى فمنهم الإسماعيليون وهم نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق الذى أختاروه إماما خلافا للشيعة الإثنى عشرية الذين إتخذوا الإمام موسى وقد إنفصلوا عنهم من الإمام السابع وهم يقطنون جبال سوريا فى مكان يقع إلى الغرب من منتصف الطريق بين مدينتى حمص وحماه ويعملون فى الزراعة (٥٦) ويعيش ثلثهم فى مدنية السلمية والباقى يعيش فى قرى منطقة السلمية وفى منطقة مصياف وكذلك منطقة القد موسى والخوابى فى جبال العلويين، وفى عهد السلطان العثمانى عبد المجيد ١٨٤٠ ـ ١٨٥٠.هاجر الإسماعليون من جبال مناطق القد موسى والخوابى إلى السلمية ومن أهم أسباب الهجرة ،النزاع بينهم وبين سكان جبال العلويين على الأراضى والموارد وغيرها (٥٧)ويقدر عددهم فى منتصف الثمانينيات بنحو ٢٠٠ ألف نسمة

الشيعة فى لبنان:

تعتبر لبنان أكبر قطعة فسيفساء طائفى فى الشرق الأوسط وقد يندر أن يوجد هذا التعدد الطائفى الدينى فى هذه المساحة من الأراضى وهي نحو ١٢ ألف كم إذ توجد بها جميع الطوائف المسيحيين والمسلمين ويكفى أن تعداد ١٩٣٢ فى لبنان قد إعترف ب١٧ طائفة قسم على أساسها مقاعد برلمانية وغيرها.

وترجع معظم أساس المشكلة اللبنانية إلى أسباب طائفية بل أن وقع الحياة اللبنانية يتسم فى أوقات الأزمات بالطائفية ونظرا للدور الهام الذى لعبته نتائج ١٩٣٢ وماترتب عليه من نتائج من توزيع المناصب والمقاعد النيابية ونسب المناصب التى أصبحت ٦ ـ٥ لصالح المسيحيين ونظرا لما شابه من عيوب وأخطاء ولعدم الرغبة فى إجراء أى تغيير فى المكاسب الخاصة بين الطوائف القائمة تم التغاضى عن إجراء أيّ تعداد آخر يصحح الأوضاع، فالطوائف التى جنت المكاسب والثمار وفق نتائج تعداد ١٩٣٢ أصبحت هى الطوائف المسيطرة والتى لا ترغب فى تغيير الأوضاعواستمر هذا الوضع ومع التغيير الديموجرافى خاصة من حيث الحجم تفاقمت الأمور حتى إنفجر الوضع عام ١٩٧٥ لأسباب عديدة كانت وراء معظمها الطائفية.

مما سبق يتضح أن هناك نقصا فى المصادر الإحصائية خاصة التعدادات التى تمكن من دراسة الطوائف الدينية فى لبنان الأمر الذى ينسحب على دراسة الشيعة ولذلك فإن أهم المصادر التى يتم اللجوء إليها فى مثل هذه الحالات هى التقديرات ..

ويوضح الجدول التالى تطور أحجام الطوائف اللبنانية ونسبها المئوية..

الطائفة	١٩٣٢		١٩٥٦		١٩٨٣		السكان	السكان	٪
	السكان	/	السكان	٪	السكان	٪	١٩٨٣	١٩٨٣	
المسيحيون	٤١٠ر٢٣٦	٥١ر٧	٧٨٧	٥٥ر٦		٩٦٥	٣٩ر٨	٩٩٠	٣٦ر٦
الموارنة	٢٢٦ر٣٧٨	٢٨ر٦	٤٢٤	٣٠ر٠	٧٧٧	٥٨٠	٢٤ر١	٥٨٠	٢١ر٠
الروم الأرثوذكس	٧٦ر٥٢٢	٩ر٦	١٤٩	١٠ر٥	٢٠٤	١٧٥	٧ر٣	١٨٥	٦ر٨
الروم الكاثوليك	٤٥ر٩٩٩	٥ر٨	٩١	٦ر٥	١٢٤	١٠٠	٣ر٨	١١٥	٤ر٢
الارمن	٣١ر١٥٦	٣ر٩	٧٩	٥ر٦	٨٠	٧٠	٣ر٠	٧٠	٢ر٦
آخرون	٣٠و١٩١	٣ر٨	٤٤	٣ر	٧٨	٤٠	١ر٦	٤٠	١ر٥
المسلمون	٣٨٣ر١٨٠	٤٨ر٣	٦٢٤	٤٤ر٤	١ر٤٣٥		٦٠ر٢	١٧١٠	٦٣ر٤
السنة	١٧٥ر٩٢٢	٢٢ر٢	٢٨٦	٢٠ر٠	٧٧٠	٦٠٠	٢٥	٨٧٥	٣٢ر٥
الشيعة	١٥٤ر٢٠٨	١٩ر٤	٢٥٠	١٨ر٠	٦٩٥	٦٥٥	٢٧ر٥	٦٥٥	٢٤ر٢
الدروز	٥٣ر٠٤٧	٦ر٧	٨٨	٦ر٤	١٨٧	١٨٠	٧ر٧	١٨٠	٦ر٧
جملة	٧٩٣,٤٢٦	١٠٠	١,٤١١	١٠٠	٢٩١	٢,٤٠٠	١٠٠	٢,٧٠٠	١٠٠

مصادر الجدول:

رقم ١٩٣٢ التعداد السكاني اللبناني الرسمي

رقم ١٩٥٦ Hudson

رقم ١٩٨٣ Arnon soffer Lebanon

Where demography is the core of politics

Middle Eastern studies ,Vol. 22. No.2

April 1986. P. 199 .200

يتضح من دراسة الجدول حقيقتان هامتان :

الأولى : التناقص التدريجى لنسب الطوائف المسيحية إلى جملة السكان فى مقابل زيادة تدريجية للطوائف الإسلامية، فبعد أن كانت نسبة الطوائف المسيحية ٥٥٫٦٪ عام ١٩٥٦ إنخفضت إلى ٣٩٫٨٪ فقط عام ١٩٨٣ أما المسلمون قد إرتفعت نسبتهم من ٤٤٫٤٪ عام ١٩٥٦ إلى ٦٠٫٢٪ عام ١٩٨٣ ويرجع ذلك إلى الزيادة الطبيعية نتيجة للخصوبة المرتفعة لدى المسلمين، وكذلك هجرة المسيحيين خاصة الموارنة إلى الخارج وذلك بعد الحرب االأهلية ١٩٧٥

الثانى : الزيادة الهائلة فى أعداد الشيعة فى الفترة المذكورة حيث قدرت أعدادهم عام ١٩٨٣ نحو ٦٥٠ ألف نسمة بنسبة ٢٧و٥٪ من إجمالى سكان لبنان وأصبحوا بذلك الطائفة الأولى فى لبنان تليها السنة ثم الموارنة والملاحظ أن الخصوبة لدى الشيعة أعلى من أى طائفة أخرى وتبلغ الزيادة الطبيعية بينهم نحو ٣٪ سنويا [٥٨]

ومع الوضع الجديد للشيعة الذين يعيشون فى مستويات إقتصادية وإجتماعية منخفضة. كانت نسبة الأمية بينهم ٧٩٪ عام ١٩٥٨ مقابل ٥٩٪ للسنة ،٥١٠٪ للدروز ،٤٢٠٪ للموارنة [٥٩] وفى سنة ١٩٨٠ كانت ٧٠٪ بين الزوجات الشيعيات أميات مما يرفع نسبة الخصوبة بينهم ومع أعدادهم نسبهم المتزايدة إلى جملة السكان.

كما أن الشيعة يطالبون بنصيب أكبر فى ثروة البلاد والمناصب الادارية والسياسية.

وبعد الثورة الايرانية عام ١٩٧٩ ، أصبحوا يلقون دعما هاما من السلطات الايرانية، كما أن للسلطات العليا فى سوريا صلات بالشيعة فى لبنان لكون السوريين من العلويين.

والشيعة فى لبنان بصفة عامة من الاثناعرية فيما عدا بعض القرى فى سهل عكا فى شمال لبنان، ويعيش الشيعة فى جنوب لبنان أكثر جهات لبنان تخلفا ووادي البقاع. ومنذ الستينات أخذوا يتركزون فى بعض الأحياء الهامة فى بيروت [٦٠].

ويعيش ٥٥٪ من الشيعة فى مدن أكثر من ١٠٠٠٠ نسمه ولعل النسب المئوية للطوائف البنانية لم تتغير كثيرا وكذلك ترتيب هذه الطوائف..

الشيعة فى شبه الجزيرة العربية

فى اليمن الشمالى قبل الوحدة يتكون السكان من الشيعة الزيدية والسنة (الشافعية)، ويشكل الشيعة الزيديون ٦٥٪ من مجموع السكان ويسكنون شمال وشرقى الهضبةاليمنية،

ويشكل السنة ٣٥٪ من أجمالى السكان ويسكنون جنوب الهضبة اليمنية، وأهم مدنهم مدينة تعز، حيث الأمطار الموسمية الوفيرة الامر الذى يجعل مناطقهم ذات كثافة سكانية مرتفعة، ويعمل سكانها بالزراعة كما يسكنون السهول الساحلية.

ويميل الزيديون إلى الهجرة الخارجية وذلك لأن معظم التجارة كانت تاريخيا تتوجه عبر المدينتين السنيتين الكبيرتين تعز وعدن، وذلك فإن تجمع السنة الحضرى تجمع تجارى، ومناطق الشيعة أكثر تضرسا وجفافا من المناطق التى يسكنها السنة ولذلك فهى أنسب للرعى عن الزراعة ولذلك فالشيعة أقل استقرارا من السنة، كما أن تنظيمهم القبلى أكثر وضوحا وتحديدا من السنة.

والقبائل البعيدة القوية تميل إلى عدم الخضوع لسيطرة الحكومة المركزية، ولقد كانت السلطة كاملة تقريبا فى يد الشيعة قبل عام ١٩٦٢، وأن كانت هذه الظاهرة قد قلت عن ذى قبل، ورغم ذلك لازالت معظم السلطات فى يد الشيعة.

وقبل عام١٩٦٢ توالى الائمة الزيديون على حكم اليمن وكان كبار رجال الحكم والدولة من الشيعة (٣-٢٪ من سكان البلاد). [٦١] ولقد ساندت قبائل الشيعة الشمالية الأمام بعد ثورة ١٩٦٢، وظلت حرب اليمن الأهلية مستمرة بين عامى١٩٦٢-١٩٧٠ تقريبا، وفى حين ساند السنة الجمهورية، فهناك قبائل زيدية حاربت مع الجمهوريين ضد الأمام، وفى عام ١٩٧٠ تمت تسوية وطنية معينة، وشارك فى الحكم الجديد الشيعة، وقد ساعدت الصيغة الجديدة للحكم والتوزيع المتعادل نسبيا للقوة والسلطة بين كلا الطائفتين على تفادى الصراع بينهما .

أما فى المملكة العربية السعودية معقل السلفية والدعوة لأهل السنة والجماعة، فالأمر لايخلو من وجود جماعات شيعية اثناعشرية فى مناطق ضمت إلى المملكة خلال تكوين الملك عبدالعزيز آل سعود للملكة العربية السعودية خاصة المنطقة الشرقية فى واحتى القطيف والاحساء أساسا، فالسعوديون فى معظمهم سنة على المذهب الحنبلى الذى أعطى الدولة هويتها وشخصيتها الوطنية الفريدة المميزة، ومع ذلك يقدر عدد الشيعة فى المملكة بنحو ٣٠٠,٠٠٠ نسمه، ويشكل الشيعة نحو ٣٣٪ من سكان المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية، ويشكل الشيعة ما يتراوح بين ٣٥-٥٠٪ من أجمالى العاملين فى أستخراج البترول فى المنطقة الشرقية حيث تقع حقول البترول، ومناطق أنتاجه وشحنه بالقرب من مناطق

سكنهم فى قراهم ومدنهم وقد أهتمت حكومه المملكة العربية السعودية بتأثير الثورة الايرانية عام ١٩٧٩ على الشيعة السعوديين عبر الخليج العربى، وأخذت استعدادها تحسبا لجميع الامور وذلك فى عام ١٩٧٩-١٩٨٠. وقد أعلن وزير الداخلية السعودية آنذاك أن الولاء يجب أن يكون للوطن لا للطائفة. وقد فند الوزير دعاوى ايران الاسلامية الخاصة،بسوء معاملة الشيعة الا أن الخدمات فى المنطقة الشرقية هى نفسها فى الرياض وبقية اجزاء المملكة وهذا بعد هام فى الجغرافيا السياسية، وهو أن الجميع يلقون الاهتمام من المملكة بصرف النظر عن الطائفية، وذلك رغم عدم اعتراف بعض اتباع المذهب الحنبلى بمعتقدات الشيعة.

أما فى بقية اجزاء شبه الجزيرة العربية:

فتتفاوت احجام الشيعة والسنة، كما توجد تداخلات بينها، وجاء التوزيع والأحجام الحالية كأحد النتائج النهائية للهجرة الايرانية للمنطقة، منذ عشرينيات القرن الحالى بالاضافة إلى تطورات تاريخية تعود إلى القرون الاسلامية الأولى.

وفى الكويت ودبى كمجتمعات تجارية توجد اعداد كبيرة نسبيا من الشيعة وقد يرجع التعايش النسبى بين المجتمعين الطائفيين لاسباب مذهبية واقتصادية وتاريخية واجتماعية، فسيادة مذاهب غير المذهب الحنبلى بالاضافة إلى تشجيع الحكام للهجرة منذ عشرينات هذا القرن لاسباب تتعلق بالازدهار التجارى ساعد على اتباع سياسة تسامح ساعدت على هجرة واستقرار الايرانيين الشيعة، كما كان للوظيفة التجارية للموانى وامكانية الوصول وتشجيع المهاجرين الشيعة واستقدامهم لذويهم له دور فى زيادة وفود الشيعة للمنطقة. وقد قلت الحساسية الطائفية مع الازدهار التجارى بعد مرحلة البترول ودخول طوائف أخرى جذبت ميدان الهجرة إلى المنطقة وصارت مجتمعات الخليج مجتمعات عالمية.

ولكن الأمر يختلف فى البحرين، اذ أن الأمر أكثر تعقيدا من غيرها من دول شبه الجزيرة العربية، ويرجع ذلك إلى دعاوى ايران المبكرة فى دولة البحرين. وقد أصبح البحارنة أسماً يطلق على شيعة البحرين بل وشيعة ساحل الخليج العربي(٦٢).

أما الشيعة فى العراق فالامر مختلف، فالعراق مقسمة بين الشيعة والسنة بالتساوى تقريبا، وتترارح تقديرات الشيعة بين ٥٥(٦٣)، ٥٢٪(٦٤) من السكان وكلهم عرب. ويتوزعون فى جنوب العراق اما السنة فهم أكثر قليلا من ٢٥٪ من العرب، وأقل من ٢٠٪ من الاكراد

ويشكل الشيعة نحو ٧٥٪ من اجمالي السكان العرب، وذلك لاسباب تاريخية وسياسية، ورغم أن العرب السنة أقلية طائفية الا أنهم أقلية استراتيجية حاكمة منذ العصر العثمانى الذى ضم العراق وما بجوارة إلى الدولة الصفوية الشيعية، ويرجع عدم التوازن الطائفى جزئيا إلى التوزيع الجغرافى لكلا الطائفتين فبينما يسكن الشيعة المناطق الريفية غير المطورة اقتصاديا فى جنوب العراق، فان السنة يقطنون المدن كبيرة الحجم خاصة العاصمة بغداد مما اتاح لهم فرصة أكبر لتلقى تعليم عصرى متقدم، ونتيجة لذلك تمكن السنة من العرب من الوصول إلى الوظائف العصرية التى حددت النخبة الوطنية، وتحاول الحكومة العراقية منذ أكثر من ربع قرن أن تزيل الفوارق الطائفية وتعطى الاحساس بالوطنية وذلك من خلال تنمية الريف وتقليل الفوارق الريفية، ورغم ذلك لازال بعض الشيعة يشعرون بعدم الرضا الامرالذى انعكس على موقف الحكومة العراقية من الثورة الايرانيةعام ١٩٧٩.

وفى دراسة أجريت على المستويات المعيشية للشيعة فى حى الثورة فى بغداد الكبرى، اتضح أن المرتب اليومى للعامل غير الماهر كان ٤٥-٥٥٠ فلس عام ١٩٧٣، ارتفع إلى ١١٠٠فلس عام ١٩٧٧ أى نحو ٢٠٠-٢٤٤٪ ثم ارتفع إلى ١٣٠٠ فلس عام ١٩٨٠ أى نحو ٢٣٦-٢٨٩٪. اما دخل العامل الماهر فيبلغ عام ١٩٨٠ نحو ٢-٣ دينار يوميا، وتبعا للاحصاءات الحكومية فان الاسعار قد ارتفعت بين ١٩٧٣-١٩٧٨ بنسبة ٥٣٫٤٪ للمواد الغذائية ٥٤٫٧٪ زيادات المساكن ٥٥٫٩٪ للملابس، ١٠٨٫١ للاحذية.

وفى الوقت الذى حدث فيه قلة فى المعروض من السكن فى بغداد فالايجار الشهرى للمسكن المتواضع كان ١٠-١٥ دينار عام ١٩٧١، ارتفع إلى ٥٠-٦٠ دينار شهريا عام ١٩٨١[٦٥].

ويوضح الجدول التالى التوزيع الجغرافى العددى للشيعة فى جنوب العراق حسب نتائج تعداد ١٩٤٧، ويلاحظ أن هذا هو التعداد العراقى الأول وهو الوحيد الذى ضم التقسيم الطائفى لسكان العراق[٦٦].

اسماء المحافظات القديمة والحديثة	جملة السكان بالالف.

يختلط فيها الشيعة والسنة العرب	٥٢٢	٢٦٦
بغداد	٥٢٢	٢٢٦
البصرة	١٣٦	٢٢٠
محافظات ذات أغلبية عربية شيعية		
كربلاء	٩٥	٣٣
الديوانية "القادسية"	٨٠	٢٩٧
الحلة (بابل)	٧٢	١٨٩
العمار مبان	٦١	٢٤٦
المنتفق ذى قار	٥٤	٢٨٧
الكوت "واسط"	٤٨	١٧٥
محافظات أخرى	٥٣٦	١٢٤٦
إجمالى العراق	١٦٠٤	٢٩٦٠

ويتضح من الجدول المذكور سيادة نسبة الشيعة على السنة فى الجنوب العراقى للعوامل التاريخية والجغرافية المختلفة. فقد كانت هذه المناطق هى البدايات الأولى لظهور الشيعة والتشيع فى القرن الأول الهجرى، وكانت لفترات طويلة مكاناً ومرتكزاً هاما للدعوة، كما دخلت أجزاء منها فى الدولة الصفوية. وقبلها فى الدويلات الشيعيه.

ولاشك أن وجود هذه المنطقة باغلبيتها الشيعية يجاورها وتتصل بها المناطق الشيعة الايرانية، قد جعل هذه المنطقة خطرا يتهدد الكيان السياسى العراقى كدولة فى اعقاب حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١/١٩٩٢

وقد استغلت القوى الدولية هذا التوزيع الجغرافى للشيعة فى العراق وادعت حمايتها لهذه الطائفة من خلال عدم السماح للعراق بفرض سيادته الكاملة على أرضه وذلك من خلال بعض القرارات الاجرائية لمنع الطيران العراقى من التحليق جنوب خط عرض ٣٢ أى يعمق درجتى عرض تقريبا فى جنوب العراق.

وقد تقترب معدلات النمو السكانى بين الشيعة والسنة والاكراد مع زيادة طفيفة لصالح الشيعة الذين يقطنون المناطق الريفية، وقد تنخفض بينهم الدخول نسبيا. وكذلك ارتفاع نسبة

الأمية بينهم بالإضافة إلى عوامل إجتماعية أخرى كالزواج المبكر. ومع نشر الخدمات الصحية حاليا فى العراق ريفه وحضره فإن معدلات الوفيات تنخفض بين العراقيين بصفة عامة، وإذا كان معدل المواليد فى العراق قد قارب ٥ , ٤٠٪ فإنه يقدر من الشيعة بنحو ٤٤٪ كما أن معدل الوفيات بينهم يقدر بنحو ٥و٧٪ مقابل ٧ر٦٪ للعراق ككل. ويقدر عدد الشيعة فى العراق بنحو ١٠ ملايين نسمة فى عام ١٩٩١(٦٧).

الشيعة فى إيران:

كانت إيران مهدا لأحداث سياسية ودينية أثرت فى السياق العام لتاريخ الإسلام فى فتراته المختلفة، ومن بين هذه الأحداث هو تبنى الدولة الصفوية للشيعة مذهبا دينيا فى بداية القرن السادس عشر(٦٨). أما بالتحديد فقد تحولت إيران من السنة كمذهب إلى الشيعة مع الدولة الصفوية عام ١٤٩٩(٦٩)، عندما أصبح مذهب الدولة الرسمى . وقد بدأ فى العراق حيث انتشر فى الجنوب من بغداد ، وهو المذهب السائد فى إيران، إذ تقدر نسبة الشيعة فى إيران بأكثر من ٩٠٪ من إجمالى السكان (٧٠) بينما يتبع المذاهب السنية الأكراد الشماليون والتركمان ومعظمهم من الأفغان.

الهوامش

(١) غسان إبراهيم حسن ، مستقبل العلاقات الدولية في الخليج العربي .رسالة ماجستير، ١٩٧٨، عين شمس ،ص١٠١

(٢) فيصل إبراهيم الزباني ، الهجرة الخارجية وأثرها في تنفيذ البناء الإجتماعي لمجتمع البحرين ، درجة الماجستير ، القاهرة ١٩٧٣، ص٢٢.

(٣)نورا القاسمي الوجود الفارسي في الإمارات والخليج العربي رسالة دكتوراه منشورة كلية البنات جامعة عين شمس ص٢٣

(٤) نورالقاسمي،ص٢٥

(٥) نورالقاسمي ص٢٦

(٦) نورالقاسمي ص٢٣

(٧) نورالقاسمي ص٢٤

(٨)نورا القاسمي ص٢٨.

(٩) نورا القاسمي ص٢٨

(٩/أ) نيفين عبد المنعم مسعد، الاقليات والاستقرار السياسي في الوطن العربي القاهرة، مركز البحوث والدراسات السياسية، جامعة القاهرة ١٩٨٨ ،ص٧٩-١٤٥

(٩/ب) عادل عبد السلام. جعرافية سوريا: في الجغرافية الطبيعية والبشرية والاقتصادية دمشق ١٩٧٣.ص٣٨٤.

(١٠) راجع عادل عبد السلام. مرجع سبق ذكرة ص ٣٦٢.

(١١) أ ـ راجع عادل عبد السلام . المرجع السابق ص ٣٦٣ .

ب ـ راجع محمد أمين زكي . خلاصة تاريخ كردستان القاهرة ١٩٣٦ ص٦٤.

ج ـ جاسم الخلف : محاضرات في جغرافية العراق الطبيعية والبشرية والأقتصادية القاهرة، ج ٢ ،معهد البحوث والدرسات العربية ١٩٦١ ، ص٤٠٠.

(١٢) راجع : أ ـ عادل عبد السلام ،مرجع سبق ذكرة ص٣٦٣.

ب ـ أمين العمراوي. قصة الأكراد في شمال العراق . القاهرة دار النهضة العربية ١٩٦٩ م

ص٢٥ ـ ٢٨

ج ـ عبد الرحمن قاسم :كردستان .الأكراد. دراسة سياسة واقتصادية ـ بيروت ـ المؤسستاللبنانية للنشر ١٩٧٠ ص ٣٩ ـ ٤٠

د ـ شاكر خصباك. الأكراد دراسة جغرافية اثنوغرافية ـ بغداد ١٩٦٢ .

(١٣) Coon.C. CARAVAN , The History of the Middlle East. Chicago , 1952 .p.128.

(١٤) عادل عبد السلام ص١٦٣ .

(١٥) Edmonds. J.C, Kurds ,Turks and Arabs . London;Oxford University Prass . 1957 . P. 171.

(١٦) عادل عبد السلام، ص٣٦٣.

(١٧) حامد محمود عيسي المشكلة الكردية في الشرق الأوسط ـ القاهرة ـ مكتبة مدبولي ١٩٩٢ ص٤.

(١٨) Edmonds. T. Op. Cit .P7

(١٩) حامد محمود عيسي مرجع سبق ذكرة ص٣.

(٢٠) حامد محمود عيسي ص٤.

(٢١) جلال الطلباني . كردستان والحركة القومية الكردية، بيروت ـ دار الطليعة ١٩٧١ ص٤٧

(٢٢) .Drysdale A and B LAKE. G.H. The middle East and North † Africa ;A political Geography .New YorkOxford University Press, 1989. p. 102

(٢٣) فاضل الأنصاري . سكان العراق .دمشق ، ١٩٧٠ .ص٢٣ .

(٢٤) جلال الطلباني مرجع سبق ذكرة ،ص٣٩.

(٢٥) عادل عبد السلام مرجع سبق ذكرة ص ٣٦٤ .

(٢٦) عادل عبد السلام مرجع سبق ذكرة ص ٣٦٥ ـ ٣٦٤ .

(٢٧) حامد محمود عيسي مرجع سبق ذكرة ص١٩ .

(٢٨) محمود الدوة القضية الكردية والقومية العربية في العراق ، القاهرة .

(٢٩) جلال الطالباني، مرجع سبق ذكرة .

(٣٠) جلال الطالباني ، ص٣١ .

(٣١) Drysdale and Blake . Op. cit .P.160

(٣٢) I bid , 160.

(٣٣) Edmonds Gabril., the Kurdish Question in Iraq. Syracuse Univ. Ress. 1981.

(٣٤) U.N. Inventory of Population Project . in Devloping Countries of the World 1990- 1991 .n.y 1992

(٣٥) عادل عبد السلام ، ص ٣٦٥

(٣٦) عادل عبد السلام ص ٣٦٥ ـ ٣٧٠ .

(٣٧) سعد الدين إبراهيم ، المجتمع والدولة فى الوطن العربى

(٣٨) سعد الدين إبراهيم الأقليات فى الوطن العربى ص٣٧

(٣٩) U.S.Dept of State Pureau of Public Affairs Backqround Notes May 1982. P

(٤٠) .I U.N.Op; Cit

(٤١) راجع حامد عيسى مرجع سبق ذكرةص٥

(٤٢) Drysdale and Blake .P.161

(٤٣) .U.N. OP. cit.

(٤٤) نيفين مسعد مرجع سبق ذكره ص ١٤٥ .

(٤٥) للتعرف على الاصول التاريخية و العقائدية للعلويين راجع الحسين عبد الله . الجذور التاريخية للنصيريه العلويين القاهرة دار الاعتصام ١٩٨١ .

(٤٦) Mahmud A. Faksh ,The alwates community of Syria, Anew Dominant political Force. Middle Eastern Studies Vol. 2 ,No .2 April 1904 . 132.

(٤٧) Gubser .,Minorities in power, The Alwates of syria in the politicol Role of Minonity groups in the Middle Bast :Ed.R.D Mclewrin, N.y1979,p.18.

(٤٨) سعد الدين إبراهيم مرجع سابق ص ٧٢

(٤٩) aw Drysdaleand Blake .OP.Cit P. 158

(٥٠) Mahmud .Fakih .OP. Cit P. 134.

(٥١) Dryadele and Blake OP.Cit P.158

(٥٢) عادل عبد السلام مرجع سبق ذكره ص ٣٩١.

(٥٣) . Drysdale and Blake PP. 158 - 15

(٥٤) I bid .P.159..

(٥٥)الأقلية الحاكمة أو الإستراتيجية هى جماعة تتميز بقلة العدد والفعالية السياسية راجع نيفين مسعد ص ١٧

(٥٦) كارلتوى كون ـ القافلة ـ قصةالشرق الأوسط ـ ترجمة برهان دجانى وإحسان عباس بيروت ـ ١٩٥٩ ص ١٧٩.

(٥٧) عادل عبد السلام ـ مرجع سبق ذكرة ٣٩٢

(٥٨) Soffer .A. Op. Citp. 179

(٥٩) Kilatn. the collapse of Lebanan State, Middle Eastern Studies Vol. 23, No:1 January 1987. P. 58

(٦٠) Drysdale, and Elake Op. cit.P. 198.

(٦١) Drysdale And Blake .Op. Cit.P. 156

(٦٢) نورا محمد القاسمى الوجود الفارسى فى الإمارات والخليج العربى ١٩٢١ ـ ١٩٧١رسالة دكتوراة غير منشورة مقدمة لكلية البنات ١٩٩٠

(٦٣) لورانت شلبرى . آنى شابرى : سياسة الأقليات فى الشرق الأدنى والأسباب المؤدية إلى الإنفجار، ترجمة ثوقان قرقوط القاهرة مكتبة مدبولى ١٩٩١ص١٤٩.

(٦٤) Drysdale And Blake . Op Cit P. 161

(٦٥) Hana Batuta Iraq' sUnderground Shi'a Mopve-ments:characterization, causes and Prospects in the Middle East Journal vol 35 autumn , 1981 No 4 P 58

(٦٦)حكومة العراق . وزارة الشؤن الإجتماعية ـ الإدارة العامة للتعداد . بغداد

(٦٧) United Nations. Op. Cit

(٦٨) كمال سليمان : "الأقليات الدينية فى الشرق العربى " المستقبل العربى العدد٤٦.ديسمبر ١٩٨٢

(٦٩)كارلتون كون: القافلة قصة الشرق الأوسط. ترجمة ص ١٤ برهان الدجانى وإحسان عباس . بيروت. دار الثقافة. ص١٨٧.

(٧٠) Drysdals and Blake ` Op. Cit.P.153

الفصل السابع

العلاقات الاقتصادية العربية - الايرانية

ماضى متذبذب - مستقبل مرهون بالعلاقات السياسية*

يعد وجود علاقات اقتصادية عربية – ايرانية مؤشرا على مستوى التعاون بين الطرفين ، باعتبار أن العلاقات الاقتصادية بين أى طرفين تنطوى بالضرورة على تعاون إيجابى . ونظرا لأن ايران هى واحدة من الدول التى تربطها بالدول العربية تفاعلات سياسية عميقة وصلت إلى حد الصدام العسكرى المروع لمدة ثمانى سنوات تقريبا متمثلة فى الحرب الايرانية – العراقية التى اصطدمت فيها ايران مع العراق المدعوم من غالبية الدول العربية ، فإن دراسة العلاقات الاقتصادية العربية – الايرانية تبدو مهمة . كذلك فإن ضخامة الاقتصاد الايرانى وقدرته على التأثير اقليميا تضفى مزيدا من الأهمية على دراسة العلاقات الاقتصادية العربية – الايرانية ، حيث يعد الاقتصاد الايرانى أحد أكبر الاقتصادات الاقليمية إذا ما قورن بحجم اقتصاديات الدول العربية أو بحجم اقتصاديات الدول الأخرى فى منطقة الشرق الأوسط . ووفقا لبيانات البنك الدولى فان الناتج المحلى الإجمالى الإيرانى بلغ نحو ٩٧ مليار دولار عام ١٩٩١ ، محتلا المركز الثانى بين اقتصاديات دول منطقة الشرق الأوسط بعد الاقتصاد

---

* أعد هذه الدراسة / احمد السيد النجار ، الباحث بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام .

السعودى حيث بلغ الناتج المحلى الإجمالى للسعودية فى العام ذاته نحو ١٠٨ر٦ مليار دولار[١].

ومن المعروف أن البنك الدولى يحتسب الناتج المحلى الإجمالى لأى دولة من خلال تحويل ناتجها المحلى الإجمالى مقدرا بعملتها المحلية إلى قيمة محددة بالدولار وفقا لسعر تحويل العملة المحلية للدولار ، دون النظر للقدرة الشرائية الحقيقية مقابل الدولار .

وتتغير صورة الاقتصاد الايرانى كثيرا اذا تعاملنا مع بيانات الأمم المتحدة ، حيث يشير تقرير التنمية البشرية (Human Development Report 1993) الذى أصدرته الأمم المتحدة إلى أن متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلى الاجمالى الحقيقى فى ايران بلغ ٣٢٥٣ دولار عام ١٩٩٠ . وفى ذلك العام كان عدد سكان ايران نحو ٥٧ر٧ مليون نسمة ، بما يعنى أن الناتج المحلى الإجمالى الحقيقى لايران بلغ وفقا للأمم المتحدة نحو ١٨٧ر٧ مليار دولار عام ١٩٩٠[٢].

ووفقا لبيانات صندوق النقد الدولى فإن معدل النمو الحقيقى للناتج المحلى الإجمالى لايران بلغ ٨ر١ ٪ عام ١٩٩١ ، وبلغ ٥ر٦ ٪ فى عام ١٩٩٢ [٣] ووفقا لهذه المعدلات الحقيقية للنمو فإن الناتج المحلى الإجمالى الحقيقى الايرانى بلغ نحو ٢١٦ مليار دولار عام ١٩٩٢ .

وبناء على هذه البيانات يمكن التأكيد على ضخامة الاقتصاد الايرانى ووزنه الكبير اقليميا بما يعزز - كما ذكرنا فى البداية - أهمية دراسة العلاقات التى تربطها باقتصاديات الدول العربية .

وتتنوع العلاقات الاقتصادية التى ربطت فى الماضى أو تربط فى الحاضر بين ايران والدول العربية بين التجارة واقتسام الموارد وهجرة العمالة والاستثمارات والتفاعل فى إطار منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك) .

علاقات اقتصادية هامشية فى الماضى

قبل الدخول فى تفاصيل العلاقات الاقتصادية التى تربط ايران بالدول العربية فى السنوات الأخيرة تجدر الإشارة إلى أنه كانت هناك علاقات محدودة الأهمية فى مجال التجارة والصيد تربط بين ايران وامارات الخليج فى الفترة التى سبقت الازدهار النفطى الذى بدأ فى أكتوبر

عام ١٩٧٣ . كما أن ايران ومصر فى فترة الملكية قبل عام ١٩٥٢ كانتا تربطهما علاقات تجارية محدودة .

وقد اضمحلت العلاقات الأقتصادية العربية - الايرانية المحدودة أصلا لتصبح هامشية تماما مع تزايد المد القومى العربى فى الخمسينيات والستينيات ، وهو أمر كان مزعجا إلى حد كبير بالنسبة لايران فى ظل حكم الشاه فى ذلك الحين .

ومع اتجاه امارات الخليج العربية لنيل استقلالها عن بريطانيا بدأت حقبة من التفاعلات الحادة بين إيران والدول العربية وبالذات بينها وبين دول الخليج والعراق . ففى اعقاب جلاء بريطانيا عن الامارات حاولت ايران فرض سيطرتها على جزر طنب الكبرى وطنب الصغرى وابو موسى الاستراتيجية التابعة لامارة الشارقة ، وإزاء فارق القوة الهائل لصالح ايران اتفقت امارة الشارقة مع ايران على ان يظل أهالى جزيرة أبو موسى خاضعين للشارقة على أن تحتل ايران جزءاً من الجزيرة ، وعلى أن يتم اقتسام عائد نفط الجزيرة بين ايران والشارقة وتضمن الاتفاق أيضاً أن تقدم ايران ٥ر١ مليون جنيه استرلينى سنويا للشارقة إلى أن يصل دخل الامارة إلى ٣ ملايين جنيه استرلينى سنويا (٤) لكن ايران لم تتوقف عند ذلك الاتفاق كثيرا وقامت باحتلال الجزر الثلاث المذكورة آنفا والتابعة لامارة الشارقة فى نهاية شهر نوفمبر ١٩٧١ ، أى فى اليوم التالى لتوقيع الاتفاق بين الشارقة وايران بشأن جزيرة ابو موسى(٥) .

ومع احتلال ايران للجزر العربية الثلاث قام العراق بقطع العلاقات الدبلوماسية معها ، كما شجبت الكثير من الدول العربية العدوان الايرانى . ونظرا لأن كلا من ايران والدول العربية يربطان علاقاتهما الاقتصادية الخارجية بمستوى علاقاتهما السياسية مع كل دولة ، فإن ذلك أثر على العلاقات الاقتصادية العربية - الايرانية فى أهم مجالات تلك العلاقات .

التجارة العربية - الايرانية

بالرغم من أن الحوار الجغرافى بين ايران ودول المشرق العربى يعطى ميزة نسبية للتجارة بين الطرفين تتمثل فى انخفاض نفقات النقل والتأمين على حركة السلع والبشر بينهما ، إلا أن هناك ثلاثة عوامل رئيسية مؤثرة فى الاتجاه المعاكس جعلت التجارة العربية - الايرانية محدودة بدرجة كبيرة . وهذه العوامل هى :

١ - ارتباط العلاقات الاقتصادية الخارجية لكل من ايران والدول العربية بمستوى العلاقات السياسية التى تربطهم بمختلف دول العالم ، بمعنى أن العلاقات الاقتصادية لايران والدول العربية مع أى دولة تعد إلى حد كبير متغيرا تابعا لمستوى العلاقات السياسية مع هذه الدولة . وكان الرئيس السابق الحسن بنى صدر قد صرح فى عام ١٩٨٠ بأنه لا يرى امكانية لقيام تعاون وثيق مع دول الخليج بسبب ما وصفه بأنه اختلافات جذرية فى أنظمة الحكم [٦] وهو تعبير دقيق عن تأثير طبيعة العلاقات السياسية الخارجية لايران على استعدادها للتعاون مع أى دولة . وترتيبا على ذلك فإن العلاقات الاقتصادية بين ايران وهذه الدولة العربية أو تلك .

وفى ظل التوترات الحادة فى العلاقات السياسية بين ايران وغالبية الدول العربية سواء قبل الثورة الايرانية أو بعدها ، فإن ذلك أثر سلبيا على مستوى العلاقات الاقتصادية عامة والتجارية خاصة بين ايران والدول العربية ، وهو ما يمكن التأكد منه لدى استعراض الصادرات والواردات الايرانية إلى ومن الدول العربية .

٢ - تشابه هياكل الصادرات والواردات الايرانية والعربية ، حيث تشكل الموارد الأولية بصفة عامة نحو ٩٧ ٪ من إجمالى صادرات ايران ، ويشكل النفط وحده نحو ٩٠ ٪ من تلك الصادرات [٧] . فى حين تعد الدول العربية أكبر مصدر للنفط فى العالم . وترتيبا على ذلك فإن الجانب الأعظم من صادرات ايران وغالبية الدول العربية لا يمكن أن يجد له سوقا لدى الطرف الآخر . لكن ذلك لاينفى أن الجانب المحدود من الصادرات الايرانية غير النفطية يمكن أن يجد له سوقا لدى الكثير من الدول العربية بصورة أكبر بكثير من الوضع الراهن لو كان مستوى العلاقات السياسية أو الرغبة فى التعاون التجارى والاقتصادى أفضل مما هو متحقق حاليا . وإن كان من الضرورى التركيز على أن التشابه الكبير فى هيكل الصادرات الايرانية والعربية يضع قيدا على إمكانيات تطور التجارة بين الطرفين ، حتى فى حالة توافر النوايا الحسنة والرغبة فى زيادة التعاون التجارى بين ايران والدول العربية .

٣ - تحتاج ايران والدول العربية إلى العملات الحرة الرئيسية فى تحويل تدفق التجارة بين الطرفين . ويعود ذلك إلى أن الريال الايرانى لم يكن قابلا للتحويل قبل عام ١٩٩٣ ، وكان بصفة عامة دائم التذبذب فى اتجاه التراجع السريع مما يجعله غير مقبول كأداة للدفع فى التجارة . وحتى بعد أن أصبح الريال الايرانى قابلا للتحويل فإنه يبقى عملة متذبذبة وضعيفة

خاصة فى ظل محدودية الاحتياطيات الدولية لايران ، وفى ظل العجز الكبير فى الميزان التجارى والذى بلغ نحو ٥ر٨ مليار دولار عام ١٩٩١ ، والعجز الأكبر فى ميزان الحساب الجارى والذى بلغ ٨ر٧ مليار دولار فى العام ذاته (٨) .

وعلى الجانب الآخر فإن العملات العربية إما إنها غير قابلة للتحويل أو أنها مرتبطة أو تابعة تماما للدولار كما هو حال عملات دول الخليج ، أو شبه محررة لكنها تابعة للدولار كما هو حال الجنيه المصرى ، وفى هذه الحالة فإن ايران كأى دولة تفضل الحصول على العملات الحرة مقابل صادراتها للدول العربية ، خاصة وأن الواردات الايرانية تأتى بالأساس من الدول الرأسمالية الصناعية ، حيث بلغت قيمة الواردات الايرانية منها نحو ٨ر١٥ مليار دولار عام ١٩٩١ بما شكل نحو ٠ر٧٣ ٪ من اجمالى الواردات الايرانية فى العام ذاته (٩) .

وبناء على ماسبق فان ضرورة استخدام العملات الحرة فى تمويل تدفق التجارة بين الطرفين العربى والايرانى يشكل عائقا أمام هذا التدفق ، خاصة فى حالة عدم توفر العملات الحرة لدى ايران أو أى دولة عربية ترغب فى التعامل التجارى معها . كذلك فإن عجز ايران تقديم تسهيلات ائتمانية للمستوردين منها يضع عوائق أمام توسيع تجارتها مع الدول العربية الفقيرة والمتوسطة الدخل ، حتى وإن رغبته بعض تلك الدول فى تطوير تجارتها مع ايران .

وعلى الجانب الآخر فإن عدم تقديم الدول العربية أو المصدرين فيها لتسهيلات ائتمانية للمستوردين الايرانيين تحد من تدفق الصادرات العربية إلى ايران رغم توافر إمكانيات لذلك.

ويمكن أن نلمس تأثير العوامل الموجهة للتجارة العربية - الايرانية من استعراض الصادرات والواردات الايرانية للدول العربية وتطورها وتوزيعها جغرافيا من الاقطار العربية والمنعطفات التى مرت بها .

الصادرات الايرانية للدول العربية

ظلت الصادرات الايرانية للدول العربية تدور فى حدود ضيقة من زاوية قيمتها ونسبتها لإجمالى الصادرات الايرانية . وكانت الصادرات الايرانية لبعض الدول العربية الخليجية تتركز فى بعض السلع الزراعية وبالذات الفستق والفواكه والخضراوات . وبالرغم من أن ايران خطت خطوات لا بأس بها نحو إقامة صناعات تحويلية فى السبعينيات منها صناعات السكر

والأسمنت والسيارات والتليفزيونات ، فضلا عن صناعة تكرير النفط والبتروكيماويات والمنسوجات والسجاد ، الا أن تلك الصناعات توجهت لتلبية الاحتياجات المحلية بالأساس ، وبالتالى لم تكن منتجاتها موجهة للتصدير للخارج باستثناء صناعة السيارات التى تركزت فى تجميع سيارات الركوب الفرنسية (رينو) ، وتجميع الأوتوبيسات الألمانية (مرسيدس) والتى توجه جانب منها للتصدير لمختلف دول العالم .

وقد عقدت ايران مع مصر صفقة كبيرة بلغت قيمتها ٢٥ مليون دولار لتصدير الأوتوبيسات التى تم تجميعها فى ايران إلى مصر . وقد عقدت الصفقة فى منتصف السبعينيات فى عهد الشاه ، وتسلمت مصر الأوتوبيسات بالفعل على أن يتم السداد بعد فترة سماح . ومع سقوط نظام الشاه وانتظار الثورة الايرانية ضده ثم لجوئه بعد ذلك إلى مصر ، توترت العلاقات المصرية - الايرانية ، وأصبحت قضية دفع مصر لثمن صفقة الأوتوبيسات الايرانية إحدى القضايا المعلقة فى العلاقات بين الدولتين والتى لم يتم حلها حتى الآن .

وبالنظر إلى الجدول رقم (١) نجد أن الصادرات الايرانية للدول العربية بلغت فى أعوام ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٩٩١ بالترتيب نحو ٧٤٦ ، ٢٩٥ ، ٣٨٧ ، ٢١٩ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٩٩١ بالترتيب نحو ٧٤٦ ، ٢٩٥ ، ٣٨٧ ، ٢١٩ ، ٢٨٦ ، ٢٤٥ ، ٢٠٦ مليون دولار . وقد شكلت الصادرات الايرانية للدول العربية فى الأعوام المذكورة بالترتيب نحو ٤ر٥ ٪ ، ٧ر٣ ٪ ، ٥ر٣ ٪ ، ٧ر٢ ٪ ، ٥ر٢ ٪ ، ٦ر١ ٪ ، ٧ر١ ٪ من إجمالى الصادرات الايرانية فى تلك الأعوام بالترتيب .

أهم الأسواق العربية المستقبلة للصادرات الايرانية

منذ قيام الثورة الإيرانية ارتبطت سورية بعلاقات قوية مع نظام الخومينى ، تلك العلاقات التى تعززت بعد وقوف سورية مع ايران أثناء حربها مع العراق ، وما ترتب على ذلك الموقف من إيقاف سورية لتدفق النفط العراقى عبر الأراضى السورية .

وقد انعكست العلاقات السياسية الوثيقة بين دمشق وطهران على مستوى التجارة بين ايران وسورية ، التى اصبحت منذ قيام الثورة الايرانية اكبر مستورد عربى للسلع الايرانية إلى أن احتلت دولة الامارات هذا الموقع بدلا منها فى عام ١٩٨٨ الذى توقفت فى منتصفه الحرب العراقية - الايرانية .

وقد بلغت الصادرات الايرانية إلى سورية نحو ٦٤٢ . ١٦٩ . ١٨٦ . ٥٤ ، ٨٤ ، ٣٠ ، مليون دولار فى اعوام ١٩٨٥ ، ١٩٨٦ ، ١٩٨٧ ، ١٩٨٨ ، ١٩٨٩ ، ١٩٩٠ بالترتيب بما شكل نحو ٤٫٧٪ ، ١٫٢٪ ٧٫١٪ . ٧٫٠٪ ، ٠٫٢٪ من إجمالى الصادرات الإيرانية فى الأعوام المذكورة .

وكما هو واضح من الجدول (١) فإن سورية ظلت حتى عام ١٩٨٧ تعد السوق العربية التى تستوعب الجانب الأكبر من الصادرات الايرانية للدول العربية .

ومع انتهاء الحرب الايرانية - العراقية وتراجع احتياج ايران للدعم السياسى السورى تراجع الدعم الاقتصادى الايرانى لسورية ، وتراجع معه حجم الصادرات الايرانية لسورية . ومع المحاولات العربية للوساطة بين سورية والعراق فقدت العلاقات السياسية السورية - الايرانية بعضا من قوتها خاصة فى ظل التناقضات التى ظهرت بينهما فى لبنان، وتراجعت العلاقات الاقتصادية وضمنها التجارة بين الدولتين .

وقد توقفت الصادرات الايرانية إلى سورية بشكل كامل عام ١٩٩١ بعد أن كانت قد تراجعت بنسبة ٩٥٪ بين عامى ٨٥ - ١٩٩٠ . وقد ارتبط تراجع وتوقف الصادرات الايرانية لسورية بالمشاكل التى نجمت عن عدم سداد سورية لثمن صادرات ايران اليها ، خاصة وأن الصادرات السورية إلى ايران كانت دائما محدودة ولا يمكن لها تسديد سوى جزء محدود من قيمة الصادرات الايرانية إلى سورية . كذلك فإن تزايد إنتاج النفط فى سورية والقفزة التى شهدتها العلاقات السياسية والاقتصادية بين سورية ودول الخليج قد ساهمت بدورها فى تراجع مستوى العلاقات الاقتصادية بين دمشق وطهران ، بما انعكس فى تراجع الصادرات الايرانية لسورية ثم توقفها تماما عام ١٩٩١ .

وعلى العكس من الاتجاه التراجعى للصادرات الايرانية إلى سورية اتخذت الصادرات الايرانية لدولة الامارات العربية المتحدة اتجاهاصعوديا ، حيث ارتفعت الصادرات الايرانية للامارات بشكل تدريجى من ٧٢ مليون دولار عام ١٩٨٥ إلى ١٥٤ مليون دولار عام ١٩٩١ بزيادة نسبتها حوالى ١١٣٫٩٪ . وقد أدى تزايد الصادرات الايرانية لدولة الامارات إلى أن تصبح الأخيرة هى أهم سوق عربية مستقبلة للصادرات الايرانية منذ عام ١٩٨٨ وحتى الآن .

وتجدر الاشارة إلى أن جانبا من الصادرات الايرانية للامارات - وهو غالبا من الياميش -

يعاد تصديره لعدد من الدول العربية من بينها مصر. أما بالنسبة للمملكة العربية السعودية التى كانت تعد ثالث أهم سوق عربية مستقبلة للصادرات الايرانية حتى عام ١٩٨٧ فإن الصادرات الايرانية إليها تقلصت من ٢٧ مليون دولار عام ١٩٨٧ إلى ٤ ملايين دولار عام ١٩٨٨ ، بنسبة انخفاض قدرها ٨٥,٢٪ فى عام واحد ، ثم توقفت السعودية منذ عام ١٩٩٠ عن استيراد أى شىء من ايران .

ويعود تدهور الصادرات الايرانية للسعودية ثم توقفها إلى التدهور الشديد فى العلاقات السياسية بين الدولتين الذى وصل إلى حد القطيعة الدبلوماسية عام ١٩٨٨ بسبب المواجهات الدموية التى جرت فى موسم الحج بين الحجاج الايرانيين وسلطات الأمن السعودية ، وأيضا بسبب المرارة الايرانية من موقف السعودية المؤيد للعراق اثناء الحرب الايرانية - العراقية .

أما جنوب اليمن فإنه يعتبر ثالث أهم سوق عربية مستقبلة للصادرات الايرانية فى عامى ٩٠ ، ١٩٩١ ، كما هو واضح من الجدول .

أما الكويت فإنها كانت تحتل المركز الرابع بين أهم الأسواق العربية المستقبلة للصادرات الايرانية ، لكنها توقفت عن الاستيراد من ايران بعد انتهاء حرب الخليج الثانية بين الولايات المتحدة وحلفائها من جهة وبين العراق من جهة اخرى ، حيث تغيرت خريطة التجارة الخارجية الكويتية كثيرا ، وأصبحت الواردات الكويتية تأتى بشكل أساسى من الولايات المتحدة الأمريكية .

وتأتى تونس فى المركز الخامس بين أهم الأسواق المستقبلة للصادرات الايرانية .

أما باقى الأسواق العربية فإنها هامشية تقريبا بالنسبة للصادرات الايرانية .

وتجدر الإشارة إلى انه من بين الصادرات الايرانية غير النفطية التى بلغت ١٠٢١ مليون دولار عام ١٩٨٩/١٩٨٨ توجهت صادرات قيمتها نحو ١٤٣,٨ مليون دولار إلى سوق دولة الامارات العربية المتحدة وحدها ، بما يوازى نحو ١٤٪ من الصادرات الايرانية غير النفطية[١٠] . واذا اضفنا الصادرات الايرانية غير النفطية إلى باقى الدول العربية سنجد ان الاسواق العربية تستوعب قرابة خمس الصادرات الايرانية غير النفطية . وهذا يؤكد أنه فى حدود الصادرات الايرانية غير النفطية التى يوجد لها سوق فى الدول العربية ، فإن جانبا كبيرا منها يتوجه إلى الأسواق العربية مدعوما بانخفاض نفقات النقل والتأمين بين الطرفين .

الواردات الايرانية من الدول العربية

كانت الواردات الايرانية من الدول العربية تدور فى حدود ضيقة حتى عام ١٩٨٩، عندما بدأت تتزايد بسرعة كبيرة فى اعقاب انتهاء الحرب الايرانية - العراقية ، حتى قبل انتهاء تلك الحرب فإن الواردات الايرانية من الدول العربية كانت تمثل نسبة أكبر من إجمالى الواردات الايرانية بالمقارنة بالنسبة التى تحتلها الصادرات الايرانية للدول العربية من إجمالى صادرات ايران .

وبالنظر إلى الجدول رقم (٢) نجد أن الواردات الايرانية من الدول العربية مجتمعة بلغت نحو ٤٧٥ ، ٧٠٧ ، ٤٧٧ ، ٤٣٥ ، ١٢٧١ ، ١٣٦٥ ، ١٣٦٧ مليون دولار فى أعوام ١٩٨٥ ، ١٩٨٦ ، ١٩٨٧ ، ١٩٨٨ ، ١٩٨٩ ، ١٩٩٠ ، ١٩٩١ بالترتيب بما يوازى نحو ٤.٢٪ ، ٧.٦٪ ، ٥.١٪ ، ٥.٣٪ ، ٩.٩٪ ، ٨.٧٪ ، ٦.٣٪ ، من إجمالى الواردات الأيرانية فى الأعوام المذكورة على التوالى.

الامارات وسورية أهم المصدرين العرب لايران

بالرغم من القلق الذى يصل حد التوتر احيانا الذى يشوب العلاقات الايرانية - الاماراتية ، إلا أن وجود روابط ودية وثيقة بين ايران وآمارة دبى جعل دول الامارات وبالتحديد امارة دبى أهم سوق عربية تحصل منها ايران على الواردات ، خاصة وإن دبى هى المركز التجارى الرئيسى فى دولة الامارات ، كما إنها تحولت مؤخرا إلى مركز اقليمى لتجارة الترانزيت فى منطقة الخليج ، بالاعتماد على البنية الأساسية المتطورة وقدرات التخزين العالية والموانىء الحديثة التى بنتها فى السنوات الماضية .

ونظرا لطبيعة العلاقات التعاونية والتنافسية فى آن واحد بين الامارات المختلفة التى تضمها دولة الامارات العربية المتحدة ، فإن امارة دبى مضت فى تطوير علاقتها التجارية مع ايران بالرغم من التوتر بين ايران وامارة الشارقة المدعومة من امارة ابو ظبى ، وغالبية الامارات حول جزر «طنب الكبرى» و«طنب الصغرى» و«ابو موسى» .

وقد بلغت الواردات الايرانية من دولة الامارات نحو ٣٥٠ ، ٥٣٧ ، ٣٩٠، ٢٧٦ ، ٩٤٩ ، ١٠٤٤ ، ١٠٤٤ مليو دولار فى أعوام ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠، ١٩٩١

بالتـــرتيب بما يوازى نحـــو ١ , ٣٪ ، ٧ , ٥٪ ، ٢ , ٤٪ ، ٤ , ٣٪ ، ٤ , ٧٪ ، ٦ , ٦٪ ، ٨ , ٤٪ من اجمالى الواردات الايرانية فى الأعوام المذكورة بالترتيب .

وواضح من البيـانات أن هناك طفـرة فى الـواردات الايرانيـة من دولة الامـارات فى عـام ١٩٨٩ ، الذى بلغت واردات ايران من الامارات خلاله نحو ٩٤٩ مليون دولار بزيادة نسبتها ٨ , ٢٤٣٪ عن حجم الواردات الايرانية من الامارات فى العام السابق عليه أى عام ١٩٨٨ .

ومن المؤكد ان توقف الحرب الايرانية - العراقية عام ١٩٨٨ قد هيأ مناخا مواتيا لزيادة التجارة بين ايران ودولة الامارات ، كما أن محاولة ايران إعادة بناء ما دمرته حرب السنوات الثمانى مع العراق قد ترافق مع زيادة الطلب على الواردات ، وهو ما أدى إلى زيادة الواردات من دولة *الامارات وبالتحديد من امارة دبى* .

وتجدر الاشارة إلى ان جانبا كبيرا من واردات ايران من دولة الامارات ، وبالذات امارة دبى هى سلع غير اماراتيـة المنشأ . بمعنى أن امارة دبى تستوردها وتعيد تصديرها إلى ايران فى إطار الدور الذى تلعبه هذه الامارة كمركز لتجارة الترانزيت فى الخليج .

وبالرغم من تزايد الواردات الايرانيـة من الامارات فى عـام ١٩٩٠ وثباتها عند مستواها المرتفع فى عـام ١٩٩١ ، إلا ان الوزن النسـبى لتلك الواردات من إجمـالى واردات ايران قد تراجع بالمقارنة بعـام ١٩٨٩ بسبب الزيادة الكبيرة فى اجمالى الواردات الايرانية فى العامين ١٩٩٠ ، ١٩٩١ لمواجهة الاحتيـاجات الضخمة من الواردات المرتبطة بخطة إعادة اعمار ما دمرته الحرب مع العراق .

وقد كانت سورية تعتبر ثانى أهم دولة عربية تحصل منها ايران على الواردات ، وذلك حتى العام ١٩٨٩ . ولكن بدءا من عام ١٩٩٠ انخفضت الواردات الايرانيـة من سورية ولم تتجاوز قيمتها ١٥ مليون دولار بانخفاض بلغت نسبته ٨ , ٨٧٪ من قيـمة الواردات الايرانيـة من سورية عام ١٩٨٩ . ويبدو أن هذا التراجع فى الواردات الايرانية من سورية يعود إلى التغير فى طبيعة العلاقات السياسيـة بين الدولتين بعد انتهاء الحرب العراقية - الايرانية ، وتراجع الحاجة الايرانية للدعم السيـاسى السـورى ، كما أن تغيير سورية لخريطة تحالفاتها الدولية واتجاهها ونجاحها فى إعادة الجسور مع الغرب قد ساهم فى إضفاء نوع من الفتـور على العلاقات بين دمشق وطهران ، انعكس سلبا على العلاقات التجارية بين الطرفين .

أما عمان التى ظلت الواردات الايرانية منها محدودة ، رغم احتفاظ الدولتين بعلاقة ودية دائما سواء فى عهد الشاه أو الخومينى أو رافسنجانى ، فقد حدثت طفرة فى الواردات الايرانية منها اذ ارتفعت قيمتها من مجرد ٢ مليون دولار عام ١٩٨٩ إلى ١٩٢ مليون دولار عام ١٩٩٠ بزيادة نسبتها ٩٥٠٠٪ فى عام واحد ، كما حافظت تلك الوادرات فى عام ١٩٩١ على نفس قيمتها الكبيرة عام ١٩٩٠ .

ومن المحتمل أن يكون جانب من الواردات الايرانية من عمان هو سلع غير عمانية ، بمعنى أن دور عمان فى التصدير لايران هو مجرد إعادة تصدير كما هو الحال بالنسبة لإمارة دبى، ومن المحتمل ايضا ان تكون ايران قد لجأت لاستيراد من مختلف دول العالم عبر امارة دبى ودولة عمان للالتفاف على الرقابة الغربية على واردات ايران من الدول الصناعية المتقدمة .

أما الواردات الايرانية من تونس ، فانها تمتعت بدرجة من الاستقرار واستمرت تدور حول نسبة ٠.٢٪ من إجمالى الواردات الايرانية من المملكة العربية السعودية ، فإنها تذبذبت دائما صعودا وهبوطا لكنها انخفضت بشكل كبير عام ١٩٩٠ ثم استمرت عند مستواها المنخفض عام ١٩٩١ فى ظل العلاقات المتوترة سياسيا بين الدولتين ، أما الأردن الذى لم تكن إيران تستورد منه أى شىء حتى عام ١٩٨٩ ، فإن واردات ايران منه بلغت مليون دولار عام ١٩٩٠، ثم ارتفعت إلى ٤٩ مليون عام ١٩٩١ ليصبح ثالث أهم سوق عربية تحصل منها ايران على الواردات .

ومن المؤكد أن الأردن الذى كان حليفا للعراق فى حربه مع ايران وكان معبرا للتجارة الخارجية العراقية فى ذلك الحين .. من المؤكد أنه ما كان من السهل أن يطور تجارته مع ايران دون أن يخشى الموقف العراقى إلا بعد تحطم القوة العسكرية العراقية فى حرب الخليج الثانية ، التى شنتها الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والدول العربية وغيرالعربية المتحالفة معهم ضد العراق بعد ضمه للكويت .

ومن المؤكد أنه لو كانت العلاقات السياسية الايرانية فى وضع أفضل مع كل من مصر والسعودية بصفة خاصة ، لكانت جميع الواردات الايرانية من الدول العربية أكبر كثيرا نظرا لوجود سلة متنوعة من الصادرات الصناعية المصرية التى تحتاجها ايران ، وأيضا نظرا لأن مصر اصبحت مصدرا كبيرا للأرز حيث تأتى فى المركز العاشر بين أكثر مصدرى الأرز فى العام[١١] .

كذلك فإن المملكة العربية السعودية التى بلغت صادراتها من القمح ٢.٢ مليون طن عام ١٩٩٣/٩٢ محتلة المركز السابع بين أكبر مصدرى القمح فى العالم يمكن أن تصدر جانبا منه لايران التى استوردت نحو ٤.٢ مليون طن من القمح عام ١٩٩٣/٩٢[١٢] .

الميزان التجارى الايرانى مع الدول العربية

بالرغم من التذبذب الدائم للميزان التجارى الإيرانى مع الدول العربية بين العجز والفائض فيما قبل الثمانينيات ، إلا أن هذا الميزان تحول إلى العجز الدائم منذ عام ١٩٨٦ حتى الآن . وبالنظر إلى الجدول رقم (٣) نجد أن الميزان التجارى الايرانى حقق آخر فائض له مع الدول العربية عام ١٩٨٥ وبلغ ٢٧١ مليون دولار لكنه حقق عجزا بلغ ٤١٢ ، ٩٠ ، ٢١٦ ، ٩٨٥ ، ١١٢٠ ، ١١٦١ مليون دولار فى أعوام ١٩٨٦ ، ١٩٨٧ ، ١٩٨٨ ، ١٩٨٩ ، ١٩٩٠ ، ١٩٩١ على التوالى .

وفيما يتعلق بالدول العربية الرئيسية المتعاملة تجاريا مع ايران ، حققت ايران خلال الفترة من ٨٥ - ١٩٩١ فائضا تجاريا ضخما فى مجموع معاملاتها التجارية مع سورية ، وذلك على الرغم من تذبذب الميزان التجارى الإيرانى معها فى تلك الفترة .

أما بالنسبة لدولة الامارات العربية المتحدة فإن الميزان التجارى الايرانى معها أسفر عن عجز دائم خلال سنوات الفترة من ٨٥ - ١٩٩١ . وكان هذا العجز التجارى الايرانى مع الدول العربية مجتمعة .

أما بالنسبة للمملكة العربية السعودية فإن الميزان التجارى الايرانى معها تذبذب بين الفائض والعجز فى حدود ضيقة ، باستثناء عام ١٩٨٩ الذى سجل فيه الميزان التجارى الإيرانى مع السعودية عجزا كبيرا بالنسبة لحجم التعاملات بين الدولتين بلغ ٨٧ مليون دولار.

أما بالنسبة لتونس فإن الميزان التجارى الإيرانى معها أسفر دائما عن عجز ايرانى ، باستثناء عام ١٩٨٨ الذى حققت فيه إيران فائضا تجاريا محدودا مع تونس بلغ ١ مليون دولار .

ونظرا لأن العجز التجارى الايرانى يتركز بالأساس فى العجز التجارى مع الامارات ، التى

تصدر لايران سلعا مستوردة من دول أخرى بالأساس فإنه يمكن القول أن العجز التجارى الايرانى مع الدول العربية مرتبط بتجارة الترانزيت ، وهو عجز لصالح دول المنشأ للسلع التى تستوردها إيران من امارة دبى ودولة عمان .

التفاعلات الايرانية - العربية حول الموارد المشتركة

تعد التفاعلات الايرانيةالعراقية حول الممر الملاحى فى شط العرب هى أبرز أشكل التفاعلات العربية - الايرانية حول الموارد المشتركة فشط العرب العراقى كان دائما محلا للأطماع الايرانية .. وفى ظل اختلال ميزان القوة العسكرية لصالح إيران فى النصف الأول من السبعينيات قام نظام الشاه بممارسة ضغوط متعددة على العراق ، إلى أن رضخ فى عام ١٩٧٥ من خلال اتفاقية الجزائر لرغبة ايران فى اقتسام شط العرب مع العراق ، بحيث أصبح خط الحدود بين الدولتين هو خط وهمى فى منتصف المجرى الملاحى لشط العرب بعد أن كان خط الحدود هو الضفة الشرقية للشط قبل ذلك .

ومع احساس العراق بالغبن وبأن منطق القوة وحده هو الذى حقق لايران سيطرتها على جزء من شط العرب العراقى بدأ سباق التسلح وانفجرت الحرب العراقية - الايرانية فى سبتمبر ١٩٨٠. بعد ذلك عندما وجد العراق الفرصة سانحة لاسترداد الشط بعد الاضطراب الذى ساد الجيش الايرانى فى أعقاب الثورة الايرانية . ورغم أن الطموحات الاقليمية - للعراق لعبت الدور الرئيسى فى تفجير تلك الحرب ، إلا أن استعادة شط العرب كان مبررا قويا للعراق فى خوض تلك الحرب .

وهناك بعض الأنهار الفرعية المغذية لنهر دجلة أو لشط العرب تنبع من ايران لكنها لم تكن مثارا للخلاف أو المشاكل ، إذ ان أهميتها محدودة بالنسبة للعراق كما أن ايران ليس لديها خطط بالنسبة لتلك الأنهار الفرعية يمكن أن تثير خلافا مع العراق فى الوقت الراهن على الأقل .

حقل الشمال نموذج للصراع الهادىء على الموارد

إذا كان النزاع الايرانى العراقى حول شط العرب قد ساهم فى اشعال الحرب الطويلة المروعة بين الدولتين ، فإن حقل غاز الشمال هو حقل بحرى للغاز يقع شمال قطر ويعد اكبر حقل

للغاز الطبيعى فى العالم كان مثارا للنزاع بين ايران وقطر لكنه لم يصل إلى حد الصراع العسكرى ، خاصة وأن فارق القوة بين الدولتين يجعل حله سلميا افضل لقطر بصفة خاصة . وكانت قطر قد اكتشفت ذلك الحقل وبدأت استثماره لكن ايران ادعت بعض الحقوق لها فى الحقل ، وانتهى الأمر بأن اقدمت ايران على استثمار جانب كبير من الحقل فارضة الأمر الواقع على قطر التى لم يكن امامها فى ظل الاختلال الرهيب فى ميزان القوى سوى القبول بالمشاركة الايرانية فى الحقل . ومن الواضح أن ايران تعمل فيما يتعلق بالموارد المشتركة مع الدول العربية لاستثمار قوتها العسكرية للحصول على أقصى ما يمكن الحصول عليه بغض النظر عن الحقوق الفعلية لها . ولا يختلف الأمر كثيرا فى عهد الحكومات الإسلامية عنه فى عهد الشاه ، اذ يبدو ان تلك الحكومات ورثت المنطق الامبراطورى الشاهنشاهى فى التعامل مع الدول الصغيرة المجاورة مع الموارد المشتركة بين الطرفين .

التفاعلات الايرانية العربية حول النفط

شكلت التفاعلات العربية - الايرانية حول النفط فى إطار منظمة الدول المصدرة للنفط «اوبك» ومن خلال السلوك الفعلى فى اسواق النفط الدولية موضوعا هاما للتفاعلات الاقتصادية بين العرب وايران .

وقبل انتصار الثورة الايرانية عام ١٩٧٩ كان هناك نوع من التوافق فى السياسات النفطية لايران ودول الخليج . ولكن وعلى العكس من هذا التوافق كان هناك خلاف فى السياسات النفطية بين ايران التى كانت ضمن حمائم الأوبك فى ذلك الوقت - من جهة وبين صقور الأوبك من الدول العربية وبصفة خاصة ليبيا والجزائر والعراق إلى حد ما .

ومع انتصار الثورة الايرانية تغير موقع ومواقف ايران فى منظمة الأوبك ، واختلفت سياستها النفطية فقد اصبحت واحدة من اكثر صقور الأوبك تشددا . وكانت مع رفع اسعار النفط حتى لو اقتضى الأمرقيام دول الأوبك بتخفيض حجم إنتاجها .

وقد ترتب على ذلك قيام خلافات دائمة بين ايران من جهة ودول الخليج من جهة اخرى . وبالرغم من توافق المواقف الايرانية مع مواقف الدول العربية المتشددة ، مثل ليبيا والجزائر والعراق ، إلا أن نشوب الحرب الايرانية - العراقية واندفاع العراق وايران فى عملية جنونية

من التدمير المتبادل لمنشآت وحقول ومعامل تكرير النفط فى بداية الحرب قد خلق موقفا معقدا بين العراق وايران ، انعكس فى مماحكات دائمة بين الدولتين داخل منظمة الأوبك رغم أن كليهما يقف فى موقع صقور الأوبك .

ويمكن القول أنه كانت هناك قضيتان للخلاف بين ايران من جهة والدول العربية من جهة أخرى خلال الثمانينيات :

القضية الأولى : هى التنسيق بين ايران ودول الأوبك عامة وعلى رأسها الدول العربية الأعضاء فى المنظمة ، فيما يتعلق بسقف إنتاج المنظمة والتزام الدول الأعضاء به . وكانت هذه القضية مثار خلاف بين ايران من ناحية والدول العربية القادرة على زيادة إنتاجها من الحصص المقررة لها من ناحية اخرى ، وهى بالتحديد المملكة العربية السعودية ، ودولة الامارات العربية المتحدة والكويت . وقد استمر الخلاف بين ايران والدول الخليجية حول تجاوز الحصص حتى الآن ، واصبحت ايران تنافس تلك الدول فى تجاوز حصتها عندما تتمكن من ذلك .

أما القضية الثانية فهى الخلاف بين ايران والدول العربية داخل منظمة الأوبك فى الثمانينيات وهى القضية التى عرفت بـ «الحصة العراقية » والتى سيطرت على عدد من اجتماعات منظمة الأوبك فى الثمانينات وتتركز قضية الحصة العراقية فى أنه بعد التراجع الكبير فى إنتاج وصادرات العراق وايران من النفط اثر تبادلهما تدمير المنشآت والحقول ومعامل التكرير ، وبعد اضطرار دول الأوبك لتخفيض إنتاجها وحصص اعضائها للحفاظ على أسعار البترول أو لتقليل تدهورها . وفى هذا الإطار حددت منظمة الأوبك حصة العراق فى بداية عام ١٩٨٧ بمقدار ٤٦٦ مليون برميل يوميا ، وحددت حصة ايران فى نفس الوقت بمقدار ٢,٢٥٥ ميلون برميل يوميا . وقد ارتفعت حصتى الدولتين على الترتيب واصبحتا ٥٤و ، ٢,٣٦٩ مليون برميل يوميا فى النصف الثانى من عام ١٩٨٧[١٣] .

وقد رفض العراق حصته وأعلن عدم التزامه بها وطلب مساواة حصته بالحصة الايرانية ، باعتبار أن كلتا الدولتين كانتا تمران آنذاك بظروف واحدة ، فضلا عن ان إنتاج العراق قبل الحرب مع ايران كان قد بلغ ٣,٤٣٨ مليون برميل يوميا ، فى حين ان انتاج ايران قبل الحرب مع العراق مباشرة كان لا يتجاوز ١,٧٧ مليون برميل يوميا . كذلك فان العراق استند فى طلب مساواة حصته بالحصة الايرانية إلى ان اجمال احتياطياته المؤكدة والمعلنة فى ذلك الحين

بلغت ١٠٠ مليار برميل ، في حين أن إجمالى الاحتياطات الايرانية المؤكدة والمعلنة بلغت ٩٢٫٨ مليار برميل فى الوقت نفسه [١٤] .

وقد حسمت قضية الحصة العراقية بموافقة منظمة الأوبك على الطلب العراقى بمساواة الحصة العراقية مع الحصة الايرانية فى نهاية الثمانينات

ومع بداية التسعينيات واندلاع ازمة الخليج وتوقف صادرات النفط العراقية والكويتية اتيحت الفرصة لايران ولكل دول الأوبك لزيادة انتاجها لتعويض توقف الصادرات النفطية الكويتية والعراقية . لكن مع انتهاء حرب الخليج وانخفاض اسعار النفط بدأت دول الأوبك تحاول ضبط انتاجها لوقف تدهور الاسعار . مع استكمال الكويت اطفاء حرائق آبار النفط التى اشتعلت اثناء حرب الخليج الثانية بدأ الصراع من جديد بين ايران والدول الخليجية حول توزيع حصص الإنتاج ، عندما اضطرت دول الأوبك إلى تخفيض حصص الدول الأعضاء لاستيعاب عودة الكويت للإنتاج والتصدير .

وكانت ايران ترغب فى ان تتحمل المملكة العربية السعودية الجانب الأكبر من ذلك التخفيض .. ورغم أن ايران أصبحت تمثل وحدها ثانى أكبر منتج ومصدر للنفط بين دول الأوبك فى غيبة العراق ، الذى يعانى من الحظر المفروض على صادراته النفطية ، فإنها لم تقبل بحصتها البالغة ٣٫٣٤ مليو برميل يوميا فى بداية عام ١٩٩٣ .

كما انها تزعمت الدول الرافضة لطلب الكويت بزيادة الحصة الكويتية.

ومع تبادل ايران ودول الخليج تجاوز الحصص الإنتاجية انخفضت اسعار البترول فى منتصف عام ١٩٩٣ بصورة دفعت دول الأوبك لمحاولة الاتفاق على تعديل سقف الإنتاج وحصص الدول الأعضاء بصورة تضمن التزامها بالحصص ، وقد استطاعت ايران أن ترفع حصتها فى بداية شهر اكتوبر ٩٩٣ إلى ٣٫٦ برميل فى اليوم[١٥] .

وفضلا عن الخلافات الايرانية - الخليجية حول قضية الحصص فإنه وفى مواجهة انخفاض اسعار النفط لأى سبب ، كانت ايران تؤيد اللجوء الى تخفيض الإنتاج وحصص الدول الأعضاء من اجل رفع الأسعار ، فى حين كانت دول الخليج وعلى رأسها السعودية تعارض هذا التخفيض المقترح مبررة بأن دول الأوبك يحب أن تحافظ بل وتزيد حصتها من الإنتاج والصادرات العالمية للنفط ، كما انها يجب ألا تغالى فى رفع اسعار النفط فى وقت تعانى

فيه الاقتصادات الرئيسية المستوردة للنفط فى غرب اوروبا واليابان والولايات المتحدة من ركود عميق ضربها فى عام ١٩٩٠ واستمر فى غالبيتها حتى عام ١٩٩٣ .

وفضلا عن قضايا الخلاف الدائمة بين ايران وبعض الدول العربية المنتجة والمصدرة للنفط ، فإنه فى حالة رفع الحظر على تصدير النفط العراقى بشكل كامل سوف تكون هناك قضية جديدة للخلاف ، نظرا لأنه من المتوقع ان يعمل العراق على زيادة انتاجه ونظرا لأنه من المرجح أن يطالب بمساواة حصته مع الحصة الايرانية ، وربما تجاوزها مبررا ذلك بمتطلبات إعادة إعمار العراق وتعويض ما فاته فى سنوات حظر تصدير النفط العراقى .

حركة العمالة بين ايران والدول العربية

اتخذت حركة العمالة اتجاها واحدا تقريبا من ايران إلى الدول العربية وبخاصة امارات الخليج الصغيرة . وكان عدد الايرانيين فى دول الخليج قد بلغ ٣٥ الفا فى الكويت ، ٢٠ الف فى البحرين ، ٢٠ الفا فى قطر ، ١٥ الفا فى دولة الامارات ، وذلك فى عام ١٩٦٨ . ومع حدوث الطفرة النفطية تزايد تدفق الايرانين على دول الخليج . لكن حركة العمالة الايرانية لدول الخليج تراجعت ، واصبحت محدودة جدا بعد قيام الثورة الايرانية وظهور التهديدات بتصدير الثورة الاسلامية إلى دول الخليج ، وما تلاها من نشوب الحرب الايرانية - العراقية ، مما جعل دول الخليج متحفظة فى استيعاب أى عمالة ايرانية ، خاصة بعد حدوث عدد من الأعمال الإرهابية فى الكويت وغيرها من دول الخليج ، والتى القيت مسئوليتها على ايران .

كذلك فإن عشرات الآلاف من الايرانيين الذين كانوا يعملون أو متوطنين فى جنوب العراق قد جرى طردهم قبل وفى اعقاب نشوب الحرب الايرانية - العراقية .

حركة الاستثمارات بين ايران والدول العربية

لم تكن هناك حركة للاستثمارات بين ايران والدول العربية قبل الطفرة النفطية ، سواء لمحدودية الاستثمارات الخارجية العربية والايرانية ، أو لأن المناخ فى غالبية الدول العربية لم يكن مواتيا للاستثمارات الاجنبية . ولكن مع حدوث الطفرة النفطية التى بدأت فى اكتوبر ١٩٨٣ وما ترتب عليها من تراكم الفوائض المالية لدى دول الخليج وايران والمستثمرين فى

كليهما ، بدأت الأموال الإيرانية تبحث عن استثمارات فى بعض الدول العربية وقد كانت مصر هى أهم دولة استقبلت استثمارات ايرانية يأتى على رأسها الحصة الإيرانية الضخمة فى بنك مصر - ايران للتنمية . وقد توجهت الاستثمارات الايرانية إلى مصر ، بسبب العلاقات السياسية القوية بين نظام الشاه فى ايران ونظام حكم السادات فى مصر ، خاصة مع ارتباط الرئيس المصرى السابق انور السادات بعلاقات قوية مع شاه ايران . كذلك فإن بدء الانفتاح الاقتصادى فى مصر فى منتصف السبعينيات والاغراءات التى قدمها للمستثمرين الأجانب ساهمت فى جذب بعض الاستثمارات الايرانية الحكومية والخاصة إلى مصر .

وفيما عدا مصر لم تكن هناك استثمارات ايرانية كبيرة فى أى دولة عربية أخرى . وبعد انتصار الثورة الايرانية عام ١٩٧٩ توقفت أى حركة للاستثمار بين ايران والدول العربية بسبب افتقاد الثقة بين الطرفين ، وبسبب هروب رؤوس الأموال الايرانية الخاصة إلى اسواق المال الأوربية والأمريكية ، وأيضا بسبب غرق الحكومة الايرانية فى المشاكل وعجزها عن تمويل الانفاق المحلى بما دفعها للاستدانة خاصة بعد نشوب الحرب مع العراق . وكل ذلك جعل الدولة الايرانية عاجزة عن الاستثمار الخارجى حتى ولو رغبت فى ذلك .

خاتمة

بناء على كل ما سبق يمكن القول أن العلاقات الاقتصادية العربية الايرانية ظلت وستستمر غالبا محكومة بطبيعة العلاقات السياسية بين الطرفين بحيث أن أى تطور فى العلاقات الاقتصادية العربية - الايرانية يبقى مرهونا بتطور العلاقات السياسية العربية - الايرانية . كذلك فإن تنافس ايران مع الدول العربية المنتجة والمصدرة للنفط وتباين المواقف والسياسات النفطية يبقى مادة للخلافات الايرانية مع بعض الدول العربية ، وهو خلاف ربما يبقى بلا حل إلى أن تتغير معطيات العرض العالمى للنفط والطلب عليه بصورة تجعل فى مقدور ايران والدول العربية زيادة إنتاجها النفطى بلا قيود ، وهو أمر من المرجح الا يكون واردا قبل بداية القرن القادم على الأقل .

جدول (١)

قيمة الصادرات الإيرانية للدول العربية ووزنها النسبي من إجمالي صادرات إيران

	١٩٨٥		١٩٨٦		١٩٨٧		١٩٨٨		١٩٨٩		١٩٩٠		١٩٩١	
	القيمة بالمليون دولار	نسبة من اجمالي صادرات ايران	القيمة بالمليون دولار	نسبة من اجمالي صادرات ايران	القيمة بالمليون دولار	نسبة من اجمالي صادرات ايران	القيمة بالمليون دولار	نسبة من اجمالي صادرات ايران	القيمة بالمليون دولار	نسبة من اجمالي صادرات ايران	القيمة بالمليون دولار	نسبة من اجمالي صادرات ايران	القيمة بالمليون دولار	نسبة من اجمالي صادرات ايران
البحرين	٣	٪٠.٠٠	٢	٪٠.٠٠	٢	٪٠.٠٠	٢	٪٠.٠٠	٣	٪٠.٠٠	٣	٪٠.٠٠	٣	٪٠.٠
مصر	-		-		-	-	-	-	-	-	٨	٪٠.٠١	-	٪-
الأردن	٢	٪٠.٠٠	١	٪٠.٠٠	٢	٪٠.٠٠	٢	٪٠.٠٠	٣	٪٠.٠٠	٢	٪٠.٠٠	١٠	٪٠.١
الكويت	١٠	٪٠.٠١	٩	٪٠.٠١	١٦	٪٠.٠١	١٨	٪٠.٠٢	١٧	٪٠.٠٢	١١	٪٠.٠١	-	-
لبنان	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
ليبيا	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
عمان	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
السعودية	١٧	٪٠.١	١٦	٪٠.٢	٢٧	٪٠.٢	٤	٪١.١	١	٪٠.٠٠	-	-	-	-
سورية	٦٤٢	٪٤.٧	١٦٩	٪٢.١	١٨٦	٪١.٧	٥٤	٪٠.٧	٨٤	٪٠.٧	٣٠	٪٠.٢	-	-
الامارات	٧٢	٪٠.٥	٨٦	٪١.١	١٣٣	٪١.٢	١١٥	٪١.٤	١٤٠	٪١.٢	١٥٤	٪١.٠	١٥٤	.٠
اليمن (الجنوبي سابقا)	-	-	١٢	٪٠.٢	١٥	٪٠.١	١٥	٪٠.٢	١٧	٪٠.٢	٢١	٪٠.١	١٩	٪٠.١
المغرب	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
تونس	-	-	-	-	٦	٪٠.١	٩	٪٠.١	٢١	٪٠.٢	٩	٪٠.١	١٣	٪٠.١
قطر	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	٧	٪٠.٠٠	٧	.٠
اجمالي الدول العربية	٧٤٦	٪٥.٤	٢٩٥	٪٣.٧	٣٨٧	٪٣.٥	٢١٩	٪٢.٧	٢٨٦	٪٢.٥	٢٤٥	٪١.٦	٢٠٦	.٣

المصدر : جمعت وحسبت بمعرفة الباحثة من I. M. F, Direction of Trade Statitics yearbook 1992

جدول (٢)

قيمة الواردات الإيرانية من الدول العربية ووزنها النسبي من إجمالي واردات إيران

	١٩٨٥		١٩٨٦		١٩٨٧		١٩٨٨		١٩٨٩		١٩٩٠		١٩٩١	
	القيمة بالمليون دولار	نسبة من اجمالى صادرات ايران	القيمة بالمليون دولار	نسبة من اجمالى صادرات ايران	القيمة بالمليون دولار	نسبة من اجمالى صادرات ايران	القيمة بالمليون دولار	نسبة من اجمالى صادرات ايران	القيمة بالمليون دولار	نسبة من اجمالى صادرات ايران	القيمة بالمليون دولار	نسبة من اجمالى صادرات ايران	القيمة بالمليون دولار	نسبة من اجمالى صادرات ايران
البحرين	٨	٠.١٪	٧٦	٠.٨٪	٤	٠.٠٪	-	-	٣	٠.٠٪	١	٠.٠٪	١	٠.٠٪
مصر	-	-	-	-	-	-	٣	٠.٠٪	٣	٠.٠٪	٣٤	٠.٢٪	-	-
الأردن	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	١	٠.٠٪	٤٩	٠.٢٪
الكويت	٣٦	٠.٣٪	١٨	٠.٢٪	٤	٠.٠٪	٢	٠.٠٪	٢٦	٠.٢٪	١٧	٠.١٪	-	
لبنان	١	٠.٠٪	-		١	٠.٠٪	١	٠.٠٪	٢	٠.٠٪	٢	٠.٠٪	٢	٠.٠٪
ليبيا	٢	٠.٠٪	٢	٠.٠٪	٢	٠.٠٪	-	-	٤	٠.٠٪	٤	٠.٠٪	٤	٠.٠٪
عمان	-	-	٢	٠.٠٪	٦	٠.١٪	٢	٠.٠٪	٢	٠.٠٪	١٩٢	١.٢٪	١٩٢	٠.٩٪
السعودية	١١	٠.٢٪	٢٧	٠.٣٪	١٠	١.٠٪	١٣	٠.٢٪	٨٨	٠.٧٪	٧	٠.١٪	٧	٠.٠٪
سورية	٣٦	٠.٣٪	١٢	٠.١٪	٣٧	٠.٤٪	٩٩	١.٢٪	١٢٣	١.٠٪	١٥	٠.١٪	٩	٠.٠٪
الامارات	٣٥٠	٣.١٪	٥٣٧	٠.٧٪	٣٩٠	٤.٢٪	٢٧٦	٣.٤٪	٩٤٩	٧.٤٪	١٠٤٤	٦.٦٪	١٠٤٤	٤.٨٪
اليمن (الجنوبي سابقا)	-	-	٨	٠.١٪	-	-	-	-	١	٠.٠٪	١	٠.٠٪	١	٠.٠٪
المغرب	-	-	-	-	-	-	-	-	١٤	٠.١٪	١٣	٠.١٪	١٤	٠.١٪
تونس	١٨	٠.٢٪	١٢	٠.١٪	١٨	٠.٢٪	٨	٠.١٪	٥٢	٠.٤٪	٢٩	٠.٢٪	٣٩	٠.٢٪
قطر	١٣	٠.١٪	١٣	٠.١٪	٥	٠.١٪	٣١	٠.٤٪	٤	٠.٠٪	٤	٠.٠٪	٤	٠.٠٪
اجمالى الدول العربية	٤٧٥	٤.٢٪	٧.٧	٧.٦٪	٤٧٧	٥.١٪	٤٣٥	٥.٣٪	١٢٧١	٩.٩٪	١٣٦٥	٨.٧٪	١٣٦٧	٦.٣٪

المصدر : جمعت وحسبت بمعرفة الباحثة من I. M. F, Direction of Trde Statistics yearbook 1992.

جدول(٣)

الميزان التجاري الإيراني مع الدول العربية

	١٩٨٥	١٩٨٦	١٩٨٧	١٩٨٨	١٩٨٩	١٩٩٠	١٩٩١
سورية	+ ٦٠٦	+ ١٥٧	+ ١٤٩	- ٤٥	- ٣٩	+ ١٥	- ٩
الإمارات	- ٢٧٨	- ٤٥١	- ٢٥٧	- ١٦١	- ٨٠٩	- ٨٩٠	- ٨٩٠
السعودية	+ ٦	- ١١	+ ١٧	- ٩	- ٨٧	- ٧	- ٧
تونس	- ١٨	- ١٢	- ١٢	+ ١	- ٣١	- ٢٠	- ٢٦
مجموع الدول العربية	+ ٢٧١	- ٤١٢	- ٩٠	- ٢١٦	- ٩٨٥	- ١١٢٠	- ١١٦١

المصدر:

جمعت وحسبت بمعرفة الباحثة من I.M.F, Direction of Trade Statistics yearbook 1992

المراجع

١- Wrld Bank, Wrld Development Report 1993

٢- جمعت وحسبت من : U. N, Human Development Report 1993

٣- I. M. F, World Economic outlook, May 1993

٤- جريدة الأهرام ١٩٩١/١١/٣٠.

٥- جريدة الأهرام ١/١٢/ ١٩٨٠

٦- جريدة الأخبار ١٩٨٠/٢/١١.

٧- World Bank, World Development Reprt 1993

٨- المصدر السابق مباشرة.

٩- I. M. F, Direction f Trade Statistics yearbook 1992

١٠ - The Europa yearbook. 1992

١١- منظمة "الفاو"، النظام العالمى للإعلام والإنذار المبكر من الأغذية والزراعة، توقعات الأغذية، العدد السابع ١٩٩٣، روما يوليو ١٩٩٣.

١٢- المصدر السابق مباشرة.

١٣- احمد السيد النجار ، ماذا يجري فى منظمة الأوبك ؟، مجلة المنار، باريس ، نوفمبر ١٩٨٨ ص ١٠٣.

١٤- المصدر السابق مباشرة ص ٩٩.

١٥- جريدة الحياة اللندنية ١/ ١٠/١٩٦٨.

١٦- جريدة الجمهورية المصرية ١٩٦٨/٣/٧.

القسم الثالث

العلاقات الثقافية بين العرب وإيران

الفصل الثامن:

العلاقات الثقافية بين العرب والفرس حتى نهاية العصر العباسى

أ. د . عبدالنعيم محمد حسنين

الفصل التاسع :

الثقافة العربية الإسلامية فى بلاد الفرس من بعد العصر العباسى حتى بداية العصر الصفوى

أ . د . شيرين عبدالنعيم حسنين

الفصل العاشر :

العلاقات الثقافية بين العرب وايران فى العصر الحديث

أ . د . بديع محمد جمعه

الفصل الثامن

العلاقات الثقافية بين العرب والفرس
حتى نهاية العصر العباسى ★

تمهيد:

إن الدارس للعلاقات الثقافية بين العرب والفرس يجد هنا علاقات وثيقة تضرب بجذورها فى أعماق التاريخ ، ولها من الأصالة ما يجعلها تصمد على الدهر ، وتتأبى على تصاريف الأيام ، وقد بلغت ازدهارها فى العصر العباسى .

وقد حمل العرب والفرس - منذ شروق شمس الإسلام - لواء المدنية بفكرهم وثقافتهم العريقة ، وأناروا بالعرفان طريق الإنسانية ، وساهموا فى إسعاد البشرية بنشر تعاليم الاسلام السامية .

ويستطيع العرب والفرس ، وبالتعاون المثمر فى الحاضر أن يعيدوا الى الأذهان صورة الماضى المشرق ، ويبعثوا الآمال فى تحقيق السلام والتقدم والسعادة لشعوب الشرق والغرب على السواء .

★ اعد هذه الدراسة الاستاذ الدكتور عبدالنعيم محمد حسنين ، استاذ اللغة الفارسية وآدابها بجامعة عين شمس .

وقد شهد التاريخ ارتباطا وثيقا وتفاعلا عميقا بين الثقافتين العربية والفارسية اللتين انتجت بتآلفها حضارة اسلامية زاهرة يفخر بها العرب والفرس وتفخر بها الحضارة الإنسانية فى كل مكان وزمان .

والمسلمون عربا وفرسا يحرصون كل الحرص على الوحدة الاسلامية التى حث عليها القرآن، وتحدثت عنها السنة ، والوحدة الاسلامية هى وحدة التضامن والتساند من كل دولة من الدول الاسلامية لغيرها من الدول الإسلامية الأخرى .

وقد عمل العرب والفرس متضامنين فى ظل الاسلام على تثبيت جذور الوحدة الإسلامية ورفع بنيانها ، لأن إيران لبّت نداء الإسلام - منذ عهد الخلفاء الراشدين وساهمت فى نشرة وفى خدمة الثقافة الاسلامية ، وقدمت الكثير لهذه الثقافة الاسلامية وكان منها أعلام أفذاذ ، ساهموا فى بناء صرح الثقافة الاسلامية ، فساهموا فى علم الحديث ، وساهموا فى علم التفسير، وساهموا فى علم الثقافة وساهموا فى علم الكلام ، وساهموا فى جميع ألوان الثقافة الاسلامية خاصة فى العصر العباسى .

وسأحاول هذا الفصل أن ألقى أضواء كاشفة على العلاقات الثقافية بين العرب والفرس حتى نهاية العصر العباسى ، وأن أبين جوانبها المختلفة .

اولا : التقاء الثقافتين العربية والفارسية قبل الاسلام :

إن الذى يقلب صفحات التاريخ يستطيع أن يتبين أنه كانت بين العرب والفرس روابط قديمة ، تغوص جذورها فى أعماق الزمن ، ولو ذهبنا نتلمسها لنتمثلها فى سياق تاريخى ، لاقتضى الأمر أن نبدأ بالعهد الأسطورى فى تاريخ الفرس .

وكان التقاء الثقافتين العربية والفارسية وليد الصلات بين العرب والفرس ، ولوذهبنا نتقصى أخبار هذه الصلات فإننا نجد أن بعضها يدخل فى باب الأساطيروبعضها الآخر شبيه بالأساطير ، ولكن جزءا منها حقائق تاريخية لاشك فيها ، غير أن هذه الأخبار جميعها توحى بأن الأمتين العربية والفارسية التقتا قبل الاسلام ، وفى ظل الإسلام ، فالتقت ثقافتهما بصورة لم يشهد لها التاريخ مثيلا .

وقد شهد التاريخ صلات تعاون ومودة بين العرب والفرس قبل الإسلام فحينما حمل الفرس

على اليونان اشترك معهم العرب فى حملتهم ، ولما عزم قمبيز على فتح مصر فى عام ٥٢٦ قبل الميلاد أرسل رسولا من قبله الى ملك العرب فى شبه جزيرة سيناء ، واتفق معه على أن يفسح طريقا فى بلاده لعبور جنود الفرس وعاهد ملك العرب ملك الفرس على أن يمد جيشه بكل ما يحتاج إليه فى أثناء عبوره.

وكانت إمارة الحيرة العربية على صلة طيبة بالفرس ، فتحققت بواسطتها روابط محكمة بين العرب والفرس ، وهى إمارة منح الملك الفارسى أزد شيرين بابك أهلها استقلالهم فكانوا يحكمون أنفسهم حكما ذاتيا .

وقد نشأ الأمير بهرام جورين يزدجرد فى كتف النعمان بن المنذر حاكم الحيرة ، أرسله أبوه ليتأدب بآداب العرب ، فلما توفى والده ، ساعده النعمان فى الجلوس على العرش وكان ذلك حين بلغ الأمير الفارسى أن قومه ملكوا عليهم رجلا ليس من أبناء الملوك ، فاستعدى النعمان بن المنذر واستنجده ، فخرج معه حتى صار بالمدائن عاصمة دولة الفرس - حيث أقنع بهرام قومه بأحقيته فى الملك - فأجلسوه على العرش ، وانصرف النعمان الى الحيرة وقد أدت هذه المساعدة الى توثيق الصلات بين العرب والفرس مما ساعد على التقاء ثقافتيهما .

وقد تأكدت صلة المودة بين العرب والفرس حينما قدم الملك الفارسى أنوشيروان العون لملك اليمن العربى سيف بن ذى يزن ليساعده فى صد غزو الأحباش الذين احتلوا اليمن فى عام ٥٢٢ م ، سمى جيش الفرس - حينذاك - بجيش النجاة ، وتبعت اليمن فارس منذ ذلك الوقت إلى ظهور الإسلام ، وكان العرب يسمون الفرس هناك بالأبناء .

وكان لانتصار العرب على جيش الحبشة - بمساعدة الفرس - نشوة عظيمة ترددت أصداؤها بعد ذلك ، فالبحترى مثلا أخذ يباهى بتلك اليد التى أسداها الفرس الى قومه ، وظهرت مباهاته فى سينيته المشهورة التى وصف بها إيوان كسرى .

وقد استقرت بطون من ربيعه ومضر فى سواد العراق والجزيرة ، وصارت لهم ديار ومراع ، ونزلوا على خفارة الفرس .

وكان التجار الفرس يقدمون الى مكة قبل أن يلى هاشم التجارة ، ثم مضى العرب الى تجارتهم ، واختص نوفل بن هاشم بالتجارة مع فارس ، ويروى إنه عقد مع الفرس حلفا ومعاهدة تجارية .

وكان ملك الفرس كسرى برويز يجهز كل سنة تجارة لتباع فى عكاظ ، كما كانت التجارة صلة بين الفرس واليمن ، وكان الفرس يرسلون قوافلهم فى خفارة قبائل عربية تتقاضى من ملوك الفرس جعلا على حراستها .

وقد أدت الصلات التجارية بين العرب والفرس الى التقاء ثقافة الأمتين فى مجال التجارة، وكان للفرس وفادات جماعية ، فقد ذكر المسعودى أن أسلاف الفرس كانوا يقصدون البيت الحرام ، ويطوفون به تعظيما له ، وكان أخر من حج منهم ساسان بن بابك جد أردشيرين بابك، وكان ساسان إذا أتى البيت طاف به ووقف على زمزم بئر اسماعيل ، وكان غيره من الفرس يفعلون ذلك وفى هذا يقول الشاعر :

" زمزمت الفرس على زمزم وذاك من سالفهما الإقدام"

وهناك أخبار تشير الى أن بعض الفرس قد زار بلاد العرب ، وأن بعض العرب قد زار بلاد الفرس وحدثهم عن الكعبة .

وكان للشاعر العربى الأعشى صلة بالملك الفارسى كسرى أنوشروان ، وقد تحدث كثير من رجال التاريخ والأدب عن هذه الصلة ، وعزا بن قتيبة فى كتابه "الشعر والشعراء " ورود كثير من الألفاظ الفارسية فى شعر الأعشى الى تردده على بلاد الفرس بقوله "

"قد سرت ما بين بانقيا الى عدن وطال فى العجم ترحالى وتسيارى

وهناك أخبار تشير الى نزول بعض الفرس بالمدينة مما جعل أهلها يأخذون عن هؤلاد الفرس بعض ألفاظهم .

وهذه الأخبار مهما كان حظها من الصحة تبين ما كان بين العرب والفرس من صلات قبل أن يدخلوا معا تحت راية الاسلام ، ويستظلوا بظله ، ولاشك أن هذا التعارف أدى الى التقاء الثقافتين العربية والفارسية ، وأوجد تأثيرا وتأثرا أيا كانت درجتها ، ثم جاء الإسلام فجعل التقاء الثقافتين قويا بصورة لا عهد للإنسانية بها فى تاريخها الطويل ، فقد كان الدين الحنيف سببا لجعل العرب والفرس على صلة متينة أساسها الأخوة ، فأصبحوا بنعمة الله اخوانا مما أدى الى توثيق العلاقات الثقافية بين العرب والفرس فى ظل الإسلام وبخاصة فى العصر العباسى .

ثانيا : مظاهر التقاء الثقافتين العربية والفارسية بعد الاسلام

ولد رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - فى عهد الملك الفارسى كسرى أنوشيروان، ونسب الى نبى الإسلام - صلوات الله عليه - أنه قال : "ولدت فى عهد الملك العادل كسرى أنوشيروان " مما يؤكد صلة العرب بالفرس" .

وكان سلمان الفارسى من صحابة الرسول ، وقد اشترك فى حفر الخندق فى أثناء غزوة الأحزاب ، وروى أنه كان سديد الرأى ، وعارفا بحفر الخنادق ، وأنه هو الذى أشار على الرسول بحفر الخندق ، وكان سلمان حينذاك يمثل حضارة عريقة فى القدم ، كما روى أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال فى أثناء الغزوة المذكورة "سلمان منا أهل البيت " كما أحبه المهاجرون والأنصار على سواء ، وتنافسوا فيه ، فقال المهاجرون : سلمان منا ، وقالت الأنصار : هو منا ".

ثم دارت الأيام ، وصح عزم المسلمين بعد وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على نشر دين الله فى الآفاق لينعم بنعمته مختلف الشعوب ، فتوجهت جيوش المسلمين لتحقيق هذا الهدف منذ عهد الخليفة الأول أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - فبدأ فتح بلاد الفرس فى عهده وتم الجزء الأكبر منه فى عهد عمر بن الخطاب ، واستكمل فى عهد عثمان بن عفان - رضوان الله عليهم أجمعين .

وهكذا يسر الله للمسلمين فتح بلاد الفرس ، فأشرقت شمس الاسلام على بلادهم ، وأصابتهم نعمته ، فاعتنقوا هذا الدين الحنيف ، وتعلموا اللغة العربية ، ليتعلموا بها أمور دينهم الجديد ، لأنها اللغة التى اختارها الله لسانا لوحيه ووعاء لكتابه ، فنزل بها القرآن الكريم دستور الاسلام الخالد ، وقيلت بها الأحاديث النبوية الشريفة ، وكتاب الله وسنة رسوله هما المنبعان الصافيان اللذان يستقى كل مسلم منهما أمور دينه ، ولا يضل أبدا إذا اتبعهما .

وقد دخل الفرس فى الإسلام طواعية واختيارا ، لما وجدوا فى تعاليمه من مساواة وعدل وإخاء وتراحم ، فالناس جميعا سواسية كأسنان المشط فلا فضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى لأن كلهم لآدم ، وآدم من تراب ، وقد خلقهم الله شعوبا وقبائل ليتعارفوا .

وهكذا دخل الفرس فى الاسلام منذ القرن الأول الهجرى واستظلوا برايته ، وتطوعوا للجهاد فى سبيل الله ، وساهموا فى نقل نعمة الاسلام الى الشعوب المجاورة لهم فى تركستان والهند .

كما روى أن جماعة من الفرس صحبوا عمرو بن العاص فى فتح مصر، وكانوا من سلالة باذان حاكم اليمن من قبل كسرى أنوشيروان ، وقد اعتنقوا الاسلام فى الشام وتطوعوا للجهاد ، فجاهدوا فى سبيل الله ، شأن كل مسلم عمر قلبه بالإيمان .

وقد ظلت حضارة الفرس باقية ، لأن العرب حافظوا عليها واقتبسوا منها ، لأن الإسلام يدعوا الى طلب العلم والاستزاده منه ، خاصة إذا كان علما مفيدا ، لأن الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها أنى وجدها .

وتدل أحداث التاريخ على أن الفرس بعد أن اعتنقوا الاسلام طوعا ، رقت قلوبهم له ، لاقتناعهم بأنه سوف يصلح حالهم ، ويرفع شأنهم ، لأنهم وجدوه دين المساواة واليسر والدعوة الى العمل من أجل تعمير الأرض ، ولهذا أصبح الفرس بفضل الاسلام أصحاب حضارة مزدهرة ، متعددة الجوانب بعيدة الآثار يشيد بها الدارسون .

وازدادت صلات العرب والفرس بفضل الاسلام ، والتقوا فى صلة النسب ، فامتزجت الدماء العربية بالدماء الفارسية ، وقد حدث هذا النسب فى صدر الاسلام ، فتزوج ثلاثة من خيرة شباب العرب ثلاثا من بنات يزدجرد بن شهريار آخر ملوك الساسانين ، وقد تم هذا الزواج فى عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان - رضى الله عنه - فتزوج احداهن الحسين بن على ، وتزوج الثانية محمد بن أبى بكر ، وتزوج الثالثة عبدالله بن عمر - رضوان الله عليهم أجمعين - ثم كثر التزاوج بين العرب والفرس بعد الفتح الاسلامى لإيران ، وهجرة قبائل عربية إلى هذه البلاد واستقرارها فيها ، فأختلطت الدماء ، وامتزجت الحضارتان العربية والفارسية فى ظل الإسلام .

وقد عاش العرب والفرس فى صدر الإسلام فى وئام ، واعتبرت القبائل العربية التى نزحت الى إيران من الايرانيين بعد أن استقرت فى هذه البلاد ، مثل بنى شيبان ، وبنى غفار ، ولم يرد الى الدارسين ما يشير الى سخط الفرس على العرب أو ضيقهم بهم ، أو ما يدل على أن العرب لم يستريحوا فى الأراضى التى عاشوا فيها فى بلاد الفرس .

وقد أخذا الخليفة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - ضرب الدارهم على نقش الكسروية ، أى الدراهم الفارسية ، غير أنه تناولها بشئ من التعديل لأنه زاد فى بعضهما "الحمد لله" وفى بعضهما "رسول الله" وفى غيرها "لا اله الا الله" وظلت الدراهم تضرب على هذا النحو إلى زمن الحجاج بن يوسف الثقفى ، كما ذكر المقريزى فى كتبه "إغاثة الامة بكشف الغمة"

وهكذا نرى أن الصلة بين العرب والفرس زادت قوة بعد الفتح الاسلامى لإيران ، وأخذ الامتزاج بين الحضارتين يزداد على مر الأيام الى أن تألفت بين العرب والفرس أمة واحدة هى الأمة الاسلامية ، واتخذ الفرس اللغة العربية لغة لهم ، فصار اندماجهم فى العرب تاما ، والتقت الثقافتان العربية والفارسية وامتزجا بصورة لم يشهد لها التاريخ مثيلا .

وقد ازداد اتصال العرب بالفرس فى عصر العباسيين ، فكان خلفاء العباسيين يختارون وزراءهم من الفرس ، وظلت هذه عادة متبعة عند خلفاء العباسيين منذ عهد السفاح أول خلفائهم الى عهد المأمون بن الرشيد ، وأول هؤلاء الوزراء أبوسلمه الخلال الذى وزر للسفاح ، ثم خالد بن برمك ، وقد وزر للسفاح أيضا ، فلما تولى المنصور أقره على وزارته وأكرمه واستشاره ، وخالد بن برمك هو جد البرامكة الذين ظل شأنهم فى ارتفاع الى أن نكبهم الرشيد فى عام ١٨٧ هـ والبرامكة أسرة عريقة فى الوزارة ، فقد ذكر نظام الملك الوزير المشهور فى العصر السلجوقى فى كتابه "سياستنامه" أى "كتاب السياسة" أن للبرامكة كتبا قديمة فى الوزارة وأصولها ، كانوا يفرضون على أبنائهم قراءتها ، وتدبر ما فيها ، وهم فتيان يطلبون العلم ، حتى يتأهلوا لتولى الوزارة حينما يصبحون رجالا .

وقد توقف الاتصال بين العرب والفرس بعد نكبة البرامكة ، وفى عهد الأمين العباسى ، ثم عاد الاتصال بينهم فى عهد الخليفة المأمون بن الرشيد لأن أمه كانت فارسية ، فكان ذوو رأيه من الفرس ، وكان بنو سهل وزراءه الأول ، وهم صنائع البرامكة .

صحيح أن الصلات بين العرب والفرس كانت تتفاوت حسنا وسوءا ، ولكنها - على كل حال - ساعدت على اتصال العرب بالفرس ، وامتزاج الثقافتين العربية والفارسية ،وأخذ الفرس بثقافة العرب فى شتى نواحيها ، وأصبحت العربية لغتهم فى التعبير الأدبى ، والتعبير العادى.

وقد توثقت الصلات بين العرب والفرس فى العصر العباسى ، حين كانت بغداد عاصمة

للدولة الاسلامية المترامية الأطراف ، كما كانت مقرا للخليفة العباسي - أمير المؤمنين - أكثر من خمسة قرون من الزمان، امتزجت فى أثنائها دماء العرب بدماء الفرس المسلمين ، لأن الاسلام سوى بين المسلمين جميعا على اختلاف أجناسهم وألوانهم وألسنتهم وأوطانهم فكلهم فى نظر الاسلام سواء ولا فرق بين عربى وأعجمى ولابين أبيض وأسود الابالتقوى والعمل الصالح ، كما وضحنا .

وقد حدثت صلة بين الفرس ومصر العربية فى عصر العباسيين كذلك لأن الجيش العباسى الذى تبع مروان بن محمد الى مصر كان مؤلفا من فرسان كان بينهم فرسان من الخراسانية ، كما كان بعض ولاة العباسيين على مصر من الفرس ، كأبى عون بن يزيد الذى ذكر الكندى فى كتابه عن ولاة مصر أنه كان من أهل جرجان .

ومن ولاة مصر فى ذلك العصر أيضا هزيمة بن أيمن وكان من أهل بلخ ، وقد ولى من قبل الرشيد على خراج مصر وصلاتها ، وكانت إدارة الديار المصرية فارسية لقدوم كتاب من العراق قاموا بشئونها وداموا على ذلك قرنا من الزمان ، وكان هذا سببا قويا فى وفود عدد من الفرس الى الفسطاط وغيرهما من المدن المصرية .

كما قدم بعض الفرس مصر طلبا للحديث ، ومن المرجح أن بعض تجار الفرس قد قدموا مصر ، وإن لم تذكر المصادر من هؤلاء التجار الا اسم تاجر واحد .

ومن مظاهر امتزاج الثقافتين العربية والفارسية احتفال العرب بعيدى النيروز والمهرجان ، وأول من رسم النيروز والمهرجان فى الاسلام الحجاج بن يوسف الثقفى ، ثم توقف الاحتفال بهذين العيدين فى عهد الخليفة الآموى عمر بن عبدالعزيز ، وعاد مرة أخرى فى العصر العباسى.

والنيروز أصله فى الفارسية "نوروز" وهو اسم مركب من كلمتين فارسيتين هما "نو" بمعنى جديد "و" " روز" بمعنى يوم ، وقد اتخذه الفرس لإحياء عامهم الجديد ، وهو أول أيام السنة عندهم ، وهو أعظم أعيادهم قبل الاسلام وبعده الى يومنا هذا ، ويقول البيرونى فى كتبه "الآثار الباقية عن القرون الخالية " ان أول من اتخذ هذا اليوم عيدا هو ملك الفرس الأسطورى جمشيد .

وقد جمع النيروز - أيضا - العرب و الفرس على توقيت لدفع الخراج وكان الخراج يدفع

بعد الحصاد ، وكانت السنة المالية سنة شمسية ، وهى السنة الفارسية ، وكان الخراج يستوجب الأداء فى النيروز ، ولكن هذا التقويم لم يوافق السنة الشمسية فى الواقع ، لأن تاريخ النيروز كان يتقدم تدريجيا الى تاريخ فى الربيع ، وهو الآن أول يوم فى الربيع وأول السنة الايرانية الهجرية الشمسية منذ عصر السلطان ملكشاة السلجوتى فى القرن الخامس الهجرى أى أثناء حكم الدولة العباسية .

هذه صور من الصلات العامة بين العرب والفرس تدل على مدى الاتصال بين العرب والفرس مما ساعد على امتزاج الثقافتين العربية والفارسية وبخاصة فى العصر العباسى، فتجلت مظاهر هذا الامتزاج فى آثار عقلية وروحية ظهرت فى الآداب والعلوم المختلفة ، وما زالت مظاهر هذا الامتزاج واضحة حتى يومنا هذا ، وستظل كذلك الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين مما سنبينه فيما يلى

ثالثا : العلاقات الثقافية بين العرب والفرس حتى نهاية العصر العباسى :

كانت العلاقات الثقافية بين العرب والفرس مزدهرة طوال العصر العباسى ، فقد كان العراق مقرا لدولة الخلافة العباسية - كما ذكرنا - وكان تاريخ ايران مرتبطا بتاريخ العراق عبر العصور التاريخية المختلفة قبل الميلاد وبعده وقبل شروق شمس الإسلام وبعد شروقها ، مما يسر الاتصال بين العرب والفرس ، فقد كانت إيران والعراق توجههما أحداث واحدة تشكل تاريخهما ، وتحدد مصيرهما .

وكانت عاصمة الساسانيين - قبل الإسلام - فى العراق وكانت تسمى طيسفون - أى المدن الثلاث - فلما فتحها المسلمون فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه - سموها المدائن ، وهى مدينة باقية حتى الآن ، فمازالت أطلالها شاخصة الى يومنا هذا على مسافة ليست بعيدة عن بغداد عاصمة العراق الشهيرة منذ عصر العباسيين ، وهذه الأطلال يطلق عليها اسم "مدائن كسرى " وهى مكان أثرى يتوجه الناس إليه للزيارة والترويح عن النفس .

وظلت إيران والعراق مرتبطتين بعد شروق شمس الاسلام ، فقد دخلتا تحت راية الاسلام منذ عصر الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - وكانتا فى العصر الأموى تعدان

القسم الشرقى من الدولة الاسلامية ، وكانتا تخضعان لحكم وال واحد ، كان مقره العراق .

كما أن العراق تضم أجساد عدد من أئمة الشيعة الذين يتعلق الفرس بهم لتشيعهم لآل على ، وفى مقدمتهم على بن أبى طالب - رضى الله عنه - الامام الأول عندهم وهو مدفون فى النجف ، وهناك قبر الحسين بن على - الامام الثالث عندهم وجميع شهداء كربلاء ، وهم مدفونون فى مدينة كربلاء ، كما أن موسى الكاظم - الامام السابع عندهم - مدفون فى مدينة بغداد ، ويسمى الحى الذى يوجد فيه القبر باسم الكاظمية نسبة اليه ، وهذه الأماكن التى تضم قبور الأئمة تسمى العتبات فى ايران ، ويتوقون الى زيارتها والتبرك بها ، وهم يحجون اليها كل عام بحيث أصبحت عامل صلة بين العرب والفرس .

وقد ساهم الفرس بقيادة أبى مسلم الخراسانى فى إسقاط الدولة الأموية والقضاء عليها ، وإقامة الدولة العباسية ، وتولى وزراء من الفرس وزارة العباسين منذ قيام الدولة العباسية الى أواخر عهد الرشيد ، ثم تولوها مرة ثانية فى عهد المأمون بن الرشيد الذى كانت أمه فارسية - كما ذكرنا - ، فأصبح للفرس نفوذ ملحوظ فى الدولة العباسية ، وساهم هذا كله فى توثيق العلاقات بين العرب والفرس وفى امتزاج الحضارتين العربية والفارسية طوال العصر العباسى ، فساهم العرب والفرس فى بناء صرح الحضارة الإسلامية الراقية ، التى لم يشهد لها التاريخ مثيلا فى رقيها المادى والروحى على السواد باعتراف الدارسين المنصفين من المسلمين وغير المسلمين .

أ - مظاهر امتزاج الثقافتين العربية والفارسية :

وقد أدى الاتصال الوثيق بين العرب والفرس فى ظل الاسلام - وخاصة فى العصر العباسى - الى امتزاج الثقافتين العربية والفارسية ، فتجلت مظاهر هذا الامتزاج فى آثار عقلية وروحية ظهرت فى الآداب والعلوم المختلفة ، ومازالت مظاهر هذا الامتزاج واضحة الى يومنا هذا .

كما أدى إسلام الفرس الى انتشار العربية فى بلادهم ، فقد وجد الفرس الحاجة ماسة الى إتقان هذه اللغة حتى يدرسوا القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ويفقهوا أمور دينهم ، وصار الفارسى المتعلم يباهى بالكتابة بالعربية ليثبت تضلعه وإتقانه لهذه اللغة مما يرفع

منزلته ، ويذيع شهرته ، ومازال الفرس يحرصون على تعلم العربية واتقانها ، كما يحرص علماء الدين على التأليف بها الى جانب التأليف بلغتهم الفارسية .

وبلغ انتشار العربية فى بلاد الفرس أوجه فى العصر العباسى ، وحتى بعد نشأة الإمارات الفارسية التى بعثت قومية الفرس ، وأحيت اللغة الفارسية وآدابها ، فكان المعبرون بالعربية أكثر عددا من المعبرين بالفارسية ، فكانت جمهرة التآليف العربية للفرس ، كما ساهم أدباء من أصل فارسى فى التراث الأدبى العربى ، وبخاصة فى العصر العباسى .

ودخل الفارسية كثير من الألفاظ العربية ، وصارت هذه الألفاظ تشكل جزءا كبيرا من مفردات اللغة الفارسية ، وبدت الفارسية فى ثوب عربى لأنها كتبت بالحروف العربية حين ظهرت من جديد على مسرح الاستعمال فى القرن الثالث الهجرى فى ظل الدولة العباسية ، ولاتزال الفارسية تلبس الثوب العربى الى الوقت الحاضر ، مما يؤكد التقاء الثقافتين العربية والفارسية وامتزاجهما .

وهناك ألفاظ عربية لا نظير لها فى الفارسية احتاج الفرس إلى استعمالها بعد دخولهم فى الإسلام منها على سبيل المثال : مسلم ومؤمن وكافر وزكاة وحج وقبلة وقرآن ومحراب ووضوء وتيمم وطلاق ، غير أن الفرس يفضلون - أحيانا - الكلمات العربية حتى مع وجود مقابل لها فى الفارسية ، وقد عقد الثعالبى فى كتابه" فقة اللغة" "فصلا بعنوان " فصل فى سياق كلمات فارسيتها منسية وعربيتها محكية مستعملة "

كما دخل العربية كثير من الألفاظ الفارسية ، منها على سبيل المثال أيضا "كسرى " وهى فى الفارسية "خسرو " و"بنفسج" و أصلها الفارسى "بنفسه" و "مسك " وهى الفارسية "مشك" و "سروال " وأصلها الفارسى "شلوار " و " ساذج " وهى فى الفارسية "ساده" و "بستان " وأصلها فى الفارسية "بوستان" و"كعك " أصلها فى الفارسية "كاك" وغيرها كثير . كما أخذ العرب من الفرس أسماء بعض النباتات والحيوانات والآلات والمعادن والملابس والمأكولات والمشروبات وأسماء بعض الوظائف مما يثبت التقاء الحضارتين العربية والفارسية ، وامتزاج الثقافتين ، وازدهار الصلات الثقافية بين العرب والفرس وبخاصة فى العصر العباسى .

وقد تسربت الألفاظ الفارسية الى الشعر العربى ، فظهرت فى شعر أبى العلاء المعرى ، بعد أن رحل الى بغداد وعاشر الفرس وخالطهم ، فهو يقول فى اللزوميات :

إذا قيل لك اخشى الله مولاك فقل آرا

و "آرا " أصلها الفارسى "آرى " بمعنى نعم . وظهرت الألفاظ الفارسية فى أشعار غيره ، فظهرت فى شعر اسحق الموصلى كما يتضح من قوله :

إذا ما كنت يوما فى مسافة شجاها
فقل للعبد يسقى القوم برا

و"بر " كلمة فارسية معناها "ملآن "

وقال غيره :

فتمايلت عليهم ميل زنكى بمست

و"زنكى " كلمة فارسية تستعمل فى العربية بمعنى "زنجى " أما "مستى " فكلمة فارسية معناها "السكر والغياب عن الوعى "

وقال غيره :

شيئان عجيبان هما أبرد من يخ
شيخ يتصابى وصبى يتشيخ

و"يخ " كلمة فارسية معناها "الثلج "

وقال الثعالبى فى كتابه "لطائف المعارف" أن أول من مهد للضيف صدر المجلس وسماه "مهمان" الملك الساسانى بهرام جور ومعناه "سيد المنزل " وفى هذا يقول الشاعر :

ماسمت العجم المهمان مهجانا إلا لاجلال ضيف كان من كان
قاله أكبرهم والمان منزلهم والضيف سيدهم ما لازم المانا

وهناك كلمات فارسية اصطلاحية دخلت العربية مثل كلمتى "السرود" و "الجروم"، وقد استخدمها جغرافيو العرب مثل ابن حوقل بمعنى المناطق الباردة والمناطق الحارة ، "وكلمة السرود " مأخوذة من الكلمة الفارسية "سرد" بمعنى "بارد" وهى مستعملة عند الجغرافيين العرب جميعا . وكلمة " الجروم " مأخوذة من الكلمة الفارسية "كرم" بمعنى "حار" وهى - كذلك - مستعملة عند الجغرافيين العرب جميعا .

وهذا دليل على أن العرب كانوا يستعملون الألفاظ الفارسية فى منظومهم ومنثورهم ، وأن هذه الألفاظ كانت معروفة عندهم ، مأنوسة لديهم ، فما وقعت منهم موقع الغرابة ، ولاخرجت بعيدا عن مألوفهم .

وهذا يؤكد حقيقة لا شك فيها ، وهى أن اللغتين العربية والفارسية امتزجتا تمام الامتزاج فى العصر العباسى مما جعل الصلات الثقافية بين العرب والفرس متينة مزدهرة ، كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ، فكانت كل محاولة للفصل بين اللغتين والثقافتين العربية والفارسية تعد عكسا لوضع مألوف ، وخروجا على شئ معروف .

٢- الترجمة بين اللغتين العربية والفارسية

ومن مظاهر امتزاج الثقافتين العربية والفارسية فى العصر العباسى الترجمة بين اللغتين ، فقد كانت الترجة بين العربية والفارسية صلة قوية عظيمة الأهمية بين العرب والفرس ، لأنها الوسيلة إلى نقل المعرفة بينهم ، وللمعرفة من صفات الدوام ما قد لا يكون لغيرها ، كما أن أثرها بعيد المدى ، فهى تفضى الى اتحاد فكرى واندماج روحى ، وفى هذا ما فيه من قوة الربط بين من ترجم عنهم ومن ترجم لهم ، فمثلا ترجمة تواريخ الفرس للعرب علمت العرب ما لم يكونوا يعلمون عن الفرس ، فوقفوا على أخبار بلاد الفرس ، وسير ملوكهم ورووا هذه الأخبار وضمنوها كتبهم .

وقد عقد ابن النديم فى كتابه "الفهرست " فصلا بعنوان : "النقلة من الفارسى الى العربى "فذكرابن المقفع أول ما ذكر آل نوبخت وموسى ويوسفابنى خالد ، وعلى بن زياد التميمى والبلاذ رى وجبله بن سالم وغيرهم .

وكان النقل الى العربية فى ذلك الوقت عن الفهلوية ، وهى لغة الفرس الرسمية فى العصر الساسانى، لا عن الفارسية الحديثة التى ظهرت من جديد فى ظل الاسلام فى العصر العباسى ، بعد أن أشرقت شمس الاسلام على ايران بأكثر من قرنين من الزمان .

ويذكر من الكتب المترجمة الى العربية كتاب "أئين نامه " أى "كتاب الرسوم " وهو من الكتب العظيمة الأهمية فى العصر الساسانى ، وهو يحوى رسوم وآداب الملوك والشعب ، وقد أفاد منه كثير من كبار المؤرخين والكتاب فى التعرف الى تاريخ فارس ومعرفة أخبار الفرس والوقوف على عاداتهم وتقاليدهم ، وقد وضحت الاستفادة من هذا الكتاب من مؤلفات ابن قتيبه والثعالبى .

وقد نقل ابن المقفع أيضا كتاب "خداينامه " الى العربية ، وهو أهم أثر تاريخى عن عصر الساسانيين ، كما نقل كتاب "كليلة ودمنة " وكتاب "اليتيمة فى الرسائل " ويعد كتاب اليتيمة عند العرب مضرب المثل فى البلاغة والفصاحة ويعد كتاب "كليلة ودمنة" أعظم مترجمات ابن المقفع أهمية ،"فقد حفظ ابن المقفع بذلك كتابا قيما فيه أدب وحكمة وتربية عملية ، فبقى الكتاب فى ترجمته العربية بعد أن ضاع أصله الهندى ، وضاعت ترجمته الفارسية البهلوية التى نقله ابن المقفع منها إلى العربية .

وترجم نوبخت الأهوازى وابنه خرشاد ماه كتبنا فى الرياضة ، كما نقل على بن زياد التميمى زيج شهريار من الفارسية إلى العربية .

وترجم البلاذرى كتاب النصائح لأردشير نظما ، وترجم جميلة بن سالم كتاب رستم واسفنديار "وقصة بهرام جوبين" من الفارسية إلى العربية ، وغيرهم كثير .

وهناك كتب كثيرة ترجمت عن الفارسية ، غير أن مترجميها غير معروفين نذكر منها على سبيل المثال : كتاب "هزاراخسانه "أى " ألف قصة " وهو أصل كتاب " ألف ليلة وليلة "

ومعظم الكتب العلمية والأخلاقية التى ترجمت عن الفارسية كانت مولفة على ألسنة الحيوان ، أو على طريقة السؤال والجواب والمناظرة ، أو نصيحة الوالد لولده ، وكان للناس شغف شديد بها فى العصر العباسى الذى امتزجت فيه الحضارتان العربية والفارسية ، وازدهرت فيه الصلات الثقافية بين العرب والفرس .

كما ترجمت فى العصر العباسى - كتب كثيرة من الفارسية الحديثة، أى لغة ايران التى ظهرت فى ثوب عربى فى العصر العباسى نذكر منها على سبيل المثال كذلك - كتاب "نصيحة الملوك " وقد نقل على بن مبارك من الفارسية الى العربية وللغزالى - أيضا - كتاب كيميائى سعادت بالفارسية وهو يشبه فى محتوياته كتاب "إحياء علوم الدين " ويبدو أنه ترجمة فارسية وللغزالى رسالة اسمها " ولد نامة " "اى الرسالة الولدية " عربها أحد العلماء .

وهذه الكتب مهما كان عددها ، وأيا كانت موضوعاتها إن دلت على شئ فإنها تدل على امتزاج الثقافتين العربية والفارسية امتزاجا قويا بعد أن ارتبطت الأمتان برباط الاسلام ، وظهرت آثار هذا الامتزاج فى العصر العباسى .

أما الكتب العربية التى نقلت الى الفارسية فى العصر العباسى فهى كثيرة أيضا ، ونذكر

منها - على سبيل المثال - كتابين لمحمد بن جرير الطبرى هما تاريخه وتفسيره ، فقد ترجم الكتابان الى اللغة الفارسية فى عصر منصور بن نوح السامانى فى القرن الرابع الهجرى ، فى ظل الدولة العباسية ، فقد استفتى هذا الحاكم السامانى جماعة من علماء ما وراء النهر فى جواز ترجمة تفسير القرآن من العربية الى الفارسية فأفتوا بجواز هذا الأمر فكلفهم بمهمة ترجمة تفسير الطبرى فقاموا بها كما أمر وزيره أبا على البلعمى بترجمة تاريخ الطبرى المسمى "تاريخ الأمم والملوك " من العربية الى الفارسية ، فقام بترجمته ، وهكذا ترجم كتابا الطبرى الشهيران فى نفس القرن الذى توفى فيه مؤلف هذين الكتابين مما يدل على الصلة القوية بين الثقافتين العربية والفارسية فى ظل الدولة العباسية .

ومن الكتب العربية التى ترجمت الى الفارسية فى العصر العباسى كتاب (حدود العالم من المشرق الى المغرب) وكتاب "عجائب البلدان " لأبى المؤيد البلخى ، وكتاب"الأبنية عن حقائق الأدوية " لموفق بن على الهروى كما نقل كتاب "كليلة ودمنة" أكثر من مرة فى العصر العباسى من العربية الى الفارسية ، وكان أول من ترجمه الى الفارسية أبو الفضل البلعمى وزير نصر بن أحمد السامانى ، ثم أمر الشاعر الرودكى بنظمه ، فترجمه الى الفارسية شعرا .

وقد أشار الفردوسى "شاعر الفرس المعروف - فى ملحمته "الشاهنامه " الى نقل البلعمى لكتاب " كليلة ودمنة " من العربية الى الفارسية .

ثم نقله أبو المعالى نصر الله مرة أخرى من العربية الى الفارسية فى العصر الغزنوى فى ظل الدولة العباسية .

ويمكن القول بأن كتاب "كليلة ودمنة" يعد بحق أهم وأقوى صلة فى الربط بالترجمة بين العرب والفرس فقد تناوله المترجمون كثيرا بالترجمة نثرا ونظما . وهذه الشواهد كلها تدل على مدى ازدهار العلاقات الثقافية بين العرب والفرس فى ظل الدولة العباسية بعد امتزاج الحضارتين العربية والفارسية .

٣ - أصحاب اللسانين :

وظهر امتزاج الثقافتين العربية والفارسية طوال حكم الدولة العباسية فى صورة أخرى ، فقد بدا هذا الامتزاج فى مظهر لغوى أدبى هو التقاء الفارسية والعربية فى السنة كثيرين من

علماء الفرس وبلغائهم وشعرائهم عرفوا بأصحاب اللسانين ، لأنهم عبروا بالفارسية والعربية وبذلك تواكبت اللغتان ، وارتبطتا بثقافة إسلامية موحدة ، لم تكد تتغاير جوانبها إلا فى الصورة ، مما دل على اندماج الشعبين اندماجا يكاد يكون تاما ، وامتزاج الثقافتين العربية والفارسية امتزاجا قويا .

ولا خلاف بين دارسى الحضارة الاسلامية فى أن امتزاج حضارة العرب بحضارة الفرس فى العصرالعباسى قد أدّى إلى التقاء الثقافتين العربية والفارسية فى ظل الاسلام وتعاونهما فى بناء صرح حضارة إسلاميتراقية تفخر بها الإنسانية على مر العصور .

وقد ساهم الفرس المسلمون فى العصر العباسى - فى تدوين العلوم الاسلامية ، ووضع قواعد البحوث فى الحديث والتفسير والفقه وسائر العلوم الاسلامية ، وفى الدراسات العربية المتصلة بالنحو والصرف والعروض .

ولا يتسع المجال هنا لحصر الأشخاص الذين نبغوا من الفرس فى العلوم الاسلامية والعربية ، وكانوا يتقنون العربية إلى جانب الفارسية، مما يمكنهم من المساهمة فى بناء صرح الحضارة الإسلامية الراقية ، وفى تشييد كثير من أمجاد الاسلام ، وقد ظهر هذا بوضوح فى العصر العباسى ، فقد ظهر الأثر الفارسى فى مختلف مظاهر النشاط البشرى فى الدولة العباسية من رسوم ومظاهر حكم وأخيلة شعر وبلاغة نثر وأدب ، وفى مختلف الصور والأشكال الاجتماعية والسياسية فيها .

ويكفى أن نذكر «على سبيل المثال» من العلماء الذين نبغوا فى العلوم الاسلامية ، وكانوا من أصل فارسى البخارى ومسلم فى علم الحديث ، ونذكر أبا حنيفة النعمان فى الفقه ، والطبرى والزمخشرى فى التفسير، ونذكر ابا الريحان البيرونى وابن سينا والغزالى فى العلوم العقلية المختلفة من رياضيات ومنطق وحكمة ، ونذكر كذلك - سيبويه فى النحو وأبا على الفارسى فى فقه اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم ، فقد كان ابو على الفارسى أستاذاً لابن جنى صاحب كتاب الخصائص وغيره من الكتب التى لا يعرف الناس لها امثالا كثيرة بين لغات العالمين ، ولم يكن ابن جنى على فضله وعلمه إلا تلميذا من تلاميذ أبى على الفارسى ومريدا من مريديه .

ونذكر أيضا - الخليل ابن أحمد الفراهيدى فى علم العروض ، ونذكر عبدالله بن المقفع

وبشار بن برد وأبا نواس وبديع الزمان الهمذاني والجرجاني في النثر والشعر والبلاغة العربية .

وهكذا قدم الفرس إلى جانب العرب الكثير للثقافة الاسلامية ، وساهموا في جميع ألوان الثقافة الإسلامية لأنهم كانوا أصحاب حضارة عريقة ومعرفة تامة بالعلوم والمعارف ، فقد ورثوا - قبل إسلامهم - الأشوريين والبابليين في الرياضيات والطبيعيات ، وكانت لهم كتب في التنجيم والهندسة والجغرافيا والطب والتاريخ ، والأساطير والقصص وفي جميع فروع العلوم ، كما أنهم نقلوا إلى لغتهم كثيرا من علوم الهند، ونقلوا أيضا من اليونان علوما شتى فلما امتزجت حضارتهم بحضارة العرب في ظل الاسلام وبخاصة في العصر العباسي كان لهم دور واضح في بناء صرح الحضارة الإسلامية الراقية ، فكانوا أنشط العناصر الاسلامية في بناء صرح هذه الحضارة واكثر رغبة في التعاون مع العرب في شتى الميادين العلمية والأدبية ، فبدت الثقافة الإسلامية في صورة يفخر بها العرب ، ويفخر بها العجم ، بل وتفخر بها الإنسانية جمعاء .

إن ما حققته العلوم والآداب والفنون من تقدم عظيم في العصر العباسي لخير دليل على صدق التعاون بين العرب والفرس في خدمة الثقافة الاسلامية ، فقد أصبحت اللغتان العربية والفارسية مألوفتين عند جمهرة المثقفين وعرف اصطلاح «أصحاب اللسانين» نتيجة لهذا ، وظهر أثر العربية قويا واضحا في لغة الفرس وأدبهم وعلومهم المختلفة ، كما ظهر تأثير الثقافة الفارسية بوضوح في التراث العربي الذي ساهم في إنتاجه كثرة غالبة من علماء الفرس.

ولهذا يعد المؤرخون العصر العباسي الأول عصر الاسلام الذهبي ، لما بلغته دولة الاسلام في هذا العهد من سعة الملك ورغد العيش ، ولما توفر لها من حضارة مادية فوق حد الوصف ، ولما حققته من تقدم مذهل في حياتهم الروحية والعقلية والعلمية على السواء .

وكانت مساهمة الفرس في إقامة الدولة العباسية من أهم عوامل انتشار الثقافة الفارسية في العصر العباسي اذا ما قيس بالعصر الأموي ، وساعد على ذلك إسناد منصب الوزارة غالبا إلى الفرس في العصر العباسي الأول ، وقد أثبتت الدراسة اللغوية أن كلمة وزير فارسية قديمة ، وكانت الوزارة أحد النظم الفارسية ، وكان يشترط في الوزير أن يكون عالما مطلعا وكاتبا بليغا ، فأبو سلمة الخلال - أول وزير فارسي - كان فصيحا عالما بالأخبار والأشعار

والسير والجدل ووزراء البرامكة كانوا بارعين فى اللغة العربية والأدب العربى ، حريصين على نشر الثقافة الفارسية ومزجها بأدب العرب ، كما امتازوا بمشاركتهم فى كثير من أنواع العلوم والآداب ، وكان الفضل بن سهل وزير الخليفة المأمون يسمى «ذا الرياستين» لجمعه بين رياسة السيف ورياسة القلم .

وكان الوزراء يعتمدون على طبقة الكتاب فى تصريف شئون الدولة ، وكان أغلب الكتاب من الفرس - كذلك - وكانوا يمتازون باتساع معارفهم ، إذ كان عليهم بحكم مناصبهم أن يعرفوا احوال الناس الاجتماعية ، وان يلموا بتقاليدهم ، وأن يأخذوا بطرف من اللغة والأدب وعلوم الدين والفلسفة .

وقد لقيت الحركة العلمية فى العصر العباسي تشجيعا مباشرا من الخلفاء مما ساعد على ازدهار الحياة الثقافية فى دولة الإسلام وعلى ظهور تقدم واضح ملموس فى مختلف العلوم والفنون ، ساهم فى تحقيقه العرب والفرس على السواء - فى ظل الاسلام ، وقد ساعد ازدهار العلاقات الثقافية بين العرب والفرس فى العصر العباسى على تضافر جهود المسلمين جميعا على اختلاف أجناسهم فى خدمة الثقافة الإسلامية ، وكانوا جميعا يتقنون اللغة العربية -لغة الإسلام - إلى جانب لغاتهم ، وكانت اللغة الفارسية تلى اللغة العربية فى انتشارها ، والتأليف بها فى سائر العلوم والفنون الاسلامية ، ولهذا ساهم الفرس المسلمون - اكثر من غيرهم - فى انواع الإنتاج العلمى والأدبى باللسانين العربى والفارسى .

وقد عرف اصطلاح «المعربين من الفرس» فأطلق على الفرس الذين ساهموا فى الإنتاج العلمى والأدبى وكان إنتاجهم باللغة العربية الخالصة التى كانوا يجيدونها إجادة تامة ، فشاركوا مشاركة فعالة فى إنشاء التراث العربى الخالد ، وملأوا الدنيا علما وحكمة وشعرا ونثرا فى العصر العباسى بصفة خاصة ، وشملت مؤلفاتهم ما نسميه العلوم الدخيلة، أو العلوم الاسلامية التى استكملت اسباب نضجها وكمالها وتعددت فروعها ، واستقرت احكام كل منها .

والواقع أن الثقافتين العربية والفارسية امتزجتا امتزاجا ساعد على تبادل التراث الحضارى بنى الأمتين ،، لأن الاسلام مزج بينهما ، فبلغت العربية الأوج عند الفرس حتى استحال عقلا وواقعا الفصل بينهما وبين الفارسية فى ثقافة كل من أخذ نفسه بتحصيل العلوم والاداب ،

وهذه صلة قوية بين العرب والفرس ، وظاهرة هامة تدل على الاندماج فى ثقافة واحدة ، وقد تجلت هذه الظاهرة بوضوح فى العصر العباسى الذى توثقت فيه الصلات الثقافية بين العرب والفرس ، وفيما يلى صور من الالتقاء الثقافى بين العرب والفرس .

رابعا : صور من الالتقاء الثقافى بين العرب والفرس

ونختم هذا الفصل بعرض صور من الالتقاء الثقافى بين العرب والفرس فى العصر العباسى فى مختلف العلوم والآداب والفنون ، نتيجة لازدهار الصلات الثقافية بين العرب والفرس فى ظل الاسلام الذى ألف بين قلوبهم وجعلهم يتعاونون فى خدمة الانسانية ، فيساهمون فى بناء حضارة راقية ماديا وروحيا ، سعدت البشرية بها قرونا عديدة باعتراف الدارسين المنصفين من المسلمين وغير المسلمين ، وهذه صور من الالتقاء الثقافى بين العرب والفرس .

١ - فى ميدان الدراسات اللغوية والأدبية :

يستطيع الدارس لفنون الأدب العربى فى العصر العباسى والمتتبع للدراسات اللغوية من نحو وصرف واشتقاق وفقه لغة ونقد وإنشاء ومعان وبيان وبديع فى هذا العصر أن يتبين تعاون العرب والفرس فى هذه الدراسات وأن يذكر العديد من علماء الفرس الذين ساهموا بنصيب وافر فى تقدم الدراسات اللغوية والأدبية فى العربية من أمثال سيبويه وعبدالقاهر الجرجانى وأبى عبيدة معمر بن المثنى وابن فارس والزمخشرى والسكاكى والخطيب القزوينى والفيروز آبادي وكثيرين غيرهم .

يقول الدكتور طه حسين فى تقديمه لكتاب «أثر القرآن الكريم فى اللغة العربية» الذى ألفه الشيخ أحمد حسن الباقورى :

«ماكاد العرب بعد الفتوح يدخلون بلاد فارس ويستقرون فيها حتى تعلم الفرس هذه اللغة الجديدة ، وغلبت على ألسنة كثير منهم وأقلامهم ، وما أكثر الفرس الذين شاركوا فى إنشاء علوم اللغة العربية وتدوينها ، وما أكثر الفرس الذين استأثروا ببعض هذه العلوم حتى أصبحوا كأنهم اصحابها ، وكلنا يعلم مكان كتاب سيبويه بين كتب النحو وكلنا يعلم - أيضا - استئثار الفرس بتدوين علوم البلاغة العربية» ، وفى الأدب نثره وشعره نجد عبدالحميد بن

يحيى وابن المقفع ، الذى يعد بحق رافع لواء النثر الفنى فى الأدب العربى ، وجهوده فى الترجمة عن الفهلويةإلى العربية لا يمكن أن تنسى ، كذلك نجد بشار بن برد وأبا نواس وبديع الزمان الهمذانى والصاحب بن عباد وابن العميد وغيرهم كثير من الشعراء والكتاب من الفرس الذين ساهموا فى فنون الأدب العربى المختلفة فى العصر العباسى حين التقت الثقافتان العربية والفارسية ، وكانت الصلات بينهما وثيقة .

٢ - فى ميدان الدراسات الدينية :

كما ساهم علماء من أصل فارسى فى الدراسات الدينية المكتوبة باللغة العربية ، ففى ميدان الحديث نجد البخارى ومسلم صاحبى الصحيحين كما نجد الترمذى وأبا داود السجستانى والنسائى ، وكانت رواية الحديث مفخرة فى إيران وزينه حتى للأمراء والملوك ، فقد كان خلف بن أحمد أمير سجستان واسماعيل السامانى أمير بخارى ، يرويان الحديث تبركا واعتزازا به .

وقد استطاع علماء الحديث فى إيران استنباط أصول وقواعد ومقاييس لهذا العلم سموها «علوم الحديث» ودرسوها فى مدارسهم ، ودونوها فى كتبهم ، وكان هذا الكشف خطوة هامة فى تاريخ هذا العلم ، إذ انتقل بذلك من دور الرواية إلى دور الدراية .

وقد ألف محمد الرامهرمزى - نسبة إلى بلدة فى خوزستان - أول كتاب فى علوم الحديث، وتلاه الحاكم أبو عبدالله النيسابورى ، فألف كتاب «معرفة علوم الحديث» والنيسابورى عالم معروف ، يعد أحد أقطاب علم الحديث فى الاسلام .

وفى ميدان التفسير نجد الطبرى شيخ المفسرين وتلميذه الثعالبى النيسابورى ، كما نجد الفخر الرازى الذى كان عالما فى العلوم الدينية والفلسفة ، يفد إليه الطلاب من أنحاء البلاد الاسلامية .

وفى ميدان علم الفقه نجد الإمام أبا حنيفة النعمان مؤسس أحد المذاهب الأسلامية الكبرى ، وهو بدوره من أصل فارسى ، ولقد أدخل فى الفقه الرأى والقياس ، واستطاع بذلك أن يجعله علما له أسس وقواعد كسائر العلوم .

ومساهمة الفرس فى الدراسات الدينية خير دليل على ازدهار العلاقات الثقافية بين العرب والفرس المسلمين فى العصر العباسى .

٣ - فى ميدان الدراسات التاريخية والجغرافية :

وفى ميدان الدراسات التاريخية نجد شيخ المؤرخين محمد بن جرير الطبرى صاحب الموسوعة التاريخية الكبرى «تاريخ الرسل والملوك» ونجد كذلك اليعقوبى والبلاذرى وغيرهما كثير ، وكتب هؤلاء المؤرخين من الفرس الذين ألفوا باللغة العربية معروفة مشهورة لدى الدارسين .

كما ساهم الفرس فى التأليف فى علم الجغرافية باللغة العربية وكانت كتبهم زاخرة بالمعلومات عن مواقع البلاد واقتصادياتها وإنتاجها الزراعى وطرقها ومسالكها ، وعن السكان وحياتهم الاجتماعية ومن العلماء الفرس الذين اشتهروا فى الدراسات الجغرافية أبو زيد البلخى والجيهانى والاصطخرى وزكريا بن محمد القزوينى .

وهذه المساهمة من جانب الفرس فى الدراسات التاريخية والجغرافية باللغة العربية لدليل واضح على امتزاج الثقافتين العربية والفارسية فى بوتقة الإسلام وازدهار العلاقات الثقافية بين العرب والفرس فى العصر العباسى .

٤ - فى ميدان الدراسات العلمية التجريبية :

كما ظهر التقاء الثقافتين العربية والفارسية فى العصر العباسى فى مساهمة علماء من أصل فارسى فى الدراسات العلمية والتجريبية باللغة العربية ، ففى الرياضيات والعلوم العقلية نجد الخوارزمى والبيرونى الذى يعد من أكبر العقليات التى ظهرت فى الإسلام ، كما يعد أستاذ العلوم العقلية وأول من أدخل منهج المقارنة فى العلم .

وفى الطب نجد علماء مشهورين منهم محمد بن زكريا الرازى الذى ألف كتاب «الحاوى» الذى استقصى فيه أعراض المرض ، وقد عرف الرازى فى أوروبا فى عصر النهضة ، ونشرت أبحاثه عن الجدرى والحصبة فى لندن سنة ١٨٤٨ .

كما اشتهر - فى ميدان الطب - على بن العباس المجوسى وهو أحد تلاميذ الرازى - كان فارسى الأصل ولد بالأهواز بالقرب من مدينة جنديسابور وكان جده زرد شتيا ، وقد اشتهر بكتابه فى الطب المسمى «الكناش الملكى» وقد ألفه لعضد الدولة البويهى ، وقد درس فيه أعراض الأمراض دون تفصيل واسهاب كما فعل استاذه الرازى فى كتابه «الحاوى» ويعد كتاب على بن العباس هذا من أهم الدراسات التى تحققت فى ميدان الطب فى ظل الدولة

العباسية التى التقت فيها الحضارتان العربية والفارسية ، وازدهرت فيها الصلات الثقافية بين العرب والفرس ، فازدهرت العلوم والآداب ، وبلغت مستوى من التقدم تفخر به الإنسانية جمعاء .

ومن الذين ألفوا فى الطب من الفرس أيضا - على الطبرى الذى عاش فى القرن الثالث الهجرى فى ظل الدولة العباسية وكان هذا الطبيب ابن فلكى فارسى نصرانى يسمى سهل الطبرى الذى يقال إنه أول من ترجم كتاب «المجسطى» لبطليموس إلى العربية .

وقد عاش على الطبرى زمنا طويلا فى كنف خلفاء ببغداد حيث اعتنق الإسلام وحقق شهرة واسعة فى ميدان الطب ، واشتهر على الأخص كتابه «فردوس الحكمة» وهو كتاب عظيم فى علم الطب ، وقد اقتبس فيه كثيرا من المصادر اليونانية والهندية .

ومن أشهر العلماء فى هذا المجال ابن سيناء فقد ذاعت شهرته ، فأثر فى الفكر الشرقى والغربى على السواء وقد بدأ بدراسة الطب ، فوضع كتاب «القانون» الذى يعد من امهات المصادر لدراسة علم الطب الى يومنا هذا .

كما درس ابن سيناء الفلسفة ونبغ فيها ، وحصل علومه ومعارفه كلها فى بخارى التى كانت مركزا من المراكز العلمية المتقدمة فى العصر العباسى ، وقد خلف ابن سينا من بعده ثروة فلسفية عظيمة توارثها العلماء من بعده .

وقد ذكر ابن خلكان أن ابن سينا ألف مؤلفات كبيرة وصغيرة تبلغ حوالى مائة مؤلف فى موضوعات مختلفة تدل على علمه الواسع فى الطب والفلسفة والمنطق ومختلف العلوم العقلية.

وإذا انتقلنا إلى ميدان الحكمة نجد كثيرا من العلماء من العرب والفرس نبغوا واشتهروا فى هذا الميدان يكفى أن نذكر منهم الغزالى الذى يعد إمام المفكرين المسلمين على الإطلاق ، فمؤلفاته صورة كاملة وصادقة وكاشفة للثقافة الإسلامية فى أسمى مظاهرها فى العصر العباسى ، ودليل على الامتزاج الحضارى الواضح بين العرب والفرس وعلى عمق الصلات الثقافية بينهم حتى نهاية العصر العباسى .

وهذه حقيقة يقررها الدارسون المنصفون من المستشرقين ويصل اليها الباحثون الصادقون من المسلمين وغير المسلمين ، فالمؤرخ الهندى «خدا بخش» مثلا - يقول فى كتابه «الحضارة

الاسلامية» عن ازدهار الثقافة الاسلامية فى العصر العباسى ما نصه «أدت الاكتشافات العلمية والعملية والآراء الفلسفية إلى حرية الفكر ، إلى جانب تشجيع الخلفاء ، وان هذه الآراء الفلسفية جعلت علماء الدين يصقلون أسلحتهم ، خوفا من الا يسايروا حاجات العصر ، فيحدثنا ابن خلدون ان الغزالى وفخر الدين الرازى كانا أول من استخدم المنطق فى المناقشات الدينية ، وكان الغزالى من أعظم المفكرين فى عصره ، عاش فى ايام نظام الملك ، وحظى بعطفه وتكريمه ، ورغم أنه درس كتب ابن سيناء إلا أن شهرته فاقت شهرة أستاذه ، ويعتبر كتاب «احياء علوم الدين» أعظم كتبه قيمة ، وهو يشبه ديكارت فى منهج الدراسة ، ولو ترجم هذا الكتاب فى زمن ديكارت لاتهم بأنه اقتبس آراءه منه .

وهذه شهادة من دارس منصف جعل الوصول إلى الحقيقة العلمية هدفا له لا يحيد عنه ، ولا يميل مع الهوى .

٥ - صور من الثقافة الاسلامية باللغة الفارسية :

استطاع الفرس منذ القرن الثالث الهجرى إنشاء دويلات مستقلة عن الدولة العباسية من الناحية الادارية ، ولكنها متصلة بالخلافة العباسية من الناحية الدينية والروحية تدين بالولاء للخليفة العباسى أمير المؤمنين وإمام مذهب أهل السنة ، المذهب السائد فى إيران حينذاك .

كما استطاع الفرس إحياء لغتهم القومية ، وإعادتها إلى الحياة والاستعمال مرة أخرى ، غير أنها عادت فى هذه المرة فى ثوب جديد ، إذ أصبحت فارسية إسلامية مكتوبة بالخط العربى ، ومطعمة بكثير من العناصر العربية من ألفاظ واصطلاحات ونحو وأوزان وقواف ، ويطلق على هذه اللغة «الفارسية الاسلامية» أو «الفارسية الحديثة» وهى لا تزال مستعملة حتى يومنا هذا ، وذلك تمييزا لها عن الفارسية قبل الاسلام ، وهى التى كانت تكتب بالخط الفهلوى .

وقد ظهرت الفارسية الحديثة فى العصر العباسى ، ولم تلبث من القرن الرابع الهجرى أن ساهمت فى بناء صرح الثقافة الإسلامية الراقية المزدهرة فى ذلك العصر وهكذا نجد أنه إلى جانب التراث الثقافى العربى الخالص الذى ساهم علماء الفرس فى إيجاده ، يوجد نتاج آخر أنتجه الفرس بلغتهم القومية الفارسية التى نشأت فى القرن الثالث الهجرى فى رعاية

العربية، فاستمدت من الإسلام عقائده ولغته ، واستمدت من التاريخ الإسلامى وقائعه وزادت عليه ما أورثها الزمان الجديد والحضارة الفارسية القديمة من تاريخ وقصص وأساطير ، وهذا النتاج رافد من روافد الحضارة الاسلامة فى العصر العباسى ، ودليل على ازدهار الصلات الثقافية بين العرب والفرس فى هذا العصر .

ونذكر من شعراء الفرس - على سبيل المثال - الشاعر العظيم الفردوسى الطوسى الذى نظم «الشاهنامة» فى ستين الف بيت من الشعر ، وهى ملحمة الفرس التى سجلت تاريخهم وأمجادهم منذ أقدم العصور إلى أن فتحها المسلمون ، وفيها الكثير من قصص البطولة والفروسية والعشق ، والنصائح الغالية ، وامتداح الأخلاق السامية .

ونذكر - كذلك - الشاعر الفيلسوف عمر الخيام الذى كان عالما منجما ، وشاعرا ملهما ، نظم رباعيات أودع فيها فلسفة الحياة وذاع بها صيته شرقا وغربا .

ومن معاصرى الخيام - من أصحاب اللسانين - مسعود سعد سلمان شاعر الجنسيات المعروف وقد استشهد رشيد الدين الوطواط الشاعر الفارسى المعروف فى القرن السادس الهجرى بأشعار مسعود سعد باعتبارها شواهد بلاغية ، وذلك فى كتاب رشيد الدين «حدائق السحر فى بدائع الشعر» الذى يعد من أهم كتب البلاغة المؤلفة بالفارسية ، ورشيد الدين من أصحاب اللسانين الذين ذاع صيتهم فى الأدبين العربى والفارسى معا بدرجة واحدة ، وهو إيرانى عربى فى نسبه ولغته وإنتاجه الأدبى ، وهو أوضح نموذج لالتقاء الثقافتين العربية والفارسية وامتزاجهما فى العصر العباسى .

فإذا انتقلنا إلى النثر الفارسى ، فإننا نجد كتبا علمية تعد من روائع الكتب وأمهات المصادر ، نذكر منها على سبيل المثال كتاب «الأبنية عن حقائق الأدوية» الذى ألفه أبو منصور موفق بن على الهروى ، وهو طبيب نبغ فى هراة فى أثناء حكم الأمير السامانى أبى منصور بن نوح (٣٥٠ - ٣٦٥ هـ) وهو من الكتب العلمية المؤلفة فى الصيدلة وعلم العقاقير ، ويعد كتابه من أقدم المؤلفات بالنثر الفارسى الإسلامى ، وقد وصف الهروى فيه أدوية مختلفة بعناية بالغة معتمدا على مصادر فارسية وهندية وسريانية ، وعلى تجاربه الخاصة .

ونذكر - أيضا - كتاب «زين الأخبار» الذى الفه ابو سعيد عبدالحى بن الضماك الكرديزى سنة ٤٤٠ هـ وهو يضم بحوثا فى علم الأجناس والأعياد الدينية عند الشعوب المختلفة ، كما

يسجل التاريخ السياسى لدول الطاهريين والصافريين والسامانيين والغزنويين إلى عصر مودود بن مسعود الغزنوى ويبدو أن المؤلف كان تلميذا لأبى الريحان البيرونى فقد ذكره مرات عديدة فى كتابه على أنه استاذه الذى تلقى عنه معلومات كثيرة مفيدة .

ونذكر - كذلك - كتاب «سفرنامه» الذى ألفه ناصر خسرو والقباديانى فى أثناء حكم السلاجقة لإيران فى ظل الدولة العباسية ، وكان ناصر خسرو من العلماء والشعراء والكتاب الكبار فى إيران ، وأحد المبلغين والدعاة لمذهب الاسماعيلية ، وهو عبارة عن كتاب رحلات ، سجل ناصر خسرو فيه الرحلات التى قام بها طوال سبع سنوات ، وسجل - كذلك - معلوماته ومشاهداته عن الأوضاع السياسية والاجتماعية والجغرافية والحضارية للبلاد التى زارها شرقا وغربا كما تحدث عن مقابلاته لكبار الشخصيات فى هذهالبلاد من سلاطين وأمراء وعلماء وأدباء ، ووصف المدن التى ساح فيها وصفا دقيقا ، شمل جغرافيتها وما فيها من أبنية وعمارات وقلاع وحصون ، وسجل - أيضا - تاريخ الأحداث الهامة بالشهر والسنة . وقد شملت رحلاته بلاد الحجاز وآسيا الصغرى ومصر ، وهو يمثل أهمية خاصة بالنسبة لمصر ، فقد أفاض فى الحديث عن مصر فى العصر الفاطمى ، ووصف نظم البلاط الفاطمى ، وتحدث بالتفصيل عن أحوال المعيشة فى مصر فى ظل الفاطميين الشيعة وكان هو أحد دعاتهم .

ونذكر - أيضا - كتاب «سياستنامه» الذى ألفه الوزير السلجوقى المشهور نظام الملك الطوسى فى عام ٤٨٤ هـ وهو كتاب يدرس المجتمع الفارسى ، ويعرف بالدول التركية فى المشرق ، ويعرض آراءه السياسية فى نظم الحكم ، ويمتدح أساليب الحكم الفارسية العريقة التى ينبغى على الدول أن تتبعها ، ويشيد بأساليب الحكم الإسلامية الأولى فى عهد النبى - صلى الله عليه وسلم - وفى عهد الخلفاء الراشدين - رضوان الله عليهم أجمعين .

ولنظام الملك أثر آخر فى الثقافة الإسلامية فى العصر العباسى ، آلا وهو قيامه بتأسيس مدارس للدراسة والبحث فى المدن الكبرى فى العراق وايران عرفت باسم «المدارس النظامية» نسبة إليه ، وهى مدارس عالية راقية أشبه بالجامعات فى العصر الحديث - وكان كبار العلماء يدرسون فيها ، ومنهم - على سبيل المثال - الإمام الغزالى .

بقى أن نذكر الفنون الإيرانية التى ساهمت فى بناء صرح الحضارة الاسلامية بعد أن امتزجت حضارة العرب بحضارة الفرس ، وازدهرت الصلات الثقافية بينهم فى العصر العباسى.

وقد كانت الفنون الايرانية معروفة مألوفة فى جميع البلاد الإسلامية، لأن الفنانين الفرس كانوا أسبق من غيرهم فى التصوير والرسوم التوضيحية ، وقد حققوا تقدما ملحوظا فى الصور والتحف المعدنية والسجاد والخزف والمنسوجات إلى جانب فن المعمار الذى كان يتجلى فى المساجد والأبنية الاسلامية الأخرى التى كانت تمتاز بزخارفها الجميلة ، وبما فيها من تجارة وقيشانى ، كما كانت تزين بالجص المحفور أو الطوب المنضود .

والدارس للفنون الإسلامية يدرك مدى التقدم الذى حققته هذه الفنون فى العصر العباسى نتيجة لالتقاء الحضارتين العربية والفارسية وازدهار الصلات الثقافية بين العرب والفرس فى هذا العصر .

ويزعم بعض الدارسين وبخاصة من المستشرقين أن العلوم العربية كلها قامت على أكتاف الأعاجم ، وأنه لو نزع من العلوم العربية نصيب علماء الفرس لنزع خير نصيب فيها ، وهذا زعم باطل يكذبه التاريخ ويكذبه التراث الحضارى الإسلامى الذى بقى عن العصر العباسى، فالحق أن علماء العرب لم يقفوا موقفا سابيا فى ميدان العلم ، بل كانوا سباقين إلى المساهمة الجادة فى بناء صرح الحضارة الإسلامية الراقية هم والفرس ، وغيرهم من الشعوب التى أصابتها نعمة الاسلام ، وكان لهم نصيب وافر من التراث العلمى والأدبى للمسلمين ، ظهر بوضوح فى العصر العباسى ولقد أجمع الباحثون على أن الحضارة العربية كانت أعظم حضارة طوال العصور الوسطى التى كانت عصور تخلف وظلام فى أوروبا ، كما أجمع الباحثون المنصفون على أن فضل العرب وواضح ملموس لا على أوروبا وحدها بل على ا لبشرية جمعاء لأن العرب حين أقاموا دولة عظيمة مترامية الأطراف مثل ا لدولة العباسية التى ظل حكامها أكثر من خمسة قرون من الزمان لم يهدموا أو يخربوا ، وإنما صاحب العرب الأمن والاستقرار أينما حلوا ، لأنهم نشروا مثلا عليا ومبادىء قوية من التسامح والإخاء والمساواة جاء به الإسلام، فتحول العالم الاسلامى إلى مراكز حضارية يشع منها بريق العلم ونور العرفان.

لقد كانت عند العرب الرغبة الحقيقية فى التعلم والاستفادة من العلم ، والقدرة على الاستفادة من الحضارات المتباينة التى صادفوها والتوفيق بينها ، ثم هضم هذه الثقافات وصياغتها فى قالب عربى صميم ، وهكذا أفاد العرب من حضارات الفرس والهنود والأغريق والصينيين وغيرهم من الشعوب التى احتكوا بها أو جاوروها ، فنقلوا عنهم الكثير وترجموا

عن مؤلفاتهم ما استطاعوا ترجمته إلى العربية ، ثم أقاموا على هذا الأساس بناء حضاريا متكاملا ، لا يمكن أن يوصف إلا بأنه عربي إسلامي.

هذا ما فعله العرب بعد إسلامهم ، فإذا قال قائل إن أمة قد اخذت من أمة فتلك سنة الحياة، وإن كان ثمة فخر للأمة المعطية ، فإنه ليس عارا على الأمة الآخذة وانما لها - كذلك - فخر الفهم والهضم والاستيعاب والاضافة والانسانية وحدة متفاعلة ، وثقافتها كل لا يتجزأ وانما يضيف اللاحق إلى ما تركه السابق ، فى كل عصر من العصور .

يقول المستشرق الايطالى الدو ميلى :

«ولكن ينبغى ألا نظن أن العرب لم يضيفوا شيئا جديدا إلى العلم الذى كانوا أوصياء عليه ، بل عل النقيض من ذلك وإذا كانت خطوات التنمية والانفتاح التى خطوها فى هذا السبيل كثيرا ما ضاعت وتفرقت فى الحشد الكبير من الكتب التى تركوها فليست تلك الخطوات أقل أصالة وأبعد من الواقع من أجل ذلك ، وليس لأحد أن يقول كما يقرر ذلك بعض المؤلفين - أن دور العرب ينحصر ببساطة فى المزج والنقل لمعارف الأقدمين ، التى لولاهم لذهبت ادراج الرياح ، الأمر الذى هو فى ذاته عنوان فخر عظيم ، وشرف لا يستهان به» .

فلم تكن رسالة الإسلام عبادة فحسب ، بل شملت حاجات الحياة الدنيا ، وشملت العلوم الطبيعية والرياضية مكانا مرموقا فى الحضارة الإسلامية والفكر العربى ، واتصف العلماء المسلمون بالأمانة والموضوعية فى مؤلفاتهم المختلفة ، بعد أن اطلعوا على العلوم التى كانت عن غيرهم من الأمم بعد نقلها إلى لغتهم العربية ، فلم يكونوا مجرد نقلة ، بل زادوا على ما ترجموه من علوم غيرهم ، وأضافوا إلى العلم الكثير واستحدثوا فنونا لم يمارسها سواهم .

لقد ألفوا فى الطب والكيمياء والرياضيات والفلك والطبيعة والضوء والمعادن والميكانيكا وكانت كتبهم تدرس فى أوروبا حتى القرن السابع عشر ، حتى قال الدارسون المنصفون «لولا أعمال علماء العرب لاضطر علماء النهضة الأوروبية أن يبدأوا من حيث بدأ هؤلاء ، ولتأخر سير المدنية عدة قرون» .

وفى الحق أن كثيرا من النظريات العلمية الحديثة ، إنما تمتد جذورها إلى علماء المسلمين فى العصر العباسى منذ قرون عديدة .

فعلينا نحن العرب أن نعمل على تصحيح تاريخنا العلمى ، ولنتخذ من أئمة الفكر والعلم

الاسلامى مثلا يحتذى ، ولننشر أعمال العلماء العرب ، من أمثال الحسن بن الحسن بن الهيثم المهندس البصرى الذى كان يعيش فى العصر العباسى وقد جاء إلى القاهرة ، وكان عالما مرموقا من علماء الطبيعة المسلمين بل يعتبر من أرفعهم شأنا ، لأنه سبق فى مصنفاته ونظرياته إلى كثير من النظريات العلمية المتصلة بالرياضيات والطبيعيات ، ولا سيما المتصلة بالبصريات .

وبلغ الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمى صاحب مصر خبر ابن الهيثم وما هو عليه من النبوغ والإتقان ، فتاقت نفسه إلى رؤيته ، ثم نقل له عنه انه قال :«لو كنت بمصر لعملت فى نيلها عملا يصلح به لنفع فى كل حالة من حالته من زيادة ونقصان فقد بلغنى أنه ينحدر من موضع عال «السد العالى الآن» وهو فى طرف الإقليم المصرى» .

فازداد الحاكم اليه شوقا ، ورغبة فى الحضور إلى القاهرة ، فحضر اليها ، وأقام بها إلى أن أدركته الوفاة سنة ٤٣٢ هـ بعد أن عاش ستا وسبعين سنة مشتغلا بالعلم دراسة وتأليفا .

يقول القفطى فى كتابه «أخبار العلماء بأخبار الحكماء» : كان له خط قاعدة فى غاية الصحة ، وذكر لى يوسف الناشى الاسرائيلى الحكيم نزيل حلب قال : سمعت أن ابن الهيثم كان ينسخ فى مدة سنة ثلاثة كتب فى ضمن اشتغاله ، وهى إقليدس والمتوسطات والمجسطى ، ويستكملها فى مدة السنة ، فإذا شرع فى نسخها جاءه من يعطيه فيها خمسين ومائة دينار مصرى وصار ذلك كالرسم الذى لايحتاج فيه إلى مواكسة ولا معاودة قول فيجعلها مؤنة لسنته ، ولم يزل على ذلك إلى أن مات بالقاهرة فى حدود سنة ٤٣٢ هـ أو بعدها بقليل» .

ثم يقول القفطى بعد ذلك : «ورأيت بخطه جزءا فى الهندسة وقد كتبه فى سنة ٤٣٢ وهو عندى .. لله المنه» أى أنه عاش إلى هذه السنة .

وابن الهيثم أول من قال بأن العدسة المحدبة ترى الأشياء اكبر مما هى عليه ، وأول من شرح تركيب العين وبين أجزاءها بالرسوم ، وسماها بأسماء تطلق عليها حتى الآن كالشبكية والقرنية والسائل الزجاجى ، والسائل المائى ، وله بحوث فى تكبير العدسات مهدت لاستعمال العدسات فى إصلاح عيوب العيون ، وهو فى هذا الاكتشاف أسبق من العالم المشهور فرنسيس بيكون .

فهلا قام العرب بنشر مثل هذا التراث ، أنصافا لهم وخدمة للعلم ؟

هذه صورة الالتقاء الحضارى بين العرب والفرس فى العصر العباسى، تبين كيفية امتزاج الثقافتين العربية والفارسية فى بوتقة الإسلام ثم مساهمتها فى بناء صرح الحضارة الاسلامية الراقية التى لم يشهد لها التاريخ مثيلا فى سموها المادى والروحى ، فكانت حضارة فاضلة اسعدت البشرية قرونا عديدة ، وكانت مثلا حيا ودليلا قويا على أن الترابط بين الشعوب ، وتعاونها فى البناء وفعل الخير هدف رفيق أرسلت من أجل تحقيقه الرسل ، ودعا إليه الإسلام فى قول الله جلت حكمته [يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير] . (الحجرات آية ١٣) .

* * *

الفصل التاسع

الثقافة العربية الإسلامية فى بلاد الفرس
من بعد العصر العباسى وحتى بداية العصر الصفوى*

يتناول هذا الفصل كما يبدو من عنوانه الثقافة الإسلامية فى بلاد الفرس في الفترة التاريخية التى شملت العصرين المغولى والتيمورى.

والمعروف فى التاريخ عن حكام هذين العصرين أنهم كانوا مخربين سفاكين، وذلك لتدميرهم الكثير من المدن الإسلامية الزاهرة، وقتلهم لألوف من المسلمين سكان هذه المدن بعد نهبها.

لكن الذى لا يعرفه الكثيرون أن السلاطين المغوليين والتيموريين كانوا محبين للعلوم والفنون فى أول أمرهم، فقد اهتموا بعلم الرياضة لضبط شئون مملكتهم، وعلم الطب لحفظ الأبدان، وعلم الفلك لرصد الأوقات وتحديد مواعيد الغزوات.

ويذكر عنهم أنهم كانوا يبقون على حياة العلماء والصناع والفنانين الذين كانوا يجدونهم فى المدن المفتوحة، ويصطحبون خيرتهم معهم إلى مقر ملكهم.

لذلك لما استقر هؤلاء السلاطين في إيران كانوا من أشد المتأثرين بمظاهر الحضارة الإيرانية والثقافة الفارسية الإسلامية هناك، ثم ما لبثوا أن اعتنقوا الإسلام- نتيجة لعدم تعصبهم لوثنيتهم- فصاروا دعاة للإسلام، وسعوا إلى نشره، وبنوا الكثير من المساجد والمدارس الدينية والعلمية فى إيران.

---

* أعد هذه الدراسة الأستاذة الدكتورة شيرين عبد النعيم، استاذ الدراسات الفارسية بكلية الآداب - جامعة عين شمس.

لقد انصرفوا بعد اعتناقهم الإسلام إلى تعمير ما خربه أجدادهم واباؤهم، بحيث شهدت إيران نهضة عمرانية وعلمية وثقافية عظيمة، وصارت عواصم ملكهم من المدن الإيرانية - كتبريز ومشهد وهراة والسلطانية وسمرقند- مراكز للعلوم والآداب والفنون، وقبلة للعلماء والفقهاء والأدباء والفنانين.

وقد أوقفوا أملاكهم وبذلوا المال الوفير من إجل العلماء ورجال الدين والأدباء وأرباب الفنون، لتشجيعهم على إنجاز أعمالهم وأيضا للإنفاق علي المؤسسات العلمية والدينية، وصرف رواتب القائمين على العمل بها، بل كان من هؤلاء السلاطين من شارك أهل المعرفة نشاطهم- وهو ما سنوضحه فيما يلى.

هذا بالإضافة إلى الدويلات التى حكمت بعض أقاليم إيران فى كنف الدولتين المغولية والتيمورية والتى كان لها دور ملموس فى الثقافة الإسلامية فى هذه الفترة.

ولقد ازدهرت العلوم العقلية والدينية فى هذه الفترة، فراج التأليف فى مختلف العلوم، وخاصة الرياضة والطب والفلك والهيئة والتأريخ والتفسير والحديث والسيرة وعلم الكلام والفلسفة والمنطق واللغة والتصوف.

لذلك فقد شهدت إيران فى هذه الفترة نهضة ثقافية إسلامية على أيدى علماء الفرس وشعرائهم من أصحاب اللسانين، وممن تركوا إنتاجا فارسيا يشهد بهذه الثقافة العظيمة الجديرة بالدراسة، وسوف أتناول أبرز مظاهرها، حيث أن هذا البحث لا يتسع للإلمام بها إلماماً مفصلاً.

وسوف ينقسم هذا البحث إلى قسمين، القسم الأول يتناول الحديث عن دور البارزين في العصر المغولى من سلاطين ووزراء وأعلام كان لهم دور ملموس فى نشر الثقافة العربية الإسلامية فى إيران.

أما القسم الثانى فيتناول أيضاً الحديث عن دور البارزين فى العصر التيمورى من ملوك ووزراء وأعلام، والذين تركوا بصماتهم على الثقافة الإسلامية فى إيران.

أولاً: الثقافة العربية الإسلامية فى العصر المغولى

عرف ملوك دولة المغول التى حكمت إيران بأسم (الإيلخانيين) حيث كان يطلق على الملك لقب (إيلخان).

وقد كان هؤلاء الملوك منذ بداية حكمهم وثنيين، لكنهم لم يكونوا متعصبين لوثنيتهم، فيذكر عن أول ملوكهم ويدعى (أباقاخان) الذى تولى العرش عام ٦٦٠هـ (١٢٦٤م) ولم يكن قد اعتنق الإسلام، أنه أول من ضرب النقود باللغة العربية، وقد كتب على أحد وجهيها فى المتن (القآن الأعظم أيلخان المعظم زيد عظمتها)، وفى الحاشية عبارة "لا إله إلا الله محمد رسول الله" صلى الله عليه وسلم".

وقد اعتنق ثانى ملوكهم الإسلام ولقب نفسه بالسلطان " أحمد تكودار" فوطد صلته بعلماء المسلمين، وسارع بإرسال كتاب بهذا الشأن إلى العلماء في بغداد، وأعلن نفسه حاميا لدين الإسلام وتابعاً للرسول (صلى الله عليه وسلم)، وأمر ببناء المساجد وتحويل الكثير من معابد الأصنام والكنائس إلى مساجد، كما أقام الشرع الحنيف على ما كان على زمن الخلفاء، فأثر هذا تأثيراً بليغا فى نفوس الرعايا من المسلمين.

وقد نصب أحد الشيوخ ويدعى (كمال الدين عبد الرحمن الرافعى) شيخاً للإسلام، وولاه الإشراف العام علي الأوقاف فى البلاد كلها من أدناها إلى أقصاها، وأمر أن تصرف جميع أموال الأوقاف حسب شروط الواقفين.

ولقد حاول السلطان أحمد تكودار أن يدخل المغول فى الإسلام، لكنهم أصروا على التمسك بديانتهم البوذية فلم يستطع، فلجأ إلي ذلك عن طريق بذل العطايا والمنح وألقاب الشرف، فدخل الكثير منهم الإسلام فى عهده.

كما أجرى اتصالات مع السلطان المملوكى (قلاوون) بمصر عن طريق وفد أرسله برسالة إليه يطلعه فيها باعتناقه الإسلام، وله جهوده فى سبيل إحياء الشريعة الإسلامية من قبيل إصلاحات شئون الأوقاف وتيسير سبل الحج، كما أعرب فى رسالته عن رغبته فى عقد سلام ومودة مع جيرانه المسلمين، على الرغم من مخالفة ذلك لما نص عليه مجلس الشورى المغولى (القوريلتاى).

وقد رد عليه السلطان قلاوون برسالة أعرب فيها عن ترحيبه بذلك، غير أن السلطان أحمد تكودار لقى حتفه بعد عامين من حكمه على يد المغول الثائرين عليه بسبب اعتناقه الإسلام، وإقامته علاقات وديه مع جيرانه المسلمين.

وعلى الرغم من مقتل السلطان أحمد تكودار، إلا أنه لم تمض عشر سنوات حتي تغيرت

أحوال البلاد، فقد تزايد عدد المغول المعتنقين للإسلام، كما ترايد عدد المسلمين تدريجيا فوصلوا إلى المناصب الهامة، ونجحوا في تكوين حزب من أقوى الأحزاب فيَ الدولة مستندين إلى تأييد سكان الريف ورجال الدين، وقد استطاع هذا الحزب الإسلامي أن يرفع السلطان "غازان خان" - سادس سلاطين المغول- إلى العرش، وأن يدخله فى طاعة الإسلام.

وفور اعتلاء السلطان غازان خان العرش فى أوائل شهر شعبان عام ٦٩٤ هـ (١٢٩٥م) أعلن الإسلام الدين الرسمي للبلاد، وقد أسلم معه جميع الأمراء، فأقيمت الأفراح واشتغل الناس بالعبادة، ولما حل شهر رمضان صامه السلطان محمود غازان خان، وعكف على العبادة مع جماعة الأئمة والمشايخ الذين شملهم بالهبات والصدقات.

وعلى إثر ذلك غير المغول زيهم، فلبسوا العمامة كشارة مميزة لهذا التحول، ولم يعد المسيحيون واليهود قادرين على أن يظهروا بين الناس إلا بثياب متميزة، فكانت علامة النصارى شد الزنار في أوساطهم، واليهود خرقة صفراء فى عمائمهم.

ولما كان السلطان محمود غازان خان سنيا على مذهب الإمام أبى حنيفة النعمان، فقد أمر أن تذكر أسماء الخلفاء الراشدين فى خطبة الجمعة والعيدين والمناسبات الأخرى فى المساجد، وأصبح يذكر اسمه بعد هؤلاء الخلفاء، كما نقشت أسماؤهم على العملة، وأحيطت الشهادتان بأسماء الخلفاء الراشدين، كما كتب اسم السلطان والقابه.

كما أمر السلطان محمود غازان خان أن تصدر الرسوم طبقاً لما تنص عليه الشريعة الإسلامية دون التأويل فى الشرع، وكان يحث الناس دائما على اتباع الشريعة والعمل بأحكامها، وبذل الجهود فى سبيل تقويتها ورسوخها، لذلك كان شديد العقاب على المخالفين.

وقد أصدر أمراً بهدم الكنائس المسيحية والأديرة اليهودية وتحطيم الأصنام البوذية، وتحويلها إلى مساجد كما أجبر البوذيين على الدخول فى الإسلام، وطلب ممن يرفض مغادرة البلاد.

كذلك كان السلطان محمود غازان يرعي علماء الدين، ويباشر قيامهم بمهامهم الرئيسية، ويروى عنه أنه فى عام ٦٩٦هـ دخل إحدى المدارس الدينية وتدعى المستنصرية من الدار المجاورة، وكان المدرسون والفقهاء يجلسون كعادتهم يتلون القرآن الكريم، فلما أقبل عليهم، قاموا احتراما له فلامهم على فعلهم، ثم دخل خزانة الكتب فتفقدها، ثم عاد إلى الدار المذكورة، فبات فيها.

وفى الحقيقة كان السلطان محمود غازان فى مقدمة سلاطين المغول الذين كان لهم الفضل فى اندماج المغول فى المجتمع الإسلامى، فتأثروا بالبيئة الفارسية الإسلامية، وصاروا من أكثر المتحمسين للمساهمة فى النهوض بالحضارة الإسلامية من كبوتها.

ولقد كان عصره العصر الذهبى للدولة المغولية، فلقد شهدت إيران، وخاصة مدينة تبريز - عاصمة ملكه - نهضة عمرانية وثقافية كبيرة، فبنيت المساجد الكثيرة فى المدن والقرى وأسست المدارس العلمية والدينية، وأوقفت الأوقاف للإنفاق عليها وعلى القائمين بالعمل فيها وعلى الفقراء والمساكين.

ويكفينا دليلاً على ما نقول أن السلطان محمود غازان خان كان أول سلاطين المغول الذى يدفن فى مقبرة ظاهرة - حيث كانت عادتهم إخفاء مواضع قبورهم- وكان قد بناها في محلة نسبت إلى اسمه وتعرف باسم (شام غازان أو شنب غازان(١)) تقع فى شمال غرب تبريز ، وكانت متوجة بقبة كبيرة، ومركزاً لمجموعة مز المباني المقامة وسط الحدائق، ومن أهم هذه المبانى مسجد وصومعة ومدرستان إحداهما للشافعية وأخرى للحنفية ومستشفى ومكتبة ومرصد، وبالقرب من تلك المؤسسات توجد مدرسة أخرى لتدريس علوم الدنيا، وقد عين لها المدرسون اللازمون، كما يوجد بيت القانون المخصص لحفظ كتب القوانين التى وضعت فى عهده، ومسكن للأطفال وآخر للأشراف والسادة وحمام وملجأ يسع مائة يتيم يتلون القرآن ويحفظونه من مائة مصحف لديهم ويشرف عليهم خمسة من المدرسين، ويقوم بخدمته خمسون من الخدم، وآخر للأطفال المشردين، وثالث للأرامل تقيم فيه خمسمائة أرملة.

وقد زار الرحالة العربى ابن بطوطة هذه المقبرة وغيرها من معالم مدينة تبريز عند زيارته لإيران وسجل مشاهداته في كتابه، ومازال مكان هذه المقبرة ظاهراً حتي الآن، بما بقى من أكوام الأبنية المختلفة من حطامها.

ولم تقتصر جهود السلطان محمود غازان علي مدينة تبريز- عاصمة ملكه- وحدها، والتى احتلت مركزا مرموقا من الناحية العمرانية والثقافية، بل شملت أيضاً المدن الأخرى التى ضمها ملكه، فعلى سبيل المثال لا الحصر، جدد مدينة "أوجان" وأقام فيها عدة أبنية جديدة، وأطلق عليها اسم (مدنية الإسلام)، وكان ينفق دخل هذه المدينة والقرى المجاورة لها على المؤسسات الخيرية التي شيدها.

كما أوقف السلطان محمود غازان جزءاً كبيرا من أملاكه الخاصة للإتفاق علي هذه النهضة العلمية الحضارية، وسجل ذلك فى حجة الوقفية التي حررت علي الطريقة الإسلامية الصحيحة وشهد بصحتها جميع القضاة والعلماء.

وقد أدرج السلطان محمود غازان جميع المؤسسات التى أسسها تحت اسم (أبواب الخير) وعهد بالإشراف عليها إلى وزيره العالم والمؤرخ رشيد الدين فضل الله الهمذانى الذى سيرد الحديث عنه.

ومن سلاطين المغول البارزين السلطان "أولجاتيو" الذى خلف أخاه السلطان محمود غازان عام ٧٠٤هـ (١٣٠٤م)، وكان هذا السلطان قد اعتنق الإسلام، واتخذ لنفسه اسم (محمد خدا بنده)، أى محمد عبد الله، وقد وجد لذة فى الالتحاق بفرق إسلامية متعددة، فكان حنفيا وشيعيا وسنيا على التوالى.

ويذكر التاريخ عن هذا السلطان أنه قام ببناء مدينة السلطانية - بين تبريز وتهران- وجعلها عاصمة لملكه، وقد شهدت هذه المدينة أيضاً نهضة عمرانية وثقافية، بحيث صارت من أعظم المدن الإسلامية كمدينة تبريز، وقد ضمت الكثير من العمارات والمؤسسات والمدارس العلمية والدينية، كما شيد أيضاً قلعة كبيرة وسط المدينة، وبنى فى داخلها مقبرة له تعد من أجمل الآثار التى انشئت فى إيران.

وقد شيد على مقربة من هذه المقبرة مبانى خيرية أخرى كانت عبارة عن مسجد ومدرسة دينية ودار للرحالة ومدرسة كبيرة على نمط المدرسة المستنصرية ببغداد..

ويذكر عن السلطان محمد خدا بنده (أولجاتيو) فى كتاب "روضات الجنات" للخوانسارى أنه كلف العلامة الحلى ومائة من طلابه بترتيب مدرسة متنقلة ذات غرف من الخيام الكرباسية فى مدينة كرمانشهان- باختران حاليا- وأطلق عليها اسم (المدرسة السلطانية السيارة)، وكانت هذه المدرسة تحمل مع موكب هذا السلطان أينما يصير وتضرب بأمره فى كل منزل ومصر.

وقد ذكر أنه وجد فى أواخر بعض الكتب وقوع الفراغ منها فى المدرسة السلطانية السيارة فى كرمانشهان.

وكانت هذه المدرسة ترتحل بأعيان العلماء والمدرسين، برواتب جاريات على السلطان، ومع

كل منهم فقهاء ، وطلاب ، وكانوا يسمون بـ"مدرسى السيارة"، وكان الفقيه قطب الدين اليمنى التسترى الذى يرجع أصله إلى بلاد اليمن واستوطن مدينة تستر - من فقهاء المدرسة السيارة بالحضرة.

وإذا انتقلنا إلى طائفة الوزراء ودورهم فى الثقافة العربية الإسلامية نجد أن أن خير نموذج لهم الوزير الشهير (رشيد الدين فضل الله الهمذانى) المتوفى ٧١٨هـ، بعد أن جاوز السبعين من عمره، فقد كان هذا الوزير عالما وطبيبا ومؤرخاً وشاعراً، عمل فى بداية أمره طبيبا محترفا فى بلاط السلطان أباقاخان، ثم تولى الوزارة فى عهد السلطانين غازان خان وأولجاتيو - اللذين تحدثنا عنهما من قبل، فصار مؤرخ البلاد والمنظم الرئيسى للدولة فى عهدهما.

وقد كان الوزير رشيد الدين يجيد اللغة العربية، وقد اصطحبه السلطان محمود غازان معه فى حملته على سوريا- بصفته وزيرا - ليقوم بتحرير المنشورات والفرامانات باللغة العربية، كما كلفه هذا السلطان بكتابة جميع الكتب التى ينبغى كتابتها باللغة العربية سيرد الحديث عنها.

كما يذكر عن هذا الوزير أيضا أن السلطان أولجايتو رغب إليه أن يفسر بعض آيات القرآن الكريم، فسارع بالقبول ، وكتب عدة رسائل فى مسائل مختلفة تقع فى تسع عشرة رسالة، وجمعها كلها فى مجلد واحد سماه "التوضيحات".

وكان الوزير رشيد الدين الهمذانى منذ شبابه يميل إلى التأمل فى العقائد الدينية والمعنى الصوفى للقرآن الكريم، لذلك اشتغل بتفسير القرآن ومعالجة المسائل الخاصة بالأخلاق والميتافيزيقا هذا بالإضافة إلى اشتغاله بالتأليف فى الطب والاقتصاد والتاريخ.

وقد ترك لنا الوزير رشيد الدين مؤلفات كثيرة فى مختلف العلوم والمعارف، كان قد كتبها بالعربية والفارسية، وضمها فى مجلد سماه (جامع التصانيف الرشيدى).

ومن أهم آثار الوزير الشهير رشيد الدين كتابه "جامع التواريخ "الذى يعد من أهم المصادر التاريخية التى تتناول تاريخ المغول بصفته شاهد عيان لعصرهم، وكتاب "طب أهل الخطا" وهو من الكتب الطبية والعلمية التى قام بترجمتها إلى اللغتين العربية والفارسية .

أما مؤلفاته الدينية فهى كتاب "التوضيحات" فى الكلام وكتاب "مفاتيح التفاسير" وينقسم هذا الكتاب إلى قسمين القسم الأول يتحدث عن فصاحة القرآن ومفسريه، والقسم

الثانى يتناول عدة مسائل أهمها مسألة الخير والشر، والجزاء والعقاب، وأنواع الصبر المختلفة، والقضاء والقدر، والبعث، والتناسخ، وكتاب ثالث يسمى "السلطانية" كان رشيد الدين قد ألفه بعد اجتماع عقد مع السلطان أولجاتيو، ويتناول فيه الحديث عن الوحى والإلهام والمعجزة والرسالة الآلهية، والنبوة ، وخاتم النبيين، والصالحين، وكتاب رابع ويعرف باسم "لطائف الحقائق ويقع فى أربع عشرة رسالة فى علم الكلام.

وقد أطلق على الكتب الدينية الأربعة (المجموعة الرشيدية) وتوجد نسخة منها بالعربية بالمكتبة الأهلية بباريس.

ولقد كانت مؤلفاته الدينية قيمة ونفيسة لما أمدت به الفلاسفة والمفكرين بأهمّ المشاكل فى الفلسفة والتفسير، ومدى إعجاز القرآن الكريم وفصاحته، ومعجزة النبوة والمبدأ والمعاد وغير ذلك.

وكان الوزير رشيد الدين قد وضع جميع نسخ مؤلفاته العربية والفارسية فى بناء ضخم كان قد شيده ليكون مدفنا خارج مدينة تبريز فى محلة سماها "الربع الرشيدى" وخصصه لترقية العلوم والفنون ، وأسكن فيه رجال الدين والفقهاء والمحدثين وقارئى القرآن والطلاب وأصحاب الحرف من كل نوع.

وقد كان هذا الربع الرشيدى عبارة عن جامعة مفتوحة أبوابها للدارسين لتزويدهم بمختلف العلوم والفنون، لما تحويه مكتبتهم الضخمة من كتب نفيسة فى شتى أنواع العلوم، فقد ضمت إلى جانب مؤلفات رشيد الدين كتبا أخرى مؤلفة بعدة لغات مختلفة.

فقد ذكر عن مكتبة هذا الربع الخاصة أنها كانت تحتوى ستين ألف مجلد فى أنواع العلوم والتواريخ والأشعار والحكايات والأمثال وغير ذلك مما جمعه من بلاد إيران وتوران ومصر والمغرب والروم والصين ، هذا بالإضافة إلى ألف من المصاحف كتبت بخطوط مختلفة على يد كبار الخطاطين.

وكان رشيد الدين قد كتب فى وصيته التى تركها فوق قائمة الكتب الدينية بمكتبة الربع الرشيدى بأن يؤخذ من حاصل أوقافه ما يكفى لكتابة نسخة فى كل عام من مجموعة مؤلفاته كلها على قطع ورق بغدادى لترسل إلى إحدى المدن الإسلامية الرئيسية.

كما أقام هذا الوزير العالم رشيد الدين أيضا فى مدينة "أذربجان" مدرسة لتعليم علوم

الدين كالفقه والحديث والتفسير وعلم الكلام وأنواع العلوم العقلية ، وعهد بشئون التدريس بها إلى المولى محمد الرومى من أفاضل العلماء فى عصره.

لا يفوتنا أن نشير إلى هذا الشاعر، فقد كان رشيد الدين ينظم قصائده بالعربية ، نذكر منها على سبيل المثال بعض الأبيات الشعرية كانت قد تضمنتها رسالة أرسلها إلى أحد كبار شيوخ المتصوفة الذين عاشوا فى عصر السلطان أولجاتيو، وكان رشيد الدين يجله، ويتعهد بدفع نفاقته، وهو فى هذه الأبيات يتمنى وصله وقربه، فيقول مايلى:

يطيرنى شوقـى وكـيف أطـير ... فإن جناحـى بالفـراق كسـير

إذا جاش جيش الشوق من كل جانب ... فمالى سوى فيض الدموع نصير

فيارب قربـنى إلى قدوة الـورى ... فأنت عـلى تيسـير ذاك قديـر

كذلك الأسرة الجوينية ، فقد كانت هذه الأسرة أيضا راعية للعلم والأدب كأسرة البرامكة فى عهد الخلافة العباسية ، وقد تولت هذه الأسرة مناصب هامة فى الدولة، وكان الأخوان شمس الدين محمد ، وعطا ملك الجوينى، من أبرز الشخصيات فى هذه الأسرة، كما كانا على ثقافة عربية إسلامية واسعة بالإضافة إلى إجادتهما لنظم الشعر العربى وكانت مجالسهما قبلة للكتاب والأدباء.

وقد تولى شمس الدين محمد الوزارة فى البلاط المغولى، وتذكر له الكتب أنه أنشأ مدرسة علمية إسلامية فى بلدة أسرته - جوين - وكان يدرس بها من كبار العلماء ورجال الدين.

أما عطا ملك الجوينى فقد كان يعمل بالديوان المغولى ، حتى رافق هولاكو فى حملته على الخلافة العباسية، ثم عين من قبله حاكما على بغداد بعد سقوطها، وإليه يرجع الفضل فى تعمير العراق وخاصة بغداد بعد تدمرها على يد المغول، فقد أصبحت بغداد فى فترة حكمه مركزاً للعلوم والثقافة.

ومن أهم مؤلفات عطا ملك الجوينى كتابه "تاريخ جهانكشاى" أى - تاريخ فاتح العالم - وهذا الكتاب يعد من أهم من المصادر فى نشأة المغول وتاريخهم، حيث كان مؤلفه شاهد عيان ومعاصرا للأحداث.

وإذا تناولنا مشاهير أعلام العصر المغولى الذين كان لهم دور فى إثراء الثقافة العربية الإسلامية فى مختلف فروعها، بمؤلفاتهم العربية والفارسية، وهم الذين يطلق عليهم "أصحاب اللسانين"، نذكر مايلى على سبيل المثال لا الحصر:

"نصير الدين الطوسى" الذى يعد من أهم الشخصيات التى عاشت فى هذا العصر، والمتوفى عام ٦٧٢هـ (١٢٧٤م) فى بغداد بعد أن بلغ من العمر خمسة وسبعين عاما. فقد كان هذا الرجل من كبار العلماء والسياسيين، رافق هولاكو خان فى حملته على بغداد بصفته فلكيا، وشجعه على غزوها وإسقاط الخلافة العباسية.

وقد ألم نصير الدين الطوسى بالعلوم المختلفة السائدة فى عصره كالمنطق والرياضيات والطبيعة والفلسفة و علم الكلام، كما درس على يد أبيه المبادئ العامة للفكر الإسلامى ونبغ فيه، لذا يعد مؤسس المنهج الفلسفى فى علم الكلام الإسلامى، هذا بالإضافة إلى موهبته فى نظم الشعر، فكان ينظم الشعر باللغتين العربية والفارسية، ومن أشعاره العربية نذكر منها بعضا مما يمتدح فيه كتاب "تهذيب الأخلاق" لابن مسكويه ، فيقول ما يلى:

بنفسى كتابا حاز كل فضيلة — وصار لتكميل البرية ضامنا
مؤلفه قد أبرز الحق خالصا — بتأليفه من بعد ما كان كامنا
ووسمه باسم "الطهاره قاضيا" — به حق معناه، ولم يك مائنا
لقد بذل المجهود لله دره — فما كان فى نصح الخلائق خائنا

ولنصير الدين الطوسى مؤلفات عديدة تتجاوز المائة والخمسين ألفها بالعربية والفارسية فى الرياضيات بفروعها المختلفة والفيزياء والعلوم الفلكية كالفلك والتنجيم والاختيارات والاسطرلاب ، والفلسفة بموضوعاتها البارزة فى الميتافيزيقا والطبيعة والأخلاق والمنطق، وأيضا فى السياسة وعلم الكلام وفى الطب والتاريخ والجغرافيا.

ومن أهم آثاره التى ألفها بالعربية كتب "آداب المتعلمين" "الابتداء والانتهاء"، "استخراج التقويم"، "استخراج قبلة تبريز"، "الاسطوانة"، انعكاس الشعاع"، "بيان الألوان"، "تجريد العقائد "فى علم الكلام"، "تحرير إقليدس "فى الهندسة"، "تحرير الطلوع والغروب فى الفلك"،

"التذكرة النصيرية فى علم الهيئة وهى فى شرح إشارات ابن سينا"، "قوانين الطب"، حل مشكلات قانون ابن سينا"، وكتاب "أخلاق ناصرى"، "المؤلف بالفارسية وعرب باسم "الأخلاق النصيرية". كما له عدة رسائل، من أهمها رسالة فى أصول الدين، ورسالة فى الإمامة، ورسالة فى انعطاف الشعاع وانعكاسه.

كذلك أيضا العلامة الشهير "قطب الدين الشيرازى"، كان طبيبا معروفا ومن كبار شيوخ الصوفية، وقد بلغ منزلة رفيعة فى بلاط السلطانين ابافاخان، وغازان خان، وكان قد قام بعدة أسفار إلى بلدان مختلفة منها العراق والشام ومصر، وقام بتدريس كتابى القانون والشفاء لابن سينا فى الشام.

ومن أشهر مؤلفاته العربية هى "نهاية الإدراك فى دراية الأفلاك"، "التحفة الشهية"، "شرح حكمة الإشراق للسهروردى"، "فتح المنان فى تفسير القرآن"، وقد ألفه فى أربعين مجلد، "مشكلات التفسير"، ورسالة فى بيان الحاجة إلى الطب وآداب الأطباء ووصاياهم.

القاضى البيضاوى المتوفى ٦٨٥هـ وكان أحد مفسرى القرآن الكبار ولد ببيضة فى إقليم فارس، الذى كان أبوه قاضى القضاة به فى عهد الدولة السلغورية.

ومن أهم مؤلفاته العربية تفسيره المعروف باسم "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، "طوالع الأنوار فى مطالع الأنظار" فى التوحيد، "منهاج الوصول فى علم الأصول".

عضد الدين الإيجى المتوفى عام ٧٥٦هـ: كان فقيها شافيعا ولد بقبضة إيجى بإقليم فارس عام ٦٨٠هـ، وقد عاصر الأسرتين الإيلكانية والمظفرية - وهما دويلتان عاصرتا المغول - له آثار عربية فى الفلسفة وعلم الكلام والأخلاق، ومن أهمها: كتاب "المواقف" فى علم الكلام، "والفوائد الغياثية" وهو شرح لفصل البلاغة فى موسوعة مفتاح العلوم "للسكاكى.

العلامة علاء الدولة السمنانى : نسبة إلى سمنان والمتوفى عام ٦٥٩هـ، كان أبوه يعمل فى وزارة السلطان غازان خان، كما اشتغل هو بأعمال الديوان فى عهد السلطان أرغون، درس الصرف والنحو والحديث والتفسير والفقه، وقد ترك ما يقرب من ثلاثمائة مؤلف بالعربية والفارسية، من أهم آثاره العربية: "مطلع النقط ومجمع اللقط" فى تفسير بعض السور القرآنية، "العروة لأهل الخلوة والجلوة" فى الحكمة الآلهية.

زكريا القزوينى المتوفى عام ٦٨٢ هـ: وهو المؤرخ والجغرافى الشهير ، وكان قد اشتغل

بالقضاء فى العراق فى عصر الخليفة المستعصم بالله العباسى، ومن أشهر مؤلفاته العربية: كتابه الشهير فى الجغرافيا "آثار وأخبار العباد، وكتاب "عجائب المخلوقات" الذى ترجم بعد ذلك إلى الفارسية.

ابن الطقطقى المتوفى عا ٦٨٠هـ : على الرغم من أنه تولى القضاء وكان نقيب العلويين فى الكوفة ، لكنه يرجع إلى أصل إيرانى، وكانت زوجته فارسية أيضا، له مؤلفات بالعربية والفارسية فى التاريخ الإسلامى، أهمها بالعربية كتاب "الفخرى" وقد أهداه إلى فخر الدين عيسى عامل السلطان غازان، وأخذ عنوان الكتاب من اسمه، وكتاب "نظام التواريخ" بالفارسية".

أبو بكر الرازى : نسبة إلى مدينة الرى، وهو غنى عن التعريف فهو صاحب معجم "مختار الصحاح" فى اللغة العربية ، وله مؤلفات عربية أخرى مثل "حدائق الحقائق "فى التصوف"، الذهب الأبريز فى تفسير الكتاب العزيز، "روضة الفصاحة" فى علم البيان"، "كنز الحكمة" فى الحديث".

كما شهد العصر المغولى أيضا شعراء مشهورين ، كانوا من أصحاب اللسانين، نذكر منهم "جلال الدين الرومى" المتوفى عام ١٧٦٢ هـ، الذى يعد أحد رواد شعراء التصوف ، فهو مؤسس الطريقة المولوية، حيث نشأ نشأة دينية لأن أباه متقن للغة العربية إتقانا عظيما، وكان على ثقافة إسلامية واسعة، وقد ربطته بالبلاد العربية صلات ثقافية، وخاصة سورية حيث قام بالتدريس والوعظ هناك، وقد تضمن إنتاجه الفارسى الكثير من الشواهد العربية والقرآنية والمبادئ الإسلامية، ومن أبرز أعماله فى هذا المجال كتابه النثرى "فيه ما فيه" الذى ألفه بالفارسية ويشمل على أحاديثه ومواعظه ومحاوراته، كذلك كتابه الشعرى "المثنوى المعنوى" الذى يضم أكثر من ستة وعشرين ألف بيت من الشعر، وقد جعل مقدمته باللغة العربية، ويعد من أعظم الكتب التى ألفت فى التصوف الإسلامى عامة والتصوف الفارسى خاصة.

الشاعر الشهير سعدى الشيرازى المتوفى عام ٦٩١هـ: وهو أحد مشاهير شعراء الفرس، وقد ألم باللغتين العربية والفارسية، وكان على ثقافة عربية إسلامية، وذلك لنشئته الدينية، وتلقيه العلم فى المدرسة النظامية ببغداد ، وقد لقب بشاعر الإنسانية للأخلاق النبيلة والمبادئ السامية التى تضمنتها مؤلفاته الشعرية والنثرية ويبدو هذا فى كتابه "كلستان" أى -

الروضة- ، فهو كتاب تعليمى أخلاقى، وقد طعم جميع مؤلفاته الفارسية بالشواهد العربية والقرآنية.

كما كان لهذا الشاعر الكبير أشعار عربية، نذكر بيتين من تلك القصيدة التى نظمها فى رثاء الخليفة المستعصم بالله وسقوط الخلافة العباسية، يقول :

حبست بجفنى المدامع لا تجرى   فلما طغى الماء استطال على السكر

نسيم بغداد بعد خرابها   تمنيت لو كانت تمر على قبرى

وإلى جانب هؤلاء الأعلام الذين كانوا من أصحاب اللسانين وتركوا لنا مؤلفات باللغتين العربية والفارسية، هناك من الفرس من ألفوا باللغة الفارسية فى العلوم التى راجت فى هذا العصر، وخاصة التاريخ والتفسير وعلم الكلام، ولكنهم كانوا على ثقافة عربية إسلامية عالية، ويبدو هذا للقارئ من عناوين كتبهم التى تحمل أسماء عربية ومطعم أسلوبها بالشواهد العربية والقرآنية ، وقد خدمت هذه المؤلفات فروع الثقافة الإسلامية، وخاصة فى التاريخ الذى ازدهر فى هذا العصر لتشجيع السلاطين للكتاب على تسجيل تاريخهم وتاريخ أعمالهم، حيث كان مؤلفوها أصحاب مناصب لدى السلاطين ومعاصرين لأحداث العصر، فتضمنت مؤلفاتهم معلومات فريدة وقيمة لا توجد فى كتب التاريخ، لذلك تعد هذه الكتب من أمهات المصادر فى التاريخ الإسلامى، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : كتاب "جامع التواريخ" رشيد الدين فضل الله الهمذانى، و"تجزية الأمصار وتزجية الأعصار" المعروف بتاريخ وصاف، نسبة إلى مؤلفه الوصاف ، و"روضة الألباب فى تاريخ الأكابر والأنساب" المعروف أيضا بـ "تاريخ بناكتى" نسبة إلى مؤلفه البناكتى، و "سمط العلى للحضرة العليا "لمنشى الكرمانى و"دستور الكاتب فى تعيين المراتب "لمحمد النخجوانى.

ومن كتب التصوف كتاب "لوامع الأسرار فى شرح مطالع الأنوار" لقطب الدين الرازى، و"درة التاج" لقطب الدين الشيرازى، و "حق اليقين ومرآة المحققين" للشبسترى. وأيضا "نزهة القلوب" فى الجغرافيا للمستوفى و"حدائق السحر فى دقائق الشعر فى البلاغة لرشيد الدين الوطواط.

ثانيا: الثقافة العربية الإسلامية في العصر التيموري

على الرغم من أن "تيمورلنك" لم يكن أقل من "جينكيز خان "قسوة وسفكا للدماء فى البلاد التى فتحها واستولى عليها، إلا أن نشاطه الإصلاحى والثقافى كان كنشاطه فى التخريب ، فلقد كان هو وأولاده من بعده يرعون العلم وأهله، ويخصون رجال الدين والتصوف بالتقدير والرعاية ، لذا نهضت فى عهدهم مراكز للثقافة الإسلامية فى عدد من مدن إيران أهمها سمرقند وهراة وشيراز وتبريز.

فكتب التاريخ تذكر أن تيمورلنك كان يأمر جنوده بعدم التعرض للعلماء أثناء غاراتهم الوحشية على البلاد ، فيذكر أنه أمر جنوده وهم ينهبون مدينة أصفهان بعدم التعرض للمنطقة التى يقطنها العلماء، بل يعرف عنه أيضا أنه كان يدخل مع العلماء فى محاورات ويبذل لهم العطاء، وكان حريصا أيضا على مقابلة المشهورين منهم فى البلاد التى يفتحها ، وقد سجل هذا ابن خلدون فى مقدمته عند حديثه عن فتح تيمور لنك لمدينة حلب.

وكان تيمورلنك قد اهتم بإنشاء المدارس والإنفاق عليها وبتأسيس المكتبات الخاصة بها، فكان يأتى بعلماء البلاد المفتوحة إلى عاصمة ملكة سمرقند ، ويعوضهم عما تركوه، كما كان يفعل نفس الأمر بالنسبة للكتب، فيروى أنه أمر بنقل مكتبة كاملة على ظهور البغال إلى سمرقند.

وقد تولى العرش بعد تيمورلنك ابنه الرابع "شاهرخ" وكان هذا الملك من أكثر الملوك الذين حكموا إيران ثقافة، وقد جعل مدينة هراة مركزا ثقافيا فى وسط آسيا، وعلت مكانة العلماء والشعراء والمعماريين والرسامين فى عهده ، لذلك شهد عصره نهضة علمية وفنية.

ومن المدارس العلمية التى أسسها مدرسة أطلق عليها اسمه وكانت تضم العديد من الكتب فى العلم والأدب والفقه وعلم الكلام والفسلفة وغيرها من العلوم.

كما كانت زوجته وتدعى "جوهرشاد" ذات شخصية قوية وكانت محبة للعلم والعلماء كزوجها ، وقد أمرت هذه الملكة ببناء مسجد فى منطقة الإمام على الرضا بمدينة مشهد، ومدرسة دينية كبيرة - تعلوها المآذن - بمدينة هراة، كما أمرت ببناء قبة فخمة بجوار هذه المدرسة لتدفن فيها، ولا تزال هذه القبة باقية مزينة بالآيات القرآنية المكتوبة بالخط الكوفى وفيها ضريح الملكة.

كذلك الابن الرابع للملك شاهرخ وحفيد تيمور لنك ويدعى "ألوغ بيك" الذى حكم عام ٨٥٠هـ ، وامتد حكمه أربعين عاما ، كان من أكبر علماء الرياضة والتنجيم فى إيران، كما كان ذا مواهب متعددة ، فكان شاعرا وقارئا للقرآن الكريم، حيث كان يقرؤه بسبع قراءات مختلفة، وقد ترك آثارا كثيرة فى سمرقند فأقام مدرستين دينيتين فى مدينتى سمرقند وبخارى وكتب على أبوابهما "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة" وكان من بين العلوم التى تدرس بالمدرستين علم الكلام.

وكان هذا الملك أيضا ملما بعلم الفلك، وقد ألف كتابا فى الفلك والتقويم، وأمر ببناء مرصد كبير فى سمرقند، ويذكر عنه أيضا أنه أدى اشتغاله بالعلم وشغفه به أن وفد إليه كثير من علماء فارس وتوابعهما ، فكان يشاركهم فى الدرس بنفسه، ويدرس معهم حركات الكواكب فى مرصده الكبير بسمرقند ، وقد نظمت جداول الهيئة باسمه ، وطبعت بعد ذلك فى إنجلترا عام ١٩٦٥.

وإذا تناولنا آخر سلاطين التيموريين العظام وهو السلطان "حسين بايقرا" نجد أن هذا السلطان كان شاعرا وأديبا ، لذلك كان يشجع العلماء والأدباء وأيضا رجال الدين، فصارت مدينة هراة - عاصمة ملكه - مركزا ثقافيا كبيرا فى عصره.

وكان هذا السلطان قد اهتم بإنشاء المدارس والمكتبات ويذكر عنه أيضا أنه كان يصدر الأحكام المطاعة لتحقيق التماسات علماء الإسلام وفضلاء العصر، كما كان يبذل الإقطاعيات والإنعامات لهم، بل كان يتردد كثيرا على مجالس الوعظ، ويبجل مشايخ الإسلام والوعاظ، ويعتبر ذلك من الأمور الواجبة، لذلك اجتهد فى تطبيق أصول الشريعة الإسلامية.

وقد شيد هذا السلطان مدرسة خاصة به فى منطقة يطلق عليها "المصلى" وأقام بجوارها مكتبة خاصة بها ، وأطلق على هذه المدرسة "المدرسة السلطانية، وكان يقوم على التدريس فيها ثمانون من علماء العلوم الدينية والدنيوية.

ومن أسباب ازدهار النهضة العلمية والثقافية فى عهد السلطان حسين بايقرا ، أن وزيره ويدعى "عليشير نوائى" كان أيضا أديبا وشاعرا ومؤلفا ومصورا ، وقد أنشأ هذا الوزير العديد من المبانى والمساجد والمكتبات ، واهتم اهتماما بالغا بتشجيع العلماء والأدباء والفنانين، ويذكر عنه أنه كان يقرب العلماء إليه ويواظب على حضور حلقات دروسهم للاستفادة منها.

وقد أقام هذا الوزير مدرسة دينية، وأطلق عليها اسم "المدرسة الإخلاصية"، وقد عين في هذه المدرسة مدرسين لتدريس أصول الفقه في الرواق الشرقي، وآخرين لتدريس علم الحديث في الرواق الغربي، وألحق بالمدرسة مسجدا، وبنى في الجانب الشمالي من هذا المسجد قبة أطلق عليها "دار الحفظة"، وخصصها لتلاوة القرآن الكريم، كما ألحق بها أيضا خانقاه لإطعام المساكين وأداء صلاة الجمعة، وقد أوقف هذا الوزير جميع ممتلكاته للإنفاق على هذه المدرسة والمسجد ودار الحفظة والخانقاه.

وقد ترك الوزير عليشير نوائي مؤلفات كثيرة شعرية ونثرية باللغتين الفارسية والتركية، تناول في بعضها التاريخ الإسلامي وتاريخ الأنبياء والحكماء ومناجاة الله.

ومن أعلام العصر التيموري ، والذين يعدون من أصحاب اللسانين العربي والفارسي ، وتركوا مؤلفات تخدم فروع الثقافة العربية الإسلامية ، نذكر أسماء بعضا منهم ومؤلفاتهم العربية على سبيل المثال:

سعد الدين التفتازاني المتوفى عام ١٧٩١هـ : وينسب إلى قرية تفتازان بإقليم خراسان، وهو حجة مشهور في البلاغة والمنطق وما وراء الطبيعة والكلام والفقة وغيرها من العلوم ، لذلك ترك مؤلفات في شتى فروع المعرفة، له في النحو "شرح التصريف المعزي"، و"الإرشاد" ، وفي البلاغة "المطول"، و"مختصر العاني"، وفي المنطق "شرح الرسالة" الشمسية"، و"تهذيب المنطق والكلام"، وفي ما وراء الطبيعة "المقاصد"، و"شرح العقائد النفيسة "للرد على زنقدة ابن عربي في مؤلفه فصوص الحكم، وفي الأصول "التلويح إلى كشف حقائق التقيبح"، و"شرح المختصر في الأصول"، وفي الفقه "المفتاح"، و"اختصار شرح تلخيص الجامع الكبير"، وفي التفسير "كشف الأسرار وعدة الأبرار و"شرح الكشاف"، وفي فقه اللغة" النعم السوابغ في شرح الكلم النوابغ".

سيد شريف الجرجاني المتوفى عام ٨١٦هـ: كان فيلسوفا وحكيما،وقد كتب عدة رسائل في الفلسفة باللغتين العربية والفارسية ، وشروحا على أهم الكتب في أصول الفقه والفلسفه وعلم الهيئة، ومن هذه المؤلفات كتاب "التعريفات" و"الأصول المنطقية"، بالإضافة إلى شروح عديدة.

جلال الدين الدواني المتوفى ٩٠٨هـ: وهو ينتسب إلى قرية دوان بإقليم فارس وكان عالما متصوفا وشاعرا، ومن آثاره العربية بعض الرسائل مثل: "رسالة إثبات الواجب القديم"

و"رسالة إثبات الواجب الجديد" و"رسالة نماذج العلوم "وأيضا شرح لهياكل النور للسهروردى.

وجدير بالذكر أبو طاهر الشيرازى الفيروز آبادى المتوفى ٨١٧ هـ العالم اللغوى الكبير صاحب المعجم العربى الشهير "القاموس المحيط" ويرجع مسقط رأسه إلى محلة فيروز آباد بإقليم فارس، وكان قد رحل فى شبابه إلى ببغداد ، وحصل العلوم الدينية كالفقه والتفسير والحديث والنحو، وزار كثيرا من البلاد العربية، وكان معاصرا للأسرة الجلائرية.

وقد راج فى هذا العصر التأليف فى العلوم العلمية والدينية، وخاصة التأليف بالفارسية فى التاريخ ، والتصوف والتفسير والسير على أيدى علماء وأدباء من الفرس، كانوا على ثقافة عربية وإسلامية، بدت واضحة من أسلوب كتبهم المطعم بالشواهد العربية والقرآنية، أو من عناوين بعض كتبهم ذات الأسماء العربية، نذكر منها على سبيل المثال:

فى مجال التاريخ: وكان هذا العصر امتدادا للنهضة العلمية التى شهدها فن كتابه التاريخ فى العصر المغولى ، فقد راج التأليف فى التاريخ العام والمحلى فظهرت موسوعات تاريخية قيمة فى التاريخ الإسلامى مثل : "روضة الصفا" لميرخواند، و"حبيب السير فى أخبار أفراد البشر "لخواند مير"، ولهذا المؤلف أعمال أخرى وهى : "دستور الوزراء" وخلاصة الأخبار فى أصول الأخبار" و"روضات الجنات فى أوصاف مدينه هرات" لمعين الدين الإسفزازى.

وفى مجال التفسير والسير: "جواهر التفسير لتحفة الأمير "ومواهب عليه "المعروف" بتفسير حسينى " و "مختصر الجواهر "لواعظ الكاشفى، "شواهد النبوة" للجامعى و"معارج النبوة" لمعين الدين الفراهى، و"روضة الأحباب فى سيرة النبى والأصحاب" للأمير سيد جمال الدين و"درج الدر" لأصيل الدين الحسينى.

وفى التصوف " جواهر الأسرار وخواطر الأنوار" و"اللوامع" و"أشعة اللمعات" ونفحات الأنس" للشاعر الصوفى عبد الرحمن الجامعى - الذى سيأتى الحديث عنه، و"مجالس العشاق" لواعظ الكاشفى، و"رشحات عين الحياة "لفخر الدين حسين .

أما فى مجال الشعر : فقد عاش فى هذا العصر شاعران كبيران، كانا على ثقافة عربية وإسلامية عالية إلى جانب ثقافتهما الفارسية ، وهما "حافظ الشيرازى" و"جلال الدين الرومى"وحافظ الشيرازى هو من كبار شعراء الغزل فى إيران الذى ولد فى عام ٧٢٦هـ، وقد ألم بالعلوم الرائجة فى عصره، بالإضافة إلى دراسته العربية فى التفسير والحديث والشعر،

وقد لقب بـ "الحافظ" لحفظه القرآن عن آخره، وقد اشتغل بالتدريس في شيراز، وكان يدرس كشاف الزمخشري في التفسير ومصباح المطرزي في النحو وطوالع الأنوار في التوحيد، ومفتاح العلوم في الأدب، وترك ديوانا شعريا يحتوي على غزليات عرفانية.

أما عبد الرحمن الجامي فهو أشهر شعراء التصوف في العصر التيموري وأيضا هو عالم وصوفي في وقت واحد، ولد عام ٨١٧هـ ، وتعلم اللغة العربية على يد أبيه الذي كان يجيدها، وقد رحل إلى سمرقند واشتغل بدراسة النحو والصرف والمنطق والحديث والفقه والفلسفة والرياضة والموسيقى وغيرها من علوم العصر، وتبحر أيضا في التصوف . وقد ترك إنتاجا في ستة وأربعين مؤلفا شعريا ونثريا في مختلف العلوم التي تعلمها ، وحظي بشهرة عظيمة لتفوقه في هذه الميادين؛ نذكر من بين هذه المؤلفات الفارسية مؤلفاته العربية، وهي "الدرة الفاخرة" وهو كتاب في المفاضلة بين المتكلمين والمتصوفين، "وفوائد الضيائية"، وهو شرح على كافية ابن الحاجب في النحو العربي.

وبعد هذا العرض لمظاهر الثقافة العربية الإسلامية في العصرين المغولي والتيموري في إيران يتبين لنا أنه على الرغم من أن اللغة العربية كانت قد فقدت مكانة الصدارة في إيران كالعصور السابقة، وحلت محلها اللغة الفارسية في هذين العصرين، إلا أن اللغة العربية صارت اللغة العلمية والأدبية، ولم يكن لكتاب الفرس وأدبائهم غناء عن تعلمها.

وعلى الرغم مما سلكه سلاطين هذين العصرين من أساليب الدمار والتخريب في بادئ أمرهم وقت فتحهم للبلاد ، إلا أنهم وأبناءهم من بعدهم لما عاشوا حياة مستقرة في بلاد الفرس بالإضافة إلى إسلامهم ، أقبلوا يصلحون ما أفسدوه، بل وساهموا بنصيب في إنهاض الحضارة الإسلامية في فروعها المختلفة. لذلك نشأت في ظلهم وبرعايتهم هذه الحضارة الفارسية ذات الطابع العربي الإسلامي المتميز.

مصادر ومراجع البحث

أولا : العربية:

١- ابن بطوطة :

رحلة ابن بطوطة ، طبع بيروت ١٩٦٤م.

٢- د. أحمد الساداتى :

فى تاريخ الدول الإسلامية وحضارتها ، طبع القاهرة.

٣- د. بديع جمعه :

من روائع الأدب الفارسى، طبع بيروت.

٤- دونال ولبر :

إيران ماضيها وحاضرها ، ترجمة أ.د. عبد النعيم حسنين، طبع القاهرة.

٥- رشيد الدين فضل الهمذانى :

جامع التواريخ : ترجمة د. الصياد ، د. هنداوى، د. صادق نشأت ج ٢، ١٩٦٧م.

٦- د. الشواربى

حافظ الشيرازى، طبع القاهرة.

٧- د. شيرين عبد النعيم حسنين

إيران ومدنها الشهيرة ، طبع القاهرة، ١٩٨٩م.

٨- د. عبد الأمير الأعسم:

نصير الدين الطوسى، طبع بيروت.

٩- د. فؤاد الصياد.

تاريخ المشرق الإسلامى فى عد الإيلخانيين، الدوحة ١٩٨٧م.

١٠- مؤرخ المغول الكبير (رشيد الدين فضل الله الهمذانى)، طبع القاهرة ١٩٦٧م.

١١- ف. بارتولد :

تاريخ الحضارة الإسلامية ، ترجمة حمزة ، طبع القاهرة.

١٢- القزوينى :
آثار البلاد وأخبار العباد، طبع بيروت.
١٣- د. محمد السعيد جمال الدين:
علاء الدين عطا ملك الجوينى، القاهرة ١٩٨٢م.
١٤- د. محمد كفافى :
جلال الدين الرومى، القاهرة ١٩٧١م.
١٥- د. ناجى معروف:
علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامى، طبع بغداد ١٩٧٣م.
١٦- د. هنداوى
سعد الشيرازى، القاهرة ١٩٥١م.

ثانيا : الفارسية:

١- إدوارد براون انكليس :
ازسعدى تاجامى ، تهران ١٩٤٨م.
٢- حسن بيرنيا وعباس اقبال :
تاريخ إيران : تهران
٣- خواندمير:
حبيب السير فى أخبار أفراد البشر: تهران، ١٣٣٣هـ ش.
٤- خوانسارى :
روضات الجنات : تهران ، ١٣٠٧ هـ. ق.
٥- دهخدا
لغت نامه: تهران.
٦- زركوب شيرازى :
تاريخ إيران دازمغول افشاريه، تهران ١٣٥٠هـ .ش.
٧- رضا قليخان م هدايت :

مجمع الفصحاء : تهران ١٣٢٦ ١٢٩٢ هـ.
٨- رياض العارفين : تهران ١٣٢٦ هـ ش.
٩- زهرا خانلرى
فرهنك أدبيات إيران، تهران.
١٠- عطا ملك الجوينى :
تاريخ جهانكشاى، جلد أول ، ليدى ١٩٣٧م.
١١- دكترعيسى صديق
تاريخ فرهنك إيران :تهران ١٣٣٦ هـ.ش.
١٢- دكتر عيسى برايس:
تاريخ هنرا إسلامى : ترجمة مسعود رجب بنا ، جاب دوم تهران.
١٣- محمود مشكور :
تاريخ تبريز تاباپان قرن نهم ، تهران ١٣٥٢هـ.ش.
١٤- ميرخواند :
روضا الصفا : تهران ، ١٣٣٩ هـ.ش.
١٥- د. ناصر الدين شاه حسينى:
تمدن فرهنك إيران، جاب سوم ، تهران.
١٦- وصاف :
تاريخ وصاف : تهران ١٣٤٦ هـ.ش.

* * *

الفصل العاشر

العلاقات الثقافية بين العرب وإيران في العصر الحديث*

ظلت الوحدة الثقافية الإسلامية ممتدة من شرقى آسيا إلى غربى العالم الإسلامى حتى ظهرت دولة جديدة فى إيران، هى الدولة الصفوية التى أسسها الشاه اسماعيل الصفوى عام ٩٠٦هـ (١٥٠٠م) وأعلن في عام ٩٠٧ هـ المذهب الشيعى الاثنى عشرى مذهبا رسميا لهذه الدولة الجديدة. وكان هدفه من ذلك التخلص من التبعية للعثمانيين حماة المذهب السنى والتى تقوم دولتهم على أساسه، ولعل الخلاف العرقي بين الجنس الأري في إيران والجنس التورانى (الأتراك) عبر التاريخ، ذلك الخلاف الذى تزخر بآثاره الأساطير الإيرانية هو الذى دفع الإيرانيين للتفكير فى اتخاذ المذهب الشيعى مذهبا رسميا لدولتهم الصفوية، وبذلك يجدون المخرج من الانضواء تحت العلم التركي العثمانى حامي المذهب السنى.

(١) الصراع المذهبى واثره علي الساحة الثقافية:

مما لاشك فيه أن إقدام الصفويين علي إعلان دولتهم واتخاذهم المذهب الشيعى مذهبا لهم قد فرق الوحدة الإسلامية بين دول سنية تقع شرقى إيران ومنها الهند وافغانستان واوزبكستان

* اعد هذه الدراسة الأستاذ الدكتور بديع محمد جمعة رئيس قسم لغات الأمم الإسلامية بكلية الآداب - جامعة عين شمس.

ودول سنية أخري تقع غربى إيران ومنها الدول العربية كلها وتركيا، وتتوسط هاتين المجموعتين إيران بمذهبها الشيعى. وقد أدى هذا إلى صدام مسلح بين الخلافة العثمانية وبين الصفويين، حيث كان الصفويون بمثابة شوكة فى ظهر الخلافة العثمانية. فكلما تقدمت الجيوش العثمانية لنشر الإسلام فى أوربا سارعت إيران بمهاجمة تركيا من الشرق وذلك بعد أن أغرى الأوربيون إيران بذلك حتي تخف الحملات العثمانية عن أوربا. مما يضطر معه الخليفة العثماني لسحب بعض جيوشه من أوربا لتأديب إيران ثم العودة مرة أخري لمواصلة الحرب في أوربا، بعد أن تكون الجيوش الأوربية قد التقطت أنفاسها وأعادت تنظيم جيوشها وتسليحها. كل هذا التواطؤ الإيراني مع أوربا تم بناء على وعود من أوربا بتسليح إيران ومساعدتها دون أن يتم تنفيذ أى شئ من هذه الوعود[1].

وقد أدى هذا الصراع إلى وجود فجوة فى العلاقات بين إيران والعالم العربى الذى كان خاضعاً برمته تحت حكم الخلافة العثمانية. وقد أثرت هذه الفجوة على المجال الثقافى، حيث كان التعصب المذهبى فى إيران عنيفا. واصطبغت الحركة الثقافية هناك قسراً بهذا التعصب. فلم يعد يسمح لأى مفكر إسلامي معتدل أو سنى بالكتابة والتأليف. بل أصبح التأليف والتشجيع لأولئك الذين سايروا التعصب وجعلوا كل مؤلفاتهم فى خدمته وخدمة الحكام الصفويين. فكثرت الكتب التي تمجد زعماء الشيعة وسب الخلفاء الراشدين؛ أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم. بل أن الكتب الفارسية والدواوين التى كانت تشتمل فى مقدماتها على مدح لهؤلاء الخلفاء كان يعاد طبعها بعد نزع هذه المقدمات منها [2]. إلى غير ذلك من الإدعاءات والإفتراءات على زعماء السنة مما أدى إلى أن عدداً لا بأس به من علماء السنة في تركيا والعالم العربى قد ردوا على هذا الهجوم بهجوم مثله ووصولا إلى حد تكفير الشيعة وإباحة دمائهم.

وعملت إيران الشيعية - ومازالت حتي الآن- على تشجيع الأقليات الشيعية فى العالم العربى على الإرتباط بإيران وجعلها المرجع الأساسى لها. وخير مثال على ذلك ماحدث مع أحد زعماء الشيعة بجبل عامل بلبنان وهو الشيخ عبد الصمد العاملى حيث رحل إلى إيران بدعوة منها فى عهد الشاه طهماسب الأول وقد حظى باحترام الشاه واهتمامه. وقد رقاه الشاه إلى أن أعطاه لقب شيخ الإسلام فى إيران. ثم خرج الشيخ عبد الصمد إلى الحجاز قاصداً الحج وزيارة

قبر الرسول عليه السلام، وبعد فترة قضاها بالحجاز رحل إلى البحرين حيث توفي هناك.

ومافعله طهماسب مع الشيخ عبد الصمد فعله الشاه عباس الأول مع ابنه بهاء الدين العاملى الذى وفد إلى إيران مع والده. وتتلمذ هناك على أيدى علماء الشيعة ودرس جميع العلوم المعقولة والمنقولة والرياضيات والطب، وقد عينه الشاه عباس فى منصب شيخ الإسلام كذلك. ولكن سرعان ما اعتزل الشيخ بهاء الدين هذا المنصب وخرج من إيران سائحا فى كل من العراق والشام ومصر والحجاز وبيت المقدس. ثم عاد إلى إيران مرة أخرى، ولكنه رفض تقلد أى منصب رسمى مكتفيا بالتدريس والتأليف كما خلف وراءه أشعارا بالفارسية والعربية كذلك. وأخيرا توفى فى الثانى عشر من شهر شوال عام ١٠٣١هـ عن ثمانية وسبعين عاما، حيث دفن فى مشهد بجوار ضريح الإمام الثامن لأئمة الشيعة؛ وذلك بأمر من الشاه عباس(٥).

وعلى الرغم من ذلك العداء الذى بدأه الشيعة الصفويون ضد الدولة العثمانية والبلدان السنية الداخلة تحت إمرتها ، فإن هذا الشيخ الشيعى قد ساح فى عدد كبير من الأقطار العربية . ولعل كونه عربيا لبنانيا قد شجعه على تلك السياحة. بل إنه مكث فترة طويلة فى مصر حيث كتب فيها وطبع كتابيه الكشكول والمخلاة وهما باللغة العربية(٦). كما طبعت له المطبعة الأميرية بالقاهرة بعد ذلك بعض كتبه بالفارسية. ومنها : كتاب "نان وحلوا" وكتاب "نان وينير" وكتاب "شير وشكر"(٧).

هذا العداء السنى الشيعى الذى افتعله الصفويون بدأت تخف حدته بعد أن تولى نادر شاه الأفشارى العرش فى إيران ١١٤٨هـ (١٧٣٥م)، وذلك بتأسيسه دولة الأفشاريين على أنقاض الدولة الصفوية. ولم يكن نادر شاه هذا متعصبا كسابقيه فأمر بعدم سب الخلفاء الراشدين أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم من فوق المنابر فى إيران، وأخذ يفاوض العثمانيين فى الاعتراف بالمذهب الشيعى الإمامى مذهبا خامسا من المذاهب الإسلامية يضاف إلى المذاهب الأربعة المعترف بها بين أهل السنة... وأن تستوى الخلافات المذهبية بين أهل السنة والشيعة بالحسنى حرصا على وحدة الصف الإسلامى فى وجه القوى الأوربية الصليبية الاستعمارية(٨).

وهذا المسلك التفاوضى والدعوة إلى المصالحة لا يمكن أن يرضى عنها مشايخ الشيعة فى إيران، وذلك لأنهم قد أحرزوا الكثير من المكاسب أثناء حكم الدولة الصفوية ، مما جعلهم يؤلبون الناس ضد نادر شاه متهمين إياه بمحاولة القضاء على المذهب الشيعى والتآمر مع

العثمانيين فى هذا الصدد، لدرجة أنهم اتهموه بالجنون ، ودبروا مؤامرة لإغتياله ، ونجحت المؤامرة فى قتله عام ١٩٦٠ هـ (١٧٤٧ م) وبذلك خفت بمقتله كل صوت يدعو إلى تخفيف حدة التعصب المذهبى بين الشيعة والسنة (٩).

ومع هذا فقد ظهرت الدعوة إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية مرة أخرى فى منتصف القرن العشرين، قادها من إيران الشيخ محد تقى القمى ويد الله البروجردى ومن مصر الشيخ عبد المجيد سليم والشيخ محمد المدنى والشيخ محمود شلتوت الإمام الأكبر فى ذلك الوقت والذى أصدر فتواه الشهيرة بجواز التعبد على المذهب الجعفرى.

وقد أسس هؤلاء المشايخ من شيعة وسنة "دار التقريب بين المذاهب الإسلامية"، وتولت هذه الدار إصدار صحيفة بعنوان "رسالة الإسلام" يتحدث فيها أصحابها عن فكرة التقريب هذه والترويج لها بين المسلمين جميعا دون تفرقة بين سنة وشيعة.

ثم أصدر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية كتابا فى عام ١٩٦٦ بالقاهرة عنوانه : "دعوة التقريب من خلال رسالة الإسلام". وقد جاء فى تقديم هذا الكتاب للشيخ محمد المدنى قوله : "لم يبق شك فى أن أمر الأمة الإسلامية لا يصلح الآن على الاحتفاظ بالعصبيات والاحتفال بالخلافات ، وإحياء ماض فى أعماق التاريخ من ضغائن وعدوات...

لقد نشط أعداؤنا فى العصر الحديث نشاطا جديدا قوامه الإدعاء بأن الثقافة الإسلامية لا تصلح غذاء للعقول فى هذه العهود ، عهود المدنية والحضارة والصواريخ والفضاء والكواكب ، ووجد هذا النشاط فى الصد عنها إقبالا من الشباب، وتراضيا من الكهول، فانصرفت عنها العقول أو كادت..

فهل يمكننا مع هذا أن نحتفظ بخلافاتنا ، وأن نقضى الحقب الطوال والجهود المضنية فى تحقيق مشكلة الصفات، وهل هى عين الموصوف أو غير الموصوف، بين السنة وغير السنة، أو مشكلة التجسيم بين المجسمة والمنزهة، أو مشكلة الخلافة ومن هو أحق بين الشيعة والسنة؟...

لذا قامت دعوة التقريب منذ عشرين عاما أو تزيد، وكأن شعارها قول الله عز وجل : "إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون".. وقد أثمرت هذه الدعوة الطيبة، التى غرست بذورها فى أرض مصر الطيبة ، ثمارا حسنة دانية القطوف ، ونفذت أنباؤها وأفكارها وأضواؤها إلى كل شعب من شعوب الإسلام"(١٠).

وقد شارك فى كتابه مقالات هذا الكتاب نخبة كبيرة من كبار علماء السنة منهم على سبيل المثال لا الحصر: الشيخ محمد أحمد المدنى، الشيخ محمود شلتوت ، الشيخ عبد المجيد سليم، الشيخ محمد عبد الله دراز، الأستاذ أحمد أمين ، الأستاذ محمد فريد وجدى، الشيخ عبد العزيز عيسى، ومن علماء الشيعة شارك بالكتابة الشيخ تقى القمى، والشيخ محمد جواد مغنيه، والشيخ صدر الدين شرف الدين، والشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء.

وهكذا التقى عدد كبير من علماء السنة العرب مع علماء الشيعة فى إيران فى الدعوة إلى فكرة التقريب، وروجوا لها سواء فى رسالتهم "رسالة الإسلام" أو فى ذلك الكتاب الذى أقدم المجلس الأعلى للشئون الإسلامية على طبعه على نفقته الخاصة.

وهكذا كانت الدعوة للتقريب بمثابة منبر تلتقى فيها الثقافة الإسلامية بجناحيها العربى والإيرانى، بجناحيها السنى والشيعى.

والحق يقال: أن هذه الدعوة السمحاء قد وجدت أرضا خصبة لدى علماء السنة فى مصر وغيرها من الدول العربية، لأن السنة بطبيعتهم ليسوا دعاة تعصب ممقوت ، أما نظراؤهم من علماء الشيعة فى إيران فأرجوا أن يكون تقبلهم لهذه الدعوة عن نية صادقة ورغبة أكيدة فى خير الإسلام والمسلمين ، لاكما يقول البعض بأنهم يلجئون لمثل هذه الدعوة وغيرها فى فترات ضعفهم ، وعند انحسار سلطانهم السياسى والمذهبى ، أما فى حالة عنفوانهم ، فإنهم يرفضون مثل هذه الدعوة ، ويصرون على عدائهم لكل ماهو سنى!!

(٢) المعلم الثائر وتلاميذه:

لقد حفل تاريخ العالم الإسلامى الحديث بالعديد من الثائرين ودعاة الإصلاح السياسى والاجتماعى والدينى، ولكن لا يوجد من بينهم من بلغ فى هذا المجال ما بلغه الثائر جمال الدين الأفغانى الذى قضى حياته كلها داعيا إلى توحيد العالم الإسلامى، وتحرير شعوبه من الاستعمار والاستغلال. وفى سبيل تحقيق هذه الدعوة الإصلاحية عاش وزار العديد من بلدان العالم الإسلامى، منها على سبيل المثال لا الحصر: إيران وأفغانستان والهند ومصر وتركيا، بل إنه تعدى فى سبيل هذه الدعوة العالم الإسلامى كله وزار العديد من مدن أوربا ومنها باريس ولندن وموسكو وميونخ ، زارها لكى يواصل دعواته الإصلاحية وطالبته الدول الاستعمارية بالرحيل عن العالم الإسلامى .

ولا شك أن شخصية جمال الدين الأسد أبادى والمعروف بالأفغانى تتجسد فيها روح الشرق وثقافته وآماله وآلامه. وإذا كان جمال الدين قد اختلفوا فى جنسيته وهل كان إيرانيا أم أفغانيا، فإن هذا لا يعنينا بقدر ما يعنينا أنه عاش فى إيران واتصل بحكامها وأجاد الفارسية وأطلع على أدابها وشارك فى الحركة الثقافية(١١)، ثم رحل إلى ربوع العالم الإسلامى وساعده فى ذلك إجادته - كبقية أدباء عصره- اللغة العربية وآدابها، إذا تخطينا دور جمال الدين الأفغانى فى إذكاء الشعور بالحرية والمطالبة بالاستقلال، وانتقلنا إلى آثار دعوته الإصلاحية على الحياة الثقافية، فإننا نجد أن جمال الدين قد خطت الكتابة والخطابة بفضله خطوات واسعة سواء فى مصر أو غيرها من بلدان العالم الإسلامى والعربى التى زارها، كما تقدمت الصحافة بفضله تقدما ملموسا، فقد كانت الصحافة قبله تتحدث بألسنة الحكام وتتغذى بأفكارهم، فأخذ جمال الدين يغرس فى تلاميذه البحث عن الحقيقة والتعبير عن الرأى الصادق مهما كانت عواقبه بل وشجع الفقهاء على سعة الأفق وعدم التردد فى إصدار الأحكام.

ويروى الشيخ محمد عبده أنه بعد حضوره فى الأزهر سنين مل الدروس المعتادة، وتاقت نفسه إلى الجديد، وبدأت تميل إلى العلوم العقلية، وكان الشيخ "حسن الطويل" مشهورا فى الأزهر بعلم المنطق فحضره عليه، ولكنه لم يكن يشفى ما فى نفسه... فلما جاء "جمال الدين" وجد عنده أمنيته، فلم يكن "جمال الدين" يتردد فى الحكم تردد الشيخ "حسن الطويل" وإنما كان يصدر أحكامه عن ثقة وينظر إلى الأشياء نظرة عميقة.. وكانت طريقته فى التدريس أن يشرح الموضوع ويعلق عليه من جميع نواحيه ويبين رأيه فيه، ثم يقرأ النص بعد ذلك فإذا هو واضح كل الوضوح. وبهذه الطريقة استطاع أن يعود الطلبة حرية البحث، ويوجد شخصيات تبحث وتحكم، ولاتقف عند حد النص كأنه تنزيل من الله(١٢).

ولا ننسى دور جمال الدين فى مشاركته للشيخ محمد عبده فى إصدارجريدة العروة الوثقى، فكانت مجالا لتلاميذهما للتعبير عن آرائهم بحرية، وبعد أن كانت المقالات الصحفية قبل ذلك قاصرة على النواحى العلمية والأدبية، فقد اتسع نطاقها على أيدى رجال المدرسة الحديثة فى الصحافة حيث تناولوا فى كتاباتهم الموضوعات السياسية والاجتماعية والدينية، كما تخلصوا من السجع والجناس وغيرها من ألوان المحسنات البديعية(١٣).

ونظرا لما قام به جمال الدين من إحياء وبعث للحركة الإسلامية فى شتى أرجاء العالم الإسلامى ، فليس عجيبا أن نرى جميع الشعوب الإسلامية تقدر جمال الدين وتعتز به وتعده من مفاخرها ، وملكا لها جميعا ، فتعنى بدراسته وتسعى إلى تسجيل أفكاره وآرئه ، وتحاول نشرها وإخراجها إلى حيز الوجود وتعمل على تمجيد ذكراه ، وترى فى هذا دليلا على يقظتها وبرهانها على حيويتها واستعدادها للسير فى طريق الرقى والازدهار.

وهكذا كان جمال الدين مدرسة ثقافية راقية لمعاصريه ، كما ظل مدرسة تضئ جوانب الفكر فى ربوع العالمين العربى والإسلامى حتى الآن.

ولاشك أن لكل مدرسة تلاميذا وروادا ، وتلاميذ جمال الدين الأفغانى أكثر من أن يحصى عددهم. ومع هذا فله تلاميذ مباشرون حضروا الدروس على يديه ، وحملوا المشعل الثقافى التنويرى من بعده، وأول هؤلاء التلاميذ وأهمهم الشيخ محمد عبده الذى قال عنه جمال الدين الأفغانى يوم أبعد عن مصر : "إننى خرجت من الديار وما ألفت كتابا، ولكن تركت لهم أثرا يغنى عن جميع الكتب وهو "محمد عبده" وكفى به لمصر عالما(١٤).

(٣) التجديد فى الثقافتين العربية والفارسية:

بدأت رياح الدعوة إلى التجديد تهب على الشرق الأوسط مع الحملة الفرنسية على مصر، وما أحاط بها من شعور بالتخلف فى السلاح والنظم العسكرية، وماتبع وجود الفرنسيين من وجود طباعة حديثة وإصدار مجلة ودراسة للآثار وغير ذلك من الأمور الجديدة على المنطقة مما دعا العديد من أصحاب الفكر والرأى لرفع أصواته بضرورة الأخذ بأسباب التقدم والمدنية الحديثة، ومحاولة السير على خطا فرنسا والغرب فى هذا المضمار مع الحفاظ على الهوية الشرقية والتقاليد الإسلامية، ثم جاء محمد وأبنه إبراهيم وأحدثا نوعا من التجديد وبخاصة فى مجال التعليم كإنشاء مدرسة الألسن وبعض المدارس الحديثة عسكرية أو مدنية، وإصدار أول جريدة مصرية وهى الوقائع المصرية التى تعد أول جريدة رسمية فى الشرق كله، وماتبع ذلك من محاولات للسير قدما فى مجال التجديد والتنوير تمثلت فى دعوة كل من جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده للتطوير والتحديث والبعد عن الجمود فى القوالب والمضامين. وقد ساعد على نجاح هذه الدعوات سفر العديد من أبناء الأسر الكبيرة إلى أوربا وبخاصة إلى

فرنسا، حيث أطلعوا على أسلوب حياة جديد متغير عما ألفوه فى شرقهم العربى الإسلامى، كما اطلعوا على أنماط جديدة من الثقافة الأوربية وبخاصة الفرنسية منها. وبعد عودتهم إلى أوطانهم بدأوا الدعوة للتغيير والتجديد. ومن العوامل التى ساعدت على ذلك بدء انتشار الصحافة السياسية والأوربية ، وكيف كانت هذه الصحافة وسيلة لنشر الأفكار فى أوسع نطاق، حيث كان الأديب شاعراً كان أو كاتبا يكتب من قبل للبلاط والقصور ، ومع وجود الصحافة بدأ الكاتب يكتب لعامة القراء ، ومادام المتلقى قد تغير ، فلابد وأن يتغير المضمون، وعلى هذا فبدأ الشاعر أو الكاتب يعنى بهموم الشعب وآلامه، ويعبر عن أحاسيس الطبقات الكادحة والظلم الاجتماعى والتفرقة الطبقية.

نتيجة للقرب الجغرافى بين مصر والشام من جهة وأوربا من جهة أخرى، فإن أثر هذا التحديث والتجديد قد وصل إليهما قبل أن يواصل مسيرته إلى غيرهما من بلدان الشرق الإسلامى مثل العراق وإيران . بل إن هذه الحركة التمهيدية التى قادتها مصر بعلمائها وبالنابهين من البلدان العربية الذين وفدوا إليها ، وبخاصة من الشام ولبنان . جعلت من مصر منارة للشرق كله. وبدأ دعاة التجديد والتحديث فى العالم الإسلامى يفدون إليها للاطلاع على صحافتها ودور الطباعة فيها وبخاصة مطبعة بولاق، وما أكثر الذين وفدوا إلى مصر من إيران ليطلعوا على الحركة الثقافية بها وما أصابها من تجديد وتحديث، وأذكر على سبيل المثال لا الحصر حاجى زين العابدين المراغى صاحب سياحت نامه، واعتصام الملك والد الشاعرة الشهيرة بروين اعتصامى الذى ترجم البؤساء عن الفرنسية وترجم كتابى قاسم أمين تحرير المرأة والمرأة الجديدة إلى الفارسية بمجرد صدورهما بالقاهرة(١٥). ولعل جو الحرية النسبية التى كانت تتمتع به مصر فى ذلك الوقت مقارنة بما كانت عليه الأحوال فى إيران قد شجعت هؤلاء وغيرهم على السفر إلى مصر والكتابة فيها ، بل وإصدار الصحف الفارسية فى القاهرة، وستأتى الإشارة إليها فيما بعد.

وإذا كنا قد ذكرنا إنشاء محمد على لمدرسة الألسن بعد اقتناعه بمطالب رفاعة الطهطاوى فى هذا الشأن، وما قامت به هذه المدرسة الحديثة من الاهتمام بتدريس العلوم كالطب والنظم العسكرية والرياضيات ، وكذلك الاهتمام بتعليم اللغات الأجنبية واستقدام الأساتذة الأجانب للمشاركة فى التدريس بها ، فإن هذه المدرسة قد أحدثت ثورة تعليمية ونهضة ثقافية لا فى

مصر وحدها بل فى الشرق العربى كله، وقد ذاع صيتها، حتى ظهر فى إيران أحد دعاة الإصلاح وهو أمير كبير الذى تولى الوزارة لناصر الدين شاه. وأخذ بحثه على إنشاء معهد علمى يقوم بنفس المهمة التى تقوم بها مدرسة الألسن، وتحت الالحاح والضغط وافق ناصر الدين شاه على إنشاء "دار الفنون" ووضع حجر الأساس لإنشائها عام ١٨٥١م، ولكن لم يحضر أمير كبير هذه المناسبة حيث سبق عزله ثم قتل بعد وضع حجر الأساس بأسبوع واحد، لأن ناصر الدين شاه خاف على سلطانه من التفاف الناس حول هذا الوزير المصلح. وقد قامت دار الفنون بنفس المهام التى قامت بها مدرسة الألسن فى مصر من تعليم حديث ولغات جديدة وترجمة لأمهات الكتب الأوربية وإنشاء جيل من المترجمين[١٦].

ولاشك أن مدرسة الألسن فى مصر ونظيرتها دارالفنون فى إيران قد قدمتا خدمات جليلة للثقافة هنا وهناك ، وتركتا بصماتهما واضحة على مسار الثقافتين العربية والفارسية طوال النصف الثانى من القرن التاسع عشر ومابعده.

ونتيجة لدعوة التجديد هنا وهناك، فإن الأنماط الأدبية الجديدة قد بدأت تظهر على سطح المسرح الثقافى فى فترات متقاربة ، ومن هذه الألوان التأليف المسرحى على النمط الأدبى، فقد بدأ المسرح العربى معتمدا على الترجمة وبخاصة من الفرنسية وأهم هذه الأعمال المترجمة كانت مسرحيات موليير ، كما أن المسرح الإيرانى الحديث قد بدأ معتمدا على هذه الترجمات من الفرنسية أيضا، ثم تقدم المسرح العربى والإيرانى وبدأ كل منهما موجة من التأليف تحت تأثير المسرح الفرنسى أسلوبا، حتى لو بدت وكأنها تعرض مشكلات محلية فى المسرحيات المؤلفة. ولا ننسى فى هذا الدور مجهودات محمد عثمان جلال، ثم الدور العظيم الذى قام به أمير الشعراء أحمد شوقى بعد ذلك، وفى إيران قام بنفس الدور محمود وحسن مقدم ثم تبعهما العديد من كتاب المسرح الذين وظفوا بعض القصص الإيرانية التاريخية فى بناء مسرحياته الحديثة.

وعلى نفس النمط الذى سارت عليه الكتابة للمسرح فى العالم العربى وإيران ، سارت الرواية العربية تقليدا وترجمة ثم تأليفا، وسواء أكانت روايات تاريخية أو اجتماعية . وقد قام عثمان جلال بدور رائد فى هذا المجال ، وقد سبقه إلى ذلك كل من رفاعة الطهطاوى وعلى مبارك، ثم جاء دور جورجى زيدان الذى استلهم التاريخ فيما كتب من روايات أحدثت تأثيرا

كبيرا فى تقدم فن الرواية التاريخية فى العالم العربى. وقد ترجمت معظم هذه الروايات التى كتبها جورجى زيدان إلى اللغة الفارسية وأدت إلى أن عددا كبيرا من كتابهم قد استلهم التاريخ فى كتابة الرواية فى إيران، ولا ننسى فى هذا المجال كلا من خسروى وصنعتى زاده ودولت آبادى وغيرهم، ثم تطور فن الرواية فى العالم العربى وإيران وكثر الكتاب وتنوعت الأغراض والأنماط هنا وهناك بعد ذلك.

وما يقال عن الرواية يقال عن القصة القصيرة، وما أحدثه محمود تيمور فى هذا المضمار ومن جاءوا بعده حتى جيل يوسف إدريس ، كل هذا واكبه ظهور القصة القصيرة فى إيران وظهور إعلام فى هذا المجال أمثال جمال زاده وصادق هدايت وغيرهما.

وإذا كانت دعوة التجديد والتحديث قد وصلت إلى النثر وانتجت لنا انماطا أدبية جديد فى كل من العالم العربى وإيران سواء فى عالم القصة أو المسرح أو المقال الصحفى وغير ذلك ، فإن دعوة التجديد قد وصلت إلى عالم الشعر. وبدأ جيل جديد هنا وهناك فى وقت متزامن تقريبا يدعو إلى الخروج من قوالب القصائد إلى ما يعرف باسم الشعر الحر أو الشعر الحديث، وإذا كنا نعد صلاح عبد الصبور من زعماء هذه المدرسة التجديدية، فيقابله فى الأدب الفارسى الشاعر نيما يوشيج الذى نظم العديد من المسرحيات والدواوين وأصبح شعره مثالا يحتذى بعد ذلك.

هذا التزامن فى التجديد والتطوير، لا يمكن أن يحدث إلا إذا كان المسرح الثقافى هنا وهناك على صلة، وما يحدث هنا نجد صداه هناك، ربما يكون السبق أحيانا لمصر والشام، ولكن لا يمضى وقت طويل إلا ونجد صدى هذا التغيير موجودا فى إيران. ولعل البعض يعجب إن قلنا بأن الصلات الثقافية بين الكتاب والمثقفين العرب والإيرانيين كانت خلال القرن الماضى وأوائل القرن الحالى أقوى بكثير مما هى عليه الآن. فلم يكن يصدر كتاب فى مصر أو الشام أو العراق إلا وتجده فى نفس العام متداولا فى إيران، كما كان المثقفون فى مصر وأصحاب القصور حريصين على أن تضم مكتباتهم الخاصة نسخا من الدواوين الفارسية وبخاصة ديوان حافظ الشيرازى وسعدى وكذلك شاهنامه الفردوسى. ومن يزر دار الكتب المصرية ويطلع على المكتبة الشرقية بها يدرك أنها قد جمعت من قصور الأمراء والأثرياء فى ذلك الوقت.

(٤) حركة الترجمة والتأليف:

إذا كانت حركة الترجمة قد نشطت منذ القرون الإسلامية الأولى بين الكتب العربية والفارسية ، فإن هذه الحركة لم تتوقف فى العصر الحديث. فمن يسافر إلى إيران ويتفقد مكتباتها العامة والخاصة يجد كما هائلا من الكتب العربية معروضة للبيع أو للقراءة، كما ستجد كما هائلا آخر من الكتب العربية قد ترجم إلى اللغة الفارسية فى جميع المجالات العلمية والأدبية، ولا تنحصر تلك الكتب- كما يقول أحد الإيرانيين وهو الدكتور مرتضى آيت الله زاده الشيرازى بجامعة طهران - فى مجال واحد، بل تشمل الأدب والتاريخ والحضارة والعلوم الإسلامية والتربوية ومعاجم اللغة وكذلك الكتب التى ألفها المستشرقون وقام بترجمتها الأساتذة المصريون والعرب، ولا يقتصر المعروض من الكتب العربية على الكتب وحدها بل تعداها إلى المجلات والصحف مثل مجلة الأزهر، ورسالة الإسلام ومنبر الإسلام وآخر ساعة والمصور وصباح الخير وروز اليوسف والأهرام والأخبار[١٧].

ويواصل الحديث فيقول:

وعن تلك الصحف تترجم المقالات المختلفة فى المجالات المتعددة وتصدر بها أحيانا ملاحق لصحيفتى اطلاعات وكيهان وهما من أكبر الصحف الإيرانية . كما تروج فى إيران اسطوانات وشرائط للقرآن الكريم بأصوات كبار المقرئين المصريين وهى تذاع بالإذاعة وأحيانا تذاع فى المحلات الخاصة تراتيل للشيخ عبد الباسط والشيخ مصطفى إسماعيل والمنشاوى وغيرهم... ويهتم الشعب الإيرانى بالاستماع إلى الموسيقى والأغانى المصرية كذلك فى كثير من البيوت الإيرانية[١٨].

ومصداقا لما قال ، فقد لاحظت كل ذلك أثناء زيارتى لإيران عامى ١٩٧٣، ١٩٧٥م، وكثير من بيوت الأصدقاء الإيرانيين الذين استضافونا ، كانت زاخرة بتسجيلات أم كلثوم وعبد الوهاب وفريد الأطرش. كما كانت بعض دور السينما فى طهران تعرض أفلاما مصرية.

أما عن الكتب العربية التى ترجمت إلى الفارسية ، فهى أكثر من أن تعد أو تحصى ، لذا سأكتفى بذكر النذر اليسير منها على سبيل المثال فقط وسأذكر الكتب مرتبة حسب أبجدية أسماء مؤلفيها:

اسم المؤلف العربى	اسم الكتاب	اسم المترجم الإيرانى
أحمد أمين	فجر الإسلام، ضحى الإسلام	عباس خليلى
أحمد زكى	مع الله فى السماء	ذبيح الله منصورى
توفيق الحكيم	أهل الكهف	أبو الفضل طباطبائى
توفيق الطويل	قصة النزاع بين الدين والفلسفة	محمد على خليلى
خالد محمد خالد	أبناء الرسول فى كربلاء	حسين فرامرزى
زكى محمد حسن	التصوير فى الإسلام عند الفرس	أبو القاسم تفرشى
زكى محمد حسن	الفنون الإيرانية	محمد على خليلى
زكى محمد حسن	الفن الإسلامى وأثره فى أوربا	شريعتى
زكى عبد المتعال	أصول علم المالية والتشريع المالى المصرى	فراموزى
سيد قطب	مختارات ملتقطة من تأليفات السيد	محمد شيرازى
سيد قطب	مشاهد القيامة فى القرآن	غلا مرضا حسينى
سيد قطب	مشكلات الحضارة	جمتى كرمانى
سيد قطب	فى ظلال القرآن	أحمد آرام
سيد قطب	العدالة الاجتماعية فى الإسلام	خسروا شاهى
طه حسين	الأيام	أبو الفضل طباطبائى
طه حسين	الأيام (ترجمة ثانية)	حسين خديو جم
طه حسين	أحلام شهر زاد	محمد على خليلى
طه حسين	على هامش السيرة	بدر الدين كتابى
طه حسين	الوعد الحق	أحمد آرام
عائشة عبد الرحمن	آمنة بنت وهب أم الرسول	حسينى آزاد
عائشة عبد الرحمن	نساء النبى	محمد على خليلى
عباس محمود العقاد	عبقرية محمد	محمد على خليلى
عباس محمود العقاد	عبقرية الإمام	جعفر غصنان

اسم المؤلف العربى	اسم الكتاب	اسم المترجم الإيرانى
عباس محمود العقاد	أبو الشهداء	كاظم صنرى
عباس محمود العقاد	الإنسان فى القرآن	خليليان
قاسم أمين	تحرير المرأة	يوسف اعتصام الملك
قاسم أمين	المرأة الجديدة	يوسف اعتصام الملك
محمد حسين هيكل	حياة محمد	أبو القاسم بانيده
محمد رشيد رضا	تفسير الفاتحة	عباس راسخى
محمد رشيد رضا	الوحى المحمدى	محمد على خليلى
محمد الغزالى	الإسلام وحقوق الإنسان	مصطفى زمانى
محمد الغزالى	الاستعمار أحقاد وأطماع	باقرموسوى
محمود شلتوت	من توجيهات الإسلام	عابدى
محمود شلتوت	الإسلام عقيدة وجهاد	خليليان
مصطفى صادق الرافعى	اعجاز القرآن	إبن الدين
مصطفى لطفى المنفلوطى	النظرات	محمد باقر سنكلجى
مصطفى لطفى المنفلوطى	العبرات	ميرزا باقر منطقى

هذه قائمة مختصرة لما ترجم من كتب عربية إلى اللغة الفارسية(١٩) ، ولاشك أن ماترجم خلال الفترة التى أتناولها بالحديث فى هذا المقال تتعدى المئات بل الآلاف من الكتب . وقد كانت بعض هذه الكتب تترجم فور صدورها أو فى العام التالى مباشرة، وخير دليل على ذلك ماقام به الأديب الإيرانى الكبير يوسف اعتصام الملك والد شاعرة إيران الشهيرة بروين اعتصامى ، حيث أقدم على ترجمة كتابى قاسم أمين فى العام التالى لصدور كل منهما: قاسم أمين كتابه الأول عن تحرير المرأة بالقاهرة عام ١٨٩٩م، فأقدم اعتصام الملك على ترجمته

ونشره في تبريز عام ١٩٠٠ بعنوان "ترتيب نسوان"، ثم نشر قاسم أمين كتابه الثاني "المرأة الجديدة" عام ١٩٠٠ بالقاهرة، فترجمة اعتصام الملك ونشره في إيران عام ١٩٠١(٢٠).

وفي الجانب الآخر نجد كثرة هائلة من دواوين الشعراء الفرس والكتب الفارسية قد ترجمت إلى اللغة العربية سواء في مصر أو العراق أو الشام، حتى أن مؤلفا واحدا وهو رباعيات الخيام قد ترجمت عدة ترجمات عربية في العراق ولبنان ومصر، ترجمها الزهاوي والبستاني وأحمد رامي وغيرهم كثيرون . وكما أوردنا قائمة بأهم الكتب العربية المترجمة إلى الفارسية ، فسنورد قائمة أخرى بأهم الكتب الفارسية التي ترجمت إلى اللغة العربية مرتبة بأبجدية أسماء المؤلفين:

اسم المؤلف الإيراني	إسم الكتاب	اسم المترجم العربي
احسان يار شاطر	الأساطير الإيرانية القديمة	محمد صادق نشأت
يرويز ناتل خانلري	أوزان الشعر الفارسي	محمد نور الدين عبد المنعم
البيهقي	تاريخ البيقهي	يحيى الخشاب/صادق نشأت
جلال الدين الرومي	المثنوي جـ١ , ٢	محمد عبد السلام كفافي
حافظ الشيرازي	الغزاليات	إبراهيم أمين الشواربي
حميد الدين البلخي	مقامات حميدي	طلعت أبو فرحة
خسرو الدهلوي	خسرو وشيرين	عبد العزيز باقوش
خواند مير	دستور الوزراء	محمد حربي أمين
الراو ندي	راحة الصدور وآية السرور	إبراهيم أمين الشواربي وآخرون
رشيد الدين الوطواط	حدائق السحر في دقائق الشعر	إبراهيم أمين الشورابي
رشيد الدين فضل الله	جامع التواريخ	يحيى الخشاب/ فؤاد الصياد
سعدى الشيرازي	كلستان	جبرائيل بن يوسف

اسم المؤلف الإيرانى	اسم الكتاب	اسم المترجم العربى
سعدى الشيرازى	كلستان	محمد موسى هنداوى
سعدى الشيرازى	بوستان	محمد موسى هنداوى
سنائى الغزنوى	حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة	إبراهيم الدسوقى شتا
شرفخان البدليسى	شرفنامه	محمد على عونى
عارف القزوينى	الديوان	عباس عبد الحى
عبد الرحمن لجامى	ليلى ومجنون	محمد غنيمى هلال
عبد الرحمن الجامى	نفحات الأنس	أحمد كمال الدين حلمى
عبد الله الأنصارى	مناجات الأنس	سعيد الباجورى
فرحى السيستانى	الديوان	عفاف زيدان
فرخى اليزدى	الديوان	أحمد الخولى
الفردوس الطوسى	الشاهنامه	الفتح بن على البندارى تصحيح وتعليق وتقديم عبدالوهاب عزام
فريد الدين العطار	بند نامه	أحمد راشد الأنصارى
فريد الدين العطار	الهى نامه	ملكة على التركى
فريد الدين العطار	مصيبت نامه	محمد يونس
فريد الدين العطار	منطق الطير	بديع محمد جمعه
محمد اقبال	جاوية نامه	محمد السعيد جمال الدين
محمد بن جعفر النرشحنى	تاريخ بخارى	ابن عبد الله المجيد/ نصر الله الطرازى

اسم المؤلف الإيرانى	اسم الكتاب	اسم المترجم العربى
محمد بن النور	اسرار التوحيد فى مقامات الشيخ أبى سعيد	اسعاد قنديل
ناصر خسرو	جامع الحكمتين	إبراهيم شتا
ناصر خسرو	زاد المسافرين	السباعى محمد السباعى
نظام الملك	سياست نامه	السيد محمد العزاوى
نظامى عروضى	جهار مقاله	عبد الوهاب عزام وآخرون
نصير الدين الطوسى	أخلاق ناصرى	شعبان طرطور
الهجويرى	كشف المحجوب	اسعاد قنديل
وحشى البافقى	الديوان	أحمد الخولى

لاشك أن ترجمة هذا الكم من الكتب فيما بين اللغتين لخير دليل على اهتمام أهل اللغتين، كل طرف منهما بثقافة الطرف الآخر، وأن حركة الترجمة التى كانت رائجة فى القرون الهجرية الأولى لم تتوقف وإنما تواصل مسيرتها وستظل تحتل مكانتها كوسيلة من وسائل الاتصال والتواصل بين الشعبين العربى والإيرانى، وأنه مهما كانت أنظار الكثيرين هنا وهناك قد اتجهت للآداب الأوربية والثقافة الغربية، فمازال هناك من هم حريصون على صلات الشرق بالشرق، حريصون على عمق العلاقات الثقافية بين أقطار العالم الإسلامى الناطقة بالعربية أو بغيرها من اللغات الإسلامية وعلى رأسها الفارسية والتركية والأوردية.

ونتيجة لايمان الجامعات المصرية بأهمية الترجمة فى التقارب الثقافى بين العالم العربى وإيران، فقد دأبت على أن تكون جميع الرسائل العلمية لنيل درجة الماجستير فى اللغة الفارسية معنية فى المقام الأول بترجمة متن فارسى إلى اللغة العربية ، ثم يعقب الترجمة دراسة لهذ المتن، مع التعريف بصاحب المتن وبمكانته فى مضمار الثقافة الفارسية وحدها ، أو مضمار الثقافتين العربية والفارسية أن كان من أصحاب اللسانين، وعمل على تدعيم الأواصر الثقافية

بين العرب وإيران. وقد أجيز بقسم اللغة الفارسية بكلية الآداب جامعة عين شمس وحدها مايزيد عن المائة رسالة للماجستير ، كلها تتضمن ترجمات لمتون فارسية أصيلة سواء أكانت هذه المتون تراثية أم أدبية حديثة ومعاصرة، وعلى نفس المنوال درجت أقسام اللغة الفارسية بجامعة القاهرة والأزهر والأسكندرية . وقد طبعت بعض هذه الترجمات ولاقت شهرة كبيرة وبعضها الآخر مازال يبحث عن فرصة للنشر.

وإذا كنا نتحدث عن الطباعة والنشر ، فلابد وأن نذكر أن مطبعة بولاق العربية قد اهتمت بنشر الكتاب الفارسي قبل أن تعرف إيران الطباعة الحديثة، لذا كان بعض المؤلفين الإيرانيين يقصدون مصر لطبع مؤلفاتهم وذلك خلال القرن الماضي، وأول كتاب فارسي محفوظ بدار الكتب ومطبوع في مصر هوكتاب تحفة وهبي - في تعليم اللغة الفارسية، وقد تم طبعه سنة ١٢٤٣هـ، ثم تلاه طبع العديد من الكتب ، أذكر منها على سبيل المثال تلك الكتب :

١- بند عطار وقد طبع عدة مرت خلال الأعوام ١٢٥٣هـ، ٢٦٢هـ، ١٢٨٠هـ، ١٢٩٠هـ، مع ترجمة عربية لأحمد راشد المصري.

٢- كلستان سعدي : ١٢٦١هـ.

٣- تعليم فارسي لمحمد راشد ١٢٦٦هـ.

٤- ديوان حافظ الشيرازي ١٢٨١هـ.

٥- تاريخ عبد الكريم بخاري هـ.

٦- زبده الحقائق لعبد العزيز محمد النسفي ١٢٩١هـ

٧- سفار تنامه خوارزم لميراز رضا قلي لالاباشي ١٢٩٢هـ.

٨- سفر نامه مازندران واسترياد ١٢٩٤هـ (٢١)

ولم تقتصر حركة طبع الكتاب الفارسي في مصر على الكتاب وحده ، بل طبعت بعض الصحف الفارسية في مصر ونشرت فيها ، وكانت ترسل أعدادها إلى إيران وغيرها من البلدان التي بها قراء للفارسية . ومن هذه الصحف الإيرانية المطبوعة في مصر أذكر على سبيل المثال أيضا :

١- حكمت : صدر العدد الأول منها عام ١٣١٠هـ، وكانت تصدر مرة كل عشرة أيام، وقد أشرفت على إصدارها "هدى تبريزي" وقد ظلت تصدر لمدة خمس عشرة سنة أو يزيد، وذلك في

ثمان صفحات تشمل أحاديث فى السياسة والعلوم والطب والاختراعات والصناعة والأدب[٢٢].

٢- ثريا: صدر العدد الأول منها يوم السبت الرابع عشر من جمادى الآخره عام ١٣١٦هـ الموافق ٢٩ من أكتوبر ١٨٩٨م. وكان العديد منها يقع فى ست عشرة صفحة تشمل أخبار مصر والعالم والمقالات السياسية والعلوم والفنون والصناعة والأدب والتجارة . وقد تولى إدراتها فى البداية ميرزا محمد خان الكاشانى الذى ترك إدراتها بعد ذلك للسيد فرج الله حيث فقدت رونقها على يديه[٢٣].

٣- يرورش : صدر عددها الأول يوم الجمعة العاشر من صفر عام ١٣١٨ هـ الموافق ٨ من يونيو ١٩٠٠م. وقد تولى إدارتها ميرزا محمد على خان كاشانى بعد أن ترك رئاسة الصحيفة السابقة[٢٤].

ولا شك أن إصدار هذه الصحف فى مصر - المركز الثقافى العربى والإسلامى الأول فى ذلك الوقت- يعكس عمق الصلات الثقافية بين العالم العربى وإيران فى أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحالى، ويثبت أن الفارسية كان لها قراؤها فى مصر والعالم العربى حتى قبل أن يتم إنشاء الأقسام المتخصصة لدراسة اللغة الفارسية فى الجامعات العربية.

وإذا تركنا الترجمة والكتب والصحف الفارسية التى طبعت فى العالم العربى وانتقلنا إلى التأليف عن الموضوعات الفارسية فى عالمنا العربى، وعن الموضوعات العربية فى إيران . فإننا سنجد كما هائلا يفوق بكثير ما ترجم عن اللغتين ، وقد شملت هذه المؤلفات شتى العلوم والمعارف من أداب واقتصاد وسياسة وعلوم طبية وهندسية وكيميائية وغيرها، ويكفى القول بأن جميع رجال الدين فى إيران يعرفون اللغة العربية معرفة أبنائها العرب بها، وأن عدد مؤلفاتهم بالعربية قد يفوق عدد مؤلفاتهم بالفارسية ، أضف إلى هؤلاء أولئك الأساتذة الذين عاشوا فترة من حياتهم فى العالم العربى، وألفوا بالعربية أمثال الدكتور محمد محمدى صاحب كتاب "الأدب الفارسى فى أهم أدواره وأشهر أعلامه" وقد طبع ببيروت عام ١٩٦٧م. كما أن جميع الجامعات الإيرانية تضم أقساما للغة العربية وآدابها. ولابد أن يعنى على رأس هؤلاء المتخصصين الإيرانيين الأستاذ الكبير مهدى محقق الذى رأس قسم اللغة العربية بجامعة طهران وجامعة ماكجيل بكندا، والذى يحفظ عيون الشعر العربى عن ظهر قلب . وقد

زار مصر مرات عديدة، وله علاقات وطيدة بعدد كبير من العلماء والمتخصصين فى الجامعات العربية الشهيرة.

ولا يقتصر الأمر على أساتذة أقسام اللغة العربية، أو أساتذة الكليات الدينية فى إيران، بل يتعداها إلى أقسام أخرى بالجامعات الإيرانية تعنى بكل ماهو عربى كأقسام الفلسفة والتاريخ والاقتصاد والعلوم السياسية، بل يصل الأمر إلى عدد كبير من الصحفيين الذى كتبوا كثيرا عن العالم العربى فى صحفهم اليومية ومجلاتهم الأسبوعية أو الشهرية أو الفصلية . ومن هذه الصحف المعنية بشئون العالم العربى أذكر الصحيفتين العريقتين إطلاعات وكيهان إلى جانب صحيفة "الاخاء" التى كانت تصدر بالعربية أيام حكم الشاه محمد رضا.

وإذا انتقلنا إلى الجانب العربى لنرى مدى الاهتمام بالتأليف عن إيران وحضارتها باللغة العربية فسنجد كما هائلا من الكتب التى ألفها نخبة عظيمة من المؤلفين والكتاب العرب وبخاصة فى مصر والعراق لوجود مراكز متخصصة لدراسة اللغة الفارسية وآدابها فى كل منهما، ولعمق الصلات الثقافية بين هذين المركزين العربيين وإيران عبر التاريخ، ونتيجة للجوار المشترك فى الحدود بين إيران والعراق . وإذا أردنا أن نحصى هذه المؤلفات العربية التى ألفت عن إيران حضارة وشعبا ، فلن نستطيع لكثرتها الهائلة ولتنوع مواضيعها . لذا سنكتفى بإشارة موجزة إلى مجهودات بعض الأساتذة الأوائل الذين شاركوا فى هذا المجال تأليفا دون الحديث عما قاموا به من ترجمات عن الفارسية سبق الإشارة إلى بعضها.

أول هؤلاء الأساتذة أستاذنا المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام ومن أهم مؤلفاته: مدخل الشاهنامه العربية للبندارى، وهى المقدمة التى كتبها للترجمة العربية للشاهنامة والتى قام بها البندارى، وقد سبق الإشارة إليها أكثر من مرة، ومن مؤلفاته أيضا "اللغة الفاسية فى الهند" وكتابه الشهير التصوف وفريد الدين العطار.

ومن الرواد أيضا أستاذنا المرحوم :حامد عبد القادر" ومن أعماله "القصص الحيوانى وكتابه كليله ودمنه فى الأداب الشرقية والعربية ، وكتاب "زاردشت الحكم"، وكتاب القطوف واللباب، الذى ضمنه منتجات من النثر الفارسى وشعره، وكذلك منتجات من كتاب "لباب الألباب" لمحمد عوفى ، ومن كتبه كذلك "قصة الأدب الفارسى" وغير ذلك من الكتب والأبحاث والمقالات .

ثم يأتى دور أستاذنا الكبير المرحوم إبراهيم أمين الشواربى مؤسس قسم اللغات الشرقية بكلية الآداب جامعة عين شمس، ومن مؤلفاته حافظ الشيرازى: شاعر الغناء والغزل فى إيران، وبحث بعنوان: مصادر فارسية فى التاريخ الإسلامى، وبحث أخر بعنوان : نشأة الشعر الفارسى ألفه المستشرق الانجليزى ادوارد جرانفيل براون، وقد جاءت الترجمة أكمل بكثير من الأصل الانجليزى، وأفضل أكثر وأكثر من الترجمة الفارسية المنشورة فى إيران لهذا الكتاب باعتراف الإيرانيين أنفسهم، لأنه أكمل النقص الذى كان بالأصل الإنجليزى، كما صحح بعض الأخطاء التى وقع فيها المؤلف نفسه، وأخيرا كتابه السهل الممتنع "القواعد الأساسية لدراسة الفارسية"، وهو أول كتاب يوضع بالعربية بإسلوب علمى حديث وتبويب صحيح ونصوص شتى تناسب القواعد المدروسة فضلا عن القيمة الأدبية للنصوص وحسن اختيارها. وهو الكتاب الذى ظل الدارسون للغة الفارسية فى مصر يعتمدون عليه وحده فترة طويلة من الزمن[٢٥].

ومن جيل الأساتذة كذلك أستاذنا المرحوم الدكتور محمد غنيمى هلال وله: "الحياة العاطفية من العذرية والصوفية" وفيه يعالج النتائج الأولى بين العربية والفارسية فى مجال الحب العذرى والعشق الصوفى، وله أيضا "ليلى والمجنون فى الأدبين العربى والفارسى" وكتابه "مختارات من الشعر الفارسى".

ومن الأساتذة الذين اهتموا بالثقافة الفارسية وألفوا فيها المرحوم الدكتور محمد موسى هنداوى وله كتاب عن بوستان سعدى الشيرازى كما أصدر أول معجم فى اللغة الفارسية للطلاب دارسى الفارسية فى مصر، وهومعجم يضم حوالى عشرين ألف كلمة ما بين فارسية وعربية استخدمت فى الفارسية.

من جيل الأساتذة الذى أثروا المكتبة العربية بالتأليف عن الثقافة الفارسية المرحوم الأستاذ الدكتور محمد عبد السلام كفافى وله محاضرات فى الثقافة العربية، تناول فيه العناصر الفارسية التى دخلت فى الثقافة العربية وأثرت فيها، وكذلك كتاب فى الأدب المقارن ناقش فيه بعض الموضوعات المشتركة بين الأدبين العربى والفارسى، إلى جانب ترجمته العربية للجزءين الأول والثانى من المثنوى لجلال الدين الرومى، وهما أهم أعماله على الإطلاق.

ثم يأتى دور الأستاذ الدكتور يحيى الخشاب الذى وجه كل اهتمامه صوب المجال التاريخى، فشارك فى ترجمة تاريخ البيهقى وسفر نامه لناصر خسرو نامه مع دراسة مستفيضة

عن كل كتاب ترجمه، ولم يكتف بالترجمة عن الفارسية بل ترجم أيضا عن الفرنسية كتاب إيران فى عهد الساسانيين تأليف المستشرق الفرنسى كريستينيسن.

أما عن الأستاذ الدكتور أحمد محمود الساداتى، فقد خلف لنا كثيرا من المؤلفات منها: رضا شاه بهلوى أو نهضة إيران الحديثة، وكتاب بابرنامه لظهير الدين بابر دراسة وتعليقا، وتاريخ بخارى للمستشرق فلمبرى ترجمة ودراسة.

هؤلاء الأساتذة جميعا قد أدوا أدوارهم مشكورين، ثم رحلوا إلى العالم الآخر مصحوبين بدعاء تلاميذهم بأن تكون الجنة مثواهم . أما عن أساتذتنا الكبار الذين ندعوا لهم بطول البقاء والصحة والعافية فأذكر منهم:

الأستاذ الدكتور طه ندا ، وله دراسات فى الشاهنامة والأعياد الفارسية فى العالم الإسلامى، وكتاب الأدب المقارن ، وأخيرا فصول فى الحضارة ، وهو بين الحضارتين العربية والفارسية.

أما دورأستاذنا الكبير عبد النعيم محمد حسنين فهو دور رائد بكل المقاييس لنشر الثقافة الفارسية فى ربوع العالم العربى كله، حيث شارك فى هذا المجال بجميع الجامعات المصرية منشئا لأقسام اللغة الفارسية، ومشرفا على العديد من أبحاث الماجستير والدكتوراه، كما شارك فى التدريس فى هذا المجال بجامعات ليبيا والعراق والمملكة العربية السعودية وله تلاميذ عديدون فى كل هذه البلاد العربية. ومن أهم مؤلفاته : كتاب "نظامى الكنجوى: شاعر الفضيلة" وكتاب "سلاجقة إيران والعراق" وكتاب "جمال الدين الأسد آبادى" (فى جزئين)، وكتاب "قواعد اللغة الفارسية" كما ترجم كتاب إيران ماضيها وحاضرها عن الإنجليزية.

وكذلك الأستاذ الدكتور فؤاد عبد المعطى الصياد ، صاحب الاهتمام الأكبر بتاريخ المغول وأثرهم فى العالم الإسلامى. ومن مؤلفاته "المغول فى التاريخ" وذلك فى أربعة أجزاء وكتاب مؤرخ المغول الكبير: رشيد الدين فضل الله: وكتاب النوروز وأثره فى الأدب العربى وأخيرا كتاب "القواعد والنصوص الفارسية".

ومن جيل الأساتذة كذلك الأستاذ الدكتور حسين مجيب المصرى، وله مؤلفات عديدة مقارنة بين اللغات العربية والفارسية والتركية ، ومن بينها : صلات بين العرب والفرس والترك، وكتاب رمضان فى الشعر العربى والفارسى والتركى وكتاب الصحابى الجليل سلمان الفارسى

عند العرب والفرس والترك إلى جانب دواوين من الشعر العربى تلمس فيها الروح الفارسية فى كثير من معانيها وأخيلتها.

ومن جيل الأستاذة كذلك الأستاذ الدكتور أمين عبد المجيد الذى ركز معظم اهتماماته العلمية على القصة فى الأدب الفارسى قديما وبخاصة ما ورد فى الشاهنامه وقد كتب إلى جانب التراجم التى قام بها كتاب : "القصة فى الأدب الفارسى" وكتاب "قابوس نامه: تقديم وتحقيق، كما كتب بالفارسية كتابا عنوانه : بحث درباره قابوس نامه ونشره بالفارسية فى طهران عام ١٩٥٦م.

هذا هو جيل الأساتذة الرواد الذين فتحوا الطريق للنهل من علمهم ومن إرشاداتهم وقد أوجدوا مدرسة نشطة للغات الشرقية فى العالم العربى، لا تقل مؤلفات تلاميذهم أهمية وتقديرا عن مؤلفات أقرانهم فى إيران نفسها، بل إن بعضهم قد تفوق وبخاصة فى مجال الكتابة عن الأدب الحديث والمعاصر، وذلك بشهادة الإيرانيين أنفسهم فى أكثر من مناسبة ، هذا الجيل من الأساتذة الذين يشرفون على هذه الدراسات فى الجامعات المصرية والعربية أكثر من أن يحصى إنتاجهم، وأن تذكر مؤلفاتهم ، لأننا نعرف أن عضو هيئة التدريس كى يصل إلى درجة الأستاذية فى جامعته عليه أن يقدم للمكتبة على الأقل سبع أو ثمانى مؤلفات خلال الترقية إلى أستاذ مساعد (أستاذ مشارك) ثم إلى أستاذ. فإذا كان عدد هؤلاء يصل إلى المائة تقريبا ، فعلى الأقل قد ألفوا ما يزيد عن الألف كتاب. إلى جانب ما ألفه المهتمون بهذه الدراسات المتعلقة بالثقافة الفارسية من العاملين بمجالات الأدب واللغة والتاريخ والاقتصاد والصحافة، حيث قدم هؤلاء جميعا العديد من المؤلفات التى يعتد بها، والتى جسدت عمق الصلات الثقافية والفكرية بين الشعبين العربى والإيرانى، ويستطيع أى قارئ أن يراجع دار الكتب المصرية، ويبحث تحت مادة إيران أو مادة فارس أو غيرها من المواد التى تشير إلى المنطقة الإيرانية، وهنا سيدرك الكم الهائل من المؤلفات العربية التى ألفت فى العالم العربى من مشرقه إلى مغربه عن إيران وحضارتها ورجالها، ونفس الشئ يستطيع أى قارئ إيرانى أن يتصفح فهارس مكتبة جامعة طهران وهى الكبرى الآن فى إيران ليدرك كم المؤلفات التى سطرها الإيرانيون عن العالم العربى من الخليج إلى المحيط. وليست هذه الكثرة من المؤلفات هنا وهناك إلا دليلا على شدة الاهتمام المتبادل وعمق الصلات الثقافية بين شعوب المنطقة العربية وشعب إيران.

٥- المراكز العلمية والثقافية:

منذ دخل الإسلام أرض إيران وأقبل الإيرانيون على الإسلام ، وأقدموا على قراءة كتاب الله والمنزل بالعربية وهو القرآن ، وأصبح لزاما على الإيرانيين تعلم اللغة العربية ومعرفة أسرارها ، حتى يستطيعوا فهم القرآن والسباحة فى معانيه وأخيلته ولغته، لدرجة أنهم هجروا لغتهم القديمة طوال قرنين من الزمان، وعندما حاولوا اعادتها من جديد لم يجدوا منهلا ينهلون منه العوض عما اندثر من الألفاظ والمفردات بفعل الزمن إلا القاموس العربى الذى أدخلوه برمته فى لغتهم الفارسية الإسلامية التى كتبت كذلك بالخط العربى، بعد أن كانت تكتب بالخط البهلوى قبل الإسلام. كل هذا جعل الصلة بين الإيرانيين والثقافة العربية وثيقة عبر تاريخهم الإسلامى كله، لدرجة أن النابه منهم إن أراد أن يبزغ نجمه فى عالم الفكر، وجب عليه أن يجيد العربية، بل ويؤلف بها حتى ينتشر اسمه ، ويعلو قدره ، وهذا مافعله ابن سينا والغزالى والبيرونى وغيرهم كثيرون.

ظل الحال كذلك حتى العصر الحديث، وظلت اللغة العربية لغة القرآن الكريم، وحتى بعد أن اتصلت إيران بأوربا وبدأ البعض يطالب بالأخذ بالعلوم الحديثة وتعلم اللغات الأوربية ، لدرجة أن البعض من صغار المتفرنجين دعا - كما حدث فى تركيا على يد كمال أتاتورك- إلى هجر الخط العربى ونبذ الكلمة العربية واستبدالها بكلمة أوروبية ، إلا أن كبار علماء إيران ومنهم العلامة محد بن عبد الوهاب القزوينى اتهم هؤلاء المتفرنجين بالجهالة ومحاربة الذات، لأن الكلمة العربية التى استقرت فى القاموس قد أصبحت فارسية الجنسية بطول الإقامة بين الإيرانيين ، ولم يعد الناس يسألون بعد استعمال دام أكثر من عشرة قرون ، هل هذه الكلمة فارسية أم عربية، كما أن هجر الخط العربى سيجعل من الصعب على الأجيال الإيرانية الجديدة قراءة روائع الأدب الفارسى المكتوبة بالخط العربى كالشاهنامة وأشعار سعدى وروائع نظامى ومنظومات العطار وغزليات حافظ ومثنويات جلال الدين الرومى. واحتدم الخلاف بين الجانبين حتى عقد مؤتمر فى عام ١٩٣٦ لانهاء هذا الخلاف، وقد دعى إليه عدد من المستشرقين، وانتهى المؤتمر إلى ضرورة بقاء الخط العربى، وبقاء الكلمة العربية فى المعجم الفارسى، وأنه ليس فى مقدور اللغة الفارسية العيش بدونها[٢٦].

ومادامت العربية بخطها ولغتها ومعجمها ومؤلفاتها لها هذه الأهمية بالنسبة للإيرانى

ولغته الفارسية ، فإن المدارس الإيرانية بجميع مستوياتها تعنى بتدريس اللغة العربية لجميع التلاميذ والطلاب، كما أن جميع الجامعات الدينية والمدنية تضم أقساما خاصة باللغة العربية، وقد تخرج فى هذه الأقسام أعداد كبيرة من الإيرانيين ، حمل كثير منهم مهمة توثيق العلاقات الثقافية بين العرب وإيران.

وإذا انتقلنا إلى العالم العربى ونتيجة لعمق العلاقات بين العرب وإيران فسنجد العديد من الجامعات والمراكز العلمية والثقافية المعنية بدراسة اللغة الفارسية ، سواء أكانت هذه الدراسة خدمة للثقافة العربية أو لدراسة اللغة الفارسية كهدف فى حد ذاته، وقد بدأ هذا الاهتمام الأكاديمى بعد عودة المرحوم الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام من بعثته، وطالب بضرورة تدريس الفارسية فى الجامعة المصرية. وقد نجح فى تأسيس معهد عال لدراسة اللغات الشرقية التابع لجامعة فؤاد الأول (القاهرة حاليا) وذلك عام ١٩٢٥م، ثم نجحت جامعة إبراهيم باشا (جامعة عين شمس حاليا) فى إنشاء أول قسم على مستوى درجة الليسانس وذلك منذ إنشائها فى عام ١٩٥٠م. ثم توالت الأقسام الخاصة بتعليم الفارسية فى مصر، فأنشئ قسم خاص بجامعة القاهرة بدلا من المعهد السابق الإشارة إليه، ثم تبعتهما جامعة الأزهر، فجامعة الأسكندرية وجامعة أسيوط (فرع سوهاج).

كل هذه الجامعات ممثلة فى كليات الآداب بها حظيت بأقسام تخصصية لدراسة اللغة الفارسية وأدابها. إلى جانب دراسة اللغة كلغة مساعدة فى أقسام اللغة العربية والتاريخ، وذلك لأهمية اللغة الفارسية لدارسى الأدب العربى وبخاصة فى العصر العباسى، ولدارسى التاريخ الإسلامى كله.

وقد وجدت هذه الأقسام اهتماما وإقبالا شديدا وبخاصة فى فترات الانفراج السياسى بين إيران والعالم العربى، لدرجة أنه خلال فترة الانتعاش فى هذه العلاقة أثناء حكم المرحومين الرئيس السادات والشاه محمد رضا ، كان عدد الطلاب بقسم اللغة الفارسية فى كلية الآداب جامعة عين شمس على سبيل المثال يفوق عدد زملائهم دارسى اللغة الفارسية بجامعة طهران(٢٧).

وإلى جانب مصر فقد أولت العراق أهمية قصوى بدراسة الفارسية وآدابها، لدرجة أن جميع كليات الآداب بالعراق تدرس الفارسية بين برامجها فى أقسام اللغة العربية ، إلى جانب وجود قسم خاص باللغة الفارسية بكلية الآداب جامعة بغداد.

وإذا تخطينا مصر والعراق وجدنا اللغة الفارسية تدرس أيضا فى الجامعات العربية ومنه على سبيل المثال لا الحصر : جامعة بيروت العربية، جامعة لبنان الحكومية. جامعة دمشق، جامعة الكويت، جامعة قطر، جامعة الملك سعود بالرياض، جامعة الجزائر ، وغيرها كثير.

ولا شك أن هذا الاهتمام باللغة الفارسية وأدابها فى ربوع العالم العربى من الخليج إلى المحيط، ليدعم عمق الصلة بين الشعبين العربى والإيرانى، حتى إن خيم على هذه العلاقة جو من التوتر أحيانا.

وإلى جانب هذه المراكز العلمية والأكاديمية ، فقد أنشئت بعض المراكز الثقافية ، ومنها على سبيل المثال المركز الثقافى الإيرانى فى القاهرة، والذى افتتح عام ١٩٧٧، وقد أقام المركز فصولا لتعليم اللغة الفارسية للأطفال الإيرانيين المقيمين بمصر، وكذلك أنشأ فصولا للتقوية فى اللغة الفارسية لطلاب أقسام اللغة الفارسية بالجامعات المصرية، كما قدم العديد من المحاضرات العامة وعرض الأفلام التاريخية والثقافية والفنية، كما أنشأ مكتبة لخدمة الباحثين فى مجال الدراسات الإيرانية، وأخيرا ساهم المركز فى نشر بعض مؤلفات وأبحاث المحققين المصريين، وقد أصدر بضعة أعداد من مجلة المنتدى[٢٨].

وكان من المفترض أن تنشئ مصر مركزا ثقافيا مماثلا فى طهران، ولكن توتر العلاقات التى صاحبت تنازل الشاه عن العرش أودى بالمركز الإيرانى فى القاهرة، كما منع إنشاء المركز المصرى فى طهران.

وهكذا تعددت قنوات الاتصال الثقافى بين العرب وإيران عبر تاريخهم المشترك ، ومازالت هذه العلاقات الثقافية حجر الزاوية فى هذه العلاقات مهما اعترى هذه العلاقات أحيانا من توتر نتيجة لبعض المشاكل الحدودية أو العرقية التى تثور من حين إلى حين. ولكن الأمل قائم دائما بانفراج الأمور وعودة العلاقات إلى حالتها الطبيعية من حسن جوار وتعاون مثمر بناء. أو هذا ما نرجوه على الدوام.

الهوامش

١- لمعرفة المزيد من هذه الأحداث يرجع إلى : بديع جمعه : الشاه عباس الكبير، بيروت ١٩٨٠ وبخاصة البابين الرابع والخامس.

٢- بديع جمعه: مقدمة ترجمة منطق الطير لفريد الدين العطار، ص ٣٥، الطبعة الثانية. بيروت ١٩٧٩.

٣- نصر الله فلسفى: زندكانى شاه عباس أول ج٣. طهران ١٣٤٥هـ. ش.

٤- الصلات الثقافية بين إيران ومصر، ص ٦١. القاهرة ١٩٧٨.

٥- المرجع السابق ص ١٤١.

٦- عبد النعيم حسنين : إيران فى ظل الإسلام، ص ٨٥ الطبعة الثانية: المنصورة ١٩٨٩.

٧- المرجع السابق: ص ٨٦.

٨- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية: دعوة التقريب من خلال رسالة الإسلام، ص ٤-٦. القاهرة ١٩٦٦.

٩- راجع المقدمة التى كتبها الدكتور عبد النعيم حسنين فى ترجمته لكتاب حقيقة جمال الدين الأفغانى لميرزا لطف الله خان: الطبعة أولى . المنصورة ١٩٨٦.

١٠- عبد الباسط محمد حسن: جمال الدين الأفغانى وأثره فى العالم الإسلامى الحديث، ص١٨٨ - ١٨٩ الطبعة الأولى. القاهرة فى ١٩٨٢.

١١- عبد اللطيف حمزة: المقالة الصحفية، ج٢، ص ١٢٩-٢٢٢.

١٢- عبد الباسط محمد حسن: المصدر السابق، ص ١٩٨.

١٣- سأشير إلى هذه الترجمة بعد قليل.

١٤- لمعرفة المزيد عن "دار الفنون" ومكانتها فى تجديد الفكر والثقافة فى إيران يرجى الرجوع إلى: يحيى آزين بور : از صبا تانيما، ج١ ص ٢٥٢-٢٨٦. تهران ١٣٥١ هـ.ش.

١٥- راجع مقالة : د. مرتضى آيت الله زاده الشيرازى: جولة حول الروابط المعنوية بين إيران ومصر والكتاب المصرى فى إيران، ضمن كتاب جوانب من الصلات الثقافية بين إيران

ومصر: ص ١٦٩-١٧٩. القاهرةم.

١٦- المرجع السابق ونفس الصفحات.

١٧- لمعرفة المزيد من الكتب العربية المترجمة يرجع للمرجع السابق.

١٨- بديع محمد جمعه: دراسات فى الأدب المقارن ص ٣٥٧ ومابعدها، الطبعة الثانية بيروت ١٩٨٠.

١٩- لمعرفة المزيد عن الكتب الفارسية المطبوعة فى مصر ، نرجو الرجوع إلى : نصر الله مبشر الطارزى : الكتاب الإيرانى فى مصر، مقال بكتاب: جوانب من الصلات الثقافية بين إيران ومصر ص ١٣٩-١٤١.

٢٠- جهانكير صلح جو: تاريخ مطبوعات إيران وجهان، ص ١٨٣-١٨٥ الطبعة الأولى طهران ١٣٤٨ هـ.ش.

٢١- المرجع السابق ، ص ١٧٦-١٧٩.

٢٢- نفس المرجع ، ص ١٦٨-١٧٠.

٢٣- طلعت أبو فرحة : أضواء على الدراسات الفارسية فى مصر: مقال بكتاب: جوانب من الصلات الثقافية بين إيران ومصر، ص ١٩٠.

٢٤- راجع هذه القضية الهامة فى مبحث : كلمة أوروبية أم كلمة عربية، فى كتابى: من قضايا الشعر الفارسى ، ص : ٢٨٥-٣١٠ الطبعة الأولى، بيروت : ١٩٨٠.

٢٥- يقول مدير المركز الثقافى الإيرانى فى مصر عن هذا القسم مايلى : يعد هذا القسم من أنشط المراكز العلمية فى مصر على الإطلاق وذلك فى مجال التدريس والبحث فى اللغة والأدب الفارسى:

انظر : جوانب من الصلات الثقافية بين إيران ومصر. ص:ظ.

٢٦- المرجع السابق ص : م م وما بعدها.

القسم الرابع

العلاقات السياسية بين العرب و ايران

الفصل الحادى عشر

أثر المتغيرات العالمية الجديدة على السياسة الخارجية الايرانية تجاه المنطقة العربية: ١٩٨٩-١٩٩٣

الدكتورة نيفين عبد المنعم مسعد

الفصل الحادى عشر

أثر المتغيرات العالمية الجديدة على السياسة الخارجية الايرانية تجاه المنطقة العربية: ١٩٨٩-١٩٩٣ *

توطـــــــئة

كثيرة هى التطورات الجسَام التى تواترت على الساحة الدولية وأتت على التأثير فى السياسة الخارجية الايرانية تجاه المنطقة العربية. فى تأثيرهاشىء من التناقض هو ناتج التفاعل بين متغيرات مختلفة التوجهات كالتناقص بين نوازع القيادة العالمية وكوابحها، أو بين إعمال الشرعية الدولية حيناً وإبطالها حيناً آخر، أو كتخلق مظاهر الفوضى والتوحد من داخل رحم واحد. ومن هنا، ورغم كون السياسة الخارجية الايرانية حرصت فى عمومها على أن تنهج نهجاً توافقياً تجاه الدول العربية، إلا أنه كانت هناك محطات جمد فيها هذا الوفاق أو تهدد أو حتى أهدر تماماً. فلقد كان المحك فى كل حين هو طبيعة التطور الدولى وحجمه واتجاهه.

ومن واقع ماسبق يمكن تقسيم الدراسة الى قسمين رئيسين، أولهمايُشَخِّص أهم المحددات الدولية للسياسة الخارجية تجاه المنطقة العربية، وثانيها يعرض لبعض القضايا التى تعكس

* اعدت هذه الدراسة الدكتورة نيفين عبد المنعم مسعد - الأستاذ المساعد للعلوم السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة.

أنماطاً مختلفة للتفاعل بين إيران والدولة العربية. ومن الملاحظ أنه رغم أن بعض التحليلات تُرجع أهم التطورات الدولية الى عام ١٩٩٠وتربطها باندلاع أزمة ثم حرب الخليج التانية، إلا أن هذه الدراسة اختارت العودة الى عام ١٩٨٩ كنقطة لانطلاقها، لأن هذا العام شهد تغير رأس السلطةالتنفيذية فى ايران وتولى الرئيس هاشمى رافسنجانى مقاليد الحكم خلفًا للرئيس على خامنئى المرشد الحالى للجمهورية الاسلامية.

اولاتشخيص أهم المحددات الدولية للسياسة الخارجية الايرانية تجاه المنطقة العربية

من الممكن تحديد أربعة تطورات دولية رئيسية لها تأثير بالغ على سياسة رافسنجانى تجاه دول جواره العربية، وتلك هى انهيار الامبراطورية السوفيتية، وبروز القوة الأمريكية، والتفاعل بين قوى الدمج والتفكيك وأخيراً حرب الخليج الثانية. والملاحظة محل الاعتبار هى أن تلك التطورات قد تداخلت وتقاطعت أو تصادمت مع نظيراتها الاقليمية والداخلية الايرانية، وهذا فى حد ذاته أحد جوانب الاختلاف فى تأثيرها من فترة الى أخرى. ومن جهة ثابتة، فإن كلاً من التطورات المشار اليها كان يعد بمثابة مقدمة منطقية لما يتبعه. بمعنى أن انهيار القطب السوفيتى قد مثل فى جوهره إضافة لعناصر القوة الأمريكية، بيدأن تكاثر التحديات الأخرى لتلك القوة أدى الى العجز عن ضبط مظاهر الفوضى وسمح بتعايشها جنباً الى جنب مع مظاهر الدمج والتوحيد، وهذا هو ما انعكس بوضوح فى حرب الخليج الثانية. ومن جهة ثالثة، فإن التطورات الدولية قيد البحث انصبت على إعادة توزيع القوة على القمة الدولية، لكن تطورات مماثلة لم تطرأ على تراتبية القيم والقضايا محل الاهتمام الدولى. فلقد تعايشت قيم الشرعية والديمقراطية وحقوق الانسان مع نواقصها، كما راجت فكرة الاعتماد المتبادل فى القضايا الاقتصادية والبيئة من دون أن تلغى احتمال التصارع حول تلك القضايا كافة. وتتفرغ عن ذلك نقطة رابعة وأخيرة قوامها أن التطورات الدولية تعد حمّالة أوجه، فهى وإن كانت قاطعة الدلالة على نشوء وضع دولى جديد من حيث كونها أنتحت توزيعًا جديداً للقوة، إلا أنها لا تنبىء عن تبلور نظام عالمى جديد، فلا هى رسخت اتجاهات لها صفة العمومية، ولاهى أوجدت الوسائل التى تكفل إلزامية تلك الاتجاهات للكافة. ومن واقع درجة الوعى بحدود الاختلاف بين المفهومين: مفهوم الوضع الدولى من جانب، ومفهوم النظام الدولى

من جانب آخر، تتحدد أبعاد الجدل الفكرى بين المحللين وتذهب بهم مذاهب شتى فى التفسير(١).

١-انهيار الامبراطورية السوڤيتية

يلخص أحد المحللين أسباب انهيار الاتحاد السوفيتى فى عبارة هىَّ أزمة الفعاليةّ مشيراً بها الى سوء أداء النظام الشيوعى السابق على الصعيدين الداخلى والخارجى. يرجع ذلك الى أن «اقتصاد الأوامر أو الحرب» الذى كان يلائم مرحلة التركيز على الصناعات العسكرية والثقيلة لم يعد كذلك بعد أن تغيرت أولويات النظام. كذلك فإن العجز عن تمثيل الطبقة الوسطى المتنامية فى المؤسسات السياسية السوفيتية، وشيوع الفساد بين أفراد النخبة الحاكمة قد أوجد ثم كرسى الشعور بالاغتراب والرغبة فى التمرد داخل نفس المواطن العادى. وعلى الصعيد الخارجى، لم يكن النظام السوفيتى أكثر إنجازاً فلقد حرَّضت سعة إنفاقه العسكرى دول حلف شمال الأطلنطى على اتخاذ إجراءات مضادة، وكان وجوده العسكرى فى الشرق الأقصى داعيًا لتوتر علاقته بالصين واليابان ودول جنوب شرق آسيا. أما فى العالم الثالث فإن مغامراته العسكرية انتهت الى تكرار السابقة الڤيتنامية للولايات المتحدة وأسلمته الى مايمكن التعبير عنه-العقدة الأفغانية. تلك الأسباب الرئيسية مجتمعة كانت هى المقدمات المنطقية لاجتماع مينسك الشهير فى ٨ ديسمبر ١٩٩٠ عمدما أعلنت الدول السلاڤية الثلاث: روسيا وأوكرانيا وبيلوروسيا انتهاء اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوڤيتية «كما هو منصوص عليه فى القانون الدولى وكحقيقة جغرافية سياسية»(٢). ومن المفارقة أن رابطة دول الكومنولث التى انبثقت عن الاتحاد السوفيتى السابق نشأت فى ٢٠ ديسمبر ١٩٩١ أى فى نفس اليوم الذى كان قد شهد مولد الاتحاد السوفيتى قبل ثمانية وستين عاماً وبحضور نفس الترويكاالسلاڤية(٣).

مثل هذا التطور كان يشكل مكسبًا ماديًا وأيديولوجيًا لايران. فلقد ظلت هذه الأخيرة على مدار تاريخها تعانى من مشكلة الجار القوى وهى المشكلة التى فسرت تحالفها مع الولايات المتحدة زمن الشاه فى مواجهته. وعندما اندلعت الثورة الاسلامية الايرانية لم يتخل الاتحاد السوفيتى قط عن المعاهدته المبرمة مع ايران عام ١٩٢١، ولاتنازل عن تشبثه بالمادتين الخامسة

والسادسة منها اللتين تخولانه حق التدخل العسكرى فى ايران تحت ظروف معينة(٤).ومن تلك الزاوية، فإن تفكك الاتحاد السوفيتى الى خمس عشرة جمهورية مستقلة، وانكباب وريثة روسيا على مشكلاتها الداخلية المتفاقمة بدا وكأنه يحرر نظام رافسنجانى نسبياً من هاجسه الأمنى، وذلك لتنشيط دور إيران جنوباً، وتغذية طموحاتها فى المنطقة العربية. وعلى صعيد آخر، فإن كون الثورة الايرانية رفضت منذ اندلاعها الأيديولوجيتين الشيوعية والرأسمالية وأشهرت الاسلام فى مواجهتهما، فإن هذا كان يعنى أن انهيار الشيوعية يحقق مصلحة ايرانية مؤكدة لأنه يضع ايران على منتصف الطريق لنشر أيديولوجيتها. ولقد عبر وزير الخارجية الايرانى على أكبر ولاياتى عن تلك الحقيقة بوضوح حيث قال: «إن الانهيار الحقيقى فى المعسكر الشرقى يعنى أننا حققنا على الأقل خمسين فى المائة من الأهداف» (٥).

لكن من جهة ثانية، فإن اختفاء الاتحاد السوفيتى واجه عدة تحديات أبرزها إضعاف قدرتها على المناورة من خلال توظيف الخلاف الأيديولوجى التقليدى بين الرأسمالية والشيوعية. ففى الاستقطاب الثنائى كان فى وسع ايران أن تستغل الخوف الأمريكى من الدور السوفيتى فى دول مثل نيكاراجوا أو افغانستان لتبرم صفقات تسلح عبر الوسيط الاسرائيلى، أو لتتدخل لدعم بعض فصائل المجاهدين الأفغان فى حربهم ضد نظام حكم كابول. كذلك كان بإمكان ايران أن تتبع المسلك ذاته حيال الاتحاد السوفيتى عن طريق ابتزاز عدائه للغرب وهو ما اتضح فى بعض تطورات حربها مع العراق. ففى بداية الحرب كانت مساعى العراق لتحسين علاقتة بالغرب والولايات المتحدة تحديداً وراء الدعم العسكرى السوفيتيى لايران، وهو الدعم الذى بلغ حسب بعض المصادر حد التورط فى تدريب الحرس الثورى الايرانى. وعندما ثار موضوع رفع الأعلام الأمريكية على السفن الكويتية فى مرحلة لاحقة من الحرب، نشأ تحالف سياسى سوفيتى-إيرانى ضده مخافة تكريس النفوذ الأمريكى فى الخليج، وفى نفس الوقت أخذت العلاقات الاقتصادية بين الطرفين تشهد نموا حثيثاً (٦).

اختلف الوضع مع انهيار الاتحاد السوفيتى، وأقدم الرئيسى الروسى بوريس يلتسين على توقيع وثيقة تعاون مع الولايات المتحدة فى فبراير ١٩٩٢ دشنت تحالفهما على أساس الاقرار بالتفوق الأمريكى، وجسّدت تطابق موقفيهما من قضايا أسحلة الدمار الشامل وحقوق الانسان وهى ذات القضايا الخلافية فى العلاقات الايرانية-الأمريكية (٧). وساعد على توسيع

الشقة مع إيران أن روسيا أعادت تقييم تجربتها فى دعم حركات التحرر الوطنى ودول العالم الثالث، وانتهت الى أن هذا الدعم كان أحد المصارف الأساسية لاستنزاف مواردها (٨). فى هذا السياق، امحى أو كاد حيز المناورة السياسية أمام ايران، وصادفت صعوبة بالغة فى دعم مستضعفى العالم والمنطقة العربية فى الأساس. فعندما أرادت ايران تسليح مسلمى البوسنة صادرت كرواتيا شحنة الأسلحة المتجهة إليهم، وعندما تصاعدت الضغوط الداخلية على ايران للتدخل إلى جانب الأذربيجانيين فى نزاعهم مع الأرمن هددت روسيا بالتدخل لنصرة الطرف الأخير. وفى الحالتين: القضية اليوغوسلافية والنزاع حول ناجورنوكارباخ هو التعدى على المسلمين من دون رد فعل غربى يذكر.

يتصل بالنقطة السابقة تحدٍ آخر فرضه الانهيار السوفيتى على إيران وذلك عو التغير فى طبيعة الصراع الدولى وانتقاله من التركيز على البعد الأيديولوجى إلى التركيز على البعد الحضارى (٩). بعبارة أخرى، طُرِح الاسلام كعدو جديد لتصليب العلاقة بين الدول الغربية ومنع صراعاتها القومية أو احتوائها على الأقل حال اندلاعها. واستند دعاة الحملة على الاسلام إلى لاديمقراطية ومجافاته للتسامح وحقوق الانسان، ففى تصريح لدان كويل نائب الرئيس الأمريكى چورج بوش وضع الأصولية الاسلامية «جنبًا إلى جنب مع كلٍ من النازية والشيوعية واعتبر أنهما معاً تشكلان» أخطر ثلاث حركات فى القرن العشرين (١٠). بطبيعة الحال، لايمكن الادعاء بأن الدفع بلا ديمقراطية الاسلام هو صنيعة عالم مابعد الحرب الباردة فمن السهل حشر عشرات الأحكام الغربية المتحيزة التى أدانت الاسلام من تلك الزاوية، لكن المقصود تحديدا أن ظهور بعضَ المتغيرات الدولية الجديدة ألهب الحملة الغربية ضد الاسلام وكساها بمنطق مقبول. أحد تلك المتغيرات عو الاعلاءً النظرى للقيم الديمقراطية. أيضاً هناك حرب الخليج الثانية وتصورها فى بعض الرؤى الاسلامية على أنها صراع بين قوى الكفر وقوى الإيمان، حتى أن بعض المحللين الغربيين وصف هزيمة العراق وأنها أنتصار للعالم الحديث على الاسلام. كذلك هناك دلالات التجربة الجزائرية وقراءة الرأى العام الغربى لنتائجها التى تقدح فى إمكانية احتجاج الالتزام العقائدى الى التعددية السياسية (١١). وهنا، تصبح النظم الاسلامية الراديكالية كإيران والسودان هى المرشحة لتكون موضوع الحملة الغربية وهدفها، فيُلْتقَطَ من ممارساتها الداخلية (انتهاكات حقوق الانسان) والخارجية (تشجيع الارهاب) ما يُدان به

إسلامها، وتُخْلِطَ عمداً بين تلك الممارسات وعموم الممارسات الاسلامية فضلاً عن العقيدة ذاتها، وهي نتيجة تصب في ذات اتجاه سابقتها من حيث كونها تثير حاسية المجتمع الدولي وتضع سقفاً للطموحات الايرانية داخل المنطقة العربية وخارجها.

التحدي الثالث والأخير هو تحدي الجمهوريات الاسلامية، ولأول وهلة يبدو الحديث عن هذا التحدي وكأنه إعمال لمنطق معكوس. فمع ظهور ست جمهوريات إسلامية على أنقاض الاتحاد السوڤيتي بدا وكأنها بثقلها الديموجرا في (حوالي ٨, ٤٤ مليون نسمة) (١٢) وتنوع مواردها يمكن أن تمثل اضافة حقيقية لايران التي تتواصل مذهبياً ولغويا مع اثنتين منها (أذربيجان وطاچاكستان). ورشحت بعض التحليلات انتظام الجمهويات الاسلامية الست في نظام إقليمي فرعي (خوراسان الكبرى) يكون مركزه إيران ويمتد جنوبا ليشمل دول الخليج العربي أو في القليل يُعَظِّم الدور الايراني في نطاقها (١٣).وتمكنت إيران بالفعل من إحراز بعض نجاحات في هذا الخصوص جسدتها كثافة معاملاتها الاقتصادية مع تلك الجمهوريات لاسيما تركمنسان (وذلك في مجال الصناعات الغذائية والمنسوجات، ونقل الغاز التركمنستاني الى الخليج، والبحث عن مصادر جديدة للمياه، وتطوير شبكات الري.... إلخ). كذلك تمددت ايران ثقافياً في جمهوريات وسط آسيا، ووسعها إشراك البعض منها في أطر تنظيمية مستحدثة (مثل منظمة اللغة الفارسية مع طاچاكستان اضافة الى أفغانستان)، وانعاش المكون الفارسي في تاريخ البعض الآخر (مثل تركمنسان و أوزبكسنان) (١٤). أما في المجال العسكري، فلقد بدت الجمهوريات الاسلامية أعز اختراقاً رغم كل ما يثار عن علاقات التعاون العسكري (وفي بعض المصادر النووي) بينها وبين ايران. فمن اللافت للنظر أن أهم صفقات السلاح التي تعاقدت عليها ايران مع ورثة الاتحاد السوفيتي السابق أتت من الخارج الجمهوريات الاسلامية. فلأسباب تتعلق بتوفر السيولة النقدية، وافقت روسيا على بيع ايران ثلاث غواصات طراز كيلو، وطائرات ميج ٢٧، ٢٩، ومقاتلات سو٦٤، وقاذفات صواريخ (١٥). كما اتفقت ايران مع أوكرانيا على مقايضة ٧٢ مليون برميل من النفط الايراني الخام ببعض الأسلحة والمعدات الأوكرانية لمدة ثلاث سنوات تبدأ اعتباراً من عام ١٩٢٢ (١٦).

وعلى كل تلك المستويات ما أصابت فيه إيران نجاحاً ومالم تصب، فإنها طرحت نفسها كبديل محتمل لتركيا، فنافستها على استقطاب الجمهوريات الاسلامية (إذ تتمتع كازاخستان

مثلاً بعضوية منظمتى بحر قزوين الايرانية والبحر الأسود التركية)، بل استطاعت أحياناً أن تقوم بدور حلقة الوصل بين تركيا وبعض تلك الجمهوريات (نموذج تركمنتان). ولكن بمرور الوقت، أخذت تتبلور مجموعة من الحقائق الرئيسية، إحداها أن التوجه الأساسى للجمهوريات الاسلامية هو صوب الشمال أى روسيا وليس صوب تركيا أو إيران بأطرهما شرق الأوسطية، وأنها إنما تستغل التنافس بين الدولتين عليها وتوظفه لصالحها(١٧). والثانية أنه فيما لوعُرِضَت قضية الدولة الأولى بالرعاية من قِبَل جمهوريات وسط آسيا على بساط البحث، فإن الولايات المتحدة تفضل الشريك الاسرائيلى على الشركاء المحتملين: تركيا وباكستان فضلاً عن إيران بطبيعة الحال. ويتأكد ذلك عبر متابعة النشاط الاسرائيلى لاسيما فى كازاحستان ثالثة الجمهوريات النووية السوفيتية السابقة وأوسعها مساحة، وأوزبكستان أهم جمهوريات وسط آسيا من زاوية التطور الاقتصادى(١٨). وأخيراً وهذا هو الأهم، فإن حداثة عهد الجهوريات الإسلامية باستقلالها السياسى، وتداخل تكويناتها الاجتماعية فيما بينها ومع إيران، أمران يجعلانها بمثابة القنابل الموقوتة على حدود الجمهورية الايرانية ويعيدان طرح التحدى السوفيتى عليها لكن فى سياق مغاير وأسلوب مختلف.

٢ - بروز القوة الأمريكية.

تعددت الآراء والتصورات لماهية الدور الأمريكى فى عالم مابعد الحرب الباردة وركزت فى مجملها على مناقشة قضيتين مترابطتين. القضية الأولى تتعلق بتكييف أولويات السياسة الأمريكية، وأثيرت مجدداً عندما ذهب بعض المحللين الى أن الولايات المتحدة بسبيل عزلتها الدولية التى ميزتها لقرن ونصف من الزمان، واتباعها لسياسة جديدة تركز على مصلحتها تركيزاً مطلقًا وتضع الولايات المتحدة أولاً وليس فقط أولاً بل كذلك ثانياً وثالثًا (١٩). وحجة هذا الفريق أن تراجع التهديد الروسى من جهة وتنامى القوة الاقتصادية للشركاء الغربيين من جهة أخرى يقلصان المسئولية الدفاعية للولايات المتحدة ويحملانها على الانكفاء على مشكلاتها الداخلية (٢٠). وعندما اتخذت الادارة الأمريكية السابقة للرئيسى چورج بوش مجموعة إجراءات فُسِّرت فى حينها على أنها تَخَل عن مسئوليتها الدولية (خفض المساعدات الخارجية الى٣/٥ نظيرتها فى الخمسينيات، عرقلةً إبرام معاهدة لتنظيم استخدام البيئة،

الانقلاب على تحرير التجارة.... الخ) وجد دعاة العزلة مايدعم رأيهم(٢١).

بيد أن الاتجاه السابق تعرض لنقد حاد انصب على وهم الفصل بين ما هو داخلى وما هو خارجى، إذ أن رفاهية المواطن الأمريكى ارتبطت مباشرة بحجم التجارة الدولية، وتشير الإحصاءات فى هذا الصدد الى أن تزايد الصادرات الأمريكية فى السنوات القليلة الماضية كان مسئولاً عن تنمية الاقتصاد الأمريكى بنسبة ٤٠٪ وتوفير ما لايقل عن مليونى فرصة عمل للشباب(٢٢). ومن زاوية أخرى، فإن تقلص التهديد الروسى يختلف عن انتهائه، وعلى ذلك فإن مستقبل القوة الأمريكية سيظل محكوماً بعد الانهيار السوڤيتى كما كان قبله بالحيلولة دون سيطرة قوة واحدة (روسيا بالأساس، فضلاً عن الصين واليابان وألمانيا) على منطقة أوراسيا(٢٣).ويخلص هؤلاء الى أنه قد يكون من المطلوب إخضاع التدخل الأمريكى لمنطق الاختيار تبعاً لدرجة تأثر المصالح القومية، لكن من غير المتيسر أو المطلوب الترويج لعزلة تنتهى إلى ألا تصبح أمريكا هى الأولى أو الثانية أو حتى الثالثة (٢٤).

ومن واقع التمييز بين تقليص المسئولية الدولية الأمريكية وبين إلغائها تبرز القضية الثانيةالخاصة بتحديد شكل التدخل الأمريكى فى بؤر التوتر والصراع. أحد الاتجاهات يتحدث عن ظاهرة القطب الأوحد، ويتوقف طويلاً عند مقولة نهاية التاريخ لفوكوياما (٢٥)، ويجد المستقبل مهيأ تماماً لفرض صيغة السلام الأمريكى Pax Americana ويخلص الى أنهم -أى الأمريكيين- جديرون بمقعد خاص على المنضدة الرئيسية للشئون الدولية» (٢٦). البعض الآخر يحمل بشدة على هذا التصور ومدخله الى ذلك هو التمييز بين القوة الحادة أو الآمرة Hard Power وبين القوة الهشة أو الاستهوائية Soft Power، ففى رأيه أن الولايات المتحدة تحولت من كونها قوة قادرة على إجبار الآخرين على فعل ما تريده باستخدام الوسائل الاقتصادية والعسكرية، الى كونها قوة تكتفى بإقناع الآخرين بفعل ماتريده بفضل انتشار ثقافتها وممارسة نفوذها فى المؤسسات الدولية (٢٧). ومن هنا، وكما أن التاريخ تجاوز فكرة نهايته التى أتاها هيجل وكوچيف من قبل، لعدم انطباقها على فرنسا النابليونية وأوربا فى الحرب العالمية الثانية، فإنه قادر أيضاً جسب هذا الاتجاه-على نقض فكرة فوكوياما وإثبات أنّ الحرب الباردة هزمت طرفيها (٢٨).

ولعل الملاحظة الأخيرة قد حدت بالبعض إلى الحديث عن وجود مؤشرات لبدء تبلور قراءة

جماعية أو كونشرتو للقوى Concert of powers يجمع الولايات المتحدة مع كلٍ من روسيا والجماعة الأوربية والصين واليابان، كما دفعت به إلى وضع مجموعةمن الشروط اللازمة لاستمرار هذا التحالف المركزى وأهمها المسئولية المشتركة، والتوافق الأيديولوجى، ورفض الحرب، والتوسع الاقليمى (٢٩). أما البعض الآخر، فلقد ميز بين أبعاد مختلفة للقيادة الكونية، أهمها البعد العسكرى وتجسده الولايات المتحدة وروسيا، والبعد الاقتصادى ويجسده الشركاء الآخرون فى أروبا وآسيا. والتصوران حقا استهدفا بالنقد سواء لكونهما غفلا عن أسباب التوتر الكامنة فى علاقة الولايات التحدة بشركائهاالجدد والقدامى، أو لأنهما افترضا الفصام بين القدرة الاقتصادية للدولة وأساسها الاقتصادى (٣٠). ومن نفس المنظور أى فكرة القيادة الجماعية فى المرحلة مابعد الحرب الباردة، تحدث البعض عن قيادة الأمم المتحدة بعد أن تزايد الاقتناع بإعمال الشرعية الدولية ومناطها قرارات المنظمة العالمية. لكن تحجيم -وربما غياب- دور الأمم المتحدة فى القضايا تلك المرحلة كالأزمتين اليوغوسلافية والصومالية والصراع العربى- الإسرائيلى فضلاً عن أزمة وحرب الخليج الثانية، لفت الانتباه إلى أن تعزيز دور المنظمة فى حفظ السلم والأمن الدوليين رهن بتعديل واسع النطاق لأسلوب العمل بها (تعقيد إجراءات استخدم الفيتو، توسيع عضوية مجلس الأمن، عدم اختصاص الولايات المتحدة وروسيا بكبريات المناصب، إدخال نظام الصوت الموزن فى الجمعية العامة، تطوير الوكالات المتخصصة)(٣١). وحتى ذلك الحين تحتفظ الولايات المتحدة لنفسها فى قرارات الأمم المتحدة بفصل القول.

من واقع ماسبق نخلص الى استحالة العزلة الأمريكية، كما نخلص الى أنه زغم فقدان الولايات المتحدة لبعض مميزات تفوقها النسبى لحساب بعض الدول الصاعدة، إلا أن الحساب الختامى لمجمل عناصر القوة الأمريكية يحتفظ فى حدود الأمد المنظور بمسافة بين الولايات المتحدة وسواها من الدول، وهذا هو جوهر الاختلاف بين الحديث عن الولايات المتحدة كقطب أوحد والحديث عنها كقطب أعظم.

مثل هذا الوضع يؤثر على تشكيل حدود العلاقة بين الدولة الأعظم فى العالم وبعض الدول الطامحة الى لعب دور أكبر فى محيطها الاقليمى مثل كوريا الشمالية وأيران. وفى واقع الأمر،فإن هناك جملة من الموضوعات الخلافية فى العلاقة الأمريكية-الايرانية تزيد فى

حساسيتها الأهمية الاستراتيچية لمنطقة الخليج والنتائج التى ترتبها هيمنة دولة إسلامية ثورية مثل إيران عليها. أحد تلك الموضوعات هو الموقف من الارهاب، وتعبير الارهاب يستخدم فى هذا الشأن للدلالة على دعم حركات الاسلام السياسى (المتطرفة)، ورفض النهج السلفى لتسوية الصراع العربى-الاسرائيلى. كذلك فإن من الموضوعات الخلافية فى العلاقة بين البلدين التسلح الايرانى (لاسيما التقليدى) على نحو تراه الولايات المتحدة يخرج من حيِّز الحدود القومية إلى نطاق تهديد حدود دول الجوار العربى. وأخيراً فإن هناك قضية حقوق الانسان الايرانى التى تكتسب أهمية مضافة فى عالم يتخذ له واجهة ديمقراطية.

ولقد عبرت العديد من الوثائق الصادرة فى عهد چورچ بوش عن الاستراتيچية الأمريكية المرشحة للتعامل مع التهديد الايرانى المحتمل لمنطقة الخليج، سواء من خلال تسميته صراحة أو بالإشارة اليه من طرف خفى. وفى هذا الخصوص، صدرت عن وزارة الدفاع الأمريكية فى عام ١٩٩٢ وثيقتان مهمتان، عددت أولاهما مناطق التوتر الراهنة والمحتملة وجعلت منطقة الخليج والشرق الأوسط منها بمنزلة القلب، وأكدت على حق الولايات المتحدة فى منع أى تحدٍ من قِبل «أى قوة عدوانية»، كما أيدت حقها فى اتخاذ الوسائل المناسبة لحماية مصادر النفط والممرات المائية (٣٢). أما الوثيقة الثانية فقد تضمنت "سيناريوهين" لأزمتين إقليميتن ربما تعرضت لهما الولايات المتحدة، ووضعت تصورها لكيفية التصرف حيالهما. كانت إحدى الأزمتين هى اجتياح كوريا الشمالية لكوريا الجنوبية فى عام ١٩٩٣، وكانت الثانية هى محاولة قوة معادية -لم تحدد- للسيطرة على منابع النفط وموانىء الخليج فى عام ١٩٩٩. وفى هذه الحالة الأخيرة اقترب الحل الأمريكى لفض الأزمة من نظيره المتبع فى «عاصفة الصحراء» (٣٣).

وعندما تولت إدارة كلينتون السلطة فى الولايات المتحدة كان ذلك إيذاناً بإضافة المزيد من أسباب التوتر للعلاقة الأمريكية- الايرانية. فالديمقراطيون ذوو خبرة سيئة فى التعامل مع ايران منذ اندلعت أزمة الرهائن الأمريكيين وأطاحت بإدارة الرئيس چيمى كارتر. وفى هذا السياق، أتت التصريحات والتقارير الصادرة عن المسئولين الرسميين لتعبر عن اللدد فى الخصومة الأمريكية تجاه ايران، وتعاود الإلحاح على محاور الخلاف الثلاثة: الإرهاب والتسلح وحقوق الإنسان. فبعد أقل من شهرين من تسلم بيل كلينتون لمقاليد السلطة، صرح توماس مكنمارا منسق مكافحة الإرهاب فى وزارة الخارجية الأمريكية بأن ايران هى أخطر «الدول

الداعمة للإرهاب»(٣٤). وانعكس ذلك فى التقرير السنوى الصادر عن وزارة الخارجية حول الإرهاب فى العالم حيث ورد أن «ايران كانت الدولة الراعية للارهاب الأكثر خطورة خلال عام» (٣٥). كذلك أدان وارن كريستوفر وزير الخارجية الأمريكية إيران ووصفها بأنها «دولة خارجة على القانون الدولى» نسبة الى علاقتها بحركات الاسلام السياسى «المتطرفة» وتصميمها على حيازة أسلحة الدمار الشامل (٣٦).

تزامن مع ذلك ورافقه التهديد الأمريكى بفرض عقوبات تجارية على إيران (٣٧)، وتجميد ٢٢ مليون دولار قيمة ممتلكاتها العقارية (٣٨)، فضلاً عن كيل الاتهامات لأعوانها بتدبير أعمال تخريبية داخل الولايات المتحدة أهمها تفجير مركز التجارة العالمى بنيويورك (٣٩). وبطبيعة الحال، فإن تماس المصالح الاسرائيلية مع تضيق الخناق على حركة المقاومة الاسلامية فى الاراضى العربية المحتلة قد حدا بالمسئولين الاسرائيليين الى إذكاء الحملة الأمريكية ضد إيران «وسلفيتها الاسلامية الداعمة للإرهاب فى الشرق الأوسط» (٤٠).

رغم أن التحليل السابق يفضى إلى نتيجة منطقية مؤداها إخضاع السلوك الايرانى لنوع من المراقبة الأمريكية الدقيقة فى مناطق متعدده، إلا أنه من الأهمية بمكان الإشارة الى وجه أو جانب آخر من الاستراتيجية الأمريكية فى الشرق الأوسط، يتمثل فى تخويل إيران قدرا محسوبا من حرية الحركة للتعبير عن طموحاتها الاقليمية وإيهامها القدرة على التحدى الجزئى للإدارة الأمريكية، وهذا مبرر كافٍ لتكثيف وتحديد الوجود العسكرى الأمريكى فى منطقة الخليج. إن تغيير الطبيعة القانونية لجزيرة أبى موسى الاماراتية، والسكوت على الانتهاك الايرانى للسيادة العراقية المرة تلو الأخرى، يدخل فى باب تشجيع ايران على عرض القوة وتوظيفه أمريكياً لابتزاز الدول الخليجية. بقول آخر، إذا كانت الاستراتيجية الأمريكية تجاه إيران تحدو حكامها إلى اتباع سياسة عقلانية فى مجالها الحيوى، فإنها فى ذات الوقت تستثير حماستهم للتمدد الجغرافى واعادة بناء القوة الاقليمية لدولتهم. أكثر من ذلك، يوجد ثمة اتجاه آخر فى التحليل يشير إلى بواكير تبلور تنسيق أمريكى-إيرانى مشترك يفسره كل من الطرفين حسب هواه ويوظفه لما يخدم صالحه فى منطقة الخليج. سند هذا المنطق فى التحليل وجود سابقة لمثل هذا التنسيق الثنائى بعد الثورة من خلال ما عُرِف باسم «ايران جيت»، فضلاً عن أن هناك خطأ فى القيادة الدينيه السياسية المزدوجة لايران (على خامنئى المرشد العام

وهاشمي رافسنجاني رئيس الجمهورية) لايمانع في استئناف العلاقة مع الولايات المتحدة رغم هجومه بين حين وآخر على «الاستبداد الدولي» (٤٤). مثل هذا الخط أو الاتجاه يقف في وجه التيار المتصلب المضاد الذي يتزعمه بعض منفذي عملية احتلال السفارة الأمريكية، والذي لايعارض فقط استئناف العلاقة مع الولايات التحدة بل هو يحرض على العودة مجدداً لأسلوب اختطاف الرهائن الأمريكيين (٤٣).

٣ - التفاعل بين قوى الدمج (النظام) والتفكيك (الفوضى)

في تقدير مستقبل التفاعل بين قوى االدمج والتفكيك في عالم مابعد الحرب الباردة وردت وجهتا نظر أساستيان، أولاهما جسدتها مدرسة الاعتماد المتبادل، وذهبت إلى أن «ملامح عصر القرية العالمية الكبيرة» أخذت تتبدى لعيوننا و يقوى الواحد منها تلو الآخر.ففي الاقتصاد، ظهرت مجموعة الدول الصناعية السبع لتكون بمثابة مجلس إدارة العالم الاقتصادي، وتزايد البورصة في تدوير ونقل الثروات عبر الحدود الدولية، وظهرت النقود البلاستيكية أو الكروت الائتمانية لتكون أداة التعامل- البيع والشراء، ونشأت التكتلات الاقتصادية الضخمة في أوربا كما في الأمريكتين. وفي العلم والمعرفة انسابت المعلومات من منابعها الى مناطق لاعهد لها بها بفضل التطور المذهل في وسائل الاتصال، وأعيد تعريف مفهوم الصناعة الشاملة بالانتشار الواسع للمُنْتَج متعدد الجنسيات. وفي الساسية، اختلفت الدلالات التقليدية لمفاهيم الدولة والسيادة وعدم التدخل، واكتسبت الجماعة الدولية حق التدخل في حالات سوء استخدام البيئة وحيازة أسلحة الدمار الشامل وانتهاك حقوق الانسان(٤٤). وعلى رغم أن تطورات الاتحاد السوفيتي أتت لتقدح في مصداقية هذا الاتجاه على إطلاقه، إلا أن أنصاره لم يتورعوا عن التعامل مع تلك التطورات على أنها مرحلة مؤقتة تمهد لإعمال آليات التشابك العميق بين الجمهوريات السوفيتية الخمس عشرة وتقيد تكوين رابطة اتحادية أقوى(٤٥).

أما وجهة النظر الثانية فمثلتها لنا مدرسة الصراع، وتلك لم تجد في انتهاء الحرب الباردة غير انتهاء لشكل معين من أشكال صراع القوة يمهد لمرحلة جديدة يستأنف فيها الصراع حول قضايا جديدة بوسائل من نوع مختلف. وحسب تلك المدرسة، ان القومية تعد هي الخطر الأكبر

الذى يتهدد عالم اليوم بعدما ظلت مشاعر الخوف المتبادلة بين الشرق والغرب وتوابعهما تلعب دور الكاتم للصراعات القومية. يصدق ذلك على مستوى الدولة الواحدة حيث تفككت الروابط السوڤيتية واليوغوسلافية والتشيكوسلوڤاكية، والتهبت صراعات الفلمنج والوالون فى بلچيكا، والبيض والملونين فى الولايات المتحدة، واحتدت مشكلة الباسك فى أسبانيا وكويبك فى كندا وأيرلندة الشمالية فى بريطانيا، وتنامت المشاعر القومية داخل المجتمع اليابانى وتمردت على التغلغل الأمريكى فيه كما فى المجتمعين الفلبينى والكورى الجنوبى. كما يصدق ذلك أيضاً بالقدر نفسه على مستوى العلاقات بين الدول، فالمشاكل القديمة دأبها دأب الأصدقاء القدامى والذكريات القديمة تعاود الظهور من حين لآخر (٤٦). ولذلك فلقد نشطت العداوات القومية القديمة فى الشرق بين رومانيا والمجر، وبين أرمينيا و أذربيچان، وبين تركيا وإيران، كما نشطت فى الغرب بين فرنسا وألمانيا وبين فرنسا وبريطانيا. وحسب هؤلاء، تعد القضية اليوغوسلافية نموذجًا واضحاً لفوضى مابعد الحرب الباردة، فهى تعكس حالة الانفلات أو الفوران فى المشاعر القومية من جانب، كما تعكس ظاهرة التصارع على «الدور» وغموض مفهوم هذا الدور نفسه من جانب آخر، فالخلفاء الغربيون يختلفون فى تقييم حجم الخطر الذى تمثله تلك القضية على مصالحهم القومية، ويتجاذبهم الشعور بالمسئولية الأخلاقية مع الحذر من التورط، ويتجسد ذلك كله فى توزعهم مابين الآليات السلمية والخيار العسكرى (٤٧). والخلاصة حسب رأى هؤلاء هى أننا مقبلون على عالم أكثر فوضىً وأشد توحشاً من أى وقت مضى، تشتعل فيه الحروب التجارية بين دوله ولاضابط، ويزيد لهاثه وراء سياسات القوة فى كل مكان، ويُرَشّح الشرقان الأقصى والأوسط ليمثلا معا «مثلث الأزمات» وذلك من دون الحديث عن أوضاع الجمهوريات السوڤيتية السابقة (٤٨).

مثل هذا التفاعل بين الدمج والتفكيك له دلالاته العميقة على إيران، فهى تحترز من من تحريك الأقليات فى دول جوراها العربى مخافة أن تكون هى ذاتها هدفاً لعوامل تفكيك من نفس النوع. يساعد على ذلك أن ايران تتمتع بدرجة عالية من التعددية الاجتماعية، فمن بين حوالى ٦٠ مليون نسمة أكثرهم من الفرس الشيعة توجد أقلية سنية تتراوح نسبتها بين ١٠و١٤٪ من إجمالى السكان وتتوزع على العديد من القوميات أهمها العرب، والأكراد، والبالوش، والتركمان. ويزيد فى تعقيد هذا الوضع عاملان، أحدهما هو أن تلك الأقليات

تتمركز بالقرب من حدود إيران مع جيرانها الآسيويين عرباً وغير عرب. فالبالوش يقطنون على الحدود مع باكستان، والأكراد على الحدود مع العراق وتركيا ، والعرب على مقربة من سلطنة عمان، والتركمان بجوار الاتحاد السوفيتى السابق. وإلى كل هؤلاء تضاف أقلية مسيحية أرمينية أساساً وإن كانت قد أخذت تتناقص بشكل تدريجى (٤٩). أما العامل الآخر المهم فهو أن الأقليات داخل إيران تعانى من المعاملة التمييزية ضدها ، وهى المعاملة التى انعكست بوضوح على أنصبتها من الخدمات العامة كالتعليم والصحة، وعلى طبيعة المهن التى تزاولها سيما بعد فقدانها لاستقلالها الاقتصادى واندماج ايران فى الاقتصاد العالمى، كما انعكس بذات الدَرجة على وضعها السياسى من حيث تدنى نسبة مشاركتها فى السلطة التنفيذية وفى مجالس شوراها هى ذاتها (٥٠). وعكست وثيقة مهمة صادرة عن المجلس الأعلى للأمن القومى -أرفع سلطة فى إيران -طبيعة المخاوف التى تساورالنخبة الحاكمة هناك من احتمالات نشاط الأقليات القومية وإمكانية استغلالها بواسطة القوى الخارجية، مشيرة إلى انتهاء الحرب العراقية-الايرانية التى يطمس استمرارها الخلافات القومية، ومنوهة لأثر الانهيار السوفيتى على زوال الرغبة فى الاحتفاظ «بإيران المتحدة القوية» (٥١).

وعلى صعيد آخر، فإن البعد الادماجى أو النظامى كان له تأثيره الإيجابى بدوره على السياسة الايرانية تجاه المنطقة العربية بدفعه إيران للبحث عن أطر أوسع للتكامل الإقليمى. وفى هذا الخصوص ذكر حسن حبيبى نائب رئيس الجمهورية الايرانى صراحة أن «هناك ارتباطاً بين الأوضاع الاقليمية والمستجدات الدولية لأن مايجرى حولنا مثل الوحدة الأوروبية يدفعنا إلى التفكير والعمل لمجاراه مايحدث، والتفكير فى إقامة سوق إسلامية مشتركة، ونحن نطور علاقاتنا الاقتصادية مع سوريا من هذا المنطلق»(٥٢). وزاد فى وجاهة هذا الاتجاه تلاقيه مع الحاجة لإعادة بناء الاقتصاد الايرانى بعدما عانت البلاد عشية وفاة الخومينى من أزمة اقتصادية حادة، تمثلت مؤشراتها فى ارتفاع معدلات التضخم (بين ٤٠ و٥٠٪)، وزيادة أسعار السلع الأساسية (حوالى ١٥ ضعف قيمتها عام ١٩٨٨) وتفاقم مشكلة البطالة(٥٣).

٤ - حرب الخليج الثانية.

وأخيراً جاءت حرب الخليج الثانية لتكون بمثابة المختبر لمختلف التطورات السابقة. فقد كانت تلك الحرب فى تصور البعض علامة على تفرد الولايات المتحدة بالقيادة الكونية، من

حيث إنها أظهرت القدرة الأمريكية على حمل المجتمع الدولى على تصعيد عقوباته ضد العراق إلى مستوى إعلان الحرب، بينما كانت أطراف دولية أهمها فرنسا والاتحاد السوفيتى آنذاك أكثر ميلاً للتسوية السلمية. كذلك سجّلت حرب الخليج الثانية نجاح الولايات المتحدة فى توسيع نطاق التفويض باستخدام القوة من مجرد إخراج العراق من الكويت إلى تدمير الآلة العسكرية والبنية التحتية العراقية ذاتها.

البعض الآخر وجد فى تطورات أزمة وحرب الخليج الثانية مظهراً جديداً من مظاهر تضعضع القوة السوفيتية بعد رصده لكثافة وفعالية التحرك الأمريكى مقارنةً بنظيره السوفيتى، وذلك أنه بينما نشطت الولايات المتحدة على مستوى التنسيق مع الوحدات الدولية الأخرى، وتقدمت بمبادرات للتسوية، وانتهت الى شن هجوم عسكرى واسع ضد العراق، اقتصر الدور السوفيتى على المستويين الأول والثانى فقط وتَقَيد -فى إطارهما- السلوك الأمريكى. بيد أن الملاحظة محل الاعتبار هى أن هذا الفريق لم يقرن بالضرورة بين غروب شمس القطبية الثنائية وبزوغ عصر القطب الأوحد، ففى رأيه أن الحرب كشفت عن اضطرار الولايات المتحدة الى الاعتماد على القوة الاقتصادية لحلفائها الغربيين من أجل استعراض قوتها العسكرية، وتبنت لهذا الهدف شعاراً هو «تقاسم الأعباءBurden Sharing». وفى هذا السياق، انطلق وزير الخارجية الأمريكية السابق چيمس بيكر فى جولة زار فيها دول أوربا الغربية والخليج فى سبتمبر ١٩٩٠، كما توجه وزير الخزانة نيكولاس برادى الى منطقة الشرق الأقصى فى الشهر نفسه، ومر كل منهما بقبعته على الحلفاء الممتلئين ما لأ على حد تعبير مجلة النيوزويك من أجل تمويل العسكرية و تعويض المتضررين(٥٥).

فضلاً عما تقدم، وجد البعض أن حرب الخليج الثانية عكست من زاوية معينة التفاعل بين عوامل الدمج والتفكيك، فواقعة الغزو فى حد ذاتها كانت تعبيراً عن الرؤية الادماجية ولو بأسلوب القوة الذى لم يعد يسيغه منطق التسعينات. كذلك فإن اندماج العراق فى السوق الدولية مكنه من التزود بالتكنولوچيا العسكرية وتنفيذ اعتدائه، وفى نفس الوقت فإن اعتماد العالم على نفط الكويت فسر سرعة تكوين التحالف الدولى كما فسر الى حد بعيد عنف الرد العسكرى. وفى المقابل، فإن فوضى مابعد الحرب الباردة وتشتت انتباه القطبين فى النصف

الأول من عام ١٩٩٠ قد حال حسبما يرى البعض دون التفاتهما معاً لخطورة الأوضاع فى منطقة الخليج حتى انتهت إلى ماهو معلوم فى الثامن من أغسطس (٥٦).

وفيما يتعلق بانعكاسات أزمة وحرب الخليج الثانية على العلاقات العربية-الايرانية، فإنه يمكن اعتبارهما معاً بمثابة القاطرة التى أعادت إيران الى العالم العربى بعد سابق عزلها أو انعزالها زمن الخومينى. فلقد وقعت الأزمة ولما يمض على قبول إيران لقرار وقف إطلاق النار مع العراق فى عام ١٩٨٨ أكثر من عامين اثنين، وهذا التوقيت فرض استحالة مادية على إمكانية دعم العراق حتى بعدما اتضح البعد الدولى للواقعة. فمن جانب، كان الغزو ينعش فى الذاكرة الجماعية الايرانية خبرة الماضى القريب بكل مرارتها. ويشبه البعض وضع إيران آنذاك بوضع فرنسا عام ١٩٢٠ مشيراً إلى أنه مثلما كان يستحيل على المنطق الفرنسى أن يسيغ حرباً إلى جوار ألمانيا فإنه كان يستحيل على المنطق الايرانى أن يفعل الشىء نفسه مع العراق. ومن جانب آخر، فإن إيران كانت لها مشكلة اقتصادية على ماسبق، وكانت تراهن فى حلها على مساعدة العالم فما كان لها بانحيازها للعراق أن تنسف جهوداً بدأتها لتوها و وضعتها على أول الطريق الصحيح (٥٧).

ولقد تمثلت البراعة السياسية للرئيس هاشمى رافسنجانى فى قدرته الفائقة على مقاومة الضغوط الداخلية من أجل توريط بلاده فى الحرب إلى جانب العراق. واستفاد فى ذلك ليس فقط من الانقسام بين الموصوفين بالتشدد والموصوفين بالاعتدال، ولكن كذلك من الانقسام بين دعاة التشدد أنفسهم وترددهم ما بين الحماس لتكوين « تحالف استراتيجى إسلامى بين الدول العربية وإيران» (صادق خلخالى) (٥٨)، وبين رفض بذل الحرس الثورى لنقطة دم واحدة ليحصل صدام على منفذ على الخليج الفارسى (أحمد الخومينى) (٥٩). وفى تلك الظروف، وسع رئيس الجمهورية الايرانية أن يرد فتوى مرشدها العام (على الخامنئى)التى ذهبت الى اعتبار أن الكفاح ضد العدوان والأطماع والمآرب السياسية الأمريكية فى الخليج الفارسى سيدخل فى عداد الجهاد فى سبيل الله (٦٠). وأوضح رافسنجانى أن الحكومة العراقية استبدادية، وأن طرفى حرب الخليج يقاتلان من أجل قضية غير عادلة (٦١)، كما تمسك بحياد بلاده رافضاً فكرة إرسال قوات إلى السعودية أو حتى السماح لبعض المتطوعين الباكستانيين بالقتال مع العراق مروراً بأراضيه. ولكن فى نفس الوقت، حرص رافسنجانى على عدم المغالاة فى استفزاز

المشاعر الدينية لجموع الإيرانيين، فربط استمرار الحياد بعدم تدخل إسرائيل فى الحرب أو قصف قوات التحالف للعتبات الشيعية المقدسة، وسمح بتزويد العراق بالمعونات الغذائية والطبية، بل وفتح مطاراته لاستقبال الطائرات الناجية من الدمار (٦٢).

ثانيا أنماط التفاعل الايرانى - العربى

من واقع الاختلاف فى وجهة و مسار التطورات الدولية ، وجمعها الشىء وضده فى آنٍ معاً، أتت التفاعلات الايرانية -العربية على نفس الشاكلة. بمعنى أن بعض القضايا (التعاون الاقتصادى) كانت نموذجاً صافياً للتنسيق بين الجانبين، والبعض الآخر منها (الحركات الاسلامية والصراع العربى -الاسرائيلى)غلب عليه التوتر والاضطراب، أما البعض الثالث والأخير (أمن الخليج)فقد جاء مجملا بعناصر شتى منها الإيجابى ومنها السلبى. ولعل مما ساعد فى تكريس تلك الظاهرة، هو أن استراتيجية واحدة لم تنتظم علاقة العرب بالايرانيين، بل أخضعت تلك العلاقة للظروف الخاصة بكل دولة عربية على حدة وطبيعة رؤيتها لمصادر تهديد أمنها القومى. برز ذلك أثناء حرب الخليج الأولى عندما توزعت دول مجلس التعاون الخليجى على سبيل المثال مابين تقديم الدعم المادى والعسكرى الكامل للعراق (مثل الكويت)وبين الاحتفاظ بعلاقات دبلوماسية مع إيران والعمل كمعبر أساسى لتجارتها (مثل دبى)وبين ممارسة دور الوساطة بين الطرفين (مثل سلطنة عمان). وأبلغ من ذلك أثراً كان اختلاف عناصر نفس الكيان الاتحادى فى مواقفها من ايران، فعلى حين أيدت دبى ورأس الخيمة الجانب الايرانى فى الحرب، وقفت إمارة أبى ظبى فى الجانب المضاد (٦٣).

واستمرت تلك الظاهرة فى أعقاب حرب الخليج الثانية، فإذا علاقة إيران بدولة كالسودان تتوطد بسرعة فائقة وتنتقل من المجال الاقتصادى الى المجال العسكرى، وإذا علاقتها بدولة أخرى مثل سوريا تكتسب المزيد من الأبعاد الايجابية وتثبت قدرتها المتجددة على التكيف والتلاؤم مع مستجدات الواقع الاقليمى، و إذا علاقتها بدولة كالجزائر تتدهور وتنتقل من سيىء الى أسوأ. وفيما يلى عرض لأهم القضايا موضوع التفاعل بين العرب وإيران بعد حرب الخليج الثانية.

١- التعاون الاقتصادى

مثلث عودة العلاقات الدبلوماسية بين الدول العربية وإيران مقدمة منطقية لتطوير علاقاتها الاقتصادية. وإذا كانت الكويت فى طليعة الدول العربية التى استأنفت علاقاتها الدبلوماسية مع إيران بعد قبولها قرار رقف إطلاق النار فى اغسطس ١٩٨٨، فإن المملكة المغربية كانت هى آخر دولة تستعيد علاقاتها مع إيران فى ديسمبر ١٩٩١. وعلى مدار ثلاث سنوات هى الفاصلة بين الحدثين، جرت مياه كثيرة من تحت الجسور، ووسع إيران أن تتغلب على بعض العقبات الرئيسية فى هذا الخصوص ومنها العقبة العراقية. ففى أعقاب الزيارة التى قام بها طارق عزيز وزير الخارجية العراقى الى طهران فى سبتمبر ١٩٩٠ تقرر استئناف العلاقات الدبلوماسية بين البلدين. كذلك كانت السعودية تمثل عقبة أخرى منذ قطعت علاقاتها مع إيران ١٩٨٧ فى أعقاب اضطرابات الحرم المكى، غير أن الدولتين اتفقتا على إنهاء قطيعتهما وإعادة علاقاتها فى مارس ١٩٩١. وأقدمت السعودية كنوع من إثبات حسن على السماح لـ ١١٥,٠٠٠ إيرانى -أداء فريضة الحج فى العام نفسه، وتلك نسبة تربو على ضعفى نظيرتها (٤٥,٠٠٠ حاج)التى كانت السعودية قد حددتها من قبل لايران وأثارت حفيظة مسئوليها[٦٤].

أما العقبة المصرية فقد استعصت على إيران، وظلت تحول دون التطبيع السياسى والاقتصادى الكامل لعلاقاتها الدول العربية. وفى واقع الأمر، فإن مصر كانت نموذجاً لبعض الدول (هى على وجه التحديد إسرائيل وجنوب افريقيا والولايات المتحدة)التى قطعت إيران الثورة علاقاتها معها بمقتضى فتوى صادرة عن الخومينى وقيدتها من ثم طيلة حياته.أما وقد رحل الامام، فلقد انفتح الباب أمام تغيير هذا الوضع إعمالاً للقاعدة الشيعية المستقرة التى تقدم تقليد (أو فتوى)المرجع الحى على تقليد المرجع المتوفى، وبدا لبعض الوقت أن مؤشرات التفاهم الضمنى بين البلدين أثناء أزمة الخليج الثانية يمكن لها أن تستمر بعدهما. وفى هذا السياق، هدأت الحملات الاعلامية بين مصر وإيران، واتفقت الدولتان على إعادة فتح مكتب لرعاية مصالحها كل فى عاصمته فى ٢٦ فبراير ١٩٩٢ (٦٥). ولكن عندما تم التوصل الى إعلان دمشق بعد ذلك بشهر واحد، أذِن للعلاقات المصرية -الايرانية أن تتخذ مساراً آخرعلى ماسوف يتبين لاحقاً.

وفى معرض تقويم التطور الإيجابى فى العلاقات العربية -الايرانية، يلاحظ أن منطقة الخليج بوصفها المجال الحيوى لايران مثلت المختبر الأول لهذا التطور، وأتت القمم الخليجية المتعاقبة لتشدد على أهمية تطوير التعاون مع إيران، وتعبر من ثم تغير فى طبيعة النظرة إليها من كونها خطراً محتملاً يتهددها الى كونها جاراً رئيسياً يمكن بل ينبغى التعايش معه سلمياً.فلقد أشارت قمة الدوحة فى ١٩٩٠ الى أهمية «التعايش السلمي المستمد من روابط الدين والتراث التى تربط بين دول المنطقة». وأدخلت قمة الكويت فى ١٩٩١مبدأ النسبية فى العلاقات الخليجية -الايرانية، وتركت لكل دولة حرية إبرام ماتشاء من معاهدات تعاون ثنائى إيماناً بوجود «تفاوت فى العلاقة بين كلٍ من دول المجلس وإيران بحكم طبيعة المصالح القائمة بينها». أكثر من ذلك، فإن قمة أبى ظبى التى انعقدت فى ١٩٩٢ فى ظل أجواء الخلاف العربى -الايرانى على جزيرة أبى موسى أكدت على أهمية «تطوير العلاقات بين الجانبين» و «تعزيز الثقة المتبادلة» (٦٦).

وشهدت المعادلات التجارية الخليجية -الايرانية دفعة قوية زيدت بمقتضاها قيمة واردات إيران من دبى من ٤٢٧ مليــون دولار فى ١٩٨٩ الى ٥٢٠ مليــون دولار فى ١٩٩٠، وفي المقابل بلغت قيمة الواردات البحرانية من ايران فى النصف الأول من ١٩٩١ حوالى ٩,٢ مليون دولار مقارنة بـ٦,٦ مليون دولار على مدار عام ١٩٩٠(٦٧).

لكن ارتفاع حجم التجارة البينية الخليجية -الايرانية لم يكن هو الشكل الوحيد لنمو العلاقات الاقتصادية المتبادلة بين الطرفين، ولاكان النطاق الخليجى على أهميته يمثل الوعاء الوحيد لنمو العلاقات الاقتصادية بين العرب وإيران. فعلى المستوى الأول، شكلت صيغة المشروعات المشتركة واحدة من أبرز مظاهر التعاون الايرانى -الخليجى، وكان أهمها على الإطلاق ذلك المشروع الذى عُرِّف باسم «الأنبوب الأخضر» والذى يقضى بتوصيل مياه الشرب من نهر قارون جنوب إيران الى دولة قطر عبر خط أنابيب ضخم يبلغ طوله ١٨٠٠كم. ويمثل هذا المشروع بديلاً لنظيره التركى «مشروع مياه السلام» الذى يهدف الى سحب فائض المياه من نهرى «سيهان» و«چيهان» جنوب تركيا وتوصيله الى دول مجلس التعاون الخليجى مروراً بسوريا والاردن (٦٨)، ومن تلك الزاوية، فإنه يعكس أحد أبعاد التنافس التركى -الايرانى بعد حرب الخليج الثانية سواء فى المنطقة العربية أو فى نطاق الشرق الأوسط. وعلى صعيد آخر،

قامت إيران - بالتعاون مع سلطنه عمان بمد بحرى فيما بينهما تسهيلاً لتدفق الأشخاص والسلع التجارية، كما ساندت السلطنة فى المجلس التعاون المشروع الايرانى الخاص بمد خط للسكك الجديدية يربط طهران بدول آسيا الوسطى [٦٩]. بل إن موضوع النفط الذى يعتبر أحد الموضوعات الشائكة فى العلاقات الخليجية -الايرانية خاصة مع زيادة ايران حصتها النفطية المقررة (من ٦ ,٣ الى ٩ ,٣ مليون برميل يومياً)[٧٠] لمواجهة أزمتها الاقتصادية، هذا الموضوع تجنبت إيران أن يصبح سبباً فى وقوع مواجهة حادة داخل منظمة الأوبك. وفى هذا السياق، قامت ايران خلال النصف الأول من عام ١٩٩٣ بخفض حجم الزيادة عن حصتها المقررة من ٠٠٠ , ٣٠٠ برميل الى ٠٠٠ , ١٧٠ برميل يومياً [٧١].وارتبطت بذلك محارلة ايران جعل النفط مجالاً من مجالات التعاون المشترك مع دول الخليج، بدأ ذلك بإسهامها فى إطفاء الحرائق المشتعلة فى آبار النفط الكويتية فور انتهاء حرب الخليج الثانية [٧٢]، واستمر من خلال الاتفاق على مقايضة نفطها الخام بمشتقات النفط الكويتى [٧٣].

أما على المستوى الثانى الذى يعبر عن التطور الإيجابى في العلاقات العربية -الايرانية خارج النطاق الخليجى، فلقد جرت مشاورات ايرانية -مغربية -تونسية من أجل تطوير التعاون الزراعى والصناعى بين الدول الثلاث [٧٤]، ووقعت ايران مع تونس تحديداً على اتفاق لاستيراد كميات من الفوسفات منها بمبلغ وصل الى ٧٠ مليون دولار [٧٥]. وتعهدت ايران أثناء زيارة وزير خارجيتها على أكبر ولاياتى لبيروت فى يونيو ١٩٩٢ -بالمشاركة فى عمليات البناء والإعمار، وفى نفس الوقت واصلت جهودها لإطلاق سراح الرهائن الغربيين وهو الشرط الذى ربط به تقديم المساعدات الخارجية للبنان [٧٦]. أما العلاقات الايرانية -السودانية فقد كانت بحق هى الأكثر تطوراً مماعداها، كما كانت الأكثر إثارة للجدل من حولها. فمع أول زيادة من نوعها يقوم بها رئيس الجمهورية الاسلامية للسودان فى ديسمبر ١٩٩١ أعلن عن توقيع اتفاق ثنائى متعدد الجوانب بين البلدين، وشمل هذا الاتفاق بين ماشمل مقايضة النفط الايرانى باللحوم والمنتجات الزراعية السودانية، كما نص على إنشاء خطوط ملاحية لاستيعاب التوسع المتوقع فى تجارة البلدين، فضلاً عن تضمنه التزام إيران بالمشاركة فى بعض المشروعات الاستثمارية السودانية مثل إنشاء خزان حمداب لتوليد الكهرباء ومصنع للسكر فى كنانة. ومن جهة أخرى، تردد أن ثمة جوانب غير معلنة فى الاتفاق السودانى -الايرانى تضمنت تعهد

ايران بدفع ٣٠٠ مليون دولار للصين لتزويد السودان بأسلحة متطورة لقمع التمرد الجنوبى، وأن شمول الوفد الايرانى الضخم (١٥٠عضواً)لوزير الدفاع جنباً الى جنب مع وزراء التجارة والحكم المحلى.... إلخ قُصِد به تنظيم الجانب العسكرى للاتفاق المشار اليه (٧٧). وفى عام ١٩٩٢ وحده رصدت بعض المصادر تردد ٤٦ مسئولاً ايرانياً على العاصمة السودانية فى إشارة الى توسع العلاقات بين البلدين وتشعبها.(٧٨)

٢- أمن الخليج

أتت السياسة الخارجية الايرانية تجاه الخليج فى ظل رافسنجانى محملة بازدواجية واضحة، فمن ناحية عمدت إيران الى تهدئة بعض القضايا المثارة فى علاقتها بالدول الخليجية. ومن ناحية أخرى، لجأت الى تحريك بعض القضايا الجامدة فى علاقتها بتلك الدول وغذَّتها بأسباب التصعيد، ولذلك فلقد ترددت العلاقات الايرانية مع آحاد الدول الخليجية وعلامها مابين مد وجذر.

نموذج للأسلوب الأول فى التعامل مع دول الخليج جسده الموقف من تثوير الأقلية الشيعية التى أولتها الجمهورية الاسلامية اهتماماً بالغاً فى بدايتها للنهوض بعبء تصدير الثورة. ساعد على ذلك أن شيعة الخليج يمثلون نسباً معتبرة فى بعض دوله (أكثر من نصف سكان العراق)، كما يشهد تاريخهم بكثرة انتفاضهم احتجاجاً على تدنى أوضاعهم الاجتماعية -الاقتصادية (كما هو الحال مع السعودية فى أعوام ١٩٢٥،١٩٤٤، ١٩٤٩،١٩٥٣). لذلك خاطب الخومينى شيعة الخليج داعياً إياهم للإطاحة بنظمهم بقوله «ياأبناء على انهضوا ضد أبناء يزيد»، وتولى تمويل بعض تنظيماتهم (كمنظمة الثورة الاسلامية -الجزيرة العربية داخل السعودية)، بل ومنح بعضها حق ممارسة نشاطه من الأراضى الايرانية نفسها (مثل الجبهة الاسلامية لتحرير البحرين، والمجلس الأعلى للثورة الإسلامى وهو عراقى). وشهد عام ١٩٧٩ وبشكل أوضح مطلع الثمانينيات اندلاع أعمال العنف السياسى فى العديد من دول الخليج، كان بعضها بمثابة رجع لصدى التطورات الداخلية والخارجية للجمهورية الاسلامية (كما فى تفجير شاحنات داخل السفارتين الأمريكية والفرنسية فى ديسمبر ١٩٨٣)(٧٩)، وهو مارحب به بعض آيات الله وعدّوه «أداء للواجب الاسلامى لكونه يدخل فى عداد تصدير الثورة»(٨٠).

بيد أن عاملين اساسيين حملا حكام طهران من بعد على إعادة تقويم موقفهم من تثوير شيعة الخليج، العامل الأول هو موقف شيعة العراق من حرب الخليج الأولى، والذى تبين فيه بجلاء تمييز الشيعة بين معارضتم لنظام حكمهم وبين تمسكهم بهويتهم العربية. ولذلك فلقد انخرط الكثير من الشيعة فى الجيش العراقى وخاضوا الحرب ضد إيران سيما بعد توغلها فى الأراضى العراقية. وتأكد هذا المنحى الوطنى لشيعة العراق مجدداً فى حرب الخليج الثانية رغم اختلاف القضية وتبدل الظروف، فهم وإن عارضوا تلك الحرب لأسباب شتى أهمها احتداد الأزمة الاقتصادية الداخلية، إلا أنهم شأنهم فى ذلك شأن سائر فصائل المعارضة تخوفوا من أن يفقدهم انحيازهم لقوى التحالف حقهم الأخلاقى فى إسقاط النظام مستقبلاً، فإذ ا هم يشاركون فى حركة المقاومة ويتصدون للعدوان الأمريكى (٨١). بقول آخر، لقد استخلصت إيران من خبرة حربين متعاقبتين فى منطقة الخليج، أنه عند التعارض بين الانتمائين الوطنى والمذهبى لشيعة الخليج فإن ولاءهم يكون لمصلحة ماتمليه المصلحة الوطنية.أما العامل الثانى الذى يفسر تغيير الموقف الايرانى فقد كان هو الرغبة فى تحسين صورة الثورة فى العالم الاسلامى بوجه عام والعالم العربى على وجه الخصوص، وذلك أن تركيز الثورة على الشيعة (عرباً وغير عرب، داخل وخارج ايران) قد خلع على سياستها طابعاً طائفياً بعد بها عن قطاع السنة الذى يمثل أكثر المسلمين، وفرض فرز المستضعفين الذين تنتصر لهم الثورة بحسب هوياتهم الدينية. ويعد الدور الايرانى فى افغانستان بعد الانسحاب السوفيتى تجسيداً للضرر الذى ألحقه البعد المذهبى -الطائفى بصورة الثورة الاسلامية. فعلى الرغم من أن ايران لعبت دوراً أساسياً فى مقاومة الغزو السوفيتى واتمام التحرر، إلا أن تدخلها من بعد لإعادة تشكيل الخريطة السياسية بما يخدم الأقلية الشيعية هناك قد أدى الى تأليب الأقليات الأخرى (الباشتون، الأوزبكستان، الطاچاكستانيين) ضدها، واتهامها بدفع البلاد الى حافة حرب أهلية سنية-شيعية (٨٢). على صعيد المنطقة العربية، أجمل سعيد حوى زعيم الاخوان المسلمين فى سوريا تصوره للمسلك الايرانى بقوله: «كنا نطمع أن تكون الثورة الايرانية لكل المسلمين، وإذا بها تُظْهِر أغرب أنواع التعصب المذهبى»(٨٣).

على ضوء التحليل السابق، بدا مفهوماً أن تتخلى إيران عن التدخل بقوة لتأييد الانتفاضة الشيعية العراقية التى اندلعت نهاية شهر فبراير ١٩٩١ فى مدينة البصرة وانتقلت منها سريعاً

الى سائر مدن الجنوب. وعلى الرغم من أن العراق قد اتهم ايران -بالتورط المباشر فى أحداث الانتفاضة وتصعيدها ببعض فرق الحرس الشورى، بل وعلى رغم إدانته إيران لمحاولتها الاستيلاء على مدينة الكوت العراقية الجنوبية فى تلك الأثناء[٨٤]، فلقد عجز عن إثبات ذلك وخرج رئيس مجلس الشورى الايرانى ليعلن على الملأ إن دعم شيعة العراق «لن يكون سليماً». وعندئذ قارن البعض بين هذا الوضع وبين ماكان يمكن أن يكون عليه موقف إيران الخومينى من قصف المواقع الشيعية فى النجف الأشراف وكربلاء، وخلص من المقارنة الى أن الثورة الاسلامية الايرانية أدركت نهايتها الفعلية يوم ١٨ مارس ١٩٩١ وهو يوم قمع الانتفاضة، مشيراً الى أنه الوقت الذى كان يلقى فيه عشرات من الشيعة حتفهم على أيدى القوات العراقية، كان الايرانيون ينصرفون لشراء مايلزمهم للاحتفال بعيد النيروز (رأس السنة الفارسية)[٨٥].

والملاحظة الأساسية فى هذا الخصوص، هى أن تطورات الانتفاضة الشيعية العراقية أتت لتعزز منطلقات التغير فى الموقف الايرانى تجاه الشيعة وتؤكدها. فعلى الرغم من أن تلك الانتفاضة كان يمكن أن تمثل بؤرة لجذب سائر الطوائف والأقليات الأخرى نحو المشاركة، فإن طابعها الشيعى الخالص كان من أسباب انفضاض العراقيين من حولها. فلقد تصرفت المعارضة الشيعية حسب بعض المصادر وكأنها القوة الوحيدة الموجودة على الساحة، وحظرت بعض فصائلها على أى جهة أخرى تجنيد المتطوعين، وتَنَادى بعضها الآخر الى إعمال الحكم الشيعى الجعفرى فى البلاد، وبدت الانتفاضة الشيعية العراقية على الحلبة ذات «طابع -بالغ الضيق، كما لو أنها كانت شأناً عائلياً»[٨٦]. لكن كون إيران قد أيدت بعد أكثر من عام من هذا التاريخ فكرة إنشاء «منطقة آمنة» للشيعة العراقيين جنوب خط عرض ٣٢ على غرار نظيرتها للأكراد شمال خط عرض ٣٦، فتلك خطوة كانت لها حسابات مختلفة. فلقد كان الموقف الايرانى يصدر فى تلك الحالة تحديداً من منطلق التعامل مع قضية الشيعة كشأن عام يخضع لمعايير المجتمع الدولى واعتبارات «التدخل الانسانى» لحماية حقوق الانسان فى عالم مابعد الحرب الباردة. وفى هذا السياق، وفى معرض تناول القمع العراقى المستمر لشيعة الجنوب، وجه رئيس المجلس الأعلى للأمن القومى الإيرانى خطابه الى الأمين العام للأمم المتحدة، وأخذ على المنظمة العالمية «عدم تحركها لحماية أرواح السكان الأبرياء»[٨٧].

أما نموذج الأسلوب الثانى فى التعامل الايرانى مع دول الخليج والذى تمثل فى تحريك بعض القضايا الجامدة، فلقد عبر عنه بوضوح موقف الجمهورية الاسلامية تجاه جزيرة أبى موسى. والجزيرة المتنازع عليها أقرب لساحل الشارقة (٤٫٥كم) منها للساحل الايرانى (٦٧كم)، وهى تتمتع بوضع استراتيجى ممتاز مع كلٍ من الطنبين لاطلالتها على مضيق هرمز الذى يتدفق عبره نفط الخليج، كما أن ثلاثتها تمثل نقاطاً لمراقبة سواحل العراق والسعودية وايران (٨٨). ويقطن فى الجزيرة الصغيرة ما يقل قليلاً عن الف مواطن أكثرهم من العرب المشتغلين بالتجارة وصيد الأسماك فى حين يتولى مابين ١٢٠و ١٥٠ مواطناً ايرانياً مهام تأمينها (٨٩). ولقد ظلت أبو موسى شأنها شأن جزيرتى طنب الكبرى والصغرى تخضع لحكم عشيرة عربية من القواسم، وذلك بشكل مستمر ومتواتر منذ منتصف القرن الثامن عشر وحتى عام ١٩٧١. وعلى رغم أن بريطانيا منذ سيطرتها على المنطقة كانت قد استأثرت بتأمينها، إلا أنها فى ذات الوقت عهدت اليها بتصريف شئونها الداخلية، واعتادت إمارة الشارقة (صاحبة السيادة على أبى موسى) وإمارة رأس الخيمة (ذات السيادة على الطنبين)من تم أن تمارسا كثيراً من الأعمال السيادية على الجزرالثلاث من قبيل تحصيل الرسوم من الغواصين والصيادين، ومنح الشركات الأجنبية امتيازات استغلال ثرواتها الطبيعية (٩٠). وبحلول عام ١٩١٧ وقع تطورمهم تمثل فى اشتراط شاه ايران محمد رضا بهلوى ضم الطنبين مقابل اعترافه باستقلال دولة الامارات، بينما تحدد الوضع القانونى لجزيرة أبى موسى بمقتضى مذكرة تفاهم خاصة بين إيران وإمارة الشارقة. وترك هذا التطور المهم أثره على تحديد المستقبل السياسى للجزيرة، اذ أن المذكرة الثنائية المشار اليها تضمنت القبول باحتلال ايران لأجزاء محددة من الجزيرة، بحيث تكون لايران صلاحيات كاملة على الشطر الخاص بها (الشمال والشرق) وتكون للشارقة صلاحيات مناظرة فى الشطر الآخر (الجنوب والغرب)، كما تتقاسم الدولتان مناصفة ثروات الجزيرة وعوائدها النفطية، ويتمتع مواطنوهما بحقوق متساوية كلُ فى نطاقه(٩١).

على هذا النحو تحدد وضع الجزيرة فأشير فى متن مذكرة التفاهم الى الوجود الايرانى بوصفه «احتلالاً». كما أشير فيه الى أنه «لا إيران ولا الشارقة ستتخلى عن المطالبة بأبى موسى ولن تعترف أى منهما بمطالب الأخرى». وحاولت دولة الامارات العربية أكثر من مرة تغيير هذا الوضع من خلال التقدم باحتجاجات متتالية لجامعة الدول العربية فى عام ١٩٧١

ومنظمة الأمم المتحدة فى عام ١٩٨٠ لكن دون جدوى. وعلى الجانب الآخر، ورغم أن ايران كانت قادرة على ضم جزيرة أبى موسى فى عام ١٩٧١ أسوة -الطنبين مستغلة فى ذلك الانشغال بخروج بريطانيا من منطقة الخليج وهشاشة الدويلات الخليجية وضعف وعيها السياسى، الا أن كون أمهات الكتب الفارسية التى ادعت السيادة الايرانية على الجزر العربية قد أخرجت أبى موسى تحديداً من حيز تلك السيادة، فإن هذا فرض على ايران الشاهنشاهية القبول بمبدأ المشاركة فى السيادة(٩٢).

لكن فى عام ١٩٢٢ أثير موضوع جزيرة أبى موسى مجدداً عندما أتت ايران على تغيير وضع الجزيرة الصغير بإرادتها المنفردة، وتحركت فى هذا الخصوص على عدة مستويات، أحدها تقليص الوجود العربى والتضييق عليه بسلسلة من الإجراءات التعسفية مثل خفض المساحة المسموح بالتجول فيها، وغلق المحال التجارية، وربط دخول المواد الغذائية أو مباشرة الصيد باستصدار تصريح خاص من الحاكم الايرانى. والمستوى الثانى هو الحيلولة دون اتصال العرب بذويهم عن طريق التشدد فى منح تأشيرات الدخول الى الجزيرة بدعوى اعتقال بعض الأجانب المسلحين فى مياهها الاقليمية. أما المستوى الثالث والأخير فقد تمثل فى تكثيف الوجود العسكرى الايرانى فى الجزيرة بزعم الحرص على تأمينها. وكان الحدث الأهم الذى فجّر الخلاف حول الجزيرة هو منع ركاب سفينة الناظر الاماراتية من العودة الى أبي موسى فى أغسطس ١٩٩٢ رغم أنهم فى الأصل من سكان الجزيرة والمشتغلين بالتدريس فيها مثل هذا التصعيد الايرانى غير المبرر فى أبى موسى كان سبباً فى اضطراب العلاقة مع دول الخليج التى وجدت فيه نكوصاً عن النهج التصالحى لرافسنجانى، وتجديداً للأطماع الايرانية فى ظل الحكم الامبراطورى، وتمثل موقف مجلس التعاون فى التضامن الكامل مع دولة الامارات فى مواجهة ايران. كما ارتبط بذلك صدور إدانتين متزامنتين من جهتين تمثلان إطارين مختلفين لتنظيم العلاقات العربية-العربية، وهما دول اعلان دمشق وجامعة الدول العربية. وعلى رغم جهود الوساطة التى باشرتها دول مثل سوريا وسلطنة عمان بين الطرفين وكان لها أثرها فى إجراء مباحثات رسمية ايرانية -اماراتية فى سبتمبر ١٩٩٢، الا أن تقدماً لم يتحقق على طريق تسوية المشكلة. وفى ٢٠ ابريل ١٩٩٣ أقر مجلس الشورى الايرانى قانوناً يقضى بمد المياه الاقليمية للبلاد الى مسافة اثنتى عشر ميلاًبحرياً ويؤكد سيادة إيران على جزر الإمارات وبحر عمان.

٣- الحركات الاسلامية.

وهى قضية يخالطها كثير من التشويه مبعثه الربط الميكانيكى بين إيران والحركات الاسلامية فى المنطقة العربية، والتعامل من ثم مع إيران بوصفها تمثل مصدراً رئيسياً (أو بتعبير أدق المصدر الرئيسى) لدعم تلك الحركات. ساعد على وقوع هذا التشويه كون الحركات الاسلامية أعربت عن تأثرها بالنموذج الثورى الايرانى فى التغيير وعدته «نموذجاً قابلا للتقليد» (٩٥). ومن جانبها اعتنقت إيران مبدأ العالمية الاسلامية وجاهرت أحياناً بدعمها لبعض الحركات الاسلامية على سبيل التخصيص من قبيل «أولئك الشبان فى مصر والجزائر وطاجاكستان والهند والعراق» (٩٦).

بيد أن التحليل الموضوعى لعلاقة ايران بالحركات الاسلامية يقتضى ابتداء الوعى بحدود الاختلاف بين المذهبين السنى والشيعى ومناطق نظرية الخلافة أو الإمامة وأثر ذلك على التفاعل بين الطرفين. فالمذهبان المعينان يختلفان فى آليات تنصيب الحاكم وهى النص أو الوصية عند الشيعة، والبيعة أو الاختيار عند السنة. وأهم من ذلك أنهما يختلفان حول مبدأ مسئولية الحاكم تجاه الرعية، فله عند الشيعة عصمة مطلقة ويشكل الإيمان به ركناً أساسياً من أركان العقيدة الدينية الشيعية، أما عند السنة فالحاكم ماهو إلا بشر له مالهم وعليه ماعليهم وإن تميز عنهم بالإشراف على تطبيق الشريعة. وتتفرع عن تلك الاختلافات المبدئية اختلافات أخرى على مستوى التفاصيل. فالسنة على سبيل المثال لايعترفون بالإطار الزمنى الشيعى الذى يتوقف عند الإمام الثانى عشر (محمد بن الحسن العسكرى) بعد دخوله فى غيبته الكبرى، كذلك لا يتمتع علماؤهم باستقلالية اقتصادية مناظرة لعلماء الشيعة (نواب الإمام) الذين يقومون بتحصيل خمسى أرباح سائر العاملين فى الدولة. أكثر من ذلك، فإن نقطة الالتقاء بين الحركات الإسلامية وإيران والمتمثلة فى التغيير باستخدام أسلوب الثورة تعد لوناً من التحديد الذى أدخله الخومينى على الفكر السياسى الشيعى الذى يرفض بطبيعة الخروج إلا خلف الإمام المنتظر (مفهوم التعقية)(٩٧).

ويفسر لنا سرعة فتور حماس الحركات الاسلامية على اختلاف توجهاتها للثورة الايرانية بعد بضعة أشهر من اندلاعها. فلقد عاد وفد الاخوان المسلمين (مصر) الذى توجه الى طهران

لتهنئة آيات الله على نجاح ثورتهم ليلمح الى الخلافات المذهبية بين السنة والشيعة ثم يجاهر من بعد على لسان مرشد الجماعة عمر التلمساني بعمق تلك الخلافات وجديتها (٩٨). وكذلك عبد السلام فرج أحد زعماء الجهاد (مصر) وصف الثورة الايرانية -بأنها ثورة إسلامية واعتبر ذلك «خطأ -اليقين، لأن الخوميني -باعتباره شيعياً لا يطبق الشريعة [الحقة]». وانتقد راشد الغنوشي زعيم حركة النهضة (تونس) نظرية الإمامة الشيعية بقوله: «حقيقة نحن نثمن نشاط الخوميني كنموذج للأمام الذى ساهم إسهاماً عظيما فى نجح الثورة فى ايران، لكننا نرفض كلية مبدأ الإمامة كجزء من العقيدةالاسلامية.... لقد ظهر المبدأ [لدى الشيعة] كنتيجة لظروف تاريخية لايسعنا بالتأكيد قبولها». أما إخوان سوريا وكذلك بعض الحركات الاسلامية فى الأراضى العربية المحتلة فقد فسروا التحالف الايرانى -السورى على ضوء التقارب المذهبى بين النظامين الحاكمين وانتماء كليهما للشيعة الاثنا عشرية، وحاولوا إقامة علاقة بين وصفهم للرئيس السورى -أنه نموذج للحكم التترى وبين تحالف الشيعة مع التتار فى بعض مراحل تاريخهم (٩٩).

وعلاوة على هذا السبب الفقهى (الأصيل) الذى ينبع من الحركات الاسلامية ذاتها ويضع قيوداً على تلقيها للدعم الايرانى، فإن هناك أسباباً أخرى موضوعية (مستحدثة) ترتبط بالتطورات على ساحه ايران وكذلك فى بيئتها الدولية. أهم تلك الأسباب هو السبب الاقتصادي، فإيران تعانى أزمة اقتصادية كما أشير فى موضع من الدراسة، وهذا يقتضى منها ترشيد الإنفاق الداخلى والخارجي، ويفرض ضوابط معينة على تمويلها للحركات الاسلامية. وفى نفس الوقت فإن تصاعد الحملة الدولية ضد الإرهاب واتخاذه مبرراً لضرب الدول الراعية له يحمل ايران على إعادة تقييم موقفها من تلك الحركات التى تستخدم العنف لبلوغ أهدافها السياسية درءاً لاحتمال إثارة عاصفة أخرى فى الخليج.

هل يعنى ماسبق انتهاء الدعم الايرانى للحركات الاسلامية أو انتفاءه أصلاً؟... تلك قضية محل نظر وهى وثيقة الصلة بمحتوى الدعم المقصود، فإيران كانت ولاتزال تدعم تلك الحركات كافة دعماً سياسياً معنوياً من منطلق أنها تعتبر نفسها زعمية للحركات الثورية الإسلامية فى العالم على تعبير الإمام الخوميني (١٠٠). لكنها لاتسهم بالضرورة فى دعمها المالى فضلاً عن تورطها فى تدريبها العسكرى. لكن مثل هذا الدعم السياسى والمعنوى كان

فى حد ذاته سبباً فى توتير علاقة ايران ببعض الدول العربية التى تعانى احتداد معارضتها الاسلامية، كما أنه أدى الى اضطراب علاقة تلك الدول بأطراف عربية أخرى اتهمت بتسهيلها لعملية ضخ الدعم الايرانى للمعارضة. وتعد العلاقات المصرية -الجزائرية -التونسية من جانب والعلاقات الايرانية -السودانية من جانب آخر نموذجاً لهذا التشابك فى التفاعلات العربية -الايرانية. كانت العلاقات المصرية -الإيرانية قد توترت فى أعقاب التوصل الى صيغة إعلان دمشق فى ٦مارس ١٩٩١، وهى الصيغة التى استبعدت ايران من عبء تأمين الخليج بنصها على أن يكون وجود القوات المصرية والسورية على أرض السعودية وبعض الدول الخليجية الأخرى «نواة لقوة سلام عربية تعد لضمان أمن وسلامة الدول العربية فى منطقة الخليج(١٠١). إزاء ذلك، احتجت ايران على إشراك بعض الدول العربية غير المطلة على الخليج فى مهمة حمايتة سيما وتلك الدول متورطة داخلياً (المشكلة الاقتصادية فى مصر/ أو إقليميا (الدور السورى فى لبنان) على نحو يجعلها غير مؤهلة لأداء الوظيفة الحمايئة. وردت مصر بعنف على الانتقادات الايرانية وأكدت على عروبة منطلقات الأمن فى الخليج واستحالة التباحث فى أى نظام أمنى خليجى أو شرق أوسطى باستبعاد الدور المصرى (١٠٢).

يبد أن زيارة الرئيس هاشمى رافسنچانى للخرطوم فى ديسمبر من نفس العام شكلت بحق نقطة تحول رئيسية فى مسارالعلاقات المصرية -الايرانية، إذ تعاملت مصر مع تمدد ايران لمناطق بعيدة كل البعد عن محاولات نفوذها التقليدى بحسبانه يمثل محاولة للالتفاف حولها من الجنوب. وارتبط ذلك بتبادل الحملات الإعلامية بين البلدين، فلقد اتُّهِمَت إيران بالتواجد العسكرى فى السودان للمساعدة فى قمع حركة التمرد الجنوبى خاصة بعدما أعلن جناح «الناصر» عن اعتقاله لستة مستشارين عسكريين إيرانيين فى ملكال، وأهم من ذلك اتهامها بتدريب عناصر المعارضة الاسلامية المصرية داخل العديد من معسكرات التدريب (بلغت ثلاثين معسكراً فى بعض التقديرات) (١٠٣)، وتورطها فى محاولات تهريب الذهب والسلاح لحساب بعض تلك العناصر باستخدام المعبر السودانى (١٠٤). أما مصر، فلقد اتهمت بشن حرب على الإسلام وتنفيذ سياسة العداء التى يشنها الغرب المستكبر لإذكاء روح العداء ضد إيران، وتعهد المسئولون الإيرانيون فى مواجهة ذلك بـ «مواصلة التدخل ودعم الحركات الأصولية فى مصر والجزائر» (١٠٥). وعلاوة على كون هذا التصعيد المصرى -الايرانى المتبادل قد تكفل

بتجميد خطوات التقارب المحسوبة بين البلدان في اتجاه استئناف العلاقات الدبلوماسية، فإنه أدى الى تعقد العلاقات المصرية -السودانية الى حد تهديد مصر بتوجيه ضربة عسكرية للسودان فيما لوسمح بإقامة بحرية ايرانية -أحد موانيه، هذا فضلاً عن كونه ألقى بظلال كثيفة على مشكلة مثلث حلايب الحدود المتنازع عليه بين البلدين (١٠٦).

وشهدت العلاقات الجزائرية -الإيرانية بدورها تدهوراً مماثلاً بعد أن كانت الجزائر من أوائل الدول الداعمة لنظام الحكم الإسلامي الجديد، والراعية للمصالح الإيرانية في الولايات المتحدة بعد الثورة وكانت نذر التوتر في علاقات البلدين قد تجمعت منذ بدأ التعثر في عملية التحول الديمقراطي في الجزائر، حيث اقترن التعثر في كل خطوة من خطوات هذا التحول تقريباً برد ايراني غاضب أعقبه تحرك دبلوماسي جزائري مضاد. ففي أعقاب اعتقال زعيمي الجبهة الاسلامية للإنقاذ أكبر الأحزاب الاسلامية المعارضة في الجزائر، هاجمت ايران بعنف هذا الإجراء، وردت الجزائر باستدعاء سفيرها لدى طهران (١٠٧) ومع الإعلان عن توقيف مسار العملية الانتخابية الجزائرية وتشكيل المجلس الأعلى للدولة كهيئة رئاسية تحل محل الشاذلي بن جديد الذى قدم استقالته، وصفت إيران قراري التوقيف والاستقالة بأنهما «غير قانونيين»، وقام مواطنوها بمحاصرة السفارة الجزائرية في طهران، فعاودت الجزائر سحب سفيرها وبعض كبار معاونيه كما أعلنت إنهاء رعايتها للمصالح الايرانية في الولايات المتحدة. وعندما اغتيل الرئيس الجزائري محمد بو ضياف لم يعن بعض المسئولين الايرانيين بإخفاء غبطتهم للواقعة وهو ما اعتبرته الجزائر عملاً يجافي أبسط الأعراف الدبلوماسية وتستنكره «تعاليم الاسلام والسلوك المتحضر» (١٠٨)وارتبط بذلك خفض حجم التمثيل الدبلوماسي الايراني في الجزائر وقصره على نوع من التمثيل الرمزي أن إلى قطعت الجزائر رسمياً علاقاتها الدبلوماسية مع ايران في مارس ١٩٩٣، لتطوى بذلك صفحة التعاون الوثيق بين البلدين على مدى اثنى عشر عاماً. وفي الجزائر كما في مصر، ارتبط تدهور العلاقة مع إيران بتأزم مماثل في العلاقة مع السودان واتهامه بتدريب المعاوضة الإسلامية على أرضه، ولذلك فلقد ألحق بقرار قطع الدبلوماسية مع إيران بند خاص قضى بسحب السفير الجزائري من الخرطوم (١٠٩).

أما فيما يتعلق بالعلاقات التونسية -الايرانية فإنها لم تشهد تأزماً حاداً من ذلك النوع الذى بلغته كل من العلاقات المصرية والجزائرية مع ايران. فعلى رغم إدانة تونس لمحور

الخرطوم -طهران وسحبها لسفيرها لدى السودان إلا أن إجراءً تونسياً موازياً لم يُتَخَذ من قِبلَ ايران (١٠٠). أكثر من ذلك، شهدت العلاقات الثنائية بين البلدين منذ استؤنفت عام ١٩٩١ نوعاً من الاستمرار الحذِر ترجمتة حركة الوفود الرسمية المتبادلة، فضلاً عن بعض أوجة التعاون الاقتصادي التى سبقت الإشارة إليها. ويُعْزَىَ ذلك فى جانب منه الى رغبة ايران فى تعويض خسارتها الاستراتيجية للجزائر -التقارب مع تونس (كذلك المغرب وليبيا) والبعد عن تطوير صلتها بحركة النهضة التى تسببت فى علاقتها بتونس فى ١٩٨٦ (١١١).

وعلى التحليل السابق يمكن إبداء ملاحظتين أساسيتين، الأولى أن العلاقة العكسية بين تحسن علاقة السودان مع إيران واضطرابها مع العرب ظلت خاصية ملازمة للسياسة الخارجية السودانية طيلة تسعه عشرة عاماً، أى منذ البداية الرسمية لتأسيس العلاقات السودانية - الايرانية. وفى هذا السياق، نجد أن توتر علاقة نظام النميرى بالدول العربية فى السبعينيات خاصة مع تبلور محور القاهرة -الخرطوم بعد اتفاقية كامب ديفيد، قد ارتبط بتوطد العلاقة مع نظام الشاه الأسبق محمد رضا بهلوى. وفى المقابل وتلك مفارقة، نجد أن التأييد العربى لثورة الإنقاذ التى أوصلت -الرئيس بشير للسلطة فى عام ١٩٨٩، قد توازى مع فتور العلاقات الايرانية -السودانية فى العام نفسه إلى حد قيام السودان بسحب سفيره من طهران(١١٢). الملاحظة الثانية هى أنه ليست هناك علاقة طردية بين نمو واضطراد العلاقات السودانية -الايرانية من جهة وامتداد المعارضة الاسلامية فى الدول العربية وتصعيدها للعنف من جهة أخرى.فمن الأمور ذات الدلالة أنه رغم اتفاق كلٍ من مصر والجزائر وتونس على الدعم السودانى -الإيرانى لمعارضتها الإسلامية وتنسيقها الأمنى من ثم فى مواجهته، إلا أنها عجزت عن إقامة الحجة عليه، واتسمت تصريحات مسئوليها حياله بشىء من التناقض(١١٣). أكثر من ذلك، فإن الولايات المتحدة مع إدانتها للتنسيق الثنائى الايرانى -السودانى، أعلنت على لسان هيومان كوهين مساعد وزير خارجيتها لشئون الشرق الأوسط أنها «لاتجد أى صلة مباشرة بين النشاط الايرانى فى السودان والأعمال الارهابية»(١١٤).

٤- الصراع العربى -الاسرائيلى.

ساعدت أزمة وحرب الخليج الثانية على تنشيط الدور الإيرانى فى قضايا المنطقة العربية وفى مقدمتها القضية الفلسطينية من زاويتين أساسيتين الأولى أنها زودتها بالقدرة على

الحركة من حيث إنها حررتها من أعباء المواجهة مع العراق، بل وحققت لها هدفاً عزيزاً عجزت عن بلوغه بعد سنوات الحرب الثماني ألا وهو هزيمة العراق التى ظلت ايران تربطها بتحرير القدس «ان الطريق إلى القدس يمر عبر بغداد».(١١٥) والثانية أنها أتاحت لها فرصة هذه الحركة من حيث إنها جعلت دورها أكثر قبولاً من دول المنطقة، فضلاً عن أنها أطلقت مباحثات السلام التى كان لايران فيها رأى وموقف. على الرغم من أن ايران تعاملت منذ اندلاع ثورتها الاسلامية مع الصراع العربى -الاسرائيلى من منطلق أنه فى جوهره صراع حضارى بين الأمتين الاسلامية واليهودية -أكثر مما هو صراع سياسى قائم على اغتصاب للأقلية لحق الأكثرية فى الحكم، وعلى الرغم من أنها بمقتضى هذا التصور تمسكت برفض منطق التسوية السلمية، الا أن ظروفاً إقليمية معينة فرضت نوعاً من التمايز بين المسلك الايرانى تجاه المسارات المختلفة للصراع. فعلى حين كان التشدد مضموناً للموقف الايرانى من المسار الفلسطينى -الأردنى -الاسرائيلى، فإنه اتسم بقدر أكبر من المرونة تجاه المسار السورى -اللبنانى -الاسرائيلى حيث التماس المباشر مع العلاقات السورية -الايرانية وضرورة تكييفها تبعاً لتوجهات القيادة السورية.

فيما يتعلق بالمسار الفلسطينى -الاردنى -الاسرائيلى، فإنه عندما تولى رافسنجانى السلطة فى صيف ١٩٨٩ كان قد مضى أقل من عامين على اندلاع الانتفاضة الفلسينية فى الاراضى العربية المحتلة، وكانت القوى الاسلامية قد وسعها أن تثبت فعاليتها وترث شرعية القيادات التقليدية (كبار الاقطاعيين) الموالية للأردن التى لعبت دوراً مهماً حتى هزيمة ١٩٦٧، كما أنها أخذت تنازع القيادات الوطنية (منظمة التحرير الفلسطينية أساساً) شرعيتها التى كانت قد أخذت زمام المبادرة منذ مطلع السبعينيات واعترفت بها قمة الرباط كممثل شرعى وحيد للشعب الفلسطينى مثل هذا الصعود للقوى الاسلامية فى الأراضى العربية المحتلة كانت له دلالاته المباشرة على السياسة الايرانية تجاه الصراع العربى -الاسرائيلى. فلقد وجدت إيران فى تلك القوى البازغة حليفاً مناسباً تتوافق معه أيدلوجياً وتشاركه رؤيته الاستراتيجية للصراع «إن هناك التقاء فى الرؤية الاستراتيجية للقضية الفلسطينية ببعدها الاسلامى»، (١١٧) وهما مبران كافيان لمحاولة توطيد العلاقة معه. بدأ ذلك مع «حركة الجهاد الاسلامى» لفتحى الشقاقى التى انبثقت فى الأصل عن الحركةالإخوان

المسلمين، ثم إذابها إلى ثلاثة أجنحة احتفظ أحدها باسم التنظيم الأصلى وقيادته، والآخر تزعمة أسعد بيوض التحيمى تحت اسم «حركة الجهاد الاسلامى -بيت المقدس»، فيما استقل ابراهيم سربل بقيادة الجناح الثالث وهو «حركة الجهاد -كتائب الأقصى». ومن بعد، نشأت ثم توطدت علاقة ايران «بحركة المقاومة الاسلامية» حماس لزعيمها الشيخ أحمد ياسين، وهى بدورها أخوانية الأصل، ظهرت فى نفس شهر اندلاع الانتفاضة الفلسطينية أى فى ديسمبر ١٩٨٧، ووسعها خلال بضعة شهور أن تثبت وجودها على الساحة.(١١٨)

وفى إطار التفاعل مع القوى الاسلامية الفلسينية، عقدت إيران مؤتمرين لنصرتها، الأول فى ديسمبر ١٩٩٠ تحت عنوان «المؤتمر الاسلامى الأول حول فلسطين» واتخذ مجموعة من القرارات أهمها تشكيل جيش لتحرير فلسطين قوامه مليونا مسلم، وإقامة الدولة الفلسطينية على كامل التراب الفلسطينى. (١١٩) أما المؤتمر الثانى فقد عقد فى أكتوبر ١٩٩١ أى فى نفس الشهر الذى انعقد فيه مؤتمر مدريد للسلام، الأمر الذى دفع البعض الى الربط بينهما، واستخلاص أن مؤتمر طهران استبق مؤتمر مدريد بغرض إجهاضه. وعلى رغم نفى رافسنچانى القاطع للصلة بين المؤتمرين (١٢٠) الا أن مؤتمر طهران انعقد فى ظل اعلامية إيرانية مكثفة دعت الى مقاطعة مؤتمر مدريد. كذلك حملت قرارات طهران على مؤتمر مدريد واتهمته حضوراً ومنظمين -بالتآمر لتصفية القضية الفلسينية، وأعادت طرح فكرة الجيش الاسلامى كسبيل وحيد لتحرير فلسين داعية الى الاحتفاظ بوحدات عسكرية دائمة فى الجيوش الاسلامية لهذا الغرض. (١٢١)

مثل هذا الموقف الايرانى كان من أسباب تصعيد التوير فى العلاقة مع منظمة التحرير الفلسطينية من جانب، وزيادة حجم التشوه فى العلاقات البينية بين المنظمة وحركة حماس من جانب آخر. أما علاقة ايران -المنظمة فلم تكن تقدم أسباب الخلاف منذ حرب الخليج الأولى، فإيران لم ترتح لمحاولات المنظمة فتح قنوات اتصال مع المنظمات اليسارية المعارضة لها وأبرزها حركة مجاهدين خلق لمسعود رجوى. ولاراق لها أن تُقْدِم المنظمة على خطوة لها حساسيتها وانعكاساتها على استقرارها مثل افتياح مكتب لها فى منطقة الأهواز الايرانية ذات الأكثرية العربية. وفى كل الأحوال، فإنها لم ترض عن التوجه العلمانى للمنظمة ولاكفّت عن انتقاده فى أكثر من مناسبة. (١٢٢) وعندما قبلت المنظمة مبدأ المشاركة الفلسطينية فى

مؤتمر مدريد للسلام، مَثّل ذلك سبباً إضافياً من أسباب تصعيد الأزمة فى العلاقة الثنائية بين الطرفين لقد اتهمت المنظمة إيران بأنها تحاول احلالها بحركة حماس فى تمثيل الشعب الفلسطينى، وسَرّبت للصحف نص وثيقة وقعتها مع ايران مع حركة حماس فى مخيم صلاح إباد بمدينة قم فى اكتوبر ١٩٩٢ تفيد هذا المعنى بكل ما يرتبه من مسئوليات مادية ومعنوية وسياسية و«جهادية» على إيران تجاه حماس.(١٢٣) أكثر من ذلك، حددت المنظمة حجم الدعم المادى (٣٠ مليون دولار سنوياً) و«الجهادى» (تدريب ثلاثة آلاف مقاتل) الايرانى لحركة المقاومة الاسلامية، كما عينت الدول المقترحة لتلقى الحركة النوع الأخير من الدعم (وهى السودان بطبيعة الحال فضلاً عن لبنان وإيران ذاتها). (١٢٤) وعلى الرغم من أن ايران نفت كل ماسبق جملة وتفصيلاً، ال أنها لم تُخْفِ أن المنظمة لاتمثل الفصيل الفلسطينيالأولى بدعمها «إننا ندعم الفلسطنيين الذين يقاتلون ضد الصهانية، وليس أولئك الذين يبيعون فى وشنطون أو فى مدريد». (١٢٥)

ارتبط بذلك وتداخل معه تجدد المواجة بين منظمة التحرير الفلسطينية وحركة حماس، تلك المواجهة التى اتخذت طابع الصراع المسلح فى بعض مراحل تطورها، وانعقدت على أرضية لقاءات واتفاقات شهدتها أكثر من عاصمة عربية. (١٢٦) وتتمثل عناصر الاختلاف الأساسية بين الطرفين، فى أن حماس تتَمسك بوقف المباحثات وتطالب بالانسحاب منها، فيما تدعو المنظمة الى جمع التفاوض الى الانتفاض. وحماس تقترح تمثيلها فى المجلس الوطنى الفلسطينى بنسبة توازى تصورها لحجم شعبيتها فى محيطها (بين ٤٠ و٥٠٪ من المجلس) بينما تعرض عليها المنظمة نسبة تمثيلية تقتصر كثيراً عن تلك الحدود (٢٠٪ من المجلس).(١٢٧) وفى هذا السياق، ومع تبلور أبعاد التقارب بين ايران وحركة حماس الذى اعتبرته المنظمة موجهاً ضدها، استؤنفت الحملات الاعلامية المتبادلة بين الجانبين، فاتهمت المنظمة حركة حماس بمحاولة إفشال المباحثات بل وبتهديد الوفد الفلسطينى، ودعمتها حركة حماس فى المقابل الى التنحى عن قيادة الشعب الفلسطينى وعدم الوقوف بوجه «من يريدون تحريرا أرضهم وو طنهم»(١٢٨).

وأخف من ذلك حدة، انعكاسات الموقف الايرانى الرافض للتسوية على العلاقة مع الأردن كطرف أصيل فى عملية السلام. ومن هنا، فإن الكشف عن ضلوع عضوين برلمانيين أردنيين

(ليث شبيلات ويعقوب قرش) في تسليح حركة «شباب النفير الاسلامي» التي تعمل داخل الأراضي العربية المحتلة قد سبب حرجاً بالغاً للنظام الأردني المنخرط في جولات المفاوضات. والملاحظة الجديرة بالذكر أن الحركة المشار اليها، كانت قد انبثقت عن « المؤتمر الاسلامي الأول حول فلسطين» الذي انعقد في طهران على ماسبق، وذلك بمشاركة «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» (القيادة العامة لأحمد جبريل) التي اضطلعت بدور حلقة الوصل بين الحركة كطرف في المقاومة وإيران كمصدر لتمويلها. غير أن النظامين الأردني والايراني وسعهما تجاوز تلك الأزمة وانعكاساتها، خاصة أن علاقتهما الثنائية كانت قد أخذت تتطور اعتباراً من عام ١٩٩٠ .[١٢٩] وارتبط بذلك صدور مرسوم ملكي بالعفو عن النائبين شبيلا وقرش.

فإذا ما انتقلنا إلى المسار التفاوض السوري -اللبناني -الاسرائيلي، ألفينا مجموعة من العوامل التي تساعد على التخفيف من الطابع الأيديولوچي للموقف الايراني تجاه المسار الفلسطيني -الأردني -الاسرائيلي، وتطبعه بدرجة من البراجماتية. أول وأهم تلك العوامل هو تميز الموقف السوري نفسه، فلقد ظلت سوريا حتى اندلاع أزمة ثم حرب الخليج الثانية تتمثل بموقف مبدئي ثابت يرفض التفاوض مع اسرائيل قبل تمام انسحابها من الأراضي العربية المحتلة. لكن اختلال التوازن الاستراتيجي بشدة لصالح إسرائيل بعد هزيمة العراق، اقتضى إعادة تقويم الموقف برمته وطرح إمكانية البحث في تقدم المفاوضات على شرط الانسحاب. وفي واقع الأمر، فإن هذا التغير كان لابد وأن يشكل عنصراً ضاغطاً على الموقف الايراني ويدفع به الى التسليم لسوريا عما سبق و أنكره على الفلسطينين أي القبول بالمشاركة في المفاوضات، وذلك كنتيجة منطقية لاختلاف علاقة ايران بالمنظمة عنها بسوريا.

وتدخل علاقة سوريا بإيران الثورة في عداد هذا النوع من العلاقات المركبة التي يطلق عليها علاقات الحب /الكراهية، من حيث كونها تجمع بين أسباب التنافر والتوافق في آن معاً. فالدولتان تفرقهما الأيديولوچية (التوجة العلماني للنظام السوري والاسلامي للنظام الايراني)، وتجمعهما المصلحة (الحساسية المشتركة تجاه الولايات المتحدة وإسرائيل، معاداة العراق، المنفعة المادية المتبادلة). ولذلك أتت العلاقة السورية - الايرانية على مدار أربعة عشر عاماً من ١٩٧٩ وحتى ١٩٩٣ ترجمة أمينة للتذبذب بين الشيء وضده. فلقد أبدت إيران نظام حافظ الاسد في حملته ضد الاخوان المسلمين، وهاجمت هؤلاء ووصفتهم -أنهم «عصابات

تنفيذ مؤامرة كامب ديفيد»، (١٣٠) وساندت سوريا إيران فى حربها ضد العراق وغدت وسيطتها فى بعض ما شجر بينها وبين الدول العربية من خلاف. ولكن فى نفس الوقت، تواجهت الدوليان داخل لبنان بعدما أخذت ايران توسع من نفوذها (تصعيد المقاومة الجنوبية، دعم الجماعات السنية المعارضة لسوريا فى لبنان كحركة التوحيد، التوسط بين أنصار أمل ومعارضى ياسر عرفات فى حرب المخيمات)، ومارستا أسلوب الحرب بالانابة (عبر حركة أمل وحزب الله) حتى ١٩٩٠، كما تباينت مواقفهما من اعلان دمشق رغم أن سوريا لم تعارض انضمام ايران اليه من حيث المبدأ. (١٣١) ولكن رغم كل ذلك وفى مواجهته، تظل سوريا هى بوابة ايران للعالم العربى، كما تظل ايران هى ورقة الضغط السورية الرئيسية على إسرائيل لاسيما فى هذه المرحلة من التطور العربى - الاسرائيلى: مرحلة المفاوضات. أكثر من هذا، يبلغ التثمين السورى الايرانى حداً يدعو سوريا الى التأكيد على أنها لن تتخلى عن إيران وذلك أياً كانت علاقة إيران مع العرب. (١٣٢)

ويتصل بالنقطة السابقة، التغير فى موقف حزب الله أهم أطراف حركة المقاومة اللبنانية فى الجنوب. فعندما ولى عباس موسوى الأمانة العامة للحزب فى أكتوبر ١٩٩٠، كان نذيراً بتغير الخط السياسى للحزب نحو الاندماج فى الكيان اللبنانى تأهباً لمرحلة مابعد انتهاء الحرب الأهلية. ولذلك لم يسع الحزب لتخريب اتفاق الطائف ولا هو عارض انتشار الجيش اللبنانى، وكلتاهما مقدمتان منطقيتان لاستعادة الدولة سيادتها على أرضها. كذلك شرع الحزب فى تحسين علاقته بباقى الطوائف اللبنانية ومنها الطائفة الشيعية نفسها (أساساً حركة أمل والمجلس الاسلامى الشيعى الأعلى)، كما أسس الحزب شبكة من المؤسسات الاجتماعية (مثل مؤسستى الشهيد والقرض الحسن)والعلمية (مثل مركز الأبحاث رالدراسات الاستراتيچية). وعلى الجملة، فإنه أى الحزب تطور حسب بعض التغييرات فى اتجاه المزيد من «اللبننة» ومن جانبها لعبت سوريا دوراً أساسياً فى عملية الدمج هذه أو اللبننة تمشياً مع اتجاهها للتفاوض، فأدخلت الحزب فى الانتخابات التشريعية ومن ثم فى تشكيل أول برلمان لبنانى منذ اندلاع الحرب الأهلية، وضمنت بذلك إضفاء الشرعية على النظام اللبنانى شريكها فى التفاوض.

ومارست إيران تأثيرها فى نفس الاتجاه لأسباب تتعلق بصميم العلاقة السورية -الايرانية

ولاعتبارات أخرى خاصة بإيران نفسها. فإيران التى رعت فكرة تأسيس حزب الله اللبنانى منذ طرحها فى يونيو ١٩٨٠ حتى تنفيذها فى فبراير ١٩٨٥ ليسير النهج الفكرى للخومينى ويدعمها (١٣٤) (البعض يقدر هذا الدعم بـ ٨٠ مليون دولار سنوياً وهو ما لايستقيم مع تأزم الوضع الاقتصادى الايرانى)،(١٣٥) تبينت على مدار سنوات الحرب الأهلية صعوبة تطبيق نموذج الجمهورية الاسلامية فى مجتمع تعددى كالمجتمع اللبنانى، كذلك فإنها وهى الباحثة عن الاستثمارات والقروض والمساعدات الغربية لم تعد تنظر الى لبنان بالضرورة كساحة لمواجهة الغرب باستخدام سلاح الرهائن. لذلك فلقد أقامت ايران علاقتها بالنظام اللبنانى (على التوازى مع علاقتها بحزب الله)، واستجابة لطلبه المشاركة فى اعادة الاعمار، وتوسطت لدى الحركات الاسلامية الموالية لها (وعلى رأسها حزب الله) لاعادة تقييم ملف الرهائن ونجحت فى طيه، وباركت انخراط حزب الله فى العملية السياسية وعدته مفيداً «للحالة الاسلامية» فى لبنان. (١٣٦)

وذلك لايعنى أن حزب الله يؤيد المفاوضات أو يبارك المشاركة فيها، فهى على حد تعبير أمينه العام الجديد حسن نصر الله «لن تؤدى الى أى نتيجة»، (١٣٧) وهو لا يعدم التعبير عن هذا الرفض بوسائل شتى تتدرج من التظاهر وتنتهى بمهاجمة شمال إسرائيل. لكن المقصود تحديداً هو أن هذا الرفض بتعبيراته المختلفة لا يُصَعَّد الى مستوى التسبب فى مواجهة إسرائيلية -سورية، وهو ما لوحت به إسرائيل أكثر من مرة (١٣٨)، أو ينذر بتوسيع نطاق حزب الله بالتنسيق مع الشريكين الأعظم سوريا وإيران، فالأخيرة لاتفتأ تؤكد «إن دور المقاومة مهم ويستوجب الدعم لتحرير الأرض من الاحتلال الاسرائيلى» وهو يرتبط الى حد بعيد بدرجة التغيير فى خطوات السلام، وهو يمثل أيضاً أحد أوضح مظاهر الاختلاف بين طبيعة العلاقة اللبنانية -السورية -الايرانية بحزب الله من جهة ونظيرتها لمنظمة التحرير الفلسطينية والأردن وإيران بحركة المقاومة الإسلامية (حماس) من جهة أخرى.

خلاصة

لقد حاولت هذه الدراسة أن تحلل أثر المتغيرات العالمية الجديدة على السياسة الخارجية الايرانية تجاه المنطقة العربية منذ بدء ولاية رافسنجانى وحتى اليوم. ورصدت فى هذا الخصوص أربعة متغيرات أساسية هى انهيار الامبراطورية السوفيتية، وبروز القوة الأمريكية،

والتفاعل بين قوى الدمج والتفكيك، وأخيراً حرب الخليج الثانية. وأوضحت الدراسة أن العلاقات العربية -الايرانية توزعت خلال تلك الفترة على مقياس متعدد الدرجات يبدأ بالتعاون وينتهى بالقطيعة. وأرجعت ذلك بصفة أساسية الى اضطراب وجهة المتغيرات العالمية وجمعها الشيء ونقيضه فى آنٍ معاً، كما أنها ربطت هذا التنوع فى انماط التفاعل العربى -الايرانى بتطور الأوضاع الداخلية فى الجمهورية الاسلامية من جانب والمستجدات على الساحة الاقليمية العربية من جانب آخر.

الهوامش

(١) يذهب البعض إلى أن مايقال له "نظام عالمي جديد"لا يملك أياً من صفاته. فهو ليس نظاماً لأنه لم يكن أكثر من إطار لتنظيم عملية انهيار الكتلة الشرقية وضبط آثار هذا الانهيار، وهو ليس عالميا لأن هناك ازدواجية تميز تعامله مع قضاياه، وهو ليس بجديد لأنه لم يحقق الانتقال من عصر "المواجهة" إلى عصر "التعاون" بل أن لحظة تدشينه اقترنت بإعلان الحرب على العراق.

محمد سيد أحمد، حول إشكالية النظام الدولي الجديد، السياسة الدولية، عدد ١٠٤، ابريل ١٩٩١، ص ص ٢٥-٢٦.

وفي نفس الاتجاه انظر:

(٢) Lowrence Freedman, Order and Disorder in the New World, Foreign Affairs, no. 1,1992,P21,26

Meg Greenfield, A messy New World order, Washington Post, 26/3/1991.

ويذهب البعض الآخر إلى اثبات وجود "نظام عالمي جديد" يملك آلياته ومؤسساته، وتحدد قيمه على أساس من التعددية السياسية واحترام حقوق الإنسان. د. محمد الرميحي، سقوط الأوهام، العربي، عدد ٢٣٩٥، أكتوبر ١٩٩١، ص١٤

Joseph S. Nye,Jr,What New World Order, Foreign Affairs, Spring 1992, volume 71, no. 2.

Serveryn Bialer, Domostic and Internotional Factors in the Formation of Gorbachev's Reforms, Journal of International Affairs, volume 42,no. 2,
Spring 1989, pp283-290.

Michael Armacost, Jmplications of Gorbachev for U.S-Soviet

Relations, Jbid,p446.

د. طه عبد العليم، سقوط الاتحاد السوفيتي: نظرة عامة، فى د. طه عبد العليم (محرر)، انهيار الاتحاد السوفيتى وتأثيره علي الوطن العربى، الأهرام: مركز الدراسات السياسية والأستراتيجية، ١٩٩٣، ص٢٥

(٣) جمال حماد، صراع حول الجمهوريات الأسلامية: إيران تريد تصدير الثورة إليها وتركيا تطمح بسوق موحدة معها، الوسط، عدد١٣، ٢٧/٤/٩٢، ص٣٠

(٤) Shireen T. Hunter, Soviet-Iranian Relations in the post Revolution Period, in R.K Ramazani (ed), Iran's Revolution, Bloomington and Indianapolis: Indiana University Press, 1990 p86.

(٥) الحياة، ٩/١٢/١٩٩١.

(٦) Shireen T.Hunter, opcit, p89, 95-96, 98.

(٧) د. محمد السيد سليم، العرب فيما بعد العصر السوفيتى: المخاطر والفرص، فى د.طه عبد العليم (محرر)، مرجع سبق ذكره، ص ص ٢٠٧-٢٠٨.

Bruce D.Porter, A Country Instead of a Couse: Russian Foreign policy in the post-soviet era, Washington Quarterly, volume 15,no. 3 Summer 1992,pp43-49.

(٨) نشأه جذور هذا الإتجاه فى التفكير خلال المؤتمر السابع والعشرين للحزب الشيوعى السوفيتى عام ١٩٨٦:

Marshall D.Shulman, The Superpowers: Dance of the Dinas ours, Foreign Affairs,volume66, no. 3,1988,p. 501.

(٩) جميل مطر، حرب حضارات، الحياة، ٢٠/٦/١٩٩٣

(١٠) عبد الحليم غزالى، الرؤية الأمريكية للأصولية الأسلامية: أنصار إسرائيل يصورون الإسلام على أنه الخطر الجديد، الأهرام، ١٠/٩/١٩٩٢.

وفى دحض هذا التطور انظر رأى د.جيرجيان مساعد وزير الخارجية الأمريكية السابق،

لشئون الشرق الأوسط:

الحياة، ٤/٦/١٩٩٢

(١١) لمزيد من التفاصيل انظر:-

Jean Claude Vatin, les partis (pris) Democratiques. Perceptions Occidentales de la Democratisation dans le Monde Arabe, in Democratie et Democratisation dans le Monde Arabe, le caire: CEDEJ, 1992, pp17-30.

(١٢) د.محمد السيد سليم، مرجع سبق ذكره،ص٢٠٩.

(١٣) حامد حيدر، طهران تتحرك لإيجاد نظام إقليمى يضمها إلى الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى، الوسط، عدد ٤٠، ٢/١١/١٩٩٢، ص ص ٢٩-٣١.

(١٤) Jbrahim Arafat, The Ieanian-Turkish Conflict over Central Asia: A Rivalry for Regional Dominance, Series of Political Research no. 64, April 1993,pp35-39.

(١٥) Jbid,p30.

(١٦) راسل هاوى، ايران النووية: الحقيقة والوهم، الوسط، عدد ٣٤، ٢١/٩/١٩٩٢، ص ص ١٠-١٥.

(١٧) لمزيد من التفاصيل حول التنافس الإيرانى-التركى فى وسط آسيا، انظر:

Jbrahim Arafat, opcit, p33.

رغيد الصلح، العرب والتنافس على التركة السوفيتية، الحياة، ٦/٣/١٩٩٢.

سيد القيسى، صراع عثمانى-فارسى على مسلمى آسيا الوسطى، الوطن العربى، عدد٧٩١، ١/٥/١٩٩٢، ص ص ١٥-١٧

جهاد فخر الدين، تركيا وايران: لمن النجومية؟ الشروق، عدد ١، ٩-١٥/٤/١٩٩٢، ص٤٢ الكسى فاسيليف وفلاديمير غودينيكو، السياسة الإيرانية فى آسيا الوسطى وما وراء القوقاز، الحياة، ١٧و١٨/٧/١٩٩٢

(١٨) أنسى سنو، الشركات الإسرائيلية تغزو الجمهوريات الإسلامية الست، الوطن العربى،

عدد ٧٩٥، ١٩٩٢/٥/٩٢، ص ص٣-٤.

رغيد الصلح، الشركة فى آسيا الوسطى: إسرائيل لا الولايات المتحدة هى الرابحة، الحياة، ١٩٩٢/٨/١٠.

(١٩) Patrick M.Cronin, American Global Leadership after the Cold War: From Pax Americana to Pax Consortis, Strategic Review, volume XIX, no. 3, Autumn 1991, pp 10-15.

(٢٠) Francis P. sempa, The Geopolitics of the post cold War World, Starategic Review, volume xx, no.1, Winter 1992, p16.

(٢١) David Gergen, America's Missed Opportunities, Foreign Affairs, volume 71, no.1, 1992, p4.

(٢٢) Patrick M.Cronin, opcit, p15.

(٢٣) Francis Sempa, opcit, pp10-11.

Charles William Maynes, Les Defis de l'Administration Bush, politique etrangere, 1/1989, pp 17-22.

(٢٤) Patrick m.Cronin, opcit, p11

(٢٥) انظر عرضاً كاملاً لأفكار فرانسيس فوكوياما فى:-

فرانسيس فوكوياما، هل هى نهاية التاريخ؟ ترجمة مجلة National Interest, صيف ١٩٨٩.

(٢٦) Patrick M.Cronin, opcit, p19.

(٢٧) فى تفصيل ذلك انظر:-

Joseph. S.Nye, I.R, The Changing Nature of World power, Political science Quarterly, Summer 1990, voluwe 105, no.2, pp177-182.

وحول عرض لمؤشرات تدهور القوة الأمريكية:-

Dominique Moisi, Forces et Faiblesses des Etats-Unis, Poli-

tique Etrangere, opcit, pp46-49.

رمزى زكى، هل انتهت قيادة أمريكا للمنظومة الرأسمالية العالمية؟ المستقبل العربى، عدد ١٣٨، ٨/ ١٩٩٠، ص ص ٦-١٥

(٢٨) جميل مطر، الحرب الباردة هزمت طرفيها، الحياة، ١٩٩٢/٩/٢٢.

وفى نقد فكرة نهاية التاريخ انظر:-

ابراهيم محمود، فلسفة نهاية التاريخ الأمريكية، المستقبل العربى، عدد ١٦٤، ١٩٩٢/١٠، ص ص ١٣٢-١٤٢.

محمد سيد أحمد، تجدد الجدل حول "نهاية التاريخ"، الأهرام، ١٩٩٢/٢/٢٠.

(٢٩) Richard Rosecrance, Anew Concert of Powers, Foreign Affais, volume 71, no.1,1992, opcit, pp 65-78.

(٣٠) د.على الدين هلال، حول مستقبل النظام الدولى، ندوة العالم الإسلامى والمستقبل، القاهرة، ١٣-١٦/ ١٩٩١/١٠، ص ص ٧-٩.

(٣١) فى عرض هذا التصور ونقده انظر:-

Patrick M.Cronin, opcit, p 12.

Keith Hindel, Reform of the United Nations? The World Today, volume 48, no.2, February 1992, pp 30-33.

(٣٢) انظر عرضاً لهذه الوثيقة فى:-

صلاح الدين حافظ، نحن والهيمنة الأمريكية، الأهرام، ١٩٩٢/٣/١٨.

(٣٣) انظر عرضاً لهذه الوثيقة فى:-

الحياة، ١٩٩٢/٩/١٤. وقارن ذلك بالدراسة المماثلة التى أعدتها مؤسسة هيرتاج فى: الحياة، ١٩٩٢/٤/١٩.

(٣٤) الحياة، ١٩٩٣/٣/١٤.

(٣٥) الحياة، ١٩٩٣/٥/١.

(٣٦) الحياة، ١٩٩٣/٣/٣١.

(٣٧) الحياة، ١٩٩٣/٤/١٠.

(٣٨) الحياة، ٦/٥/١٩٩٣.

(٣٩) الحياة، ١٧/٥/١٩٩٣.

(٤٠) انظر تصريح إسحاق رابين فى:
الحياة، ١٩/٣/١٩٩٣. وراجع محاضرة حاييم هرتزوج فى:
الوسط، عدد ٦٠، ٢٢/٣/١٩٩٣، ص ٢٦

(٤١) حامد حيدر، إيران وكلينتون: حوار أم مواجهة؟، الوسط، عدد ٤٣، ٢٣/١١/١٩٩٢، ص ٧١

(٤٢) الحياة، ٢٨/١/١٩٩٣

(٤٣) حامد حيدر، مرجع سبق ذكره، ص ص ١٦-١٧.

(٤٤) د.علىّ الدين هلال، محاضرة غير منشورة، جامعة القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ١٩٩٣.

(٤٥) لطفى الخولى، الاتحاد السوفيتى وكومنولث الجمهوريات: عوامل الوحدة وعوامل التفكيك، الفرسان، عدد ٧٢٦، ١٣/١/١٩٩٢، ص ص ٣٦-٣٧.

(٤٦) Iames Schlesinger, New Instabilities, New pnorities, Foreign Policy, no.85, Winter 1991-2991, p 4.

(٤٧) Lowrence Freedman, Order and disorder in the New World, Foreign Affairs, volume 17, no.1, 1991/1992, pp 28-35; Gregory F. Treverton, The New Europe, Foreign Affairs, volume 17, no.1, 1992, pp 103-105.

لمزيد من التفاصيل حول الخلافات السياسية والاقتصادية والدفاعية للجماعة الأوربية انظر: بشير نافع أوربا الغربية من الحرب الباردة إلى سنوات عدم اليقين والعيش فى خطر، قراءات سياسية، السنة١، عدد٢و٣، ربيع وصيف ١٩٩١، ص ص ١٨٤-٣١٢.

جميل مطر، فراغ القيادة فى العالم، الحياة، ٢٤/٧/١٩٩٢.

Zbigniew Brzezinski, Order, Diserder and U.S leadership, Washington Quarterly, Spring 1992.

وحول مشكلات الجمهوريات السوفيتية السابقة:

Martha Brill Olcott, Central Asia's post empire politics,Orbis, volume 36, no.2, spring 1992.

د. محمد السيد سليم، نحو استراتيجية عربية للتعامل مع ورثة الاتحاد السوفيتى، ندوة العرب والنظام العالمى الجديد، القاهرة، ١٣-١٤/٩/١٩٩٢، ص ص ٣-١٠

(٤٩) فهمى هويدى، إيران من الداخل، الأهرام: مركز الأهرام للترجمة والنشر،الطبعةالثالثة، ١٩٨٨، ص ص ٣٥١-٣٥٢.

EIU Copntry Profile, Iran 1991-1992, p p 12-13.

(٥٠) قارن وضع الأقليات فى العصر الامبراطورى ثم بعد الثورة الإسلامية الإيرانية فى:

Akbar Aghajanian, Ethnic Inequality in Iran: An Overview, International Journal of Middle East Studies, volume 15, 1983, pp 210-223.

فهمى هويدى، مرجع سبق ذكره، ص ص ٣٥١-٣٥٨

(٥١) الوسط، عدد ٣٨، ١٩/١٠/١٩٩٢، ص ص ١٢-١٣

(٥٢) الحياة، ٩/٨/١٩٩٢

(٥٣) التقرير الاستراتيجى العربى لعام ١٩٨٩، الأهرام: مركز الدرسات السياسية والاستراتيجية، ١٩٩٠، ص ١٥٠

R.K. Ramazani, Iran's Foreign policy: Contending Orietations, Middle east Journal, volume 43, no.2, spring 1989, p 203.

وحول مزيد من التفاصيل عن المشكلة الاقتصادية الايرانية انظر:-

Yann Richard, l'Iran sans Khomeyni, les cahies de l'Orient, 2 Trimestre, 1989, p 11.

EIu, opcit, p 5.16.

(٥٤) د.ودوة بدران، أزمة الخليج والنظام الدولى، مجلة العلوم الإجتماعية، مجلد ١٩، عدد١ . ٢، ربيع وصيف ١٩٩١، ص ص ٤٨-٥٥.

(٥٥) أحمد النجار، تمويل الحشد العسكرى فى الخليج: دلالاته وآثاره، السياسة الدولية، عدد ١٠٣، يناير ١٩٩١، ص ١١٩.

(٥٦) John lewis Gaddis, opcit, p 110.

(٥٧) لمزيد من التفاصيل انظر:-

د. نيڤين مسعد، إيران بين خيار الثورة وخيار الدولة، الحياة، ١٠/١١/١٩٩١.

(٥٨) S.H, les Dividendes Iraniens, la croix, 19/1/1991

(٥٩) J.A, le coup de main de Rafsandjani, le Nouvel Obervateur, no.1375, 11/2/1991.

(٦٠) le monde, 13/9/1990

(٦١) أزمة الخليج، المواقف العربية والدولية، القاهرة: الهيئة العامة للاستعلامات، أغسطس ١٩٩٢، ص ٢٠٧

(٦٢) المرجع السابق، ص ١٩٧ ,٢٠٨

(٦٣) محسن عوض، ملف العلاقات العربية عام ١٩٨٨، دراسة غير منشورة، ١٩٨٩، ص ٣٦ رغيد الصلح، الطريق المفضل إلى طهران، الحياة، ٥/٧/١٩٩٢.

(٦٤) لمزيد من التفاصيل عن تطور العلاقات السعودية-الإيرانية انظر:-

محمد عبدز الله رسلان، عودة العلاقات الدبلوماسية السعودية- الإيرانية: مقدمتها ونتائجها، السياسة الدولية، عدد ١٠٥، يوليو ١٩٩١، ص ص ١٩٦-١٩٩.

R.K. Ramazani, Iran's Foreign policy: Both North and South, the Middle East Journal, volume 46, no.3, summer 1992, p 399.

(٦٥) أحمد مهابة، إيران وأمن الخليج، السياسة الدولية، عدد ١٠٥، يوليو ١٩٩١، ص ٩٩

(٦٦) انظر فى قرارات القمم الخليجية الثلاث من ١٩٩٠ حتى ١٩٩٢:-حسن أبو طالب، تصور دول مجلس التعاون الخليجى لقضايا الأمن فى الخليج، ندوة مصر وأمن الخليج بعد الحرب، أبو سلطان، ٢٧-٣٠ ديسمبر ١٩٩١، ص ٨. الحياة، ٢٥/٢١/١٩٩١.

عرفان نظام الدين، مسيرة الخليج بين متفاهم وفاهم، الحياة، ٢٨/١٢/١٩٩٢

(٦٧) الحياة، ١٩٩١/٩/٢

(٦٨) الحياة، ١٩٩١/١١/١١،٧

(٦٩) الحياة، ١٩٩٢/٥/٢٦

(٧٠) الحياة، ١٩٩٢/١١/١٧

(٧١) الوسط، عدد ٧١، ١٩٩٣/٦/٧، ص ١٥

(٧٢) الحياة، ١٩٩١/٥/١٥.

(٧٣) أوراق الشرق الأوسط، عدد ٥، مارس ١٩٩٢، ص ٧٣

(٧٤) المرجع السابق، ص ٧٦.

(٧٥) الحياة، ١٩٩٣/٤/١٩.

(٧٦) الحياة، ١٩٩٣/٦/٣

(٧٧) الحياة، ١٢و١٦و١٩٩١/١٢/١٧

(٧٨) عبد السلام سيد أحمد، السياسة الخارجية للنظام السوداني: بين العقائدى والبراغماتى، الحياة، ١٩٩٣/٨/١٢

(٧٩) خالد العواملة، الثورة الإيرانية وشرعية النظم السياسية العربية، رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ١٩٩٢، ص ص ٤٤١-٤٧١.

(٨٠) باكينام الشرقاوى، الظاهرة الثورية والثورة الإيرانية، رسالة ماجيستير غير منشورة، جامعة القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ١٩٩٣، ص ٣٤٢

(٨١) Faleh Abd Al Jabbar, why the uprisings Failed? Middle East Report, May-June 1992, pp 4-6.

(٨٢) الحياة، ١٩٩٢/٥/١٠، ١٩٩٢/٧/١٢

(٨٣) خالد العواملة، مرجع سبق ذكره، ص ٤٢٦

(٨٤) الأهرام، ١٩٩١/٤/٩

(٨٥) Claude Lorieux, les Etats-Unis aident le Baas a rester au pouvoir en Irak, le Figaro, 25/5/1991.

Pierre Blanchet, la Prestroika de Rafsandjani, le Nouvel Obser-

vateur no.1379, 11-17/4/1991, p 42.

(٨٦) Faleh Abd Al Jabbar, opcit, p 10

(٨٧) الحياة، ٩٢/٤/٢٥

(٨٨) الشروق، عدد ٢٣، ١٠-١٦/٩/١٩٩٢

(٨٩) الحياة، ١٩٩٢/٩/٢٧

(٩٠) شفيق المصري، السياسة الإيرانية في الخليج نستنتج وجود أ أمريكياً ثابتاً، الحياة، ١٩٩٢/١٠/١٤

(٩١) الوسط، عدد ٣٣، ١٩٩٢/٩/١٤، ص ص ٢٠-٢١

(٩٢) د. مصطفى عقيل، سياسة إيران في الخليج العربي على عهد ناصر الدين شاه ١٨٤٨-١٨٩٦م،
الدوحة: منشورات دار الثقافة، ١٩٨٧، ص ٤٤٤

(٩٣) سليمان نمر، أزمة جزيرة أبو موس، الحياة، الجزء الأول، ١٩٩٢/٩/٢١.

(٩٤) الحياة، ١٩٩٣/٤/٢١.

(٩٥) انظر تصريح عبود الزمر أحد قادة تنظيم الجهاد المصري في:- خالد العواملة، مرجع سبق ذكره، ص ٤٢٣

(٩٦) انظر تصريح عل خامنئي مرشد الجمهورية الإيرانية في:- الحياة، ١٩٩٣\٦\٥.

(٩٧) باكينام الشرقاوي، مرجع سبق ذكره، ص ص ٥١-٧٣

Emmanuel Sivan, Sunni Radicalism in the Middle East and the Iranian Revolution, International Journal of Middle East Studies,volume 21, n=1, Febuary 1989, pp 9-10.

(٩٨) خالد العواملة، مرجع سبق ذكره، ص ص ٤١٢-٤١٣.

(٩٩) Emmanuel Sivan, opcit, p 15, 26.

(١٠٠) خالد العواملة، مرجع سبق ذكره، ص ٤٠٩.

(١٠١) انظر نص إعلان دمشق وتعديلاته في:- د. محمد سعد ابو عامود، لإعلان دمشق وإشكالية الفعالية في العلاقات العربية-العربية، في د.مصطفى كامل السيد (محرر)،

حتى لا تنشب حرب عربية-عربية أخرى (من دروس حرب الخليج)، جامعة القاهرة: مركز البحوث والدراسات السياسية، ١٩٩٢، ص ص ٧٠١-٧٠٢.

(١٠٢) الحياة، ١٩٩١/٦/٢٧

(١٠٣) فهمى هويدى، قراءة فى خطاب البراءة، الأهرام، ١٩٩٢/١٢/٢٩.

(١٠٤) الحياة، ١٩٩٢/١١/٢٦، ١٩٩٢/١٢/١٤

(١٠٥) انظر تصريح على ابو ناطق نورى رئيس البرلمان الإيرانى فى:-الحياة، ١٩٩٢/١١/١٩

(١٠٦) سيديل تاونسند، الصراع المصرى-الإيرانى وعمليات المتطرفين، الحياة، ١٩٩٩٣/٤/٣.

(١٠٧) الحياة، ١٩٩١/٦/٢٩، ١٩٩١/٧/٢

(١٠٨) الحياة، ١٩٩٢/١١/١٨، ١٩٩٢/١٢/٨

(١٠٩) الوسط، عدد ٦٢، ١٩٩٣/٤/٥،ص ٦

(١١٠) انظر تصريحات رئيس الوزراء التونسى الدكتور حامد القروى فى:-الوسط، عدد ٥٧، ١٩٩٣/٣/١، ص ٤١.

(١١١) الحياة، ١٩٩٢/١٢/٢٥، ١٩٩٣/٤/١٩

(٢١١) الوسط، عدد ١٩٩٢/٣/٩، ص ص ١٨-١٩

(١١٣) فهمى هويدى، قراءة فى خطاب البراءة، مرجع سبق ذكره. ولاحظ فى نفس السياق عدم تأكيد صحة واقعة اعتقال ستة مستشارين عسكريين إيرانيين فى جنوب السودان حيث لم يف قرنق بوعده بعرض المعتقلين على شاشات التلفزيون.

(١١٤) الوسط، عدد ٦٠، ١٩٩٣/٣/٢٢، ص ٢٠

(١١٥) Shereen T. Heinter, Iran and the Arab world, in miron Rezun (ed),Iran and the crossroods, Boulder, san Fransisco, Oxford: Westview Press, 1992, p 127.

(١١٦) Jean Paul Chagnolaud, Palestine: les Islamistes attendent leur heure, Arabies, no.35, Novembre 1989, pp 27-28.

(١١٧) انظر نص تصريح عماد العلمى ممثل حركة حماس فى طهران فى:الحياة، ١٩٩٣/٣/١

(١١٨) الوطن العربى، عدد ٨١٦، ٢٣/١٠/١٩٩٢.

(١١٩) فهمى هويدى، طهران عشية مؤتمر السلام، الأهرام، ٢٩/٠١/١٩٩١.

(١٢٠) انظر تصريح رافسانجانى ووصفه الربط بين المؤتمرين بأنه "عمل شيطانى" فى:- الحياة، ٢٠/١٠/١٩٩١.

(١٢١) انظر دعوة على خامنئ لمقاطعة مؤتمر مدريد فى:- الحياة، ١٨/١٠/ ١٩٩١. وانظر قرارات مؤتمر طهران فى:الشعب، ٢٩/١٠/١٩٩١.

(١٢٢) أحمد مهابة، إيران بين التاج والعمامة، القاهرة: دار الحرية للصحافة والطباعة والنشر، ١٩٨٩ ص ص ٤٩١-٥٠٢.

(١٢٣) انظر عرضاً للوثيقة فى:-

لطفى الخولى، إيران اعترفت بحماس "ممثلا وحيدا" للجهاد الفلسطينى، ودعت إلى مواجهة منظمة التحرير وقيادتها وخطها السياسى، الوسط، عدد ٦٨، ١٧/٥/١٩٩٣، ص ٢٥

(١٢٤) الوطن العربى، عدد ٨١٦، ٢٣/١٠/١٩٩٢، ص٢٥

(١٢٥) انظر تصريح على أكبر ولاياتى وزير الخارجية الإيرانى فى:-

الحياة، ٩/١٢/١٩٩١. ويلاحظ أن حماس تقرب الدعم المالى الشعبى الإيرانى لكنها تنفى تلقيها مساعدات من الحكومة الإيرانية. وفى هذا الخصوص، انظر تصريح عماد العلمى مدير مركز حماس بطهران فى: الحياة، ١٢/٣/١٩٩٣.

(١٢٦) الحياة، ١/٥/١٩٩٣.

(١٢٧) انظر حديث ابراهيم غوشة الناطق الرسمى باسم حركة حماس فى:- الوطن العربى، عدد ٨٤٣، ٣٠/٤/١٩٩٣، ص ٢٠. وانظر لقاءات مع القيادات الأخرى للحركة فى:- الوسط، عدد ٤٠، ٣٠/١١/١٩٩٢، ص ص ١١-١٦.

(١٢٨) الحياة، ٢٥/٤/١٩٩٣.

(١٢٩) الوسط، عدد ٣٦، ٥/١٠/١٩٩٢، ص ص ١٥-١٧.

(١٣٠) Yosef Olmert, Iranian-Syrian Relations: Between Islam and

Realpolitik, in David Menashi (ed), The Iranian revolution and the muslim World, Westriew Press: Boulder colorado, 1990, p 173.

(١٣١) As'ad Abu Khalil, Ideology and practice of hizbollah in leb-anon: Islamization of Leninist Organizational priniples, Middle Eastern Studies, volume 27, no.3, July 1991, pp 391-392; Shireen T. Hunter,opcit, pp 123-124.

(١٣٢) الحياة، ١٩٩٣/١/٧

(١٣٣) الوسط، عـــدد ٥ , ١٩٩٢/٣/٢، ص ص ١٠-١٣، الوطن العـــربى، عـــدد ٨٣٣، ١٩٩٣/٢/١٩، ص ٣٠.

(١٣٤) Antoine Jalkh, Liban le Hezbollah sous pression, Arabies, opcit, pp 19-22

(١٣٥) Yosef Olmert, opcit, p 183.

(١٣٦) الشـروق ، عـدد ٢٢، ٣-١٩٩٢/٩/٩، ص ٢٨. ولمزيد من مـبـررات تغـيـر الموقف اللبنانى انظر:- Shireen T. Hunter, opcit, p 126

(١٣٧) انظر حديث حسن نصر الله فى:- الحياة، ١٩٩٣/٣/١٢

(١٣٨) انظر تصريح اريل شارون على سبيل المثال كنموذج لتهديدات اسرائيل لسوريا فى:- الحياة، ١٩٩٢/٥/٢٣.

(١٣٩) انظر تصريح على أكبر ولاياتى فى:- الحياة، ١٩٩٢/٦/٤.

العلاقات العربية الإيرانية *

قائمة ببلوجرافيا مختارة

تاريخ إيران

تاريخ قديم:

١ ـ كرستنس ، أرثر .إيران فى عهد الساسانيين/ ترجمة يحى الخشاب وعبد الوهاب عزام .. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٩٥٧ . ٥٨٩ص

تاريخ إسلامى:

٢ - إبراهيم باستانى باريزى. يعقوب بن الليث الصفار/ ترجمة محمد فتحى يوسف الريس.- القاهرة: دار الرائد العربى، ١٩٧٦. ٢٦٤ص

٣ - أحمد شلبى. "ايران".- فى كتاب: موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية، ج٨.- القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٣م.ص٢٧ ـ ٢١٠

٤ ـ بدر الدين الخصوصى . "الدولة الصفوية فى مواجهة التحديات " . ـ مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، س، ١١ ، ع٤٤ ،إكتوبر ١٩٨٥.ص١٤١ ـ ١٧٨.

٥- بروكلمان ،كارل . تاريخ الشعوب الإسلامية. ط ٥ ـ بيروت :دار العلم للملايين، ١٩٦٨. ٩٠١ص

٦- البيهقى، أبوالفضل.تاريخ البيهقى/ ترجمة يحيى الخشاب وصادق نشأت.- القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٥٦. ٨١٣ص

٧- الثعالبى، أبو منصور. تاريخ غرر السير: المعروف بكتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم.- طهران: مكتبة الأسدى، ١٩٦٣. ٧٥٨ص

* إعداد محمد محمد عارف - أمين مكتبة - معهد البحوث والدراسات العربية.

٨- حسن إبراهيم حسن . تاريخ الإسلام: السياسى والدينى والثقافى والإجتماعى.- ط٣.- القاهرة: مكتبة النهضة المصرية،١٩٥٣. ٤مج

٩- حسين مؤنس. "دولة الصفويين".- فى كتاب: عالم الإسلام.- القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٣. ص٤٦٣-٤٧٩.

١٠- حسين مؤنس : "فارس " العالم الإسلامى قبيل الفتح العثمانى".- فى كتاب: الشرق الإسلامى فى العصر الحديث.- القاهرة: لجنة الجامعيين لنشر العلم، ١٩٣٨. ص٢٠-٢٦

١١- شكرى فيصل. حركة الفتح الإسلامى فى القرن الأول: دراسة تمهيدية لنشأة المجتمعات الإسلامية. القاهرة: مكتبة الخانجى، ١٩٥٢م. ٩٦ص

١٢- عبدالله مهدى الخطيب. الحكم الأموى فى خراسان.- بيروت: مؤسسة الاعلمى،١٩٧٥. ٢٣١ ص .

١٣-فيليب حتى. "إيران الأمبراطورية".- فى كتاب: موجز تاريخ الشرق الأدنى/ ترجمة أنيس فريحة.- بيروت: دار الثقافة، د.ت ص٢٧١-٢٨٠

١٤- كيرك، جورج. "الدولتان العثمانية والفارسية ونمو روح الإقدام عند الأوروبيين ".- فى كتاب: موجز تاريخ الشرق الأوسط.- القاهرة: مركز كتب الشرق الأوسط، د.ت. ص٨٨-١٠٧ .

١٥- مصطفى طه بدر. مغول إيران بين المسيحية والإسلام.- القاهرة: دار الفكر العربى، د.ت. ١٣٠ص

تاريخ حديث:

١٦- أحمد عبد القادر الجمال. "موقف إيران من الصراع العالمى".- فى كتاب: من مشكلات الشرق الأوسط.-القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٥٥. ص٥٢٣-٥٧٩

١٧- أسيمة جانو. التاج الإيراني . - القاهرة مكتبة مدبولى،١٩٨٧. ٢٣٠ص

١٨- بروكلمان، كارل. "فارس وافغانستان".- فى كتاب: تاريخ الشعوب الإسلامية.- ط٥ .- بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٨. ص٦٥٦-٦٨٣

١٩- بروكلمان، كارل : "فارس وافغانسان".- فى كتاب: تاريخ الشعوب الإسلامية.- ط٥ .- القاهرة: دار العلم للملايين، ١٩٦٨. ص٧٩٠ ٢٠- بروكلمان ، كارل : "الفرس والإتراك".- فى كتاب: تاريخ الشعوب الإسلامية.- ط٥ .-بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٨. ص٢٥٩-٢٨٤

٢١- بروكلمان، كارل."نشوء الأمبراطورية الفارسية الجديدة والنزاع التركى الفارسي.- فى كتاب: تاريخ الشعوب الإسلامية.- ط٥ .- بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٨. ص٤٩٢-٥٠٦

٢٢- حربى محمد. تطور الحركة الوطنية فى إيران: من سنة ١٨٩٠ حتى سنة ١٩٥٣.-بغداد: دار الثورة، ١٩٧٢. ٩٦ص

٢٣- سلمى حداد. " التسليح الإيرانى والإحلام الأمبراطورية".- شؤون فلسطينية ع٦٢،يناير ١٩٧٧. ص٧٩-٨٥

٢٤- سمير كرم. "إيران: يابان الشرق الأوسط -٢: الخليج العربى الهدف، القومية العربية العدو".- شؤون فلسطينية، ع٧٧، أبريل ١٩٧٨.ص١٠١-١١٩

٢٥- صادق نشأت. صفحات عن إيران/ صادق نشأت ومصطفى حجازى.- القاهرة: مطبعة مخيمر، ١٩٦٠. ٢١٦ص

٢٦- عبدالسلام عبدالعزيز فهمى. تاريخ إيران السياسى فى القرن العشرين.- الجيزه: مطبعة المركز النموذجى، ١٩٧٣، ١٦٠ص

٢٧- فيليب حتى." ايران القاجارية وتورط الدول الأوربية فى شؤونها".- فى كتاب: موجز تاريخ الشرق الأدنى/ ترجمة أنيس فريحة.- بيروت: دار الثقافة، د.ت. ص٢٨١- ٢٩٧

٢٨- لنسوفسكى، جورج: "ايران".- فى كتاب: الشرق الأوسط فى الشؤون العالمية/ ترجمة جعفر خياط.- بغداد: مكتبة دار المتنبى، ١٩٦٤. ص٢١٩-٢٧٨

٢٩- محاكمة مصدق.- ط٣٠- بغداد: دار البصرى، ١٩٥٤. ج١، ٦٨١ص

٣٠- منسى سلامة. مؤامرة ١٩٨٦: قصة الأتصالات الأسرائيلية- الإيرانية- الأمريكية.- بغداد: وزارة الثقافة والأعلام، ١٩٨٧, ١٢٨ص

٣١- ولبر، دونالد. ايران: ماضيها وحاضرها/ ترجمة عبدالنعيم محمد حسنين.- القاهرة: مكتبة مصر، ١٩٥٨. ٢٧٥ص

الثورة الإيرانية(١٩٧٩-)

٣٢- زهير مارديني. الثورة الإيرانية بين الواقع والإسطورة.- بيروت: دار اقرأ، ١٩٨٦. ١٧٩ص

٣٣- فهمي هويدي. ايران من الداخل.- ط٢٠- القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٨٨. ٤٠٥

٣٤- محمد حسنين هيكل. مدافع آيتالله. قصة ايران والثورة.- ط٤٠- القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٨. ٢٧٣ص.

هشام جعيط. "النهضة وحركات الإصلاح ومفهوم الثورة فى العالم الإسلامى الحديث ".- المستقبل العربى، س٤، ع٣٨، أبريل ١٩٨٢. ص٤-١٨

الحضارة الإيرانية:

٣٦- أحمد فؤاد باشا. "الحضارة الفارسية".- فى كتاب: التراث العلمى للحضارة الإسلامية.- القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٣. ص٨

٣٧- اربرى،ا.ج (مشرف). تراث فارس.- القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٩. ٥٤٢ص

٣٨- بارتولد، ف. "الحضارة الإيرانية وتأثيرها فى الممالك الإسلامية الأخرى".- فى كتاب: تاريخ الحضارة الإسلامية.-ط٢٠- القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٢. ص٦١-٨٩.

٣٩- ديماند،م. س. الفنون الإسلامية/ ترجمة أحمد محمد عيسى.-ط٢.- القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٨. ٣٤٩ص

٤٠- زكي محمد حسن. التصوير فى الإسلام عندالفرس.- القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٦. ٨٦ص

٤١- زكي محمد حسن : فنون الإسلام.- القاهرة: مكتبة النهضة المصرية،١٩٤٨. ٧٦٠ص

٤٢- زكي محمد حسن : الفنون الإيرانية فى العصر الإسلامى.- القاهرة: مطبعة دار الكتب، ١٩٤٠. ٣٦١ص

٤٣- قدرى حافظ طوقان. تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك.- القاهرة: المقتطف، ١٩٤١. ٢٦٧ص

٤٤- كريمر، فون. "تأثر العرب فى حياتهم الاجتماعية بالرومان والفرس".- فى كتاب: الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية.- القاهرة: دار الفكر العربى، د.ت ص٩١-٩٨.

٤٥- مارسيه، جورج. "فن ايران".- فى كتاب: الفن الإسلامى.- دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٦٨. ص٩٥-١٠٦، ١٦٩-١٨٦، ٢٣٣- ٢٥٠.

جغرافيةورحلات:

٤٦- عبدالهادى التازى. ايران بين الأمس واليوم: قراءة جديدة لرحلة أبن بطوطة.- الدار البيضاء: المعهد الجامعى للبحث العلمى، ١٩٨٤. ١٢٤ص

٤٧- لسترنج، كى. "فارس".- فى كتاب: بلدان الخلافة الشرقية.- بغداد: مطبعة الرابطة، ١٩٥٤. ص ٢٨٣-٣٣٦

٤٨- وفيق حسين الخشاب. "ايران".- فى كتاب: أسيا.- بغداد: المطبعة العربية، ١٩٦٤. ص ٤٧٩-٥٠٩

السكان:

٤٩- بين، لى. ل. "التغير الديمغرافى فى ايران وباكستان ومنطقة الخليج العربى واشارة خاصة إلى تطور طلب القوى العاملة".- مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، س٥، ع١٧، يناير ١٩٧٩. ص ١٣٥-١٦٢.

٥٠- كلارك، ب.د. سكان ايران: دراسة فى التغير الديموجرافى/ ترجمة محمد عبدالرحمن الشرنوبى.- الكويت: جامعة الكويت- قسم الجغرافيا، ١٩٧٩. ٥٣ص

الأكراد

٥١- ايغلتن، وليام الأبن. جمهورية مهاباد: جمهورية ١٩٤٦ الكردية/ ترجمة جرجيس فتح الله .- بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٢. ٢٤٠ص

٥٢- البدليسي، شرف خان. الشرفنامة. فى تأريخ الدولة والامارات الكردية/ ترجمة ملا جميل بندى.- بغداد: مطبعة النجاح، ١٩٥٣. ٤٨٠ص

٥٣- بله ج شيركوه. القضية الكردية: ماضى الكرد وحاضرهم.- القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٣٠. ١١٢ص

٥٤- بهاءالدين نوري. رتل باز فى حركات بارزان.- بغداد: مطبعة المعارف، ١٩٣٢. ٧٠ص

٥٥- جياووك الكردى. القضية الكردية.- ط٢.- بغداد: مطبعة النجاح، ١٩٣٩. ١٢٠ص

٥٦- رفيق حلمى. الاكراد: منذ فجر التاريخ إلى سنة. ١٩٢٠. - الموصل: د.ن، ١٩٣٤. ٦٥ص

٥٧- شمدت، دانا آدمز. رحلة إلى رجال شجعان فى كردستان/ ترجمة جرجيس فتح الله.- بيروت : دار مكتبة الحياة، ١٩٧٢. ٤٧٤ص

٥٨- صديق الدملوجى. امارة بهدينان : أو امارة العمارية.- الموصل: مطبعة الاتحاد الجديدة، ١١٩٥٢. ١٧٦ص

٥٩ - عبدالرقيب يوسف. الدولة الدوستكية فى كردستان الوسطى.- بغداد: مطبعة اللواء، ١٩٧٢. مج ١، ٣٨٢ص

٦٠- على سيدو الكورانى. من عمان إلى العمادية: أو جوله فى كردستان الجنوبية.- القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٣٩. ٢٧٢ص

٦١- على نعمة الحلو. تاريخ امارة كعب العربية فى القبان والدورق الفلاحية.- النجف: مطبعة العزى الحديثة، ١٩٦٨. ١١٦ص

٦٢- كمال مظهر أحمد. كردستان فى سنوات الحرب العالمية الأولى/ ترجمة محمد الملا عبدالكريم.- بغداد: المجمع العلمى الكردى، ١٩٧٧. ٤١٦ص

٦٣- محمد البريفكانى. حقائق تاريخية عن القضية البارزانية.- بغداد: شركة الطبع والنشر الأهلية المحدودة، ١٩٥٣. ٤١ص

٦٤- محمد أمين زكى. خلاصة تاريخ الكرد وكردستان/ ترجمة محمد على عونى.- القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٣٩. ٤٧٢ص

٦٥- محمد رشيد الفيل. الاكراد فى نظر العلم.- النجف: مطبعة الآداب، ١٩٦٥. ٧٦ص

٦٦- معروف جياووك. مأساة بارزان المظلومة.- بغداد: المطبعة العربية، ١٩٤٥. ٢١٤ص

٦٧- مينورسكى، ف. ف. الاكراد: ملاحظات وانطباعات/ ترجمة معروف خزنه دار.- بغداد: مطبعة النجوم، ١٩٦٨. ٩٩ص

٦٨- نيزان، كندال. "ابادة الاكراد".- السياسة الدولية، س٢٧، ع١٠٥، يوليو١٩٩١. ص٢٦٠-٢٦٣.

٦٩- يحيى الخشاب. الكرد وكردستان.- دون بيانات النشر.، ٤٨ص

الشيعة:

٧٠- أحمد أمين. "الشيعة".- فى كتاب: ضحى الإسلام ج٣.- القاهرة: لجنة التاليف والترجمة والنشر، ١٩٤٩. ص٢٠٨-٣١٥

٧١- أحمد شلبى. "الحركات الفكرية والثورية فى عهد الدولة الأموية: الشيعة".- فى كتاب موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية، ج٥.- ط٧.- القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٤.

٧٢- فلهوزن، يوليوس. احزاب المعارضة السياسية الدينية فى صدر الإسلام: الخوارج والشيعة/ ترجمة عبدالرحمن بدوى.- القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٨. ٢٧٦ص

٧٣- فلوتن، فان. السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات فى عهد بنى اميه-ترجمة حسن إبراهيم، ومحمد زكى.- القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٣٤. ١٦٣ص

٧٤- متز، أدم. "الشيعة".- فى كتاب: الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى.- ط٢.- القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٧. ص٧٧-٩٧

٧٥- محمد جواد مغنية. الشيعة والحاكمون.- بيروت: المكتبة الأهلية، ١٩٦١. ٢٢٣ص.

٧٦- وميض جمال عمر نظمى. "شيعة العراق وقضية القومية العربية: الدور التاريخى قبيل الإستقلال".- المستقبل العربى، س٥، ع٤٢- ٤٣-٤٤، أغسطس- سبتمبر- أكتوبر ١٩٨٢. ص٧٤-١٠٠

عربستان:

٧٧- على نعمة الحلو. الاحواز: المدينة العربية الخالدة.- بغداد: مديرة الأعلام العامة، ١٩٧٠. ٤٥ص

٧٨- على نعمة الحلو. الاحواز: عربستان.- ط٢.- بغداد: دار البصرى، ١٩٦٩-١٩٧٠. ٤مج

٧٩- على نعمة الحلو. عربستان: القطر العربى السليب.- بغداد: مديرية الأعلام، ١٩٧٠. ٤٠ص، خريطة مطوية.

٨٠ـ عبد المنعم سعيد . العرب ودول الجوار الجغرافى . ـ بيروت مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٧. ٢٣٣ص

الأمن القومي العربي:

٨١ ـ حسنين توفيق إبراهيم . "أزمة الخليج الثانية والأمن القومي العربي : قضايا وتساؤلت حول المستقبل ".- شؤن عربية ، ع٦٧ ، سبتمبر ١٩٩١. ص٢٩ـ ٥٠

٨٢ ـ خليل إلياس مراد . حرب الخليج وإنعكاساتها على الأمن القومي العربي .ـ بغداد : دار الحرية للطباعة ، ١٩٨٧. ٢٣٨ ص

٨٣ ـ عبد الله بلقيز . الأمن القومي العربي : مصادر التهديد وسبل الحماية. ـ القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩. ١٤٦ ص

٨٤ ـ عبد المنعم المشاط . نظرية الأمن القومي العربي المعاصر .ـ القاهرة : دارالموقف العربي، ١٩٨٩. ٢٣١ ص

النظام الإقليمي العربي:

٨٥ ـ جلال عبد الله معوض . "تركيا والنظام الإقليمي في الشرق الأوسط بعد أزمة الخليج العربي : الجانب الأمني " . ـ شؤون عربية ، ع ٦٧ ، سبتمبر ١٩٩١ . ص ٥١ ـ ٦٤ .

٨٦ ـ جميل مطر وعلي الدين هلال . النظام الإقليمي العربي : دراسة في العلاقات السياسية العربية . ـ ط٣ . ـ بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٣ . ٢٧٢ ص .

٨٧ ـ النظام الإقليمي العربي : الوضع الراهن والتحديات المستقبلية . ـ القاهرة : مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بمؤسسة الأهرام ، ١٩٨٩ . ٣٠٢ ص

ـ أعمال المؤتمر الإستراتيجي العربي الأول : عمان ١٥ـ ١٧/٩/ ١٩٨٧ .

٨٨ ـ نفين عبد المنعم مسعد . " الإطار الإقليمي العربي في التسعينيات " . ـ المستقبل العربي ، س١٢ ، ع١٣٢ ، فبراير ١٩٩٠ . ص٤ ـ ٢٧.

٨٩ ـ يزيد صايغ . " أزمة الخليج وإخفاق النظام الإقليمي العربي " . ـ المستقبل العربي ، س١٤ ،ع١٤٩ ، يوليو ١٩٩١ . ص٤ ـ ٢٠

العلاقات العربية ـ الإيرانية :

٩٠ ـ أمل إبراهيم الزياني . علاقة المملكة العربية السعودية في النطاق الإقليمي : دراسة في العلاقات السعودية ـ الإيرانية وتطور موضوع الأمن في الخليج ١٩٦٤ ـ ١٩٧٥ . ـ القاهرة : مطبعة دار التأليف ، ١٩٨٩ . ١٩١ ص

٩١ ـ أمين سعيد . "تاريخ الإسلام السياسي " نشأة الدولة الإسلامية ، فتح جزيرة العرب ، حروب الإسلام والأمبراطورية الفارسية . ـ القاهرة : مطبعة عيسي البابي الحلبي ، د. ت . ٣٧٢ ص

٩٢ ـ بيغو ليفسكيا ، نينا فكتورفنا . العرب علي حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع الي القرن السادس الميلادي / ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم . ـ الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون ١٩٨٥ . ٤١٩ ص

٩٣ ـ التفاعلات الإيرانية العربية " . ـ التقرير الإستراتيجي العربي ١٩٩٠ . ـ القاهرة : مؤسسة الأهرام ، ١٩٩١ . ص ١٤١ ـ ١٤٨ .

٩٤ ـ عبد الرحمن سلطان . " الجذور التاريخية والسياسية للنزاع العربي ـ الإيراني " . ـ في كتاب : الصراع الدولي في الخليج العربي . ـ القاهرة : الوعي العربي ، ١٩٨١ . ١٢٧ ص

٩٥ ـ عبدالله بلقزيز . " الأمن العربي والتحدي الإيراني " . ـ في كتاب : الأمن القومي العربي . ـ القاهرة : الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٩ . ص ٦٥ ـ٧٤

٩٦ ـ فهمي هويدي . العرب وإيران : وهم الصراع وهم الوفاق . ـ ط ١ . ـ القاهرة : دار الشروق ، ١٩٩١م . ١١١ص

٩٧ ـ ليفي ،ر . " فارس والعرب " / ترجمة محمد كفافي . ـ في كتاب : تراث فارس / إشراف أ .ج . اربري . ـ القاهرة : دار احياء الكتب العربية ، ١٩٥٩ . ص٨٩ ـ ١٢٤.

٩٨ ـ محمد عبدالله رسلان . " عودة العلاقات الدبلوماسية السعودية الإيرانية " . ـ السياسة الدولية ، س٢٧ ،ع ١٠٥ ، يوليو ١٩٩١ . ص ١٩٦ ـ ١٩٩ .

العلاقات العربية الإيرانية ـ الثقافية:

٩٩ ـ ابراهيم أمين الشواربي . مصادر فارسية في التاريخ الإسلامي . ـ دون بيانات النشر.

١٠٠ ـ بروكلمان ،كارل . تاريخ الأدب العربي / ترجمة عبدالحليم النجار القاهرة: دار المعارف ، ١٩٦١ ـ ١٩٧٥ . ٥ ج

١٠١ ـ جرجي زيدان . تاريخ آداب اللغة العربية . ـ القاهرة : دار الهلال ، ١٩١٤ .٤حج

١٠٢ ـ جرجي زيدان . " الكتب المنقولة عن الفارسية " . ـ في كتاب تاريخ التمدن الإسلامي، ج٣ . ـ القاهرة : دار الهلال ، ١٩٥٨ . ١٧٦ ـ ١٧٧ .

١٠٣ـ حيدر بامات . " الشعر الفارسي " . ـ في كتاب : مجالي الإسلام / ترجمة عادل زعتر . ـ القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٥٦ . ص ٣١٧ ـ٣٧٣

١٠٤ ـ يحيي الخشاب : التقاء الحضارتين العربية والفارسية . ـ القاهرة : معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٩ . ١٥٨ ص

العلاقات الإيرانية بدول الخليج العربية :

١٠٥ ـ أحمد مهابة . " إيران وأمن الخليج " . ـ السياسة الدولية ، س ٢٧ ،ع ١٠٥ ، يوليو ١٩٩١ . ص ٩٦ ـ ١٠٣

١٠٦ ـ روز ماري سعيد . " النزاع حول الجزر العربية في الخليج ١٩٢٨ ـ ١٩٧١ " . ـ مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، س ٢ .ع٦؛ إبريل ١٩٧٦ .ص٩ ـ٣٢

١٠٧ عبد المالك خلف التميمي . " الإحتلال الإيراني للجزر العربية في الخليج : دراسة في تاريخ العلاقات العربية ـ الإيرانية ١٨٨٧ ـ ١٩٧١ ". ـ مجلة دراسات الخليج والجزيرة

العربية ، س ١٤ ،ع٥٥ ، يوليو ١٩٨٨ . ص ١٢٩ ـ ١٥٢ .

١٠٨ ـ عمر الشافعي . " أفاق الدرو الإيراني " . ـ أوراق الشرق الأوسط ، ع٣ يوليو ١٩٩١ . ص ٤٠ ـ ٤٧

١٠٩ ـ محمد حسن العيدروس . " التدخل الفارسي في الشئون العمانية ١٧٣٧ ـ١٧٤٤ ". ـ مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، س١٤ ، ع٥٥ ، يوليو ١٩٨٨ . ص ١٥٣ ـ١٨٦.

١١٠ ـ محمد عزيز شكري وحسن الإبراهيم . " احتلال إيران للجزر العربية الثلاث " . ـ في كتاب : قضايا معاصرة في السياسة الدولية .ـ الكويت : وكالة المطبوعات ١٩٧٢ . ص٩ ـ ٢٨.

العلاقات العراقية ـ الإيرانية:

١١١ ـ " الأتفاق العراقي الإيراني لحل الخلافات بين البلدين : الموقع من صدام حسين وشاه إيران " . ـ مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، س١ ،ع٣ ، يوليو ١٩٧٥ . ص ١٦١.

١١٢ ـ أحمد عبد المجيد . حرب المدن ومدن الحرب . ـ بغداد : دار الحرية للطباعة ، ١٩٨٧. ١٩٧٤ .

١١٣ ـ جابر إبراهيم الراوي . الحدود الدولية ومشكلة الحدود العراقية الإيرانية : دراسة قانونية وثائقية . ـ بغداد : جامعة بغداد ، ١٩٧٥ . ٥٩٠ ص

١١٤ ـ حسن محمد طوالية . مناقشة في النزاع العراقي الإيراني . ـ ط٣ . ـ بيروت : الوطن العربي ، ١٩٨٥ . ١٨٠ ص

١١٥ ـ عباس عبود عباس . أزمة شط العرب . ـ بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٣ . ١٦٠ ص

١١٦ ـ فاضل حسين . مشكلة شط العرب . ـ القاهرة : معهد البحوث والدراسات العربية ،

١٩٧٥ . ١١٥ ص

١١٧ ـ فلاح شاكر أسود . الحدود العراقية ـ الإيرانية : دراسة في المشاكل القائمة بين البلدين . ـ بغداد : مطبعة العاني ، ١٩٧٠ . ١٥٢ص

١١٨ ـ " مبادرة السلام في الخليج التي أعلنها الرئيس صدام حسين " . ـ مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، س ١٥ ، ع ٥٧ ، يناير ١٩٨٩ . ص ٢٣٧ ـ ٢٤١

١١٩ ـ محمد طارق الكاتب . شط العرب وشط البصرة والتاريخ . ـ البصرة : د . ن ، ١٩٧١ . ١٩٠ ص

١٢٠ ـ " نص المعاهدة العراقية الإيرانية والبروتوكولات الثلاثة الملحقة بها الخاصة بالحدود البرية والنهرية وأمن الحدود بين العراق وإيران ، بغداد ١٣/٦/ ١٩٧٥ " . ـ مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، وثائق الخليج والجزيرة العربية عام ١٩٧٥ . ص ٢٧٠ ـ ٢٧٧

١٢١ ـ هادي رشيد . شئون مناطق الحدود في الجمهورية العراقية . ـ بغداد : مطبعة الزعيم ، ١٩٦١ . ١٠٩ ص

١٢٢ ـ وحيد عبد المجيد . " العلاقات الإيرانية ـ العراقية " . ـ أوراق الشرق الأوسط ، ع٢، مارس ١٩٩١ . ص ٤٠ ـ٤٤.

الحرب العراقية ـ الإيرانية :

١٢٣ ـ أحمد عبد المجيد . حرب المدن ومدن الحرب . ـ بغداد : دار الحرية للطباعة ، ١٩٨٧ . ١٧٤ ص

١٢٤ ـ طلعت مسلم . " التوقعات المستقبلية للمسار العسكري للحرب العراقية ـ الإيرانية" . ـ المستقبل العربي ، س٩ ، ع ٩٧ ، مارس ١٩٨٧ . ص٤ ـ ٢٦

١٢٥ ـ عباس النصراوي . " النتائج الإقتصادية للحرب العراقية ـ الإيرانية " . ـ المستقبل

العربي ، س٩ ، ع٨٩ ،يوليو ١٩٨٦ .

١٢٦ ـ محمد إبراهيم الحلوة . " حرب الخليج : دراسة في مسببات الصراع وعواقبه " . ـ مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، س١٥ ،ع٥٧ ،يناير ١٩٨٩ .ص ١٧٥ ـ ١٩٤ .

١٢٧ ـ " النص الكامل لتقرير بيير دي كويلار الأمين العام للأمم المتحدة حول مهمته الأخيرة في طهران وبغداد لوقف الحرب العراقية / الإيرانية وتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٥٩٨".
ـ مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، س١٤ ،ع ٥٣ ، يناير ١٩٨٨ . ص ٢٤٨ ـ ٢٥٠ .

ARAB- IRANIAN RELATIONS: a SELECTED BIBLIOGRAPHY

1- Abdulghani,Jassim M. Iraq and Iran: The Years of crisis. - London; Croom Halm, 1984. 270 p.

2- Amin, S. H. Islamic and Iranian others. - London: Arthur Probstain, 1991.

3- Amuzegar, J. Dynamics of the Iranian revoluation: the Pahlavi's triumph and tradegy. - London: 1991. 4s2p.

4- The Asian Political dictionary /edited by Lawrence Ziring and C. I. Eugene Kim. - Santa Barbara, California: ABC - Cilo, 1985.

5- Bakhash, Sheul. The Politics of Oil and revoluation in Iran. Washington: The Brookings Institution, 1982.37p .

6- Bakhash, Shaul. Reign of the Ayatollahs: Iran and Islamic revolution . - New York, Basic Books, 1986.

7- Bashiriyeh, Hossein. The States and revolution in

Iran 1962 - 1982. - London:Croom Helm, 1984.203p.

8- Bernard, Charyl and Zalamay Khalilzad. The Government of God ; Iran's Islamic Republic. - New York : Columbia Univ. Press, 1984.

9- Besheeth , H. and N. Yuval-Davis, eds. The Gulf War and the new world order . - London ; 1991.

10- Bina, C. and H. Zangeneh. Modern Capitalism and Islamic ideology in Iran . - London: 1991.

11- Braun, Aurel, ed. The Middle East in global strategy. - Boulder, Colorado Westview Press, 1987.274p.

12- Browen, B. and D. Shikman. All necessary means : The Gulf war and its aftemath. - Lonon: 1991.

13- Brown, L. Carl. International politics and the Middle East : . Old rules, dangerous game.- London : I. B. Tausis, 1984.363 p

14- Chubin, Shahram. The Foreign policy of the Islam Republic of Iran. - Geneva: Graduate Institute ofInternational Studies, 1984.

15- Chubin, Shahram. The Scope and conditions of outside power influence, in the Persian Gulf . London, IISS Gower Press, 1981.

16- Cole, Juan and NIKKI Keddi, eds. Shi'ism and social protest. - New Haven, Conn. :Yale Univ .Press, 1985.

17- Cordesman , Anthony H. The Gulf and The search for strategic stability: Saudi Arabia; the military balance in the Gulf and trends in Arab - Israeli military balance . - Boulden, Colo. : Westview Press, 1984.

18- Ehteshami, A. and G. Nonnemann. War and Peace in the Gulf : Domestic Politics and regional relations in the 1990s. - London ; 1991.

19- Fischer, R. Iran: geschichte U.Kulturden-Kmäler,ein Funrer. - 1991.

20- Freedman, Robert O. The Iran-Iraq war ; Implications for third parties. - Tel Aviv : Jaffee Center for Strategic Studies of Tel Aviv Univ. , 1984.

21- ---------------. Iraq; Eastern flank of the Arab Warld . - Washington: Brookings Ins. , 1984.

22- Hamzeh'ee, M. Reza. The Yaresan: a sociological historical and religo-historical study of Kurdish community. - Berlin : 1990.

23- Hickman , William F. Ravaged and reborn : The Iranian army 1982. - Washington: The Brookings Ins., 1982.

24- Hiro, D. Desert Shield to desert storm : The second Gulf war . - London : 1992.

25- Iran: a manual for foreign business Opoortunities and operating conditions to 1994. - London : 1991.

26- Iraq, the Gulf and Arab World ; an atlas. - London : 1991.

27- Izzi, Khalid. The Shatt Al-Arab dispute : a Legal study. - London; Third World Center for Research & Pub. , 1981.243 p.

28- Karsh, Efraim: The Iran-Iraq war : a military analysis. - London : The International Institute for Strategic Studies, 1987.72 p.

29- Kuniholm, Brace R. The origins of the cold war in the Near East : great power conflict and diplomacy in Iran

Turkey and Greece. - Princeton :Princeton Univ. Press, 1980.

30- ----------------. The Persian Gulf and U. S. Policy.- Claremont, Calif. : Regina Press, 1984.

31- Lomay, Robert E. Economic origins of the Iranian Revolution .- New York : Pergamon Press, 1982.303 p.

32- Lenezowiski. George. The Middle East in world affairs . - 4th ed. - New York : Cornell Univ. , 1980.862 p.

33- Litwak , Robert S. Security in the Persian Gulf: Vol. II Sources of interstate conflict. - London: IISS Gower Press, 1981.

34- Marantz, Paul, ed. Superpower involvement in the Middle East the dynamics of Foreign Policy.- Boulder, Colo. Westview Press, 1985.

35- The Middle East Political dictionary/edited by Lawrence Ziring. - Santa Barbara: ABC-Clio, 1984.4s2 p.

36- Mortimer, Edward. Faith and power : The politics of Islam. - New York : Random House , 1982.

37- Pelletiere, Stephen C. The Kurds : an unstable element in the Gulf . - Boulder : Westview Press,1984.220 p.

38- Piscatori , J. Islamic Foundamentalisms and the Gulf Crisis. - London: 1991.

39- The Post war Gulf : New business realities in the Middle East , a research report. - London:1991.

40- Presley, J.R. Banking in the Arab Gulf.- London: 1991.

41- Al-Ramadhan, Bassim M. Tidal Charactristics of Shatt Al-Arab .- Kuwait: Journal of Gulf and Arabian Peninsula Studies, 1985.19 p.

42- Rubin, Bearry . Paved with Good inteantion : The American experience and Iran . - New York: Oxford Univ. Press,1980.

43- Rubinstein, Alvin. Soviet Polcy: Toward Turkey Iran and Afghanistan; the dynamics of Influence. - New York ; Praeger, 1982.

44- Sick ,Gary . All fall down : America tragic encounter with Iran. - New York : Simon &Scuster, 1984.

45- Saunders , Harold. The Middle East problem in the 1980 .- Washington: A.E.I., 1981.83 p.

46- Vatikiotis, P.J. Arab and regional politics in the Middle East . - New York : St. Martin's Press, 1984.

المحتويات

رقم الإيداع
٩٣/١٠٧٦٠

I.S.B.N
الترقيم الدولى 977 - 5347 - 10 - 6

الآراء الواردة بهذا الكتاب تعبر عن كاتبيها وليست تعبر بالضرورة عن رأى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ولا المعهد العربى للبحوث والدراسات ولا أية جهة أخرى

تم الجمع والتنفيذ الفنى
بمركز البحوث العربية
بالمنيل- القاهرة- ٣٦٢٥٦٨٧

International
انترناشونال برس Press
٥ شارع جمال الشاهد — مدينة الصحفيين ت ٣٤٧٤٢٥٩